الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية — كلية: أصول الدين

. قسنطينة . — قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

قواعد العقائد التي قررها الأئمة المالكية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص عقيدة وفكر إسلامي معاصر

إعداد الطالب: — **إشراف الأستاذ الدكتور:**

عبد الغني ضامن — أ.د. عمار طسطاس

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عبد المالك بن عباس	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية	رئيسا
عمار طسطاس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية	مقررا
زبيدة الطيب	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية	عضوا
شافية صديق	أستاذ التعليم العالي	جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر 01	عضوا
ليليا شنتوح	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر 01	عضوا
تركي عبد الرحمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة حامة لخضر وادي سوف	عضوا

السنة الجامعية:

(1440:1441هـ/ 2019:2020م)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

حمدا لربي على ما أولى عَلِي من نعمة إتمام الأطروحة، وأفضل علي من حسن التوفيق والصحة؛ فالشكر الخالص للواحد المنان على جزيل نعمه التي لا تُكفر وعلى وفير فضله الذي لا يحصر. ثم الشكر إلى من لهما أعظم ذمة جوارها يخفر، ومن لا أؤدي من حقهما قلامة أظفر وإن رقيت لذلك أسباب السماء: للوالدين الكريمين صانهما الله وأعزهما بطاعته في الدارين-آمين-والشكر الموصول إلى الزوجة الكريمة على ما صبرت وأعانت وتفهمت وصانت، حفظها ربي بحفظه وصانها بفضله -آمين-.

وكذا الشكر موصول للجامعة بطاقمها إذ أتاحت لي الفرصة للتدرج في مرحلة الدراسات العليا، وللأساتذة الألى تدرجوا بنا في مراقي الكمال ثم الشكر موصول إلى الأستاذ الأب المشرف عمار طسطاس على ما أفضل من قبول الإشراف وعلى ما أداه من حسن النصيحة والرعاية، وإلى الزملاء والأساتذة الأفاضل وكل من لم يبخل علي من حسن توجيه أو نصيحة ولو بالدعاء أو بعون صادق ولو بكلمة طيبة وأخص منهم خاصة الأصدقاء، عادل معوني، وعاشوري حسام، وعزوق عبد المؤمن.

والحمد لله رب العالمين

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة:

بسم الله الرحيم الرحمن، خالق الانسان ومنزل القرآن، وجعله للناس ضياءً وبيانا لما في الدين من القواعد والأركان، كما الحمد لله على الإسلام والسنة والعافية والرشاد، فإن سعادة الدنيا والآخرة في سلامة الاعتقاد، بتمام التوحيد والإيمان، وكمال التعبد وإخلاص القصد في الجنان، وبحسن التسنن بالمصطفى و كمال الانقياد، وترك الشرك، ونبذ الكفر، والحذر من البدعة، ومن مخالفة هدي خير العباد، سيدنا محمدا —صلى الله عليه وسلم–معلم الأمة، الذي بعثه رحمة منه للتعليم والتبيان، وفرقانا بين أصول الكفر وقواعد الإيمان، والهادي إلى سبل الرشاد، كما نحمده –عز وجل–أن سخَّر للأمة أئمةً أسيادا، توارثوا العلم، وحفظوا الأمانة، وبلغوا الرسالة، وبينوها كل بيان، وإنَّا على ذلك لمن الأشهاد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شيك له رب العباد وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم وبارك وأجزل وزاد خاتم الرسل وأكمل العُبَّاد، أما بعد:

فعلم العقيدة كما هو مجمع عليه عند علماء الأمة من أشرف العلوم وأعظمها قدراً وشأناً، وعِظَمُ شرف علم العقيدة وقدره من عظم ما تتعلق به من مواضيع؛ فهو علم يتعلق بالله –عز وجل–حيث بعلم العقيدة يتعرف الناس على حقوق الله عليهم، وبه يعرفون ربهم وخالقهم ومعبودهم بربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته، فهي علم التوحيد الذي بعث الله من أجله الرسل وأنزل الكتب، وشرعت الشرائع، وقامت سوق الجهاد، والجنة والنار، قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1]

ولما كان علم العقيدة بتلك المنزلة العظيمة، فقد رغبت أن يكون موضوع الدكتوراه مرتبطا به، وجعلته بتوفيق الله متعلقا بأساس العقيدة ومبناها ألا وهو موضوع قواعد العقائد، سيما في هذا العصر —رغم تغافل الكثير عن هذا– الذي كثرت فيه البدع والخرافات والخلافات بين المسلمين، وأشاح الشرك بوجهه واستطال برجله على بعض العبادات فصرفت لغير الله، والكل يعلم ان سبب هلاك الأمم يعود إلى هذا الظلم العظيم الذي تفسد به العقيدة، وتنكد بسببه حياة الأفراد والمجتمعات، كما أنَّ سبب قوة

[1] – سورة الأنبياء؛ الآية: 25.

الأمم، وأمنها وشرفها ورفعتها، في التمسك بهذه العروة الوثقى والركن الركين، ومعرفة قواعده وأصوله وأسسه المتينة.

والمطلع على موضوع العقيدة يجد أن العلماء المتقدمين أدركوا أهمية القواعد في شتى العلوم الشرعية، فصاغوا الكثير منها في شتى التخصصات، العلمية والعملية، وهي مبثوثة في كتبهم المختلفة، وبقي على الخلف أن يجمعوها ويخرجوها في حلة تناسب عصرهم، وأسلوبهم، لتكتمل جهود السلف، بجهود الخلف، في غاية واحدة وهي حفظ العقيدة، والعمل على ضمان سلامة التوحيد، وثبات الهوية، لكن بقي الاهتمام بقواعد العقاد متأخرا بباقي التخصصات كالقواعد الفقهية وقواعد التفسير، وقواعد الاصطلاح في الحديث، مما زاد من ضرورة البحث فيه.

وممن جاهدوا واجتهدوا في ترصيص هذا الحصن العظيم أئمة المالكية، حيث كان لهم الإسهام العظيم، والجهد الكبير في ذلك، وفي مختلف التخصصات الشرعية، وفي حفظ العقيدة خصوصا، وقد كان الجهد من الخلف، في تنظيم ودراسة هذا التراث العظيم من موروثهم ليس في قدر ما يجب أن يكون في حقهم من جهة، وفي حق العلم الذي أورثوه من جهة أخرى؛ ويحتاج لجهود إضافية، فوددت ربط موضوع قواعد العقائد بأئمة المالكية، لأسباب سوف يأتي ذكرها.

أسباب اختيار الموضوع

أولا: أهمية موضوع قواعد العقائد وجديته باعتباره موضوع جديد في ميدان البحوث العلمية والجامعية، ففي الموضوع محاولة لكشف الأسس والقواعد التي اتفق عليها علماء المالكية.

ثانيا: ربط الكثير من الناس مواضيع العقيدة وعلم التوحيد بعلماء مذهب دون سواه، وهذا سوء فهم للموضوع من جهة، وهضم من جهة أخرى لجهود العلماء الآخرين الذين جاهدوا وأبلوا الحسن في بيانه، أداءً للأمانة ونصحا للأمة الإسلامية خصوصا والإنسانية عموما.

ثالثا: إبراز جهود علماء المالكية في العقيدة والدفاع عن التوحيد الصحيح، وسبقهم في بعض المواضيع، وهو توضيح لكثير من يتصور من الناس أن الكلام عن المذهب المالكي يعني الكلام عن الأحكام الفقهية فقط، كما هو مشهور ومعروف لدى الغالبية من الناس.

رابعا: الاختلاف الذي شاع بين العلماء في مواضيع ومسائل العقيدة في القديم والحديث، والذي كان سببا في الفرقة والخلاف المستمر؛ فالبحث عن القواعد العقيدة التي قررها علماء المالكية يكون سببا في بيان ما اتفق عليه أئمة المذهب وسلف الأمة وتناقلوه بينهم، وفيه جمع للكلمة.

خامسا: بيان أهمية العقيدة وخطر الشرك، خصوصا مع استمرار الانحراف في هذا المجال إلى يومنا هذا رغم التصانيف الكثيرة عبر التاريخ، مما ينبئ باستمرار الخلاف وعدم الوفاق بين المسلمين، والنتيجة من ذلك الصراع والخلاف المستميت الذي نعيشه اليوم في معظم بلادنا الإسلامية.

سادسا: الحاجة إلى بحوث تأصيلية تبرز قيمة القواعد العقدية من جهة، وتبين أهميتها، وتكشف ما تتعلق به من مسائل كلية، وتكشف من جهة ثانية دور المالكية واسهاماتهم في بناء حصن العقيدة وأساسها الذي هو القواعد العقدية.

سابعا: الدفاع عن العقيدة، والمساهمة في حفظ الهوية الإسلامية، والعمل على جمع الكلمة المؤسسة على أعظم شيء وهي العقيدة، من أجل التصدي لتحديات العصر، ومشكلاته الفكرية والأيديولوجية والثقافية، التي تحاول طمس معالم الأمة، بالقضاء على هويتها وتشكيك شبابها في عقيدتهم، وتغييب أهمية العقيدة في حياتهم وثقافتهم وبحوثهم العلمية، من خلال الضغط الإعلامي الكبير، والجهود العلمية المضادة المغرضة، باسم حرية العقيدة، والعولمة تارة، وبمغالطات الروح العلمية الحديثة، وتشويه العقيدة الإسلامية بالإرهاب والعنف وما إلى ذلك.

إشكالية البحث:

يتمحور البحث في إشكالية أساسية وهي:

- إلى أي مدى ساهم الأئمة المالكية في التقعيد العقدي؟ وما هو أثر التقعيد العقدي في حفظ العقيدة الإسلامية؟

ويتصل بهذه الإشكالية مجموعة من المشكلات الجزئية وهي:

- ماهي القواعد العقدية المتعلقة بباب الإلهيات عند أئمة المالكية؟
- ماهي القواعد العقدية المتعلقة بباب النبوات عند أئمة المالكية؟
- ماهي القواعد العقدية المتعلقة بباب الغيبيات عند أئمة المالكية؟
- ما أثر التقعيدات العقدية في حفظ العقيدة وفي مواجهة التحديات المعاصرة؟

منهج البحث:

اخترت اتباع منهجا علميا قائما على الاستقراء والتحليل، فالمنهج الاستقرائي –الاستقراء العلمي الناقص المعلل– يتمثل في استقراء النصوص والأدلة من مصادرها الأساسية، بوجه يكفي للاستدلال لاستحالة الاستقراء التام، وكفاية الاستقراء الناقص المعلل، أما المنهج التحليلي يتمثل في تحليل تلك المصادر والنصوص والأدلة والربط بينها والشرح والمنهج النقدي يتمثل في نقد ما يستوجب المقام نقده نقدا علميا وموضوعيا؛ حيث سوف اتبع المنهج الآتي لإعداد البحث:

- جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع قواعد العقائد من مصادرها الأساسية من مؤلفات الأئمة المالكية، من كتب التفسير والعقيدة والفقه والسيرة واللغة، واستخرج منها ما يخدم الموضوع.
- إيراد المسائل والقواعد من غير توسيع، إلا ما تدعوا له الحاجة الملحة، لأنني أود ربط القواعد بالأئمة المالكية فقط دون سواهم.
- أذكر في المقام الأول كلام الإمام مالك رحمه الله في الغالب، باعتباره إمام المذهب، ثم أركز غالبا على ما قاله ثم أشهر أئمة المذهب المتقدمين، ثم اجمع القدر الكافي لتقرير المسألة من أقوال علماء المالكية؛ فالبحث لا يمكن فيه جمع كل أقوال علماء المالكية.
- التنبيه أحيانا لكلام البعض من الذين خالفوا القاعدة، إذا اقتضته الضرورة، مراعيا الآداب الشرعية والموضوعية في ذلك.
- التنبيه إلى فوائد القواعد التي قررها الأئمة المالكية ثم اعتمدتها الأمة جميعا بمذاهبها لبيان فضل الأئمة على الأمة وجهادهم في الدفاع عن العقيدة الصحيحة، وتقرير قواعدها.
- تخريج الأحاديث بالمنهجية المعروفة في التخريج، ولاعتماد في ذلك على الموطأ والصحيحين، ثم الكتب الستة إذا لم يكن في الصحيحين مع بيان درجة الحديث.
- العزو للآيات القرآنية في الهامش بذكر السورة ورقم الآية.
- شرح معاني الألفاظ الغريبة من كتب اللغة وغريب الحديث، أو غريب القرآن.

أهداف البحث في الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الأهداف التي سُطّر من أجلها وهي في الجملة مرتبطة بالأسباب والتي يمكن جملها في الأهداف الآتية:

- الدفاع على العقيدة وجمع الأمة على عقيدة واحدة وذلك من خلال بيان القواعد التي أجمع عليها أئمة الأمة وسلفها الصالحون.
- بيان جهود علماء المالكية في تقرير قواعد العقائد، واستنباطها من كتبهم أو كتب تلاميذهم.
- التنبيه إلى أن المالكية لا تعني الفقه المالكي فقط بل علماء المالكية لهم من الجهود في العقيدة وتزيد أهميته منه عن الجانب الفقهي.
- بيان أن العقيدة الإسلامية موحدة القواعد والأسس، وذلك بربط كلام أئمة المالكية بكلام بعض أئمة المذاهب الأخرى.
- الرد على كل من حاول التشكيك في أصالة هذا الدين أو المس بثوابته باسم المنهج العلمي أو الحداثة وما إلى ذلك من الدعاوى.
- فضح الشبهات الموجهة للتشكيك في لعقيدة الإسلامية من خلال بيان حقيقة القواعد التي تأسست عليه، والتي أقرها علماء المالكية الكبار توافقا مع سلف الأمة.

الدراسات السابقة:

طبيعة البحث عن الدراسات السابقة التي لاحظتها وبعد تقصي في حدود الإمكان رأيتها ومن حيث علاقتها بموضوع الرسالة، تشتمل على قضيتين أساسيتين:

الأولى: متعلقة بأئمة المالكية، فلم أجد فيما بحثت عن مواضيع أو مقالات أو كتب أو رسائل جامعية ما يتعلق بقواعد العقائد عند أئمة المالكية أصلاً.

الثانية: في بحوث قواعد العقائد عموما، فوجدت بعض المحاولات في بحث القواعد العقدية بطرق مختلفة، وفي قضايا جزئية أو بإشارة عامة وشاملة دون تفصيل ومنها:

أ/ ما يتعلق بقواعد العقائد عند المالكية: كما أشرت سابقا لم أجد في حدود بحثي أي بحث يتعلق بقواعد العقائد عند أئمة المالكية ولو مختصرة، أو مخصصة في تقعيدات إمام من الأئمة المالكية، إلا بعض الكتب ومنها:

- جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة، لعبد الله بن فهد العرفج، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، مقدمة لمكتبة الملك فهد الوطنية، وطبعتها دار التوحيد، السعودية، 1428هـ/

2007م، وفيها جمع لبعض القواعد العقدية المتعلقة بباب الإلهيات، لكن دون ضبطها تحت قواعدها الكلية ربطا نسقيا مرتبا.

- مسائل العقيدة التي قررها أئمة المالكية، لأبي عبد الله محمد الحمادي، كتاب، طبعه: دار الإمام مالك، الجزائر، 1435هـ/ 2013م، وفي جمع للمسائل الجزئية التي تدخل ضمن القواعد، والتي لم يشر في الكتاب إليها، بل سار في نقل التقريرات للمسائل دون ربطها بالقواعد الكلية التي يمكن أن تدخل فيها مسائل مختلفة ذكرها في الكتاب.
- فتاوي علماء المالكية في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، للدكتور، فاضل بن عبد النور الإمام، رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، ومن مكتبة الملك فهد الوطنية، وطُبعت من قبل دار التوحيد، عام، 1437هـ/ 2016م، وهو مجرد جمع لبعض الفتاوى في مسائل جزئية، معظمها فقهية، وتابعة للقواعد الكلية التي لم يتم ذكرها في الكتاب إلا نادرا.

ب/ ما يتعلق بقواعد العقائد عموما:

- قواعد العقائد: وهو قرابة الخمسين صفحة من مقدمة كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وفيه تقرير لبعض العقائد لكن دون ربط بالأئمة المالكية.
- قواعد القعائد عند ابن تيمية، وهي رسالة علمية جمع صاحبها الكثير من المسائل العقدية، لكنه لم يوضح القواعد العقدية التي تبنى عليها تلك المسائل وهذا جعل الرسالة لا تخدم العنوان كما يجب والذي هو قواعد العقائد الجامعة للمسائل وليس مسائل العقيدة الجزئية.
- القواعد العقدية عند أهل السنة والجماعة، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، لعادل قل أسرار، جامعة أم القرى، غير مطبوع، قام فيها الباحث بمحاولة ضبط القواعد العقدية من جهة الاصطلاح، ومن بيان معنى القواعد العقدية وعلاقتها بباقي التقعيدات، ثم أدرج في ذكر بعض الأمثلة، لكن دون الرجوع إلى أصولها من القرآن والسنة ولا من أقوال المالكية، بل اقتصر على ضبطها في منهج التقعيد الذي افترضه في بحثه، مما جعله بعيد عن هذا البحث من جهة الغاية، والمنهج.
- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان، رسالة لنيل شهادة الماجستير، طبعتها دار الهجرة عام 1414هـ، لم يأتي فيها إشارة إلى أئمة المالكية

باستثناء بعض الإشارات إلى تقريرات الإمام مالك كقاعدة، الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وقاعدة الصفات والغيبيات: أمروها كما جاءت.

- القواعد في توحيد العبادة عند أهل السنة والجماعة، للدكتور، محمد بن عبد الله عبد القادر، رسالة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة المدينة المنورة، ليست مطبوعة، وهي تتعلق بالقواعد الجزئية فقط، ومختصرة في واحد من أبواب العقائد، وليس فيها ربط بالأئمة المالكية.

خطة البحث:

- المقدمة:

- الفصل التمهيدي: فك مصطلحات العنوان.

- **الفصل الأول: قواعد منهج تقعيد القواعد عند أئمة المالكية.**

- **المبحث الأول: القاعدة الأولى.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الثاني: القاعدة الثانية:**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **الفصل الثاني: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب الإلهيات.**

- **المبحث الأول: القاعدة الأولى.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الثاني: القاعدة الثانية:**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الثالث: القاعدة الثالثة.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الرابع: القاعدة الرابعة.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الخامس: القاعدة الخامسة.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث السادس: القاعدة السادسة.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث السابع: القاعدة السابعة.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **الفصل الثالث: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب النبوات.**

- **المبحث الأول:** القاعدة الأولى.

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الثاني: القاعدة الثانية:**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

- **المبحث الثالث: القاعدة الثالثة.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **الفصل الرابع: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب الغيبيات.**

- **المبحث الأول: القاعدة الأولى.**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- **المبحث الثاني: القاعدة الثانية:**

- المطلب الأول: تصور القاعدة

- المطلب الثاني: فقه القاعدة.

- المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

- المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة.

- المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

- الخاتمة:

- نتائج البحث.

- التوصيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول التمهيدي النظري

الفصل الأول (التمهيدي النظري):

مقدمة الفصل:

المقصد الأساس من الفصل التمهيدي هو فك مجملات العنوان (قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية) والسبب إلى ذلك ورود الاشتباه والمتناظرات فيها وبعض المصطلحات القريبة من حيز البحث والمستعملة في علوم وتخصصات أخرى مثل القواعد الفقهية وقواعد التفسير خصوصا وما إلى ذلك من القواعد والمصطلحات ،كما فيه بيان لبعض المصطلحات المفارقة لفظا والمتحدة ضمنا مثل القاعدة والأصل والقاعدة والضابط وبعضها اشتراك في اللفظ وافتراق في غرض الاستعمال مثل القاعدة الكلية والقاعدة الجزئية هذ من جهة ومن جهة أخرى تحديد المقصود من الأئمة المالكية[1] ؛فوجب اضطرارا الفصل والبيان وضبط مقاصد المصطلحات التي يتركب منها عنوان البحث.

التعريف بالمصطلحات الأساسية للعنوان:

موضوع قواعد العقائد من حيث هو قضية خاصة واهتمام وبحث ومناقشة في ميدان العقيدة الإسلامية ممتد في تاريخ التأليف؛ لأن عدد من العلماء ألف في هذا الباب، وسوف يأتي منا ذكر بعض المؤلفات والرسائل في مبحث خاص، لكن قبل ذلك يستوجب علينا توضيح المقصود من هذه الألفاظ حتى يتبين هدف البحث وقيمته، وتتبين المقصود من العنوان، وعليه قسمت الفصل التمهيدي إلى عناصر وهي:

المبحث الأول: توضيح المقصود من قواعد العقائد:

المركب الإضافي قواعد العقائد لا يمكن تعريفه إلا بفكه وبيان معنى كل مصطلح على حده، من الجهتين اللغوية والاصطلاحية، ثم ليظهر تعريفه الخاص به كمركب لغوي بدلالة مرتبط بالعلم المتعلق به البحث وهو العقيدة.

المطلب الأول: تعريق القواعد:

[1] – ذلك لكون الالمام بأقوال أئمة المالكية جميعهم من المستحيل بما كان وجمع تقريراتهم جلها يستوجب جهد جماعية لا يستوعبه هذا البحث المتواضع ولا يتمكن منه المجتهد مهما اجتهد وقد استعمل هذا التعبير غيري من الباحثين الكثير.

1–معنى القواعد لغة[1]: جمع قاعدة، وهي:

هي الأصل والأساس الذي يبنى عليه غيره ويعتمده، وكل قاعدة هي أصل لما فوقها[2] وهذا يستوي فيه الأمر الحسي والمعنوي، فهي في كل شيء بحسب مقامه وطبيعته ومن ذلك: قاعدة البيت: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3] .

ومنها قواعد الهودج: وهي الخشبات الأربعة المعترضة في أسفله لتركب عيدانه فيها.

ومنها قواعد السحاب: أصولها المعترضة في آفاق السماء.

ومنها قاعدة الباب: هي الأصل الذي تبنى عليه المسألة.

–وتعني القاعدة أيضا: ثبات الشيء واستقراره ودوام حاله: فهي مشتقة من الفعل (قعد) والتي تعني وترادف فعل (جلس)[4]، وتزيد عليه في الصفة والحال في جلوس (مستمر ومستقر) ومنه قول الله **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[5] ، أي: " مقعد كامل في جنسه مرضي للمستقر فيه"[6]، ومن معانيه كذلك طول المكث[7].

---

[1] – ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م: (مادة: قعد) ج5/ ص109، والمجمل: (مادة قعد) ج3/ ص760، المفردات (مادة: قعد) ص679، تهذيب اللغة: (مادة قعد) م1 ص202، وللاستزادة تراجع: غريب الحديث لأبي عبيد: م3 ص104، المصباح =المنير:(مادة: قعد) ص195، لسان العرب (مادة قعد) م3 ص128، الصحاح (مادة قعد) ج/ص525، تاج العروس (مادة: قعد) ج2/ ص473، المعجم الوسيط (مادة قعد)، ج2/ ص748.

[2] – أبو البقاء موسى الكوفي؛ الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م، ص 2،7،728.

[3] – سورة البقرة؛ الآية: 127

[4] – ابن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، ج5، ص108. وتنظر: بصائر ذوي التمييز، ص1272.

[5] – سورة القمر: الآية:55.

[6] – محمد الطاهر بن عاشور؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م ج27، ص212.

[7] – المصدر نفسه، 27، ص212، وأنظر: بصائر ذوي التمييز، المصدر السابق، 1272، والتفسير الكبير، ج29، ص332، 333.

ومن الأدلة على هذا المعني في القرآن أيضا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]، ويقصد بها: الاستمرار في القعود، وأيضا الملازمة[2]

ومن جهة الإجمال والعموم يمكننا القول أن المعنى اللغوي لهذه الكلمة ينحصر بين معنين رئيسيين: على أساس الشيء الذي يبنى عليه غيره، وعلى ثباته واستقرار[3].

2-إصطلاحا: ذكر أهل العلم لمصطلح القاعدة مفرد القواعد تعاريف متعددة –أغلبها متقارب-نذكر منها بعض التعاريف ثم نختار الأقرب إلى المقصود والأدل عليه منها:

قال التفتازاني: " القاعدة حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه"[4]

وعرفها الجرجاني بقوله: " قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"[5]

وقال جلال الدين المحلي: " القاعدة قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئياتها[6].

وقيل: هي القضايا الكلية التي تعرف بالنظر فيها قضايا جزئية[7].

---

[1] – سورة المائدة، الآية: 24.

[2] – الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م، ج13، ص103.

[3] – الباحسين يعقوب بن عبد الوهاب؛ القواعد الفقهية، ط1، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، السعودية، 1418هـ/ 1998م.ص15، ويُنظر: قواعد الفقه الإسلامي من خلال كتاب الإشراف على مسائل الخلاف، ص107.

[4] – مسعود بن عمر التفتازاني؛ التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، حقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/2006م، ج2/ ص20.

[5] – الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف؛ كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1403هـ /1983م، باب القاف، ج1/ ص219.

[6] – العطار حسن بن محمد بن محمود؛ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج1/ ص32.

[7] – سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1407هـ/ 1987م، ج1/ ص120.

وقال صاحب شرح التلويح على التوضيح:" حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه"[1].

وعرفها السبكي فقال:" الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منه"[2].

فالقاعدة حسب القاسم المشترك عند الجميع هي **أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته**، كقول النحاة: "الفاعل مرفوع"، وقول الأصوليين: "الأمر للوجوب".

والمختار مما سبق الإشارة إليه أنَّ القاعدة هي: **الحكم الكلي الذي يُتَعَرَّفُ به على أحكام جزئياته.**

محترزات يجب بيانها في التعريف: في التعاريف السالفة الذكر ملاحظات تحتاج إلى توضيح من أجل قطع الإيهام الذي قد يطرأ في الذهن وجب بيان مقاصد التعريف والتي عليها تم اختياره.

1- "الحكم الكلي" لا يرد عليه أنَّ كثيرا من القواعد لها استثناءات وأحكام تشذُّ عنها لأن العبرة بالأغلب، أمَّا النادر والشاذ فلا يخرم القاعدة.

قال الشاطبي –رحمه الله-:"... الأمر الكلي إذا ثبت فتخلف بعض الجزئيات عن مقتضى الكلي لا يخرجه عن كونه كلياً. وأيضا فإنَّ الغالب الأكثري معتبر في الشريعة اعتبار العام القطعي، لأن المختلفات الجزئية لا ينتظم منها كلي يعارض هذا الكلي الثابت.

هذا شأن الكليات الاستقرائية، واعتبر ذلك بالكليات العرضية فإنها أقرب شيء إلى ما نحن فيه، لكون كل واحد من القبيلين أمرًا وضعياً ولا عقلياَ. وإنما يتصور أن يكون تخلف بعض الجزئيات قادحاً في الكليات العقلية، كما نقول: "ما ثبت للشيء ثبت لمثله عقلا". فهذا لا يمكن في التخلف البتة، إذ لو تخلف لم يصح الحكم بالقضية القائلة:" ما ثبت للشيء ثبت لمثله ".

فإذا كان كذلك، فالكلية في الاستقراءات صحيحة وإن تخلف عن مقتضاها بعض الجزئيات.

---

[1] – التفتازاني مسعود بن عمر؛ التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ج1، ص53.

[2] – السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين؛ الأشباه والنظائر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1991م، ج1، ص21.

وأيضاً: فالجزئيات المتخلفة قد يكون تخلفها لِحِكَم خارجة عن مقتضى الكلي فلا تكون داخلة تحته أصلاً؛ أو تكون داخلة عندنا لكن لم يظهر لنا دخولها؛ أو داخلة عندنا لكن عارضة عن الخصوص ماهي به أولى"[1]

وقال في الكليات:" وتخلف الأصل في موضع أو موضوعين لا ينافي أصالته"[2].

وعليه: فالتعبير بـ "الكلي" صحيح، ولا حاجة لاستبداله بـ "أغلبي"[3]مثلاً، لأنَّ الأول يتضمن هذا المعنى وزيادة؛ لأن القواعد التي تندرج تحتها جميع الجزئيات تسمى "كلية"، وكذلك تلك القواعد التي لها استثناءات تسمى كلية؛ فالكلية هنا نسبية.

لأن: الكلي من جهة أخرى هو: مالا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه[4].

ولأن: القضية الكلية هي: ما حكم فيها بالمحمول على كل أفراد الموضوع الداخلة تحت العنوان إيجابا أو سلباً[5].

وبهذا تكون القاعد شاملة لكل الأحكام ولكل ما يدخل تحت التعريف أو تحت مسمى المحمول وعليه يحدث اضطراب عند بعض القواعد التي هي أغلبية لا كلية بالمعنى المنطقي للكلي، كما سيأتي التنبيه إلى كون القاعدة كلية أم أغلبية أثناء مباحث الآتية في القواعد.

ولأنه: يمكن الفهم من خلال التعاريف أن القاعدة تدخلها معاني الكلية من جهة تعدد الأفراد المسائل التي تنطبق عليها حكم القاعدة العام، والثاني تشمله الكلية من ناحية تعدد الأشخاص الذين يشملهم حكم القاعدة العام، ولكل وجه يمنع من تقدم الآخر عليه.

ومن هذا يكون المراد منها والمناسب لمقاصد القواعد في عنوان رسالتنا هذه هو التعريف أن القاعدة هي: **حكم أغلبي منطبق على مسائل متعددة جزئية تدخل تحته.**

---

[1] – الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد؛ الموافقات، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1415هـ/1996م؛ الموافقات، م3، ص53،54.

[2] – الشاطبي؛ الموافقات، المصدر نفسه، ص122.

[3] – ذلك لأن بعضهم اختار حد أغلبي وزعم أنه الأنسب، تنظر: سليم رستم؛ شرح المجلة، ص17.

[4] – الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف؛ كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1403هـ /1983م، ص131.

[5] – الطوسي محمد بن حسن؛ تجريد المنطق، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1436هـ/ 2015م، ص4، ويُنظر: فن المنطق، ص58. قواعد وأصول الفقه وتطبيقاته، ص26.

2-"يتعرف به": الغالب استعماله في القواعد وعلاقتها بجزئياتها والقياس بصفة عامة لفظ ينطبق لكن قولنا يُتَعرف به أدق تعبيراً، لأن استخراج الحكم ليس مبنى على البداهة المنطقية المحضة بل مرده إلى إعمال الذهن والتأمل الدقيق، وقد نبهنا إلى التفريق في التمييز بين الكلي في الشريعة الذي هو يحتمل أن يكون أغلبي، والقاعدة الكلية المنطقية التي يستغرق فيها المحمول كل عناصر الموضوع.

3-على أحكامه الجزئية: لم نقل على جميع أجزائه لأنه كما سبق التوضيح في بعض الحالات توجد استثناءات واحكام تشذ عن الأمر الكلي دون إخلال بالقاعدة الكلية فهي في حقيقتها التطبيقية تحتمل أن تكون كلية كما تحتمل أن تكون أغلبية.

المطلب الثالث: تعريف العقائد:

معنى العقائد لغة: عقائد على وزن فعائل وهو صيغة من صيغ الجموع، مفردها عقيدة وهي: على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، أي: شيء معتقد، وهي تدور في اللغة على معانٍ ثلاثة:

1- الربط والشد والتوثيق بقوة وصلابة: فعقد الحبل: ربطه وشده بالقوة، وعقد البناء بالجص: ألزقه وشده، وناقة معقودة القرى: أي موثوقة الظهر، وأعتقد الشيء: أي صلب، ومن عقد قلبه على شيء فلا ينزع عنه[1].

2- الايجاب والجزم والثبوت والتأكيد: فعقد النكاح والبيع: إيجابه وثبوته، وعقد اليمين إيجابها وثبوتها وتأكيده[2].

3- الجمع: فعقد الثوب: الجمع بين طرفيه، واعتقدت مالاً: جمعته، والعقدة من الشجر: ما اجتمع وثبت أصله[3].

اصطلاحا:

اختلفت التعاريف الاصطلاحية للعقيدة عند أهل العلم نذكر منها:

---

[1] - ابن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، ج4، ص86-90، وتنظر: ولسان العرب، ج3، ص296-300، والمصباح المنير، ج2، ص421، المفردات في غريب القرآن، ص341.

[2] - ابن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، ج4، ص86، وتنظر: وجامع البيان في تأويل القرآن، ج5، ص14.

[3] - الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد؛ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، لبنان، 1412هـ/1990م، ص341، ويُنظر: معجم مقاييس اللغة، ج4، ص86-90، ولسان العرب، ج3، ص296-300، والمصباح المنير، ج2، ص421.

1- حكم الذهن الجازم[1]

2- ما يدين به الإنسان[2]، وزاد عليه آخرون فقالوا: ما يصدقه الإنسان ويدين به[3].

3- العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسبة من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية[4].

4- كل خبر جاء عن الله –عز وجل–أو رسوله، صلى الله عليه وسلم–يتضمن خبرا غيبياً لا يتعلق به حكم عملي شرعيٌ[5].

المبحث الثاني: التعريف العقيدة الإسلامية:

رأينا تعريف العقيدة بصفة عامة مجملة مطلقة تشمل كل اعتقاد في القلب فلا يخص دين ولا تتميز به العقيدة الصحيحة عن غيرها[6]، كما لا تتبين به حقيقة المفهوم بوضوح متكامل، لذا ومن أجل تمييز العقيدة الإسلامية التي هي موضوع بحثنا هذا؛ فلابد أن نضيف إلى هذه التعاريف ما تتميز به العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد وذلك بذكر خصائص هذه العقيدة ومن أهم تلك الخصائص المميزة لها كونها عقيدة سليمة المصدر، مرتبطة ارتباطا مباشرا بالأدلة الشرعية السليمة القرآن والسنة، فيكون التعريف المناسب للعقيدة الإسلامية المناسب: (**الإقرارات القلبية المبنية على الأدلة الشرعية السمعية السليمة بكل خبر عن الله وعن كل أمور الغيبيات**).

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن نشأة تقعيد القواعد وقواعد العقائد:

جعل الله عز وجل الإسلام ختام الأديان واختص محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل له القرآن وعلمه السنة لتكون قواعد وأسس تبني البشرية عليها صروح الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، فكانت

---

[1] – تنظر: أبو البقاء الكوفي؛ الكليات، ص151. شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين، ص 74. وزاد الحمد " الذي لا يتطرق إليه شك" في، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص8، وانظر: الضميرية؛ مدخل لدراسة العقيدة، ص 121.

[2] – الفيومي أحمد بن محمد بن علي الحموي؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط1، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان ، ج2، ص421، ويُنظر: البريكان؛ المدخل لدراسة العقيدة، ص13.

[3] – الفوزان صالح بن عبد الله بن الصالح؛ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط4، دار ابن الجوزي، 1420هـ/ 1999م.، ص10.

[4] – البريكان إبراهيم بن محمد؛ المدخل لدراسة العقيدة، ط3، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/ 2015م المصدر السابق، ص13.

[5] – محمد بن حامد بن عبد الوهاب؛ مسائل في العقيدة، ط1، دار مكتبة العلوم والحكم، مصر، 1427هـ/2006م، ص7.

[6] – عبد الله بن عبد الحميد الأثري؛ الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/ 2002، ص18.

نصوص القرآن والسنة بمثابة قواعد المناسبة لكل زمان ومكان، قال ابن تيمية[1] رحمه الله:" إن القرآن والحديث فيهما كلمات جامعة وهي قواعد عامة وقضايا كلية، تتناول كل ما دخل فيها، وكل ما دخل فيها فهو مذكور في القرآن والحديث باسمه العام، وإلا فلا يمكن ذكر كل شيء باسمه الخاص"[2].

من هذا نفهم أن القرآن الكريم أول مصدر تضمن قواعد العقائد بل كل القواعد الشرعية عموما، كما في القرآن قواعد وأسس يتبين بها منهج تقرير الأحكام، فقد تضمنت نصوصه قواعد كلية من الضوابط العقدية، والتي اشتملت بدورها أحكام كلية وجزئية، وسيأتي عرض لأمثلة كثيرة بحول الله في مباحث هذا البحث، وأنَّ القرآن جاء بمنهج كلي في تقرير الأحكام في الأغلب الأعم من نصوصه[3]، ومن الأمثلة على ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4] وهي قاعدة في أصل خلق الانس والجن وهي تحقيق توحيد الله عز وجل، وسيأتي بيان هذه القاعدة في قواعد الإلهيات، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[5]، وهي من أعظم قواعد ثواب الأعمال فقد تبين منها مضاعفة الأجر في كل أعمال الخير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[6]وهي قاعدة في القضاء والقدر تقضي على كل خوض وجدل عقلي طال في الكلام وقل فيه الفهم. وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[7]؛ وفيها قاعدة وضابط من ضوابط الشفاعة.

---

[1] – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، من كتبه: "السياسة الشرعية" و "الفتاوى"، و "الإيمان " و "الجمع بين النقل والعقل" توفي: 728 هـ. ينظر: الدرر الكامنة، ج 1/ص144، والبداية والنهاية ج14/ص 135، واعلام العلية في مناقب ابن تيمية.

[2] – ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم؛ مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.، ج34، ص206، 207.

[3] – قواعد التفسير؛ ج2، ص681.

[4] – سورة الذاريات؛ الآية: 56.

[5] – سورة الأنعام؛ الآية: 160.

[6] – سورة القمر؛ الآية: 49.

[7] – سورة سبأ؛ الآية: 23.

وبمثل هذا الكلمات الجامعة والأحكام العامة والقواعد الشاملة جاءت أقوال النبي –صلى الله عليه وسلم–والذي نطق بجوامع الكلم وبين فوارق المسائل وجوازم الأحكام قال ابن القيم[1] –رحمه الله–:" فإنه صلى الله عليه وسلم– يأتي بالكلمة الجامعة وهي قاعدة عامة وقضية كلية"[2]، وقد جمع العلماء الكثير من الأحاديث واعتبروها قواعد جامعة لدين الإسلام بل واعتبروا من الأحاديث ما هي قواعد تجمع أصول الإسلام وغايته وتلخص مضمونه ومقاصده، ومن أشهر المصنفات في ذلك الأربعين النووية، ومن الأحاديث الأمثلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

1–" إنما الأعمال بالنيات"[3]، وهي قاعدة في أصل قبول الأعمال وفي شروط قبول العمل حسب أسبابه، وهي قاعدة عامة.

2– " كل بدعة ضلالة " [4]، وهي من أعظم قواعد المنهج التي لا يمكن أن يكون منهج تقرير القواع، أو اصدار الأحكام إلا بعد المرور بالقاعدة والتي تدل أن أصل كل حكم شرعي هو النص الشرعي.

3–"إياكم والغلو في الدين"[5]؛ وهي من قواعد النهج التي تقد أن الالتزام يكون وسط بين الافراط والتفريط، وأن الأصل هو ترك كلاهما، ولأن الغلو يماثل في النتيجة الترك، وكل من الترك والغلو طرفي نقيض عن الأصل الذي هو الوسطية.

4–"لن يعجل شيء قبل حله"[6].

من هذه الأمثلة أدلة يتضح لنا أن نشوء التقعيد يعود إلى زمن النبوة، وأن أول مصدر كان فيه التقعيد للعقيدة ولكل أحكام الشريعة هما القرآن والسنة، بما تحتويه نصوص الوحيين من قضايا عقدية كلية جامعة.

---

[1] – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، من كتبه: إعلام الموقعين، زاد المعاد، توفي: 751 هـ. ينظر: الدرر الكامنة ج3/ ص 400 وبغية الوعاة 25 ومعجم المطبوعات 222.

[2] – ابن القيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.، ج1، ص251.

[3] – أخرجه البخاري؛ رقم:01، ومسلم، رقم: 45.

[4] – أخرجه ابن ماجه؛ رقم: 42، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

[5] – أخرجه ابن ماجه؛ رقم: 3029. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[6] – أخرجه مسلم؛ رقم:2663.

وبعد انتهاء عصر النبوة بموت الرسول-صلى الله عليه وسلم-وجاء بعده عصر الصحابة خير البشر بعد الأنبياء، علماء الأمة وأمناء الرسالة الذين اختارهم الله عز وجل أن يكونوا في زمن خير الخلق خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم- فقد فقهوا واستوعبوا الرسالة بتمام الفهم وكمال الفقه والعمل كيف لا وقد عاصروا وعايشوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان معلمهم خير المعلمين على الإطلاق فكانوا أحسن من تعلم وأفضل من عمل وأروع من بلغ وأكثر من صبر رضوان الله عليهم أجمعين، فكانوا يتداولون الإسلام ويعلمونه ويبلغونه بالعبارة الموجزة الجامعة على شكل قواعد تدل على قوة الفقه وقوة التعبير فهم في الفقه الأعلم ومنهجهم الأسلم، وقد نقل لنا الثقات من أقوالهم ما لا يجمعه ولا يتسع له هذا البحث المتواضع لكن سأذكر منها من باب الاستدلال والتمثيل، ومن تلكم القواعد والضوابط:

1- قال عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-:**{كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة}**[1]، وهي قاعدة عظيمة في منهج تقرير القواعد والعقائد والأحكام والتي سوف يأتي ذكرها في بحثنا هذا وفي باب قواعد منهج تقرير القواعد.

2-قال ابن مسعود رضي الله عنه يقصد القرآن الكريم:**{من جحد بآية جحد به كله}**[2]، وهي قاعدة عامة وإن خصصها في القرآن فسوف نرى أنها تشمل كل معلوم من الدين بالضرورة، فالنبوات فمن أنكر نبيا كمن كفر بكل الأنبياء، والصفات فمن انكر صفة كم أنكر كل الصفات، وأمور الغيب فمن أنكر فردا منها، كمن أنكر جميعها.

3-قال أبي الدرداء رضي الله عنه:**{الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة}**[3]، وهي قاعد في المنهج، ومفادها أن العمل بالسنة هو الأصل.

4-قال ابن عباس رضي الله عنه:**{الدعاء يدفع القدر}**[4].

ويبقى استقراء التاريخ يخبر أن التقعيد للقواعد مستمر في هذه الأمة الجيل بعد الجيل والقرن بعد القرن فقد جاء عن عصر التابعين التقعيد للقواعد في أقوال كثير تناقلتها الأمة جيل بعد جيل مشافهة

---

[1] - اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن منصور؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، ج1، ص104.

[2] - المصدر نفسه؛ ج1/ ص97.

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص98.

[4] - المصدر نفسه، ج1، 98.

وبالتدوين والكتابة وإن غلب عليها المشافهة بطريقة التحمل والرواية كما هو منهج تناقل الأحاديث المعروف، فاستمر بذلك عمل التقعيد والتأسيس للعقائد في عصر التابعين ومن الأمثلة:

1-قال سعيد بن جبير-رحمه الله- في التقعيد لعقيدة الإيمان :**[لا يقبل قول إلاَّ بعمل]**[1]، وهي قاعدة عامة عند اهل السنة في شروط الأيمان إذ لا يكفي قول من غير عمل كما لا يكون العمل إيمان الا بعد القول.

2-قال الإمام مالك بن أنس-رحمه الله- في التقعيد لمسألة التكفير: **[لا تكفروا أهل التوحيد بذنب]**[2]، وفي التقعيد لمسألة الغيبيات اشتهرت مقولته القاعدة: **[الاستواء معلوم والكيف مجهول...]** فأسس بهذا الكلام قاعدة عامة في مسائل الغيبيات وصفات الله عز وجل أنها معلومة بالنصوص ومجهولة الكيف في العقول، وأنه لا يكشف العقل ما سكت عليه النص، وذكر في الموطأ أبواب تتعلق بمواضيع عقدية جمع فيها أحاديث منها: [الطيرة والهامة والعدوى والصفرة والغول]، [عاهت وقدر]، [في التمايم والتِّوَل والنفس]، [ما جاء في الرقية]"[3]

3-قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-في تقرير عقيدة أفعال العباد: **[أفاعيل العباد مقضية]**[4].

تبين أن التقعيد للعقائد فعل مستمر على وتيرة مختلفة الدرجة وذلك حسب الحاجة وحسب الجو السائد إذ كان قليل وغير متأسس كعلم مستقل أو تبويب منفصل في تآليف العلماء؛ لأنه لم تكن الأمة في حاجة إلى التقعيد بل لم يكن زمن التدوين قد انتشر وازدهر حينها، وذلك لأسباب متعددة أهمها:

- القرب من زمن النبوة وانتشار الغلبة لأهل العلم منو علماء الفقه والحديث.

- عدم انتشار الشبهات أو قلتها في ذلك الزمن حيث لم يكن الكلام والفلسفة قد انتشرت في الأمة، لتأخر زمن الترجمة والاطلاع على كتب اليونان والفلسفات الشرقية القديمة.

---

[1] - المصدر نفسه، ج1، ص63.

[2] - ابن رشد أبو الوليد محمد بأحمد القرطبي؛ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق: محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1408هـ/ 1988، ج18، ص586.

[3] - ياسر بن يحي الحنيني؛ منهج أهل السنة والجماعة في تدوين العقيدة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1434هـ/2012م، ص 100.

[4] - الخلال ابي بكر أحمد بن محمد؛ السنة، تحقيق: عطية الزهراني، ط1، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410هـ/ 1979م، ج3، 544.

– الاعتماد على منهج الرواية والتحمل القائمة على المشافهة في غالب الأحيان وإن علم عندهم ما يعرف بضبط الكتاب كصنف من صنوف الضبط وأشهرها ضبط الصدر.

وبعد اتساع رقعت الإسلام وانتشر التصنيف والتدوين في شتى العلوم خصوصا جمع الحديث، وبعد الالتقاء بالفكر الفلسفي المختلف والالتقاء مع حضارات وديانات في آفاق الأرض، ظهرت بوادر التقعيد للقواعد منثورة بين الكتب على شكل أبواب وعناوين عامة، تستعمل للتأصيل وللاستدلال أو للتعليل وفي تقرير الأحكام والحكم على المسائل المتفرقة التي تجتمع تحت باب واحد، أو للرد على شبهة تكون عرفت سبيل لها بين المسلمين أو بدعة ضربت بينهم واشتهرت، فيكون الرد على شكل قاعدة كلية تحفظ العقيدة من جهة وترد الشبهة لمخالفتها القاعدة، وذلك معلوم مشهور عند" السلف رحمهم الله لمعرفتهم أن البدع تتجدد في كل زمان ومكان؛ فمعرفة القاعدة وإشهارها بين الناس ينفع بها حتى الأجيال التي تأتي من بعدهم"[1]، ونذكر من القواعد الضوابط والواردة في مصنفاتهم وتبوياتهم في تصنيفاتهم المختلفة ومنها:

1- تبويب البخاري رحمه الله في صحيحه: **[باب العلم قبل القول والعمل]** و **[باب لا يقال فلان شهيد]**.تصنيف البخاري: **[كتاب خلق أفعال العباد]**، وجمع فيه الأدلة من القرآن والسنة التي تؤكد المسألة ومن الأبواب الأخرى **[كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة]**، **[كتاب التوحيد: وهم كتاب الرد على الجهمية]**[2]، والبابين الأخيرين عبارة عن قاعدتان مشهورتان في قواعد المنهج والتي سوف يتم التطرق لهما في البحث بحول الله.

2- ما ذكره الخطابي رحمه الله: **[الحكم إنما يجري على الظاهر]**[3]، وهي قاعدة عظيمة خصوصا فيما يتعلق بالنصوص التي عرفت اختلافا بين فهوم العلماء والمفسرين، والتي سوف يأتي بيانها في قواعد الأسماء والصفات، والغيبيات.

---

[1] – القرطبي؛ البيان والتحصيل، المصدر السابق، ج18، ص586.

[2] – الحنيني؛ منهج التدوين، المصدر السابق، ص118، 119. ويُنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري.

[3] – الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داودط1، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، 1351هـ/ 1932م ج2، ص270.

3- كتب العقيدة من خلال صحيح مسلم: **[كتاب الإيمان]**، **[كتاب الإمارة]**، **[كتاب فضائل الصحابة]**، **[كتاب الفتن وأشراط الساعة]**"[1].

4- أبواب في العقدية في سنن ابن ماجة: **[باب اجتناب الجدل والبدع]**، **[باب اجتناب الرأي والقياس]**، **[باب وصف الجنة]** و**[باب وصف النار]**..."[2]

5- الكتب والأبواب العقدية في سنن أبي داوود: "**[باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم]**، وهي قاعدة مفادها أن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، لهم فضل بالنسبة على سائر المسلمين، وقوله أيضا: **[باب النهي عن الجدال في القرآن]**، وهذا التبويب قاعدة من قواعد المنهج والتي تقرر بها ترك الجدل والخصومات في الدين ، وانتهاج منهج القرآن والسنة في تقرير مسائل الشريعة والاحكام. **[باب مجانبة أهل الأهواء]**، وهي قاعدة مقررة لدى السلف وممن قررها الإمام مالك وبقية الأئمة، ومفادها ترك البدعة وأهلها، ومن الأبواب التي هي قواعد مختصرة وتحمل دلالة حكمية أيضا قوله في التبويب: **[باب شرح السنة]** وهي أبواب في مسائل عقدية عبر عنها أهل العلم بمثل هذه القواعد؛ كما ذكر أبواب تتعلق بكل مسائل الغيبيات وما يتعلق بآخر الزمان من المسيح الدجال و يأجوج ومأجوج، والقبر، وغيره"[3].

6- الكتب والأبواب العقدية عند الترمذي:" **[باب ما جاء في تسوية القبور]**،فهذ الباب جاء على شكل قاعدة عقدية وفقهية مفادها حكم تسوية القبور، وبوب أيضا: **[باب ما جاء في كراهة تجصيص القبور والكتابة عليها]**، وهذا التبويب عبارة عن قاعد تحمل حكما عقديا ،**[كتاب المناقب]**"[4] تبويب الترمذي رحمه الله في جامعه فهو قاعدة عظيمة ومشتقة من النصوص السمعية: **[لا طاعة لمخلوق في بمعصية الخالق]**[5].

---

[1] – الحنيني؛ منهج التدوين، المصدر السابق، ص123، 124. ويُنظر: صحيح مسلم: رقم: 2271.

[2] – الحنيني؛ منهج التدوين، المصدر السابق ص126-128. ويُنظر: سنن ابن ماجة، ج1، ص5-34، وج2، ص346-453.

[3] – الحنيني؛ منهج التدوين، المصدر السابق ص131، ويُنظر: سنن أبي داوود، ج4، ص198-246.

[4] – الحنيني؛ منهج التدوين، المصدر السابق، ص136.

[5] – الترمذي؛ سنن الترمذي، أبواب الجهاد، باب: ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ج3/ص261، صححه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم: 9903، وفي الصحيح الجامع رقم: 7520.

قاعدة من كل عنوان. قول أبو عمرو الداني[1] رحمه الله: **[كل ما قاله الله تعالى، فعلى الحقيقة، لا على المجاز]**[2].

والأمثلة على هذه الصورة من التقعيد وذكر القواعد العقدية كثيرة في معظم الكتب أو كلها وهذه من أمثلة ذلك فقط من باب الإشارة، لا تفيد الحصر ولا التقصي.

واستمرت وتيرة التصنيف في قواعد العقائد ضعيفة وغير واضحة الملامح بمؤلفات مستقلة كما ذكرنا، ويبقي هذا الظهور المتناثر للقواعد والضوابط العقدية في كتب العلماء هو السائد في الفترة الأولى، حتى جاء القرن الثامن الهجري، وهو عصر التصنيف الذهبي لعلم القواعد، وإن كان لم يشمل مصنفا واحا من قواعد العقائد[3].

1- قول ابن السبكي[4] في كتابه الأشباه والنظائر في التقعيد لمسألة الكفر والإسلام: **[ما يصير المسلم به كافرا إذا جحده وما يصير الكافر به مسلما إذا اعتقده]**[5].

2- وما جاء عن السيوطي[6] كذلك في الأشباه والنظائر في بيان ضوابط الردة:**[الردة تحبط العمل]**[7].

ثم مرحلة التصنيف وكتابة الكتب بعنوان القواعد العقدية وجعلوها كتب مستقلة وهي قلية إذا قارنها بكتب العقيدة بصفة عامة وبالكتب الخرى بصفة أدق، ومما يلاحظ في كتب العقيدة المتقدمين وإن لم يأتي لفظ التسمية في أغلبها باسم القواعد العقدية إلا أنها في الحقيقة عبارة عن قواعد وأصول في

---

[1] –عثمان بن سعيد بن عثمان، أَبُو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية "بالأندلس". من كتبه: " التيسير " في القرآت السبع" و " المقنع "، توفي: 444 هـ. ينظر: النجوم الزاهرة ج5/ ص54 ونفح الطيب ج1/ص 392.

[2] – أبو عمر الداني عثمان بن سعيد؛ الرسالة الوافية لمذهب اهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، ط1، دار الامام أحمد، الكويت، 1421هـ/ 2000م، ص245.

[3] – الندوي علي أحمد؛ القواعد الفقهية نشأتها، تطوها، دراسة مؤلفاتها، أدلتها، مهمتها، تطبيقاتها، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ/ 2005م، 138.

[4] عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، من كتبه: "طبقات الشافعية الكبرى"، " معيد النعم ومبيد النقم "، و " جمع الجوامع " توفي: 771 هـ. ينظر: الدرر الكامنة ج 2/ ص425 وحسن المحاضرة ج 1/ص 182.

[5] – السبكي عبد الوهاب بن تقي الدين؛ الأشباه والنظائر، ط1، دار الكتب العلمية، 1411هـ/ 1991م.، ج1/ ص387.

[6] – عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، من كتبه: "الإتقان في علوم القرآن "و "إتمام الدراية لقراء النقاية"، توفي: 911 هـ. ينظر: الكواكب السائرة ج 1/ص 226 وشذرات الذهب ج 8/ص 51.

[7] – السيوطي؛ الأشباه والنظائر، المصدر السابق، ص37.

مسائل العقيدة وإن كانت بعضها مجرد مقدمات لكتب الفقه كحال مقدم ابن أبي زيد القيرواني[1] فهي مجرد مقدمة لكنها شاملة ومختصرة على شكل قواعد متراصة في نسق متصل، كما علمت بعض التصنيفات باسم قواعد العقائد نذكر من أهمه

المطلب الثاني: قواعد العقائد كمصطلح مركب:

وفيه بيان المقصود من قواعد العقائد في هذا البحث وتحديد على أنه القواعد الكلية بعد بيان الفرق بين القاعدة والضابط والجامع بين القاعدة والأصل، والمقصود من التقرير هل هو صريح أو ضمني وأنَّ الباحث يقصد الإثنين، ومن أجل توضيح ذلك يجب التفريق بين هذه المتشابهات الاصطلاحية مع بيان المقصود منها المناسب للبحث باعتبار موضوعه العقيدة وباعتبار نسبية المصطلح ومنه وددت التفريق بين المصطلحات الآتية:

مصطلحات مقاربة لمصطلح القواعد:

أ/الفرق بين القاعدة والضابط[2] والأصل:

التمييز بين القاعدة والضابط ضروري ليتضح نقاط الاشتراك والافتراق بينهما لأن استعمالات العلماء لكلمتي الضابط والقاعدة غلبا تكون في نفس السياق وبنفس المعنى لكن الحقيقة الاصطلاحية أنَّ بينهما خصوص وعموم مطلق لأن القاعدة يمكن تشمل ضوابط كثيرة لكن الضابط لا يكون إلا قاعدة لمسألة جزئية ومحدودة لذا يجب تعريف الضابط وبالتعريف يظهر الفرق بينهما:

1-تعريف الضابط لغةً: الضابط مأخوذ من الضبط، ضبط يضبط ضبطا ضابط ومضبوط، وهو في اللغة يفهم منه ثلاث مقاصد أساسية وهي:

[1] – عبد الله أبو محمد بن أبي زيد، واسم أبي زيد: عبد الرحمن نفزي النسب سكن القيروان وكان إمام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية. من كتبه: النوادر والزيادات، الرسالة في الفقه، توفي: 386هـ. ينظر: الديباج المذهب، ج1/ ص 430.سير أعلام النبلاء، ج17/ص 10.

[2] –: ابن النجار تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد؛ شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط2، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1418/ 1997م، ج1/ ص30، ويُنظر: القواعد للمقري: ج1/ ص108، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص20، القواعد الفقهية للندوي، ص46.

الحفظ والحبس: ضبط الشيء: حفظه وحبسه، ويقال: أضبط من ذرة، لأنها تجر ما هو أضعاف وزنها، وربما سقطا من مكان شاهق فلا ترسله[1].

- **القوة**: يقال رجل ضابط أي: قوي على علمه، وجمل ضابط: أي قوي شديد[2].
- **الإحكام والإتقان**: ضبط الشيء اتقانه وإحكامه، ضبط الكتاب إصلاح خلله أو تصحيحه وتشكيله، ويقال: ضبط البلاد إذا قام بأمرها قياما لا نقص فيه، وفلان لا يضبط عمله إذا عجز عن ولاية ما وليه[3].

2-تعريف الضابط اصطلاحا: للضابط في الاصطلاح معاني مختلفة بإخلاف العلوم وبإخلاف السياق والقصد من المستعمل له ومن معانيه:

- **القضية الكلية**: بتعبير منطقي الضابط قضية كلية منطبقة على مسائل باب واحد، وهو المعنى الذي يغلب في مقاصد واتجاهات أهل العلم من خلال مصنفاتهم وشروحاتهم ومنهم تاج الدين السبكي:" والغالب فيما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة أن تسمى ضابطاً"[4]، وبمثله قال ابن النجيم، فقال:" الفرق بين الضابط والقاعدة أن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد"[5].وقال الكوفي:" الضابط يجمع فروعا من باب واحد"[6].

من هذه التعريفات نلاحظ تشابه كبير بين القاعدة والضابط وقد اجتهد بعض العلماء في كشف الفرق بين القاعدة والضابط في ذكر نقاط نذكر منها ما يتسع له المقام ويخدم الموضوع فيما يأتي:

3-مواطن اختلاف القاعدة عن الضابط:

يرى بعض أهل العلم التفريق بين القاعدة والضابط، ومن أهم الفروقات التي يذكرونها ما يأتي:

---

[1] – الفيروزآبادي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني؛ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج19، ص439، والمصباح المنير، ج/، ص357، القاموس المحيط، ج1، ص675.

[2] – الهروي أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري؛ تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، تحقيق: دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2001م، ج11/ ص339، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ص538، تاج العروس، ج19/ ص440، المعجم الوسيط، ج1/ ص533.

[3] – يُنظر: لسان العرب: ج7/ ص341، المصباح المنير، ج/ ص357، المعجم الوسيط، ج/ 533.

[4] – يُنظر: الأشباه والنظائر، المصدر السابق، ج1/ ص11

[5] – ابن النجيم؛ الأشباه والنظائر، المصدر نفسه، ج1/ ص137.

[6] – أبو البقاء موسى الكوفي؛ الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م، ص728.

– القاعدة تجمع فروعاً في أبوابٍ شتى؛ والضابط يجمعها من باب واحد[1]. وعليه فالقاعدة أوسع من الضابط.

– الخلاف الواقع في الضابط من حيث قبوله أو رده أكثر من الخلاف الواقع في القاعدة، لأن القاعدة يقع الخلاف غالباً في بعض تفاصيلها لا في أصلها، أمَّا الضباط ففي أصله من حيث هو مقبول أو غير مقبول، ذلك لكونه محدود، فهو كالأجزاء بالنسبة إلى القاعدة.

– المسائل التي تشذ عن القاعدة وتستثنى منها أكثر من المسائل التي تشذ عن الضوابط، لما مضى من سعة وشمولية في القواعد بالنسبة لضيق مجال الضوابط؛ فالقاعد تشتمل ضوابطا.

لكن ذهب آخرون إلى عدم التفريق بين القاعدة والضابط، فعرَّفوها به[2]، وهذا هو السبب الدعي إلى الإشارة لهذه المقارنة لكي يتضح القصد من القاعدة ويتحقق اجتناب الاشتباه والاضطراب، وممن قال بالاشتراك في المعنى بين القاعدة والضابط، البركتي[3] في تعليقه على قول ابن نجيم[4] في التفريق بينهما: "أمَّا أنا فقد أطلقت في كتابي هذا على كل من القاعدة والضابطة "القاعدة" ولا مشاحة في الاصطلاح"[5]، وعلى نفس الاختيار قال الرهاوي[6]:" واعلم أنَّ القاعدة والقضية والأصل والضابط والقانون بمعنى واحد، وهو أمر كلي منطبق على جزئياته، ليعرف أحكامها منه"[7].

وممن جعل القاعدة والضابط في معنى واحد ابن رجب[8] في كتابه القواعد حيث يستعمل كلاهم في نفس المعنى ومن ذلك قوله:" القاعدة الثانية: شعر الحيوان في حكم المنفصل عنه"[9] وهذا الكلام في

---

[1] – ابن نجيم؛ الأشباه والنظائر، ص129، ويُنظر: شرح الكوكب المنير، ج1/ ص30، الكليات، ص728، ابن السبكي؛ الأشباه والنظائر، ج1/ ص11. سليم رستم؛ شرح المجلة، ص17.

[2] – يُنظر: المصباح المنير، ص195، والمعجم الوسيط، م2، ص748.

[3] – محمد عميم الاحسان المجددي البركتي، المحدث الفقيه، من علماء بنغلاديش، ورئيس الأساتذة بالمدرسة العالية بدكا.

[4] – زين الدين بن براهيم بن محمد بن محمد، الشهير بابن نجيم وُلد بالقاهرة، 926هـ، وتوفي 970هـ، شذرات الذهب، ج8/ ص358.

[5] – البركتي محمد عميم الاحسان المجددي؛ قواعد الفقه، ط1، دار الرسالة، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2009م، ص50.

[6] – يحي بن قراجا شرف الدين الرهاوي، فقيه حنفي مصري، عاش في ق10هـ، كشف الظنون، 1825، 2023، الأعلام، ج8/ ص163.

[7] – الرهاوي يحي بن قراجا؛ حاشية الرهاوي شرح المنار وحواشيه من علم الأصول، مخطوط مصور، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، السعودية، ص20.

[8] – عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه "شرح جامع الترمذي" و "جامع العلوم والحكم "، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، توفي: 795 هـ. ينظر: ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص246. وشذرات الذهب ج 6/ص339.

[9] – عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب؛ القواعد الفقهية، ط2، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1433هـ/ 2002م، ص4.

الحقيقة ضابط يتعلق بمسألة محددة وليس قاعدة، ومنهم أيضا الفيومي قال:" والقاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته"[1]، وبالمقارنة مع تعريفات القاعدة نلاحظ بجلاء أنه عرَّف الضابط بنفس تعريف القاعدة وأنه أمر كلي يشمل أجزاء ينطبق عليها، أما النابلسي قد صرح أن القاعدة هي الضابط في المعنى فقال:" القاعدة هي في الاصطلاح بمعنى الضابط"[2]

الحاصل أن الضابط هو قضية كلية منطبقة على مسائل باب واحد في تعريف، وهي قضية منطبقة على مجموعة أجزاء تتدخل تحته؛ فمن هذا ومما سبق نقول: إنَّ استدلالنا بالقاعدة يكون حسب اصطلاح المقرر لها فلا حرج ان نسمي القاعدة قاعدة بالمعنى وصاحبها أطلق عليها اسم الضابط إذا كان ممن يعتبر عدم الفرق بين القاعدة والضابط أو المسألة أو الأصل أو الأساس، فلا مشاحة في الاصطلاح.

ب/الفرق بين القواعد والأصول:

الأصل العقدي والقاعدة العقدية، ومصطلح الأصول بصفة خاصة يكثر استعماله، ويحدث في الذهن منهما نفس التصور في غالب الأحيان لأن غالب الاستعمال يكون في نفس المعنى، ولأن قضية الفصل بينهما لم تلق العناية الكافية من جهتي التنظير والتطبيق، لذا يجب علينا بيان الفرق بين القاعدة العقدية والأصل العقدي، ثم بيان تبرير ما اشترطناه على أنفسنا في هذا البحث.

ولما سبق بيان المقصود وتعريف القواعد يبقى أن نعرِّف الأصول ليتضح وجه الفرق والاتفاق بينهما ويتبين وجه الاستعمال الصحيح.

أ–تعريف الأصل لغة: كلمة أصل في اللغة تحمل دلالات مختلفة أهمها ثلاث دلالات متباعدة وهي: أساس الشيء، والحية، وما كان من النهار بعد العشي[3]. أكثرها استعمالا المعنى الأول "الأساس"، وهي بهذا الاستعمال على ثلاث مفاهيم:

- أسفل الشيء الذي يثبت عليه: فأصل الحائط أساسه، وأصل الجبل أسفله، ويقال: استأصلت الشجرة أي: ثبت أصلها[4]، ورجل أصيل أي: ذو أصل[5].

---

[1] – الفيومي؛ المصباح المنير، ج2، ص224.

[2] – الندوي؛ القواعد الفقهية، ص47.

[3] – ابن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، ج1/ ص109، المصدر السابق، ويُنظر: تاج العروس، ج27/ ص447، 452.

[4] – الفيومي؛ المصباح المنير؛ المصدر السابق، ج1/ ص16، لسان العرب، ج11/ ص16، تاج العروس، ج27/ ص447، وترتيب القاموس المحيط، ج1، ص154، 155.

[5] – محمد الحسيني؛ تاج العروس، المصدر السابق، ج27/ ص447. وأنظر، المصباح المنير، ج1/ ص16.

- أساس الشيء الذي يبنى عليه غيره: يقال: أصلته أي: جعلت له أصلا ثابتا يبنى عليه[1].
- منشأ وجود الشيء وما ينسب إليه غيره: فيقال: النهر أصل الجدول، والأب أصل الولد وجل أصيل أي: ذو نسب[2].

والاستقراء يبين أن الأصل يستعمل غالبا بمعنى الساس الذي يستند إليه في وجوده، أو قاعدة الشيء التي ارتكاز الشيء عليها في بنائه[3].

نلاحظ من خلال هذه المعاني اللغوية وبالخصوص المعنى القائل أن الأصل هو الأساس، أن: "الأصل" مقارب جداً لمعنى كلمة "قاعدة"، ويؤدي معناها وقد يرادفها في مواضع كثيرة، ولذا نجد بعض أهل العلم يعبر عن الأصل بالقاعدة، وبعضهم يعبر بالعكس[4].

2-الأصول في الاصطلاح: كما رأينا من قبل مصطلح الضابط فإن مصطلح الأصل يختلف بإخلاف الموطن ومقاصد الاستعمال وفي سبيل بيان هذا الخلاف نذكر بعض الأقوال من باب التمثيل لا الحصر ومن أشهرها:

- الأمر المستقر الذي ينبني عليه غيره[5]، وهذا التعريف للأصل نلاحظ أنه مطابق لتعريف القاعدة كما رأينا من قبل.
- الأصل العقدي هو: القضية الجليلة الظاهرة المتفق عليها بين أهل السنة، والتي لا تحتمل الخلاف، بل المخالفة فيها قد تخرج من الإسلام، أو قد تُخرج من الاسم العام المطلق لأهل السنة[6]، وهذا التعريف يتعلق بالأصل العقدي لا بالأصل كمصطلح مستقل في ذاته، والذي نستنتجه من التعريف إذا قارناه بتعريف القاعدة نقول: إنَّ الأصل هنا يعتبر في ذاته قاعدة أو أنَّ القاعدة مستنبطة من الأصل الذي

---

[1] – محمد الحسيني؛ تاج العروس، المصدر السابق، ج27/ ص447.

[2] – ابن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، المصدر السابق، ج1/ ص109، المصباح المنير، ج1/ ص16، مختار الصحاح، ص18، تاج العروس، ج27/ ص449.

[3] – محمد البشير الحاج؛ مفهوم خلاف الأصل، ط1، المعهد العاملي للفكر الإسلامي، 1429هـ/ 2008م، ص29، ويُنظر: الأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات، ج1/ 38.

[4] – حماد الأنصاري أبو عبد اللطيف؛ رسائل في العقيدة، ط1، مكتبة الفرقان، المملكة العربية السعودية، ج7/ ص12، ويُنظر: ارشاد الفحول، ج1/ ص17، والقواعد والضوابط الفقهية القرافية، ج1/ ص213، 214.

[5] – أحمد عبد الرحمن الرشيد؛ الأصل والظاهر في القواعد الفقهية، ط1، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، 1429هـ/ 2008م، ص62.

[6] – الشاطبي؛ الموافقات، المصدر السابق، ج1، ص338، ويُنظر: مجموع الفتاوى، ج6، ص56، مدخل لدراسة العقيدة، ص116.

يعبر على قضية كلية مجمع عليها، وهو الأقرب إلى مرادنا من القاعدة وما يبرر لنا استخدام المصطلحين في نفس المعني أو تسمية القاعدة بالأصل والأصل بالقاعدة، واستعمال صياغة العلماء للقاعدة وتسميتها بالأصل.

المطلب الرابع: أهمية القواعد العقدية:

لما كانت القواعد من جهة المعنى هي الكلي الذي تنتسب إليه الجزئيات الداخلة في حكمه، وتعرف أحكامها بها، فهي بذلك العام الذي يشتمل المرجع والمرد عند الاشتباه، خصوصا لما تشعبت العلوم، وتناثرت تفاصيلها وجزئياتها، وأضحت بذلك ضرورة انتبه لها علماء الأصول والفقه والعقيدة والتفسير واللغة، لتكون المرجع الجامع للكليات التي تعود إليها الجزئيات من جهة، ولتكون إعانة على جمع وحفظ المتناثر، مع اختصار العبارة والجهد والوقت، بالإضافة إلى تربية ملكة الفهم، وضبطه بضوابط تحجزه عن الخطأ أو الاشتباه أو التناقض واحتمال الجدل والعناد.

هذا ولا يمكن للراغب في دراسة فن من الفنون أن يُحصِّل فيه تحصيلا معتبراً إلاَّ بمعرفة قواعده، والأصول التي تبنى عليها مسائله[1].

ولمَّا كانت القواعد بهذا القدر من الأهمية نجد من العلماء الكثير من تكلم عنها وعن قيمتها ما لا يمكن حصره أو جمعه ومن أجل الاستئناس بأقوال العلماء اذكر بعض ما قالوه في القواعد استدلالا لا جماً وحصرًا فليس هو الغاية من البحث ومنها:

1- قال ابن تيمية رحمه الله:" لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلاَّ فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم:"[2].

2- قال الزركشي رحمه الله:" أما بعد فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة، هو أوعى لحفظها، وادعى لضبطها، وهي إحدى حِكم العدد التي وُضع لأجلها، والحكيم إذا أراد أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه"[3].

---

[1] – خالد بن عثمان السبت؛ قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ط1، دار ابن عثمان، المملكة العربية السعودية، م1، ص36.

[2] – ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج19/ ص203.

[3] – الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر؛ المنثور في القواعد الفقهية، ط2، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، 1405هـ/ 1985م، ج1/ ص65،66.

3- قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي:" ومعلوم أن الأصول والقواعد بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوى بالأصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى، وينمى نماءً مطرداً، وبها تُعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً"[1].

4- وقال في موضع آخر:" من محاسن الشريعة وكمالها وجمالها وجلالها أنَّ احكامها الأصولية والفروعية، والعبادات والمعاملات، وأمورها كلها لها أصول وقواعد تضبط أحكامها وتجمع متفرقها، وتنشر فروعها، وتردها إلى أصولها. فهي مبنية على الحكمة والصلاح، والهدى والرحمة، والخير والعدل، ونفي أضداد ذلك"[2].

المقصود من هذا المبحث ذكر بعض مؤلفات العلماء والباحثين في موضوع قواعد العقائد مع التزام مصطلح قواعد العقائد وما يوافقه من المصطلحات التي ذكرنا من قبل مثل (أصول العقيدة).

[1] – عبد الرحمان بن ناصر السعدي؛ طريق الوصول إلى علم الأصول، ط1، مكتبة الامام الزهري، 1438هـ/ 2017م. ص10، 11.

[2] – ناصر السعدي؛ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ط1، دار المنهج، قالمة، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص 15.

المبحث الثالث: الأئمة المالكية:

المطلب الأول: التعريف بالإمام مالك:

1-اسمه ونسبه:

أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، وأصبح قبيلة من حمير بن سبأ الأكبر، وهو عبد شمس بن يعرب بن شجب بن قحطان[1].

2-مولده"

ذكر القاضي عياض أنَّ مولد مالك بن أنس امام دار الهجرة كان في سنة (93)هـ في المدينة النبوية، قال: والأشهر فيما روي من ذلك قول يحي بن بكير: إنَّ مولده سنة ثلاث وتسعين من الهجرة"[2].

3-وفاته:

توفي الإمام مالك بن أنس رحمه الله في شهر ربيع الأول، سنة (179)هـ، وعمره ست وثمانون سنة، ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة[3].

4-أشهر تلاميذه[4]:

لمَّا كان بحثنا مرتبط بأئمة المالكية ينبغي لنا أن نمر على أشهر الأئمة المالكية المتقدمين من باب الإشارة إلى أن البحث لا يتعلق بالإمام مالك بن أنس فقط.

من مشاهير تلامذته الأئمة الذين رووا عنه وتفقهوا به ونهلوا من معينه: محمد بن الحسن الشّيباني (ت 189)، وعبد الرحمن بن القاسم العتقي (ت 191)، وزياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون (ت 193)، وعبد الله بن وهب المصري (ت 197)، ويحي بن سعيد القطّان (ت 198)، وعبد الرحمن ابن مهدي (ت 198)، ومحمد بن إدريس الشافعي الإمام (ت 204)، وأشهب بن عبد العزيز (ت 204)، وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر (ت 218)، وأبو نعيم الفضل بن دكين

---

[1] – عياض بن موسى بن عياض السبتي؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط1، مؤسسة الرسالة العالمية، بيروت، لبنان، 1433هـ/ 2014م، ج1، ص105، السير للذهبي، ج1/ ص48، الانتقاء لابن عبد البر، ج9/ ص11. التمهيد، ابن عبد البر، ج1/ ص89.

[2] – القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1/ ص118، السير، للذهبي، ج8/ ص49، 423هـ، 2002م، ج1، ص43.

[3] – يُنظر: التمهيد، ج1/ ص92، وترتيب المدارك، ج2/ ص146، والسير، ج8/ ص130-135.

[4] – يأتي التعريف بهم في مباحث ومطالب الرسالة، لألا أثقل الهامش بتعريفهم جملة واحدة.

(ت 219)، وعبد الله بن مسلمة القعنبي (ت 221)، ويحي بن عبد الله بن بكير (ت 231)، ويحي بن يحي الليثي (ت 234)، وقتيبة بن سعيد (ت 240)، وخلق كثير يتعذر حصرهم[1]، وكل هؤلاء ثبتت روايتهم عن الإمام مالك رواية الموطأ فاقتصرت عليهم لأن حصر طلبته من المحال بما كان.

5-ثناء علماء الأمة عليه:

اشتهر مالك بن أنس بالعلم والتقوى والصلاح وذاع صيته في الأفق وسارت له الركبان طلبا للفتوى وجمعا للحديث وطلبا للعلم والأدب، ولم يُسأَل عنه عالم إلا وذكره بخير ما يجب أن يذكر به ومما قيل فيه عليه رحمة الله والرضى.

قال عبد الله بن المبارك: «لو قيل لي: اختر للأمة إماما، اخترت لها مالكا»[2].

وقال ابن عيينة: «مالك بن أنس سيد المسلمين»[3].

وقال أيضا: «كان مالك لا يبلّغ من الحديث إلا صحيحا، ولا يحدث إلا عن ثقة»[4].

وقال أيضا: «ما كان أشد انتقاد مالك للرجال وأعلمه بشأنهم»[5].

ومن ذلك أيضا: قول عبد الله بن وهب: «مالك والليث إسناد، وإن لم يسندا»[6].

وقول يحي القطان: «مالك أمير المؤمنين في الحديث»[7].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثّوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحمّاد بن زيد بالبصرة»[8].

---

[1] – قاسم علي سعد؛ جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية، 1423هـ/ 2002م، ج1، ص12.

[2] – القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1/ ص153.

[3] – أخرجه أبو القاسم الجوهري؛ في مسند الموطأ، ص115.

[4] – القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1/ 189.

[5] – ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس؛ الجرح والتعديل، ط1، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ودار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، 1271/ 1952م، ص23، والجوهري في مسند الموطأ: 100. واللفظ لابن أبي حاتم.

[6] – القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1/ 165.

[7] – الجوهري أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، مسند الموطأ، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997 م، ص104، 107.

[8] – ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد؛ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ص62.

وفيه أيضا يقول الإمام الشافعي: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمنّ عليّ من مالك بن أنس»[1].

وقال أيضا: «مالك وابن عُيينة القرينان، ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز»[2].

وقال محمد بن إسحاق السرّاج: «سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن أصح الأسانيد؟ فقال: مالك عن نافع عن ابن عمر»[3].

وقال أبو عبد الرحمن النّسائي: «وما أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس، ولا أحد آمن على الحديث منه»[4].

ومن تقريظ المتأخرين له قول النووي: «وأجمعت طوائف العلماء على إمامته وجلالته وعظم سيادته، وتبجيله وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والتثبيت وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم»[5].

وقال الذهبي: «وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره، أحدها: طول العمر وعلو الرواية، وثانيتها: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم، وثالثتها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعتها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، وخامستها: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده»[6]...وقال أيضا: «فإلى فقه مالك المنتهى، فعامة آرائه مسدّدة، ولو لم يكن له إلا حسم مادة الحيل ومراعاة المقاصد لكفاه. ومذهبه قد ملأ المغرب والأندلس، وكثيرا من بلاد مصر، وبعض الشام، واليمن والسّودان، وبالبصرة وبغداد والكوفة، وبعض خراسان»[7].

---

[1] – ابن عبد البر؛ الانتقاء، المصدر السابق، ص55.

[2] – خرّج مجموعا في الانتقاء، ص53. وأخرجه مقتصرا على الفقرة الأخيرة منه الجوهري في مسند الموطأ، ص101، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج6/ ص322، كما أخرجه العلائي في بغية الملتمس، ص68، 69 مفصولا كل فقرة بإسناد.

[3] – المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 400هـ/1980م. ج27/ ص110.

[4]– ابن عبد البر؛ الانتقاء، المصدر السابق، ص65، 66.

[5] – شرف الدين النووي؛ تهذيب الأسماء واللغات، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1998م، ج2/ ص75، 76.

[6] – أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، ط1، مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع، 1438هـ/ 2017م، ج1/ ص212.

[7] – أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ/ 2009م، ج8/ ص92.

فهذه شذرات من فضائل هذا الحبر، ولمعات من ترجمة الإمام البحر، الذي أطبقت الأمة على تقديمه وإجلاله، وعلى الاقتداء به في علمه وخلاله؛ أجعلها طليعة هذا الكتاب المختص بتراجم الفقهاء من أصحابه وأتباعه الذين ارتضوا مذهبه، وانتهجوا قواعده.

المطلب الثاني: التعريف بالمذهب المالكي:

الكلام عن نشأة المذهب المالكي يعني الكلام عن بزوغ قمر مالك بن أنس وانتشار علمه، الذي نشأ في المدينة النبوية وعاش فيها إلا إذا خرج للحج وتلقى العلم من علمائها، فساد علمه الآفاق وفاق أقرانه وأشتهر خبره بين علماء زمانه، حتى سمي بعالم المدينة، وإمام دار الهجرة، ورحل إله طلبة العلم والفتوى من كل الأمصار، وانتشرت فتاويه في كل الأقطار، وكان له طلبة ومن أهل الحجاز، اليمن، والعراق، خرسان، والشام، ومصر، وإفريقية، والأندلس[1].

قال القاضي عياض:" غلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر، وما أولاها من بلاد إفريقيا والأندلس، وصقيلية، والمغرب الأقصى، إلى بلاد من أسلم من السودان، وظهر ببغداد ظهورا كثيرا، وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وظهر بنيسابور وكان بها وبغيرها أئمة مدرسون"[2].

وقد كان الفضل الكبير في انتشار مذهب مالك لتلاميذه في حياته ومن بعده، ومن أشهر التلاميذ[3] الذين كان لهم فضل ذلك نذكر على وجه الاجمال لا الحصر:

عُرف في مصر التي عرفت انتشار المذهب بعد الحجاز وكان الفضل في ذلك لكل من: ابن القاسم العتقي، وأشهب، وابن وهب، وأصبغ، وغيرهم من المصريين.

وعُرف في إفريقية وبلاد المغرب حيث حل المذهب المالكي محل الحنفي على يد كل من: ابن زياد، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، وسحنون، وتلاميذهم من بعدهم وهم كثير جدا.

وفي الأندلس عُرف المذهب المالكي وبدعم من السلطان على يد زياد بن عبد الرحمن شبطون، قرعوس بن العباس، الغازي بن قيس، ثم يحي بن يحي المصمودي، وعبد الملك بن حبيب ثم تلامذتهم من بعدهم.

---

[1] – يُنظر: الزواوي؛ مناقب مالك، ص49.

[2] – عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ج1/ ص65.

[3] – تركت التعريف بالأئمة المذكورين هنا، لأنني سأعرفهم في المباحث والمطالب القادمة لكي لا يأتي التعريف بالجملة، ومما يثقل الهامش.

أما في بلاد المشرق والحجاز واليمن فقد انتشر المذهب المالكي على يد: القاضي أبي قرة، محمد بن صدقة الفدكي، وغيرهم كثير.

وقد عرفت العراق الكثير من المالكية وخرسان، ومن أشهر من نشر المالكية هناك: يحي بن يحي التميمي، وعبد الله بن المبارك.

وكان في الشام من نشر المذهب المالكي، الوليد بن مسلم، أبو مسهر، وكان لهم السبق في نشر المذهب المالكي في الشام.

المطلب الثالث: أشهر المدارس المالكية[1]:

بناءً على ما تقدم ذكره من انتشار المذهب المالكي في الأقطار والأمصار فقد قسم العلماء المدارس المالكية إلى:

- مدرسة المدينة المنورة، وهي المدرسة الأم.
- المدرسة المصرية.
- المدرسة المغربية: (القيروان/ تونس/ فاس/تلمسان/ بسكرة/ بجاية).
- المدرسة الأندلسية. - المدرسة العراقية.

المطلب الرابع: المقصود بالمالكية هنا:

الحديث عن المالكية كما هو معلوم قد أُلفت فيه الكتب والمصنفات الطويلة والمختصرة، لكن المقصود من كلامنا هنا مهم جدا، لبيان المراد من أئمة المالكية في بحثنا هذا، لكي تزول الالتباسات، والغوامض الوارد حدوثها لأسباب سيأتي بيانها، وباختصار أورد النقاط التي يتبين بها مقصودي من قول أئمة المالكية وهي:

- من ثبتت مالكيته إما تصريحا منه وإما بتوتر نسبته إلى المالكية في الكتب والمصنفات المتخصصة.
- من ترجح عنده مذهب مالك على سائر المذاهب، لمعرفته بأصول الترجيح[2] أو اعتقد أنه أصح المذاهب.

---

[1] - القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1/ ص6-96، ويُنظر: اصطلاح المذهب عن المالكية، ص 62-81، والديباج المذهب، ص83، وشجرة النور الزكية، ص55.

[2] - يُنظر: فتوى ابن رشد، ج2/ 1061.

– من تأكد انتسابه للمذهب المالكي رغم الاختلاف بين علماء التراجم والسير في مذهبه، فبعد التأكد من كون المالكية آخر المذاهب التي انتمى إليها ننسبه للمالكية.

– قد أنقل كلام غير المالكية وفتاويهم، إذا كانت مستندة إلى أئمة المالكة، ووكونهم يستدلون بكلام مالك أو من جاء بعد من المالكية.

– قد اذكر كلام غير المالكية أيضا إذا ذكرها إمام من أئمة المالكية واستدل بها، أو وافقه في الفتوى وأقرها واختارها.

– إذا لم يظهر انتماء الإمام إلى مذهب من المذاهب، وعلم موطنه وزمانه والمشهور عليهم المذهب المالكية فإني احسبه على المالكية بحكم الوطن والزمن.

– أمَّا عن مصطلح أئمة، فبمعناها العام وهو كل عالم ومفتي كان له مكانة وفضل العلم ومقام الاشتهار في زمانه.

الفصل الثاني: قواعد المنهج التي قرر بها أئمة المالكة قواعد العقائد.

المبحث الأول: القاعدة الأولى.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الرابع: القاعدة الرابعة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: قواعد منهج[1] تقرير قواعد العقائد عند أئمة المالكية:

مقدمة الفصل:

يعتبر المنهج السياق المنطقي والعقلي الذي يسير وفقه البرهان، للانتقال من مقدمات أو معطيات كلية، أو جزئية للوصول من مقتضاها إلى نتائج وأحكام، وهو الطريقة المؤدي إلى التعرف على حقيقة العلوم؛ بواسطة طائفة من القواعد العامة[2]، وبعبارة أدق: هو القانون، أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال[3]، وبالاستقراء تبين أن الأئمة المالكية –كما سوف نرى– في تقريرهم للعقائد ملتزمين لقواعد منهجية تنضبط بها القواعد، وعليه فإن القواعد المنهجية بمثابة الشرط الذي يتحدد به النسق، وبمثابة الطريق الذي يسلك به إلى الغايات، ولما كانت بهذه الأهمية وجب التطرق إليها ليتضح بذلك مسلك أئمة المالكية في تقرير قواعد العقائد، فما هي أهم القواعد المنهجية التي اعتمدها أئمة المالكية في تقرير مسائل العقيدة، وما هي قيمة قواعد المنهج وأثرها في التقعيد العقدي عند المالكية؟

---

[1] – من مادة نهج، ينهج، نهجا، وهو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، والمنهج، والنهج، والمنهاج: بمعنى واحد، يُنظر: ابن منظور؛ لسان العرب، ج2/ ص383، والفيروز آبادي؛ القاموس المحيط، ج1/ ص209.

[2] – عثمان بن علي حسن؛ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، ط8، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، السعودية، 1434هـ/ 2013م، ص20.

[3] – الجلال محمد عبد الحميد موسى؛ منهج البحث عند العرب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1972م، ص273، ويُنظر: حسين عبد الحميد الرشوان، العلم والبحث العلمي –دراسة في مناهج العلوم–ط1، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر، دون سنة الطبع، ص143-145.

المبحث الأول: القاعدة الأولى: [اشتمال القرآن والسنة على أصول الدين وقواعد الاعتقاد فهما الأصل في استنباط القواعد].

المطلب الأول: تصور القاعدة:

أصول الدين وكل ما يتعلق بمسألة الاعتقاد في الذات الإلهية أو مسائل الغيب الأخرى كالقبر والبعث والموت والجنة والنار وما هو من باب الغيبيات أو النبوات موجودة متضمنة في القرآن والسنة ولم يسكت عليها الشرع بالإخبار والبيان والاستدلال والتوضيح لأن أصول الدين أعظم ما جاءت به الرسل وأنزلت في توضيحه الكتب، فلا يمكن أن يغفلها الشارع الحكيم سبحانه وتعالى ولا نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم، ولا سكت عليها الصحابة نقلة هذا الدين ولا من تبعهم من علماء الأمة القرن بعد القرن، فالنصوص القرآنية والسنة يؤكدان هذا الأصل العظيم وأن يكون القرآن والسنة هما الأصل الذي إليه مرجع كل المكلفين[1]، وأن جميع المقالات والأحوال والأعمال والعلوم توزن بهذا الأصل فما وافقه فهو الحق وما ناقضه فهو الضلال والشقاء[2].

فكل مسألة من مسائل العقيدة، سواء كانت قاعدة، أو حكم من الأحكام العقدية، كالتكفير أو اشتراط الايمان، أركانه ومن احكام الردة والكفر والنفاق، ودخول الجنة والنار، وكل ما يتعلق بالإلهيات والنبوات أو الغيبيات، أو الأسماء والأحكام فهي موقوفة على نصوص الشرع القرآن والسنة، وحتى الاجماع يكون تبع لذلك حيث لا يمكن لعقل أن يستقل في ذلك عن النص السمعي في أي مسألة من مسائل الاعتقاد.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

نصوص الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة تقرر بوضوح وجوب التقيد بما فيهما من أحكام وبما فيهما من شريعة وضبط لمسائل أصول الدين وأن الخروج عنها وبالخصوص الخروج في مسائل الاعتقاد شأنه خطير فقد يؤدي بصاحبه إلى التحريف والانحراف والبدعة التي هي الضلال عن سواء السبيل، ولقد حذر من ذلك في مواضع كثيرة في القرآن الكريم الله عز وجل ونبيه في السنة النبوية الشريفة كما سيأتي ذكره في المطلب الثالث.

---

[1] – ابن أبي زيد القيرواني، كتاب الجامع، ص165.

[2] – السعدي عبد الرحمن بن ناصر؛ أصول عظيمة من قواعد الإسلام، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/ 2011م، ص28-30.

ولقد بين علماء الأمة ان مسائل وقواعد الاعتقاد تستند إلى السماع الثابت صحته، وعرف اهتمامهم بها وخصوصا علماء المالكية[1]، وكل الدلة الأخرى كالعقل والاجماع والفطرة تلحق بها ولكل من هذه ادلة قواعد جزئية[2]، وقد جعلوا لذلك شروطا معلومة في فنون الرواية المعروفة وقواعدها ليتبين من ذلك أن أصل العلوم الشرعية الكتاب والسنة وأن أي مسألة فيجب أن يتصل سندها بالقرآن والسنة وأن الدين مُشتَمل فيفيهما في أصوله وفروعه وباطنه[i] وظاهره علمه وعمل به.

ولقد اشتمل كل من الكتاب وسنة على كل أنواع الأدلة التي تتقرر بها الشرائع والعقائد، وردَّ على كل دعاية مناوئة أو مضادة، ودحضها وأبطل طريقها لتضمنهما الأدلة العقلية والسمعية الكفيلة بذلك[3]، واستعمل ذلك الله عز وجل في كتابه العزيز القرآن الكريم، وكذا نبيه محمد عليه الصلاة والسلام حيث تبين الدين بأسلوبين أساسيين وهما:

–الاخبار بمسائل الغيب والعقيدة اخبارا سماعيا مجردا: وهو ما نجده في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة من أخبار عن أحوال الغيب والبعث ومسائله مثل عذاب القبر وحياة البرزخ والصراط والميزان وما إلى ذلك من المسائل الغيبية[4] الخالصة والتي أثبتها الله –عز وجل– وأخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم بالآيات البينات والواضحات الناصعات الثابتات في سياق وجوب الاعتقاد والإيمان والتسليم والمؤسس على اليقين بصدق الوحي وسلامته من التحريف والغلط وعدم احتماله التأويل والشطط، ذلك أن الله لا يقول إلا الحق سبحانه، وأن قول النبي صلى الله عليه وسلم وحي يوحى علمه شديد القوى فلا مدخل للشك في ذلك ولا ملجأ إلا لهما لمن طلب الأمن لدينه واعتقاده.

---

[1] – لقد سجلت كتب السير والتراجم الاهمام العظيم بالقرآن والسنة من طرف علماء المالكية وذلك ظاهر من مؤلفاتهم ومنهم: ابن أبي زيد القيرواني، ومؤلفه: إعجاز القرآن، ومحمد الباقلاني، كتاب اعجاز القرآن، مكي أبو الطيب الأندلسي، أول من ألف في في التجويد نثرا وله كتاب: الرعاية، وأحمد المهدوي، وله كتاب: الهداية في القراءات السبع، والحسن البغدادي، ومؤلفه: الروضة في القراءات العشر، أبو عمر الداني، له من المؤلفات العديدة في التفسير والقراءات واعراب القرآن الكريم، وعددهم أكبر من أن نحصره هنا وجهودهم في خدمة القرآن لا يمكن جمعها في هذا المقام، ينظر: معجو المؤلفين، ج6/ ص13، والسير، ج17/ ص591–593.، الديباج المذهب، ج1/ ص267، طبقات المفسرين، ج1/ ص56.

[2] – البريكان إبراهيم بن محمد؛ تعريف الخلف بمنهج السلف، ط1، دار ابن الأرقم، الرياض، السعودية، دار ابن عفان، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م، ص62.

[3] – عبد الرحمن السعدي؛ أصول عظيمة من قواعد الإسلام، المرجع السابق، ص30–33،

[4] – يُنظر: الفصل الرابع من هذه الرسالة، ص

بيان الأدلة العقلية المؤكدة لها: خاطب الله عز وجل العقل في آيات كثيرة من القرآن ليتقرر بذلك أن العقل السليم لا يتناقض والنص الصحيح وليس في القرآن ما يحتمل عدم الصحة، فيمكن للعقل أن يجد الأدلة اليقينية والقطعية، والمعارف الصحيحة بمسائل الغيب والعقيدة بشرط إلا يعارض النص ولا ينفك على مدلوله الصريح الظاهر بدعوى التأويل.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة

امتازت العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد بقيامها على الأدلة المتنوعة في إثبات مسائلها وبيان قضاياها ولعل كتاب الله القرآن العظيم والسنة المطهرة أعظم الأدلة التي تنبني عليها العقائد وتتأسس عليها الديانة الحنيفة وعلى ذلك فإن هذه القاعدة تستند إلى نصوص القرآن والسنة بالأساس:

أ/ الأدلة على القاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]

في الآية الكريمة قسم من الله تعالى بذاته العظيمة، وفي ذلك دلالة على عظم الأمر المقسم عليه وأهميته وكرامته عنده عز وجل، والذي هو التحاكم إلى النبي عليه الصلاة والسلام في كل الأمور فما بالك إذا تعلق الأمر بالعقيدة وتحقيق التوحيد الخالص في كل ذلك، وهي القاعدة الأساسية في باب الاستدلال على كل مسائل العقيدة وهي وجوب العودة إلى الله وإلى رسوله في كل حكم وقضاء، وكان هذا دأب المالكية في نوازلهم وفتاويهم[2]، وقد ذكر ابن كثير[3] في تفسيره معنى الآية فقال :" يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ الرسول –صلى الله عليه وسلم– في جميع الأمور، **فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد باطنا وظاهرا** "[4] فقد أكد ابن كثير القاعدة واعتبر

---

[1] – سورة النساء؛ الآية: 51.

[2] – فاضل بن نور الدين الأمان؛ فتوى علماء المالكية، ط1، دار التوحيد للنشر، الرياض، السعودية، 2016م/ 1437هـ، ص140، وينظر: فتح العلي المالك، ج2/ ص360، 361.

[3] – إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه :البداية والنهاية و ، تفسير القرآن الكريم ، و جامع المسانيد ، توفي: 774 هـ، ينظر: الدرر الكامنة ج1/ ص446 والبدر الطالع ج1/ ص153 .

[4] – اسماعيل ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، ط2، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1430هـ/2009م، ج1، ص820.

أن مصدر الأمور كلها هو القرآن والسنة وأنه من مقتضيات كمال الإيمان وجوب العودة إلى التفصيل الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام مع التسليم به ولإيمان الجازم بصدقه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾[1]

يخبر الله تبارك وتعالى أنه أنزل الكتاب وجعل فيه آيات محكمات وأخر متشابهات وحثنا باتباع المحكمات التي هي ام الكتاب واضحات بينات الدلالة ونهانا عن المتشابه وحكم على من اتبعه بالزيغ والظلم والضلال، فهذه قاعدة عظيمة توحي بوجوب الاحتكام إلى كتاب الله والعودة إليه واستنباط كل أحكام الشريعة وأصول الدين[2]، وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى فقال:" يخبر تعالى أنَّ في القرآن آيات محكمات، هنَّ أمُّ الكتاب أي: بيّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أُخَرٌ فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، **فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكَّم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس**"[3] فقد بين ابن كثير القاعدة وهي أن يُرَدَّ كُلَّ شيء إلى المحكم البين الواضح الذي هو في القرآن وحذر من تجاوز ذلك إلى الهوى والتأويل الفاسد القائم على العقل والهوى وبين مغبة ذلك وغبن من ترك الرجوع إلى القرآن واتبع المتشابه بعقله وهواه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِى ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَىۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[4] ، وتتضمن الآية الخبر من الله عز وجل أنه لن يفرط في القرآن ولم يترك أي شيء إلا بينه وبين معناه وأحكامه، فنبه بذلك أن العقل السليم والقلب الذي هداه الله إلى الحق يلجأ دوما إلى الى الكتاب الذي جمع ومنع واشتمل كل ما يتعلق بالشرائع وأصول الدين وهي

---

[1] – سورة آل عمران، الآية:7.

[2] – أبو بكر البقلاني؛ الانتصار للقرآن، ط1، دار الفتح ، عمان، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ/2001م، ج2/ ص519.

[3] – ابن كثير؛ التفسير، المصدر السابق، ج1، ص537.

[4] – سورة الأنعام: الآية: 38.

قاعدة الباب، وقد بين المعنى الشوكاني في تفسيره فقال:" وقيل: المراد به القرآن أي: ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين إمَّا تفصيلا أو إجمالا"[1]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[2] ، الآية دليل على تضمن القرآن الكريم كل ما يتضح به مقصد الشرع وأساس وأصول الدين[3]، حيث في الآية تأكيد على القاعدة وهي تضمن القرآن كل الحكام المتعلقة بالدية شريعة وعقيدة، حيث قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية :" قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد: كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فأن **القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم**"[4] ، والقاعدة ثابتة والآية تدل عليها وأن القرآن شامل كل قواعد وأصول الدين.

قَالَ تَعَالَى:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[5] فالدين كامل مشتمل لكل أحكام الشريعة الإسلامية وما تتألف منه شرائع وعقائد وسلوك بل دنيا ودين ومعاش ومعاد فهي كاملة شاملة جامعة كما هو في القاعدة التي نصصناها وفي تفسير الآية قال ابن كثير:" هذه اكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه لهذا جعله الله تعالى خاتم النبيين وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو صدق وحق، لا كذب فيه

---

[1] – محمد بن محمد بن علي الشوكاني؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ/2007م، ج2، ص148.

[2] –سورة النحل؛ الآية: 89.

[3] – ابن العربي المالكي، أحكام القرآن، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م، ج2/ ص21.

[4] – ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج2، ص857، وانظر: الشوكاني؛ فتح القدير، المصدر السابق، ج3، ص236.

[5] – سورة المائدة؛ الآية: 03.

ولا خلف"[1] فكمال الدين يؤكد وجوب إلى الكتاب الذي انزله الله على نبي هذا الدين وهو القرآن وفي الآية دليل على انه شامل لكل احكام الشريعة لأن التام بالضرورة شامل وكامل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[2]. فجعل الله تبارك وتعالى من علامات وشروط الايمان طاعة الله ورسوله، وطاعته جل وعلا بتحكيم كتابه وطاعة نبيه عليه الصلاة والسلام بتحكيم سنته وجعل طاعته عز وجل وطاعة بيه صلى الله عليه وسلم، سبب الفلاح، والمرد عند الخلاف، فهما مصدر الحق، قال عطاء:" إلى الله إلى كتاب الله جل وعلا، وإلى الرسول، إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3]. ومنه يفهم أن الواجب الإيماني يقتضي العودة إلى الكتاب والسنة في مسائل الديانة ومجانبة البدع والأهواء.

ب/ الأدلة على القاعدة من السنة النبوية المطهرة:

تدل السنة النبوية الصحيحة على القاعدة وقد ورد فيها الكثير من الأحاديث التي توجب على المسلم التقيد بالقرآن والسنة في كل ما يتعلق بأمور الدين، حيث بين النبي صلى الله عليه وسلم فيها أن القرآن والسنة الحجة القائمة على الناس والمحجة البيضاء التي لا فيه دخن ولا غموض كيف لا! وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إذ كلامه وحي يوحى علمه شديد القوى، وقد قال صلى الله عليه وسلم:" قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد"[4] والمحجة البيضاء هي الدليل الواضح البين وهي السنة والكتاب، وكما قال أبو الدرداء راوي الحديث:" صدق والله رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها كنهارها"[5].

---

[1] – ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج2، ص22، وانظر: الشوكاني؛ فتح القدير، المصدر السابق، ج2، ص15،16.

[2] – سورة النساء؛ الآية: 59.

[3] – أبو بكر محمد بن الحسن الآجري؛ الشريعة، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م ص53.

[4] – أخرجه ابن ماجة؛ رقم: 43، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

[5] – أخرجه ابن ماجة؛ رقم:05، قال الألباني: حسن، الصحيحة، رقم: 688. وتمامه في الحديث رقم: 1061.

عن سلمان الفارسي قال: قيل له:(لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: أجل، لقد نهانا صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وألا نستنجي باليمين، وألا يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم"[1].

فإذا كان عليه الصلاة والسلام قد علم الصحابة كل شيء حتى ما يراه الناس من أبسط الأمور وأهونها فتعليمه لهم أصول الدين من باب أولى فلا يشك عقل سليم أن من أخبر أمته بكيفية قضاء الحاجة أن يتركهم في جهل بأعظم شيء وهو عقيدتهم والتي هي التوحيد والذي هو أصل وسبب بعثت الرسل عليهم الصلاة والسلام أصلا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**"[2]. وهذا تصريح واضح بأن المستمسك بالسنة والقرآن قد استمسك بمنهج الحق الذي لا مناص من التزامه في كل أمور ديننا[3]، وهو ما يقرر القاعدة ويثبتها.

وقال:" فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة"[4]، فمن أراد الخير والعلم والحق فعليه القرآن والسنة، وهو منهج الحق الذي يؤسس عليه كل فهم أو افتاء أو قول في الدين[5].

وجه الاستدلال من الأحاديث:

الأحاديث فيها دلالة واضحة، وتصريح لا يحتاج إلى تأويل، وفيها أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالتسنن بما جاء في سنته، وبالوقوف عند حدود الشرع ونصوص القرآن والسنة[6]، وأن الخير كل الخير فيهما، والشر كل الشر في تركهما، والتزام منهج خلاف ما يقتضيه من الأحكام والتشريعات وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ورد عنهم من النصوص ما يثبت القاعدة ويؤكد التزامهم بها كما هي ثابتة عند علماء الأمة، فهم خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم،

---

[1] – أخرجه مسلم؛ رقم:262.

[2] – أخرجه مسلم؛ رقم:174.

[3] – محمد بن علي المازري؛ المعلم في شرح مسلم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3/ ص165، وينظر: إكمال المعلم بفوائح مسلم، للقاضي عياض، والمفهم في شرح مسلم، لابن المزين، ج3/ ص59.

[4] – أخرجه مسلم؛ رقم: 43.

[5] – محمد بن خلف التونسي؛ إكمال إكمال المعلم، في شرح صحيح مسلم، ط2، دار الكتب العلمية، ج3/ ص95.

[6] – البريكان؛ تعريف الخلف بمنهج السلف، المصدر السابق، ص44، ويُنظر: صالح آل الشيخ؛ شرح الفتوى الحموية الكبرى، ص22.

وهم الأقوى فهوما للدين والأسلم قلوبا وعقولا، ذلك لما استقوه من نبع النبوة ومعايشة النبي صلى الله عليه وسلم ومباشرتهم السماع منه والتأدب على يده والاخذ عنه بأعلى السند وأشرفه وأعدله، كيف لا وقد عايشوا التنزيل وزكاهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقبله الله عز وجل في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

الإيمان الجازم القائم على الأدلة القطعية السمعية والعقلية، يجعل صاحبه مصدقا لكل ما جاء به القرآن وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، مسلِّماً أنَّ ما فيهما هو الحق الذي لا يعتريه باطل والصدق الذي لا يخالطه شك ولا بهتان، ذلك أن أي شك أو تهيب في القلب من العودة إلى السنة المشرفة والقرآن الكريم لاستنباط الأحكام والقواعد يدل أنَّ في أصل إيمانه شك وريب؛ لأن الواقع يثبت أن التصديق بالشيء يستلزم العمل به والاستناد إليه في الحكم، ومن الأمثلة على ذلك نجد العامي من الناس أو المتعلم على سواء يطلب مختصا أمينا يعود إليه في المشورة ومعرفة العلة في أمور الدنيا كمن يود بناءً فهو يعود إلى المختص المهندس الماهر ليحقق لنفسه الغاية الأفضل والبناء الذي يثق في قوته ومتانته، أو المريض فهو يبحث عن الطبيب المختص القادر على علاجه الملم بصغائر وكبائر المرض والعلة ليحصل على أصول الشفاء والدواء الأمثل للشفاء، فكذلك المؤمن يرجع إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليستنبط القواعد وليستقرئ النصوص ويعمل بمقتضاها ويستن بما تنص عليه من أمر أو نهي، بل يثبت الواقع أن الناس يصدقون يقلدون كلام المختص ويجعلونه الحق المطلق منه ولو كان الرجل فاسقا أو كافرا.

كما تثبت الفلسفات أن العقل وحده لا يمكن أن يكون مقياسا أو مصدرا وحيدا ومستقلا للحقيقة لما يكتنفه من آثار وتأثيرات الحتميات المختلفة كالحتمية النفسية المتمثلة في الميول والرغبات والعواطف فترى العقل ميَّال ومتعاطف منكسر أمام أثر الأهواء والرغبات الشخصية والاجتماعية الممثلة بأثر العادات والتقاليد فترى احكام العقل مقيدة بها مراعة لها منصاعة لها في غالب الأحيان وهي بطبيعة حالها تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر مما يفتت المصادر ويجعلها نسبية من جهة ومعدومة من جهة أن الاختلاف يفقدها قدسيتها وشموليتها أو الثقافية وأثر الأعراف والمعتقدات والانتماءات الأيديولوجية

والسياسية وغيرها من المؤثرات المختلفة والمتعددة التي تجعل العقل لا يصلح أن يكون مستقلا في بناء الحكام ولا سابق كما سيأتي بيانه في قاعدة تأتي في بحثنا هذا بحول الله[1].

المطلب الثالث: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

لقد كان أئمة المالكية سبَّاقين في تقرير هذا الأصل وتطبيق هذه القاعدة، فقد علم عليهم بالشهرة والتواتر أنهم كانوا جد متقيدين بالنصوص السمعية وملتزمين بها مبتعدين عن الكلام والفلسفة والهواء خصوصا فيما يتعلق بال1عقيدة وأصول الدين، قال الإمام مالك – رحمه الله-:" قُبِض الرسول – صلى الله عليه وسلم- وقد تم هذ الأمر واستكمل، فإنما **ينبغي أن تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولا يُتبع الرأي**."[2].

وفي كلام إمام أئمة المالكية تصريح بالقاعدة وتقرير لها وأن كمال الدين واختتام النبوة توجب علينا استنباط كل أحكام الشريعة والعقيدة من القرآن والسنة فتبين من قوله هذا أمران وهما:

أولا: وجوب أتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة.

ثانيا: عدم تسبيق واتباع الهوى والرأي ولا تسبيق العقول على المنقول.

وعن مطرف[3] –رحمه الله- أنه قال: " سمعت مالكاً رحمه الله يقول : قال عمر بن عبد العزيز:" سنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وولاة الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها **أتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها بعد هؤلاء، ولا النظر في شيء يخالفها**"[4] ؛وفي هذا بيان صريح وكلام فيه تصريح بالقاعدة وأن الأصل الذي يجب العودة إليه لاستنباط الأحكام الشرعية هو القرآن والسنة، بل لا شيء في الدين بعد النبوة من الدين إلا إذا كان له دليل من كتاب الله وسنة نبيه، حيث لا يحق لأي كان أن يكون له الرأي المستقل عن الشرع في ذلك واستدلال الإمام مالك

---

[1] – يُنظر: ص من هذه الرسالة.

[2] – ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/ 1994م.، ج2، ص144.

[3] – عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري، أبو المطرف القنازعي: فقيه، مالكي، من رجال الحديث والتفسير. من أهل قرطبة. له كتب، منها "شرح الموطأ" و "عقد الشروط وعللها" و "اختصار تفسير ابن سلام"، توفي: 413 هـ. ينظر: الصلة 309 والمغرب في حلى المغرب: ج1/ ص166.

[4] – القيرواني ابن أبي زيد؛ الجامع في الآداب والسنن والمغازي والتاريخ، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1421هـ/ 2000م، ص149، وأنظر: ترتيب المدارك، ج2/ ص41.

هنا بقول عمر بن عبد العزيز دليل على أنه يقر بقوله ويقول به ويتضح منه تقرير القاعدة وأن القرآن والسنة يشتملان كل مسائل الديانة؛ فالواجب الاحتكام لهما في كل استنباط أو اجتهاد يتعلق بالدين.

وقد استدل الإمام مالك بالآية التي في سورة المائدة **قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾**[1]. فقال في بيان ما تتضمنه من معاني:" **فمالم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا**".[2]؛ فالدين كله مُشتَمَل في كتاب الله يوم أن أخبر نبيه وقال سبحانه اليوم أكملت لكم دينكم، يومها كان الإعلان للبشرية جميعا على أن أي خير وأي أمر يتعلق بالدين فهو في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فمن ابتغى في غيرهما الهدى ضل وأخطأ الطريق.

وقال أيضا خالد بن نزار الإيلي[3] في بيان منهج الامام مالك وفي تقرير القاعدة:" **ما رأيت أحدا أنزع بكتاب الله عز وجل من مالك بن أنس**"[4]، وقد كان الإمام مالك من اشد الناس من والتساهل في أمر الكتاب والسنة.

وذكر ابن وهب[5] المالكي عن أنس بن مالك أيضا ما تتقرر به القاعدة فقال:" سمعت مالك بن أنس يقول: **الزم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: أمران تركتهما فيكم لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم**"[6]؛ فكانت هذه وصية الإمام مالك بن أنس دوما، هي الاقتداء بالقرآن والسنة والالتزام بهما في كل شيء طلبا للنجاة، فكان

---

[1] – سورة المائدة؛ الآية: 3.

[2] – ابن حزم الأندلسي محمد علي بن أحمد؛ الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،ج6/ ص225، من طريق عبد الملك بن حبيب أخبرني ابن الماجيشون عن مالك.

[3] – خالد بن نزار الإيلي الغساني: من رواة الموطأ توفي سنة 222هـ، تنظر: التقريب؛ ص191، واتحاف السالك؛ لابن نصر الدين الدمشقي، ص69.

[4] – ابن أبي حاتم؛ الجرح والتعديل، ج1/ ص18، ويُنظر: القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، ج1/ ص152، والذهبي؛ السير، ج8/ ص95.

[5] – عبد الله ابن وهب أبو محمد القرشي، روي عن مالك والثوري...نحو أربعمائة رجل من شيوخ المحدثين بمصر والحجاز والعراق، مات سنة 197هـ، ينظر: ترتيب المدارك، ج3/ ص228-24-243.

[6] – السيوطي جلال الدين؛ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دون سنة الطبع، ص64، ويُنظر: الفلاني؛ إيقاض همم أولي الأبصار، ص99.

كلامه هذ قاعدة في منهج التدين وتقرير كل مسائل الديانة، ونقل عنه أيضا في موضع آخر أنه قال:" كنا عن مالك، فذُكرت السنة، فقال مالك: **السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق**"[1]

ونقل أيضا عبد الرحمن بن مهدي[2] عن مالك بن أنس ما يؤكد تقرر القاعدة وأن السنة هي دين الله فقال:" سُئل مالك بن أنس عن السنة، فقال: ما لا اسم له إلا السنة وتلا: **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾**[3]، فتبين من كلام الامام مالك واستدلاله أن السنة هي منهج الحق، وهي الصراط المستقيم، وهذا يفهم منه أن أي تقرير لمسألة من مسائل الدين يجب أن تكون مستنبطة من السنة والقرآن.

وأكد إسحاق بن إبراهيم الحنيني، نقلا عن مالك كلاما في مضمون القاعدة وأن المنهج يستوجب الاستنباط من السنة فقال:" قال مالك: قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الأمر واستكمل؛ **فإنما ينبغي أن تُتبع آثار رسول الله ولا يتبع الرأي**"[4]، وهذا مقتضي القاعدة ومفادها، وهو الاتزام بالنصوص الشرعية وتسبيقها على الرأي وعلى الأهواء.

وقال ابن حبيب[5]: أخبرني ابن الماجشون[6]، أنه سمع مالكا يقول: **من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم، خان الرسالة**، لأن الله تعالى يقول:" **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾**[7]، **فما لم يكن**

---

[1] – السيوطي؛ مفتاح الجنة، المصدر السابق، ص129، ويُنظر: الزواوي؛ مناقب مالك، ص148.

[2] – عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري وهو: من رواة الموطأ، لازم مالك بن أنس وأخذ عنه، قال علي بن المديني، ما رأيت أعلم منه، توفي سنة 198هـ، يُنظر: ابن ناصر الدين الدمشقي؛ اتحاف السالك، 21/أ، والتقريب، ص351.

[3] – سورة الأنعام؛ الآية: 153.

[4] – ابن عبد البر؛ جامع العلم، المصدر السابق، ج2/ ص144.

[5] – عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الأندلسي أبو مروان، فقيه مالكي، متصرف في فنون الادب والمعاني، كثير الحديث والمشايخ، من مؤلفاته، الواضح في لبفقه، الجامع، وتفسير الموطأ، مات سنة 239هـ، ينظر: بغية الملتمس، ص376، الديباج، ص252.

[6] – عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون؛ أبو مروان المدني الفقيه، مفتي أهل المدينة، روى عن مالك، مات سنة 213هـ، يُنظر: التقريب، ص364، والتهذيب، ج6/ ص407.

[7] – سورة المائدة؛ الآية: 03.

يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا"[1]؛ وقد تداولت الأمة هذا الكلام واعتبرته قاعدة في منهج التلقي وتقرير كل مسائل الدين شريعة وعقيدة، وأن مخالفة السنة وقوع في البدعة واتهام للنبي صلى الله عليه وسلم بالخيانة.

كما يبين ابن عبد البر أنَّ القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان في هذا الباب وانه لا يسبق القرآن ولا السنة برأي أو هوى وعقل أي كان من البشر، فالكتاب والسنة عند ابن عبد البر هما المصدر الوافي، والمعين الصافي، الذي تسلم به العقائد وتبنى عليه الأسس والقواعد، فيرى أن " **الحجة القاطعة في كتاب الله، وأنَّ ما لم يوجد له نص في كتاب الله فإنَّ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة قاطعة في هذا الباب**، فيقدم كتاب الله ومعانيه في طلب الحجة على غيره ثن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2]، فيتضح من قوله أن المصدر الأول لهذا الباب هو القرآن الكريم ثم السنة، ومنهما الهدى وفيهما الحق " الهدى كل الهدى في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي المبيِّنة لمراد كتاب الله..."[3].

فهو يؤكد في مواطن كثيرة ومختلفة أن كل ما يتعلق بمسائل العقيدة مبثوث ومضبوط في القرآن والسنة، وأنه لا مصدر يؤخذ منه مسائل هذا الباب إلا منهما حيث يقول:" اتفق أهل الإسلام، أنَّ الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام: أولها معرفة خاصة الإيمان والإسلام، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص، **ولا يُوصل إلى علم ذلك إلاَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو المؤدي عن الله، والمبين لمراده، وبما في القرآن من الاعتبار** في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده، وأزليته سبحانه، والإقرار والتصديق بكل ما في القرآن، وبملائكة الله، وكتبه، ورسله"[4].

فبيَّن من خلال هذا الكلام أن أصل معرفة العقيدة هو القرآن وسنة رسول الله وأنه لا يُتعدى إلى غيرهما في هذا الباب، وقال في موطن آخر:" **ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلاَّ ما جاء**

---

[1] – الشاطبي؛ الاعتصام، المصدر السابق، ج1/ ص49.

[2] – ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م، ج1، ص247.

[3] – ابن عبد البر؛ الاستذكار، المصدر نفسه، ج6، ص129.

[4] – ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/ 1994م، ج2، ص39، 40.

منصوصاً في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول صلى الله عليه وسلم أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله، أو نحوه يسلم له، ولا يناظر فيه"[1].

كما صرح ابن أبي زيد القيرواني بالقاعدة وأن الأصل الذي يجب الاستنباط منه أي مسألة عقدية والمرجع الأول في بناء أحكام الشريعة ككل والعقيدة بصفة أدق هما القرآن والسنة النبوية الصحيحة، فقال:" **والتسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأويله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه ويسعنا أن نمسك عما أمسك**وا ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوا ورأوا في الحوادث ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله"[2].

فتبين من كلام ابن أبي زيد أن سبب الفراق والاختلاف وفساد التدين والمروق عن الحق هو ترك العمل بالقرآن والسنة وما كان عليه اجماع الأمة، "يرى الشيخ ابن أبي زيد القيرواني: المقصود بالافتراق هو ما يضاد الاجماع، **الذي يقصد به جماعة المسلمين المستمسكين بالكتاب والسنة كما كان عليه رسول اله صلى الله عليه وسلم وأصحابه**"[3]، وقد صرح بهذه القاعدة أو بمعناها في مواطن عديدة أخرى منها قوله[4].

ومن المالكية الذين نظروا للقاعدة اعتبروا القرآن والسنة المصدر الأول والأساسي لاستنباط القواعد العقدية والأحكام والاعتقادات أبو عمر الداني فقال:

ومن عقود السنة الإيمان***بكل ما جاء به القــرآن**

وبالحديث المسند المروي***عن الأئمة عن النبـــي**[5].

---

[1] – ابن عبد البر؛ جامع بيان العلوم وفضله، المصدر نفسه، ج8، ص95

[2] – ابن أبي زيد؛ الجامع، المصدر السابق، ص111.

[3] – محي الدين سليمان إمام مديلي؛ ابن أبي زيد القيرواني، عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، غير مطبوعة، 1422هـ/2001م، ج1/ ص450.

[4] – عمر بن محمد بن حمد بن خليل، أبو علي، السكونيّ: مقرئ، من فقهاء المالكية. شبيلي نزل بتونس. له كتب، منها:" التمييز لما أودعه الزمخشريّ من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز " ،"كتاب الأربعين مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنَّة "، توفي: 717 هـ. ينظر: نفح الطيب ج2/ ص1150، وكشف الظنون ج2/ص 1482 وهدية العارفين ج1/ ص 788.

[5]– حماد بن أحمد المراكشي؛ عقود أهل السنة المنتخب من متن المنبهة (لأبي عمرو الداني)، ط1، خزانة التراث المالكي، 1431هـ/2010م،ص29.

أي: من عقائد أهل السنة ومنهجهم الإيمان بكل ما جاء في القرآن الكريم من أحكام وأخبار، والسنة الصحيحة والاستناد إليهما في كل مسائل العقيدة وهو منهج غالب أئمة السنة عامة وقد واشتهر هذا عند المالكية واستفاض علمه.

ومن المالكية السكوني حيث قال في لحن العامة والخاصة في المعتقدات:" من كان من الناس لا يعرف بين الموهم وغيره من الاطلاقات **فلا يجوز له أن يطلق في حق الله سبحانه إلا ما ورد به التوقيف بالإذن الشرعي**"[1]، أي: لا يحق لأي مسلم أن يتكلم في أي مسألة تتعلق بحق الله تعالى من المعتقدات من مجرد ظنون عقلية أو تخمينات ذهنية، والواجب أن يستنبط كل ما يتعلق بذلك من التوقيف الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فإذن شرعي هو ما سمح فيه الشرع من جهة الثبوت ومن جهة المعنى والمفهوم فلا تأويل ولا تحريف للمعاني إلا بما يوافق المنطوق المسموع.

ومنهم محمد بن جزي[2] في النور المبين في قواعد عقائد الدين، قال في المقدمة حيث أراد أن يبين المنهج الذي اعتمد في تقرير القواعد العقدية :" فهذا كتاب ذكرنا فيه عقائد الدين، التي يجب اعتقادها على جميع المسلمين، وأقمنا عليها أدلة عقلية قطعية، استمددناها من العلوم النقلية السمعية، **واقتبسناها من الأنوار المرضية واتبعنا فيها ما ورد في الكتاب والسنة**، وكرمنا طريقة السلف الصالح من هذه الأمة"[3]، أي: أن القواعد العقدية والتقريرات لمسائل العقيدة المجموعة في كتابه مستنبطة من القرآن والسنة باعتبارهما المصدر الأصيل والأول في مسائل الاعتقاد، وباعتبار مسائل الاعتقاد من المسائل التوفيقية، وقد بين أنه وإن كان للعقل دور في تقريرها لكنه يحتكم لما تقتضيه النصوص القطعية السماعية من القرآن والسنة النبوية الصحيحة ثم أضاف من باب التعضيد والتوضيح فهم السلف من صحابة النبي رضوان الله عليهم أجمعين فيما اختلف فيه أو أبهم فهمهم فهم الأفهم ومنهجهم الأسلم.

---

[1] – أبو علي عمر بن محمد بن خليل السكوني؛ المختار من كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، ط1، دار المشاريع، 1426هـ/2005م، ص5.

[2] – محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية – ط " بتونس، و " تقريب الوصول إلى علم الأصول " ، و " التسهيل لعلوم التنزيل "، توفي: 741 هـ، .ينظر: نفح الطيب 3: 272 والدرر الكامنة 3: 356.

[3] – محمد بن احمد بن محمد بن جزي؛ النور المبين في قواعد عقائد الدين، ط1، دار الضياء، الكويت، دار الامام ابن عرفة، تونس، 1436هـ/2015م، ص21.

كما ذكر الطرطوشي[1] في كتاب الحوادث والبدع، في عدد من المواضع القاعدة ومعناها، ومما قاله:" **هذا الكتاب أردنا أن نذكر فيه جملا من بدع الأمور ومحدثاتها مما ليس له أصلٌ في كتاب الله عز وجل ولا في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ولا إجماع ولا غيره**"[2]، وفيه برهان بمفهوم المخالفة، فأراد القول: إن ابتغاء غير القرآن والسنة النبوية أصلا أو مصدرا للتشريع والتدين من البدع فهو خلاف الأصل الذي يستجب التزام ما في القرآن والسنة فل كل مسائل الشريعة والعقيدة من باب أولى وأن الغاية من كتابه بيان البدع والمحدثات والتي هي كل ما يعتقد الناس أنه من دين الله وهو ليس منه لأنه ليس على دليل من القرآن ولا من السنة.

ومن علماء المالكية الأئمة ابن زمنين في كتابه أصول السنة الذي ألفه للإجابة عن مسائل عقدية، فقد استهل كتابه بمقدمة قال فيها:" **اعلم –رحمك الله– أنَّ السنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس، ولا تؤخذ بالعقول**، وإنما هي في الاتباع للأئمة ولما مشى عليه جمهور الأمة"[3]. أي: إن الدين كله من مسائل العقيدة ومسائل الشريعة جميعها تُؤخذ من الكتاب والسنة، ولا مجال للعقل والرأي فيها سوى حظ الاتباع واجتناب الابتداع، ثم استدل بقول الله عز وجل **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ **ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾** ﴾ [4] ثم استند إلى حديث عن عبد الله بن مَسعودٍ رضي الله عنه قال: خَطَّ لَنا رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم – خطّاً، ثُمَّ قالَ: "هذا سبيلُ الله". ثمَّ خَطَّ خُطوطاً عن يَمينهِ وعن شِمالِه، ثمَّ قال: "هذه سُبُلٌ مُتفرِّقةً، على كلِّ سَبيلٍ منها شيطانٌ يَدْعو إليه". ثُمَّ قرأ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}"[5]، وأحاديث أخرى في نفس المعنى، فنلاحظ أن ابن أبي زمنين بين مصادر الاستدلال، ثم

---

[1] – محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي، ويقال له ابن أبي رندقة: أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ. من أهل طرطوشة بشرقي الاندلس من كتبه: "سراج الملوك"، "بر الوالدين" و "الفتن". توفي: 520 هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج1/ص 479. الأعلام ج7/ص133.

[2] – أبو بكر الطرطوشي؛ كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد تركي، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ/2008م، ص78.

[3] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن زمنين؛ أصول السنة، ط2، دار أضواء السلف، القاهرة، مصر، 1434هـ/2013م، ص37.

[4] – سورة الزمر، الآية:18.

[5] – أخرجه ابن حبان رقم (1741، 1742، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

طبق القاعدة على نفسه حيث صرح بالأصل ثم بين مصدر القاعدة التي قالها بالاستدلال عليها من القرآن ثم من السنة.

ومن المالكية الأئمة ابن أبي زيد القيرواني، وفي استهلال كلامه عن العقائد التي يجب تعلمها وتعليمها للأطفال كما يُعلم لهم القرآن قال عن عمله فيما جمع للسائل:" وأولى ما عُني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين؛ ليرسخ فيها، **وتنبيههم على معالم – قواعد– الديانة وحدود الشريعة؛ ليرضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده قلوبهم...**" فقال الشارح لكلامه:" أي: **يُعلم الصغار ما يجب عليهم أن تعتقده قلوبهم من عقيدة أهل السنة والجماعة المبنية على كتاب الله، وسنة رسوله...**""[1]

وتقررت القاعدة أيضا عند أبي بكر بن العربي[2] في غير موضع واحد من كتبه وتفسيره، حيث اعتبر القرآن والسنة المصدر العاصم من قواصم التدين ومفاسد الابتداع فقال في العواصم من القواصم:" إنَّ الله تعالى وله الحمد، أنزل كتابه على نبيه نورا محكما، هدى تبيانا، لم يكن رموزا ولا كناية عما لا يتوصل به إليه سامعه، ولا يعلمه مخاطبه، وأقام عشرة أعوام، أو ثلاثة عشر عاما أو خمسة عشرة عاما، يجادل بالحجة جميع الكفرة، بألف من آي القرآن حسبما بيناه في (أنوار الفجر) **فما بقي نوع من الأدلة، ولا وجه من وجوه الحجج، إلاَّ وجاء بها على أوضح منهج**"[3]؛ أي: أن الله عز وجل بعث رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن كمنهاج جمع له فيه كل أنواع الحجج وأصناف البراهين التي تثبت بها المحجة وتقوم به الحجة الكافية والتامة، فصار بذلك القرآن والسنة التي هي شرح وتوضيح لمعاني القرآن يجمعان كل ما يحتاجه البشر في دينهم ومعاشهم، ودنياهم وأخراهم، وقد بين لهم كل العواصم من قواصم البدع والكفر والتفسيرات الفاسدة والتأويلات الباطلة، هذا صميم القاعدة ومعناها، ومن الفوائد الدقيقة من كلام ابن العربي، أنه أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستقل

---

[1] – الفوزان صالح بن الفوزان؛ بيان المعاني في شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، 1435هـ/ 2016م، ص25.

[2] – محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث، برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. من كتبه "العواصم من القواصم "، و "عارضة الأحوذي في شرح الترمذي "، توفي: 453 هـ. ينظر: الديباج المذهب، ص 281 والصلة لابن بشكوال، ص 531.

[3] – أبو بكر بن محمد بن العربي؛ القواصم من العواصم، ط1، مكتبة الأنصار، السد العالي، مصر، 1427هـ/2006، ص121.

بمحض عقله ولا مجرد رأيته في تبليغ الرسالة بل هو عليه الصلاة والسلام، أول من عمل بالقاعدة وقررها، ذلك أنه اعتمد في كل حاله صلى الله عليه وسلم على ما يأتيه من الوحي والقرآن.

ويفهم من كلام الشاطبي في مواطن كثيرة من كتابه الاعتصام تقرر القاعدة عنده، وأن المنهج في تقرير العقائد يقتضي الالتزام بالقرآن والسنة فقال:"كل خارج عن السنة ممن يدعي الدخول فيها والكون من أهلها لا بد له من تكلف في الاستدلال ... **ولعدم الرسوخ في العلم بقواعد الأصول التي من جهتها تُستنبط الأحكام الشرعية... فكل دليل خاص أو عام –من القرآن والسنة المحكم– شهد له معظم الشريعة فهو الدليل الصحيح، وما سواه فاسد**"[1]، فيتبين من كلام الشاطبي أن أي تقرير لا يكون مستندا إلى قواعد استنباط مسائل الشريعة القرآن والسنة فهو خارج عن السنة وفاسد.

وممن أقر بالقاعدة وقررها مبارك الميلي في كتابه رسالة الشرك ومظاهره، حيث جعل عنوانا عريضا في كتابه بعنوان القاعدة فأسماه:" **الرجوع في بيان الشرك إلى الكتاب والسنة**"[2]، ثم وضح القاعدة واستدل لها من القرآن والسنة ببعض ما استدللنا به في الدلة على القاعدة، ومما قاله في سياق القاعدة:" **فالداعي إلى الكتاب والسنة وتفهمهما إنما هو داع لتحقيق كلمتي الشهادة**، ولهذا تجد فيهما وفي كلام سلف الأمة الحث على تعلمهما واتباعهما وتحكيمهما عند النزاع والتحذير من مخالفتهما"[3].

ومن المالكية المتأخرين أيضا تقي الدين الهلالي، الذي أشار إلى القاعدة في مواضع كثيرة جدا ومنها قوله في مختصر هدي الخليل:" **ونصدق بما جاءنا عن الله تعالى في كتابه، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخباره ونوجب العمل بحكمته...**"[4]، وقد ذكر منهجه في تقرير مسائل العقيدة، في مقدمة الكتاب فقال:" **فكل ما في هذا الكتاب ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس فيه رأي لغير معصوم البتة**، فمن أخذ به فكأنه يأخذ الحكم من المصطفى صلاة الله وسلامه عليه..."[5]، فمسائل العقيدة أصل تقريرها هو السنة لا إلى الرأي والعقول، وهو مقتضي القاعدة.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

---

[1] – الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المالكي؛ الإعتصام، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م، ص154.

[2] – مبارك بن محمد الميلي؛ رسالة الشرك ومظاهره، ط5، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1421هـ/2000م، ص49.

[3] – مبارك الميلي؛ الشرك وظاهره، المصدر نفسه، ص50.

[4] – محمد تقي الدين الهلالي؛ مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل، ط1، دار الطبعة الحديثة، 1425هـ/ 2004م، ص15.

[5] – المصدر نفسه، ص8.

المقصود بالفوائد المستخلصة من القاعدة المنفعة الدينية التي تتحقق من جراء تنفيذ القاعدة والعمل بها في الجانبين التطبيقي والنظري.

الفائدة النظرية: العمل بمقتضى المطلب الشرعي وتنفيذ حكم الله في قضية معرفة الأحكام الشرعية وذلك بالعودة إلى المصادر التي أمر الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم العمل بهما كمصر أساسي واصيل كما رأينا ذلك في مطلب الأدلة على القاعدة من القرآن والسنة.

1- تحقيق الايمان عملياً من خلال الاستجابة إلى أوامر الله ورسوله والعمل بمقتضى أحكام الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم المبثوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

2- تحقيق وحدة المصدر وتوحيد كلمة المسلمين وذلك بالاجتماع على المصدر والمنبع الواحد وهو المنبع السماعي الصحيح المتمثل في القرآن والسنة.

3- نبذ الفرقة وتجنب الخلاف والجدال العقيم من خلال تحكيم العقل والرأي إلى النصوص الشرعية الصحية.

4- الثبات على أعظم أصول الهوية التي يرتكز عليها الأمة، وجعل القرآن والسنة في اهتمام شباب الأمة ومثقفيها، واعتمادهما في مواجهة التحديات المعاصرة، والمحاربة من اجل فرض منطقها الخاص بدعوى العقلانية والمنهج التجريبي العلمي الحديث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: (القاعدة الثانية): [تقريرات الصحابة والسلف الصالح حجة في مسائل الاعتقاد].

المطلب الأول: تصور القاعدة:

لكل أمة سلف وسلف الأمة الإسلامية هم الصحابة رضوان الله عليهم، الذين اختارهم الله عز وجل ليكونوا مع رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم خير الصحب معه وأفضل السند والأهل والأنصار فكانوا كذلك ونِعِمَّ ما كانوا عليه من أسياد وأفاضل[1]، وقد شهد الله لهم في القرآن الكريم في آيات كثيرات ونبيُّه صلى الله عليه وسلم في أيما حديث بالعدالة، وسلامة الدين، فهم العدول أخلاقا، والأسلم منهجا والأكثر علما، بما صاحبوا وتلقوا من خير وفضل معايشة أفضل البرية النبي الأكرم، والمعلم الأعظم الذي تعلم منه الصاحبة العلم النافع والمناهج العمل الصالح فتحقق بذلك فيهم الرشد والسؤدد لهذه الأمة وصنعوا الحضارة والصدارة؛ فكان زمانهم أفضل الأزمنة التي عاشت فيها البشرية على وجه البسيطة هذه، وقد تقرر لدى علماء الأمة العدول ورجالها الفحول أنَّ ما صح عنهم من النقول في مسائل الاعتقاد حجة ودليل على المسألة الشرعية[2]؛ لأنهم دليل إلى مصادر الدين ولأنهم لم يتجاوزا قول النبي صلى الله عليه سلم وقد اشتهر عليهم ذلك واستفاض خبره، فيكون بذلك قولهم عليهم رضوان الله –بعد القرآن والسنة– دليل أقوى من أي دليل آخر، ومخالفتهم بدون دليل شرعي مردود على صاحبه ومنكسر في ذاته وبنفسه، وقد عُلم الاستدلال بأقوال الصحابة سلف الأمة الصالح في كل مسائل الشريعة وقضاياها، والعقيدة من باب أولى؛ وقد لبث في تعليم العقيدة الصحيحة وتفرغ لذلك النبيُ صلى الله عليه وسلم السنون والأعوام وهو مركز على تعليم العقيدة وتثبيتها في صدورهم فترة تفوق النصف من عمر دعوته صلى الله عليه وسلم واستمر على ذلك في كل دعوته مما يؤكد أنها راسخة في قلبوهم وأنهم الأفهم والأعلم لما تقتضيه العقيدة الصحيحة وعلمها بالتفصيل وبالمنهج السليم والتقرير القويم فكان بذلك الاستدلال بقول الصحابة قاعدة من قواعد منهج الاستدلال التي لا يتعداها أحد ولا ينكر ثبوتها منكر فصارت معلومة بالضرورة؛ فإذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، أقرب عصر من النبوة،

---

[1] – أبو عمر الداني، الرسالة الوافية، ط1، دار ابن حزم، ص239، وينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2/ ص44، 45، والبيان والتحصيل، ج16/ ص420.

[2] – ابن ابي العز علي بن علي الحنفي؛ شرح عقيدة الطحاوي، تحقيق: جماعة من العلماء، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2006م، ص274-277، وينظر: المحسي، التوضيحات الأثرية، ص40.

وأعمق صلة بكلام الله ورسوله، وأصح لسانا، وأفصح بيانا: كان فهمهم لنصوص الكتاب والسنة حجة على من بعدهم[1]، وهذا يقره العقل والشرع كما سوف يأتي بيانه في الاستدلال على القاعدة.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

أجمع سلف الأمة من التابعين ومن جاء بعدهم أنَّ فهم الصحابة من السلف للقرآن والسنة حجة في ذاته اذا لم يخالف نصا صريحا[2] ،وأنه الفهم الذي يكتسي الأولوية على كل الفهوم الأخرى، وأن كل الفهوم تستند إلى فهومهم، وتستنبط منها الحجة والدليل على صدق الفهم والتصور، وأن من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقيق، وذا صرح به أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأن العدالة ثابتة لجميع الصحابة مطلقا، كبيرهم وصغيرهم، ويجب حسن الظن بهم[3]، وبه قال الخطيب في الكافية، وأن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم، لأخذه عنهم وملازمته لهم...وأن أول ذلك ملازمة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذهم بأقواله وأفعاله، واعتمادهم ما يرد منه كائنا ما كان، وعلى أي وجه صدر، فهم فهموا مغزى ما أراد به أولا، حتى علموا وتيقنوا أنه الحق الذي لا يعارض، والحكمة التي لا ينكسر قانونها، ولا يحوم النقص حول حمى كمالها، وإنما ذلك بكثرة الملازمة وشدة المثابرة...وصار مثل ذلك أصلا لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، حتى فقهوا، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية"[4].

نفهم من كلام الشاطبي[5] أن الصحابة دليل للأمة وحجة في فهم النصوص الشرعية وأعاد ذلك لأسباب وهي:

- اختيار الله لهم أن يكونوا صحبة خير البشرية، فهم الأقدر والأقوى لتحملها وتبليغها للأمة بعده وقد ثبت ذلك واقعا كما في التاريخ، وقد دلت الآيات والأحاديث على أنهم من اختيار الله وأنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء كما في الحديث:" إنَّ الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين"[6]؛ و مما

---

[1] – عثمان حسن؛ قواعد الاستدلال، المصدر السابق، ص143.

[2] – المقصود بمخالفة الصحابي للنص الصريح المخالفة التي تكون بسبب غياب النص عن الصحابي كأن لم يسمع حديثا أو تفسيرا لآية من آيات القرآن الكريم، وهذا معلوم ومستفيض.

[3] – نور الدين الإمام؛ فتوى المالكية، المرجع السابق، ص668.

[4] – الشاطبي؛ الموافقات، المصدر السابق، ج1/ ص91-95.

[5] – إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه (الموافقات في أصول الفقه " و" الاعتصام"، توفي: 790 هـ. ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص 48، الأعلام، ج1/ ص75.

[6] – ابن حجر العسقلاني؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.، ج1/ ص13، 14.

يدل على فضلهم واصطفائهم على العلامين في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، قال سفيان:" هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"[2].

- فضل الصحبة: وفي نوازل الوزاني[3]، هم أعظم الناس منزلة وجاها، وأوجب مدحا وثناء[4]، الصحابة هم الأعلون وفضلهم لا يضاهيه فضل ولا يُقارَب معشاره، فهم الصفوة المختارة وهم السابقون وهم المقربون، وأن من انتقص أحدا منهم أو ابغضه بحدث منه أو ذكر مساويه كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون في قلبه لهم سليما[5].

- تعلمهم التفسير على يد أفضل الخلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكانوا خير من تعلم على خير معلم، فعلمُهم بتفسير القرآن لا يضاهيه علم، وفهمهم للتأويل لا يتعداه أحد من بعدهم وقد أخذوا تفسيره من النبي صلى الله عليه وسلم، فهم لازموا وعاشوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتكلم بينهم والوحي ينزل عليه وهم معه وهو بينهم، فلا يتصور عقل قويم ولا قلب سليم أنهم لم يحاولوا فهمه ولم يهتموا بمقاصده ودلائله.

فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، "أفقه الأمة، وأبرهم قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأصحهم قصودا، وأكملهم فطرة، أتمهم إدراكا، وأصفاهم أذهانا، شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقصد الرسول، وليس من سمع وعلم، ورأى حال المتكلم كمن كان غائبا لم ير ولم يسمع، أو سمع بواسطة، أو وسائط كثيرة، وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم متعين، على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة فضيلة الصحبة"[6].

---

[1] - سورة النمل؛ الآية:59.

[2] - الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، محافظة مصر، 1394هـ/ 1974م، ج7/ص77.

[3] - أبو محمد عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأندلسي القصري، له كتب: شعب الإيمان، وغيره، توفي سنة ست ومائة، ينظر: السير، 21/ 420، 421.

[4] - نور الدين الإمام؛ فتاوى علماء المالكية، ص669.

[5] - العراقي أبو معاذ حسن؛ الفوائد العقدية والقواعد المنهجية المستنبطة من تأصيلات أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل السلفية، ط1، دار الإمام أحمد، القاهرة، مصر، 1432هـ/ 2011م، ص189.

[6] - عثمان حسن؛ قواعد الاستدلال، المصدر السابق، ص145، ويُنظر: ربيع بن هادي؛ شرح السنة للبربهاري، ج2/ ص901-903.

مذاهب الأصوليون في مذهب الصحابي، وحكم مناهضته لخبر الواحد :

اختلف علماء الأمصار في حجية قول الصحابي على عدّة أقاويل؛ لتردد الدليل بين مشاهدتهم موارد النّصوص ومواقع التنزيل، وبين احتمال الخطأ في اجتهادهم؛ لكثرة الرأي فيما يفتون به. وورود هذا الاحتمال يسقط اعتبار القطع في الاستدلال بقول الصاحب، ولبيان أوجه الاختلاف ودليله، لا بدّ من تحرير محل النِّزاع.

أولًا :يجب الأخذ بقول الصحابي فيما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه؛ لأنّه في حكم المرفوع، فيقدم على القياس، ويخصّ به النصّ اتفاقًا[1].

ثانيًا :أما قوله فيما فيه مجال للاجتهاد، فليس حجة على غيره من الصحابة المجتهدين، إلّا إذا انتشر بينهم ولا مخالف له، فهو حجة، لأنّه من قبيل الإجماع السكوتي. هذا على قول الأكثر، وفيه تفصيل. أما ظهور المخالفة فإنّه ينفي الحجية[2].

ثالثًا :أمّا قوله في الأمور التي فيها مجال للاجتهاد المحض، ولم يكن مما قد انتشر بين الصحابة، فهل هو حجة على التابعي ومن بعده؟. هذا هو محل الخلاف بين العلماء على النحو التالي:

القول الأول: قول الصحابي حجة.

ذهب الإمام مالك، والشافعي في القديم، وأحمد في رواية عنه إلى أنّ قول الصحابي حجة، وهو قول لبعض الحنفية خلافًا للكرخي وغيره، حيث قال الكرخي[3]" :لا يقلَّد الصحابي فيما يدرك بالقياس لاستواء الرأيين في الاحتمال"[4].

---

[1] – الدهلوي محمود بن محمد؛ إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار، تحقيق: حنفي خلد محمد عبد الواحد، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، 1426هـ/ 2005م، ص236، ويُنظر: محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء ص 272، أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ص 396، الوسيط في أصول الفقه ج1/ ص 399، والوجيز في أصول التشريع ص485.

[2] – الدبوسي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى؛ تأسيس النظر، ط2، دار الخانجي، 1415هـ/ 1994م، ص113، يُنظر: عمدة الحواشي ص305، إحكام الفصول ص175، الجواهر الثمينة ص، 215، محاضرات في أسباب اختلاف الفقهاء، ص278.

[3] عبيد الله بن الحسين الكرخي، أبو الحسن: فقيه، انتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق. مولده في الكرخ ووفاته ببغداد. له " رسالة في الأصول التي عليها مدار فروع الحنفية" و"شرح الجامع الصغير" توفي: 340 هـ. ينظر: الفوائد البهية، ص107، الأعلام ج4/ ص193.

[4] – الدهلوي محمود بن محمد؛ إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار، تحقيق: حنفي خلد محمد عبد الواحد، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، 1426هـ/ 2005م، ص236، ويُنظر: البحر المحيط، ج8/ ص57، 64، 101)، الحاوي ج16/ ص112، شرح اللمع، للشيرازي ج2/ ص750، شرح الكوكب المنير، ج3/ ص375، 376، شرح مختصر ابن الحاجب، ج2/ ص287، المستصفى ج1/ ص261، التوضيح على التنقيح ج2/ ص17، شرح مختصر الروضة ج3/ ص185، الفكر السامي ج1/ ص392، المغني في أصول الفقه: الخبازي، ص266، 267، أثر الأدلة المختلف فيها، ص340، الوسيط في أصول الفقه، ج1/ ص400، محاضرات في اختلاف الفقهاء، ص271– 278.

القول الثاني: قول الصحابي ليس حجة.

وإليه ذهب الشافعي في الجديد على المشهور، وأحمد، والمعتزلة والأشاعرة، والكرخي، وبعض المتأخرين من المالكية والحنابلة، واحتجاجًا بعدم عصمته فيما يجتهد فيه[1].

القول الثالث: قول الصحابي حجة إذا تقوى بالقياس.

وهو من الأقوال المنقولة عن الشافعي في الجديد كذلك. قال الزركشي: "نصّ عليها لشافعي –رحمه الله– في الرسالة حيث حكى بعض أصحابنا عن الشافعي أنّه يرى في الجديد أنّ قول الصحابي حجة إذا عضده القياس"[2].

القول الرابع: قول الصحابي حجة إذا خالف القياس: وهو ما تدل عليه مسائل أبي حنيفة والشافعي، قال ابن رشد الحفيد[3] في بداية المجتهد: "اختلف في تغليظ الدية في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، قال الشافعي: تغلظ فيهما في النفس وفي الجراح... وعمدة الشافعي أن ذلك مروي عن عمر وعثمان وابن عباس، وإذا روى عن الصحابة شيء مخالف للقياس وجب حمله على التوقيف؛ ووجه مخالفة القياس أنّ التغليظ فيما وقع خطأ بعيد عن أصول الشرع..."[4].

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ

---

[1] – التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ط1، مكتبة الرشاد، ص166، ويُنظر: البحر المحيط، ج8/ ص64، عمدة الحواشي ص305، شرح مختصر ابن الحاجب، ج2/ ص287، تأسيس النظر، ص113، شرح مختصر الروضة ص3/ ص185، التوضيح على التنقيح، ج2/ ص17، حصول المأمول من علم الأصول لصديق حسن خان، ص108، شرح الكوكب المنير، ج3/ ص375، 376، محاضرات في اختلاف الفقهاء، ص272، الوسيط في أصول الفقه، ج1/ ص400، أثر الأدلة المختلف فيها، ص341.

[2] – الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر؛ البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1414هـ/ 1994، ج8/ ص60، بتصرف، ويُنظر: الرسالة، ص591، والحاوي، ج16/ ص112.

[3] – محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف. من أهل قرطبة، من كتبه: "تهافت التهافت " " في الرد على الغزالي، و " بداية المجتهد ونهاية المقتصد "في الفقه، توفي: 595 هـ. ينظر: التكملة لابن الأبار، ج 1/ص 269،" ابن رشد الفيلسوف المفتري عليه ".

[4] – ابن رشد أبو الوليد محمد بأحمد القرطبي؛ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر. ج2/ ص 313 .

وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [1]؛ وليس للوسط الذي هو بمعنى ملتقى الطرفين ههنا دخول؛ لأن هذه الأمة آخر الأمم؛ وإنما أراد به الخيار العدل[2].

وجه الاستدلال من الآية:

بناءً على مجموع التفاسير وما يبدوا من ظاهر الآية أن الله عز وجل خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأخبرهم أنهم شهداء على الناس وهي شهادة تدل على مدى معرفتهم للحق وعلمهم بدينه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3]،

وجه الاستدلال من الآية:

أكد المفسرون أن المقصودين من قوله إلا من شهد بالحق أنهم بالدرجة الأولى الصحابة رضوان الله عليهم، وهذه الشهادة دليل على وجوب الاقتداء بهم والاستناد إليه في استنباط الأحكام وتقرير مسائل العقيدة والشريعة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [4]؛ أولئك الذين صدقوا وهذه صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار ثم قال في هذه الآية وكونوا مع الصادقين فدل على لزوم اتباعهم والاقتداء بهم لإخباره بأن من فعل ما ذكر في الآية فهم الذين صدقوا وقال في هذه الآية وكونوا مع الصادقين فدل على قيام الحجة علينا بإجماعهم وأنه غير جائز لنا

---

[1] – سورة البقرة؛ الآية:153.

[2] – ابن العربي المالكي؛ أحكام القرآن، المصدر السابق، ج1/ ص61.

[3] – سورة الزخرف؛ الآية:86.

[4] – سورة التوبة؛ الآية: 119.

مخالفتهم لأمر الله إيانا باتباعهم وقوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة فيه مدح لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وجه الاستدلال بالآية: أجمع المفسرون أن المقصودين ي الآية في قوله (الصادقين)، أنهم الصحابة رضوان الله عليهم وفيه فائدتين:

الأولى: تزكية الله لهم ووصفهم بالصدق.

الثانية: كونهم صادقين، يجعلهم مصدر حفظ للدين الذي يجب الاستناد إليهم في كل أحكام الشريعة والعقيدة.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الصحيحة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**بعثت من خير قرون بني آدم**، قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»[2].

وجه الاستدلال من الحديث: الحديث قاعدة صريحة في أفضلية الصحابة عليهم رضوان الله جميعا، وفي هذا الحديث بيان لزيادة فضل للصاحبة على سائر بني آدم وأنهم خير البشر بعد الأنبياء على الاطلاق، فقد جعل الله عز وجل خير القرون التي عاشها بنوا آدم والتي سوف يعيشونها إلى قيام الساعة هو قرن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فجعله الله عز وجل خير البشر وجعل الصحابة خير من يعيش معهم نبي على الاطلاق، فإذا كانوا هم كذلك فالواجب أن يكونوا الأولى بالثقة في الأخذ وبالفهم لشريعة الله عز وجل ودينه الذي ارتضاه لهم، فهم الأفضل علما وشرفا وفهما وحفظا وهم الأكثر ثقة وهم الأصدق والأدق تقريرا لدين الله بعد القرآن والسنة.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

العقول السليمة والفطر المستقيمة تقر بأن منهج الحق الذي يجب اتباعه قد وصل إلينا بالطريق الذي وصلنا به القرآن الكريم والسنة النبوية الصحية، ولا يشك عقل ولا يرتاب قلب من أن الصحابة

---

[1] - أبو عمر الداني؛ المقتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمان رمضا، ط1، دار عمار، 1422هـ/ 2001م، ج1/ ص90، وينظر: أحكام القرآن للجصاص، ج4/ ص371.

[2] - أخرجه البخاري؛ رقم:3557.

هم طريقنا إلى ذلك وهم الذين ورثوا العلم ومنهج العلم على النبي صلى الله عليه وسلم والذي وصل إليها وحيا من رب العالمين، فهل يصدق عقل عاقل ويقبل قلب حي أن يكون للحق طريق غير هذا الطريق ؟! ومسلك غير هذا المسلك؟! ومنهج أصدق وأوثق من منهج الصحابة؟! وقد صدق من قال: فلأن من في قلبه حياة، وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة يكون البحث في هذا الباب، والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصد وأعظم مطالبه...وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضا عن الله وأعظمهم إكباب على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟

فالعاقل من الناس في حياة يومه مع الناس إذا أراد أن ينال الخبر الصادق اليقين عن خبر من الأخبار تجده يتحرى أفضل ناقل وأصدق قائل، ويتقصى أوثق المصادر وأقرب الناس الذين عايشوا الخبر وحظروا الحادثة، فإذا وجد من الناقلين رجلان وكان أحدهما عايش الحادثة والثاني نقلوها له أو يخبر من مقتضى ظنونه تجده ولا شك في ذلك يختار الذي عايش الحادثة وكان شاهدا عليه، فكذلك الأمر في هذه القاعدة، ولكون الصحابة رضوان الله عليهم عايشوا التنزيل وأخذوا الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم الناس بلغة العرب وبتأويل القرآن، وضف إلى ذلك تزكية الله عز وجل لهم في القرآن ونبيه صلى الله عليه وسلم في السنة، فهل يعقل أن يترك منهجهم ليُقتدى وينتهج غيره وإن كان ناهجه من كان؟! وقد صدق فيهم ابن أبي زيد القيرواني بالقاعدة وذكر معناها وما تتضمنه في موضع مختلفة من كتبه ومما قاله:" ...إن الصحابة رضوان الله عليهم لا يُتهمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وأحرص خلق الله على اتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يظن بهم ذلك أحد إلا ذو ريبة في دينه..."[1].

[1] – ابن أبي زيد القيرواني؛ كتاب الجامع، المصدر السابق، ص150.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

عُلم بالاستفاضة دفاع علماء المالكية عن الصحبة رضوان الله عليهم سواء عند المتقدمين منهم أو المتأخرين، ولم يعلم انتقاصا من قدرهم ولا مكانتهم إلا شذوذا وخلافا للأئمة الأعلام من المالكية، وقد عرف استنادهم إليهم في الاستدلال على مسائل الدين الشرعية منها والعقدية، كما علم اعتبار المنهج الصحيح في تقرير أو تقعيد العقيدة بصفة أهم، هو المنهج السلفي الذي يعبر أقوال الصحابة أصل من أصول التقعيد والتأصيل، ومما يدل على ذلك من تقريرات الأئمة ما ذكره.

وقد تبين موقف الإمام مالك من وجوب الاتساء بالصحابة سلف الأمة وحملة دينها بعد نبيها صلى الله عليه وسلم والحافظين لأحكامه وقال:" والتسليم للسنن لا تعارض برأي، ولا تدفع بقياس، **وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا عنه، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطواه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه، أو في تأويله**"[1]؛ ففي كلامه هذا تصريح جلي بالقاعدة وأن منهج التقرير للقواعد العقدية يقتضي الاستنان بسنن الصحابة باعتبارهم الأعلم والأحكم والأفهم لدين الله.

ونقل لنا القرطبي عن مالك بن أنس ما يؤكد القاعدة ويبرر تقريرها في كلامه عن فضل الصحابة، وفي رأيه في من أبغض واحد منهم فقال:" قال مالك: **من كان يبغض أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو في قلبه عليهم غل، فليس له الحق في فيء المسلمين**"[2]؛ فمن مفهوم المخالفة والاستلزام يكون أم حبهم من الإيمان، وهذا يستلزم التسنن بسننهم والاعتماد على هديهم وفهمهم وعلمهم عليهم رضوان الله جميعا.

---

[1] – ابن ابي زيد القيرواني؛ تنوير طريق السالك، المصدر السابق، ص108، ويُنظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في تاريخ المذاهب الفقهية، ج2/ ص211.

[2] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر السابق، ج18/ ص32، ويُنظر، ابن كثير، التفسير، ج4/ ص339، والقاضي عياض؛ ترتيب المدارك، ج2/ ص46-48، والزواوي؛ مناقب مالك، ص144.

ونقل لنا الباجي[1] وابن فرحون[2] وغيرهما أنَّ مالكا قال:" أما أكثر ما في الكتب (فرأيي)، فلعمري ما هو برأيي، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل، الأئمة المقتدى بهم، الذين أخذت عنهم، وهم الذين كانوا يتقون الله فكثر علي فقلت: (رأيي) **وذلك رأيي إذا كان رأيهم مثل رأي الصحابة، أدركوهم عليه، وأدركتهم أنا على ذلك، فهذا وراثة توارثناها قرناً عن قرن إلى زماننا**"[3]. فيتأكد من كلامه ثبوت القاعدة وسلامتها وتقررها لدى الإمام مالك، والأئمة المالكية عموما وأن الرأي هو راي الصحابة سلف الأمة بعد القرآن والسنة.

وقد نقل الرأي نفسه وقرره ابن فرحون وبين أن القاعدة هي الاعتبار لقول الصحابي والسلف واعتبارهم مصدر التشريع فقال مقررا قول مالك:" **والرأي هو ما وافق أقوال السلف**...ثم نقل قول مالك: نسبت الرأي إلي بعد الاجتهاد مع السنة، وما مضى عليه أهل العلم المقتدى بهم، **والأمر العمول به عندنا منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأئمة الراشدين، مع من لقيت، فذلك رأيهم ما خرجت إلى غيرهم**"[4].

ومما نقل أيضا أنه سئل الإمام مالك عن قوم أخذوا في مسألة بفتوى التابعي الإمام إبراهيم النخعي وتركوا فتوى عمر بن الخطاب فقال:(هؤلاء يستتابون)[5]، وقد سئل رحمه الله عن معنى قوله عندما يسألونه فيقول: "يستتابون" فقال: " يرجعون عن قولهم" .

هذا الكلام قاله الإمام مالك في حق الإمام التابعي إبراهم النخعي فقيه الكوفة وقد أخذ علمه من كبار أئمة التابعين وكان مختصا بعلم الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه واشتهر عنه أنه لا يفتي إلا بآثار الأئمة من التابعين والصحابة ومع هذا كله طلب الإمام مالك عدم أخذ بفتوى إبراهيم

---

[1] – سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. توفي: 474 هـ، من كتبه "السراج في علم الحجاج" و "إحكام الفصول"، "المنتقى في شرح موطأ مالك"، توفي: 474 هـ. ينظر: الديباج المذهب 120 والوفيات، ج1/ ص 215، والفوات ج 1/ص 175.

[2] – عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، أبو محمد: فقيه، من العلماء بالحديث. أصله من تونس، ومولده ومنشأه في المدينة. من كتبه: " الدر المخلص من التقصي والملخص " في الحديث، و "كشف المغطى في شرح مختصر الموطأ"، توفي: 769 هـ. ينظر: الديباج المذهب، 144 والدرر الكامنة ج 2/ص300.

[3] – الباجي؛ إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، 1409هـ//1989م، ص485، وانظر: ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج2/ ص74، والمعيار، ج6/ ص289.

[4] – إبراهيم بن علي بن فرحون؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد خان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1972م، ص73.

[5] – ابن القيم؛ إعلام الموقعين، المصدر السابق، ص 212وأنظر: ابن حزم؛ الاحكام، المصدر السابق، ص142.

المخالفة لفتوى عمر بالتوبة فهنا يظهر جليا منهج أئمة الإسلام في اتباعهم لفتاوى الصحابة وعظم هذا الأصل حتى طلب الإمام مالك منهم التوبة وترك فتوى الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله.

ونقل لنا القاضي عياض[1] في "الشفاء " رأي مالك وهو يؤكده ويتبانه في هذه المسألة فقال:" **قال الإمام مالك رضي الله عنه: من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم ، فإن قال كانوا على ضَلالٍ أو كُفرٍ قُتِل ، وإن شتم بغير هذا من مشاعة الناس نُكل نكالا شديدا** "[2]؛ فيُفهَم من مفهوم المخالفة قيمة الصحابة وسلف الأمة وكيف حال من أراد أن ينتهج منهجا خلاف منهجهم في تقرير الاعتقاد وهو أصل الدين وجوهر الرسالة، أو أحكام الشريعة، وزعم أن العقل والقياس أولى وأن الخلف أعلم من السلف! وقد علم الجواب من مالك في المسألة، وهو تقديم قول الصحابي والأحاديث المرسلة والمنقطعة والبلاغات على القياس[3]، لشدة حرصه في الأخذ بفهم السلف ولإدراكه بأنهم أعرف الناس وأفهم البشر، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمراد النصوص[4].

وروى أبو عروة الزبيري ما يؤكد القاعدة عن فضل الصحابة سلف الأمة وأهميتهم في منهج التلقي وتقرير مسائل الشرع فقال:" كنا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ مالك هذه الآية: (محمد رسول الله والذين معه) حتى بلغ (يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) فذكر الخطيب البغدادي أن مالكا قال:" **من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته الآية**"؛ وعليه من انتهج منهج غير منهجهم في تقرير مسائل العقيدة وأحكام الشريعة فهو من باب أولى أن تصيبه الآية باعتبار الدين أصل التقليد لهم والعمل بعملهم والوقوف حيث وقفوا ومن هنا بين لنا الإمام مالك في مقالته هذه قدر

---

[1] – عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. وتوفي: 544 هـ، بمراكش مسموما، من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " ، " ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك"، " إكمال المعلم" . وتوفي: 544 هـ، بمراكش مسموما. وفيات الأعيان ج 1/ ص392، أزهار الرياض.

[2] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ص 195.

[3] – ابن الصلاح، أدب المفتي، تحقيق: د. قلعجي، ط1، دار المعرفة، 1416/ 1986م، ج1/ ص23.

[4] – فاضل بن نور الدين الإمام؛ فتاوى علماء المالكية في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1437هـ/ 2016م، ص150.

الصحابة في الدين وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين.

كما جاء تقرير القاعدة والدفاع على الصحابة في كتب ابن أبي زيد القيرواني وفتاويه وتكرر كلامه المشيد بفضل الصحابة وتمجيدهم والاقرار أن المنهج الأقوم هو في متابع منهجهم وعدم مخالفة ما عف عنهم من تقريرات وفتاوى معتبرا أن الصحابة الأسلم منهجا والأسلم قلبا والأقوم فهما، لأنهم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن حبهم من حبه وبغضهم من بغضه صلى الله عليه وسلم، ومما قيله في وجوب اتباع منهجهم:" **وأنَّ خير القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال – صلى الله عليه وسلم–** إذ إنَّ أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليه، وقيل ثم عثمان وعلي ونكف عن التفضيل بينهما... وقوله –صلى الله عليه وسلم– "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"، فقال أهل العلم:" **يعني لا يذكرون إلا بأحسن ذكر**"[1].

ومن أئمة المالكية الذين قرروا القاعدة وجعلوا الصحابة شرط من شروط منهج الاستدلال في تقرير العقائد والشرائع محمد المازري[2] حيث قال:" **من عرف مرتبة الأنصار وما كان معهم في نصرة الدين...كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في اسلامه...ومن ابغضهم كان ضد ذلك، وأستدل به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم**"[3].

وقال ابن أبي زيد القيرواني بالقاعدة وذكر معناها وما تتضمنه في موضع مختلفة من كتبه ومما قاله:" **...إن الصحابة رضوان الله عليهم لا يُتهمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وأحرص خلق الله على اتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم**، ولا يظن بهم ذلك أحد إلا ذو ريبة في دينه..."[4]؛ فكلام

[1] – ابن أبي زيد؛ الجامع، المصدر السابق، ص146، 147.

[2] – محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية، من كتبه: " المعلم"، " شرح التلقين" ،الكشف والإنباء في الرد على الغزالي ينظر: "الإمام المازري" لحسن حسني عبد الوهاب، لحظ الألحاظ ص 73، وفيات الأعيان ج 1/ص 486.

[3] – المازري؛ المعلم في شرح مسلم، المصدر السابق، ج2/ ص63، 64.

[4] – ابن أبي زيد القيرواني؛ كتاب الجامع، المصدر السابق، ص150.

الامام واضح والقاعدة جلية بلفظها الصريح أن الصحابة أعلم الناس بدين الله وأكثرهم حرصا على العمال به، فقولهم وتقريرهم مصدر لمن جاء بعدهم وخلاف اختيارهم بدعة وريب في دين الله.

وقال أيضا في موضع آخر صريح العبارة بالقاعدة التي نحن في صدد بيانها، فقال في بيان منهج التعامل مع نصوص العقيدة:" **وما تأوله منها –أي: النصوص–السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوا ورأوه في الحوادث**، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله"[1]. وفي كلامه هذا تقرير صريح للقاعدة وأن قول السلف شرط من شروط منهج تقرير العقائد.

ونقل لنا في النوادر والزيادات قولا صريحا عن مالك يؤكد القاعدة مبينا مذهب الإمام مالك وأصحابه:" **إنه ليس لأحدٍ أَنْ يُحْدِثَ قولاً أو تَأْويلاً لم يَسْبِقْهُ به سَلَفٌ ، وإنه إذا ثَبَت عن صاحبٍ قَوْلٌ لا يُحْفَظُ عن غيرِه من الصحابةِ خِلاَفٌ له ولا وِفَاقٌ ، أنَّه لا يسَع خِلافُه**"[2].

وذكر هذا الرأي في مواطن متعدد ومختلفة من كتبه ومنها ما صرح فيه بالقاعد كحال قوله في كتابه الذب عن مذهب مالك:" **وليس يخالف مالك أقضية الخلفاء التي تكون على المشورة من الصحابة وإن كان أمرا اختلفوا فيه فلا يخالف عثمان إلا لقول غيره من الصحابة**"[3]. وهي عبارة صريحة في كون الامام مالك يتبع منهج الصحابة في كل شيء، وخص عثمان بالذكر تقيدا بسؤال السائل والله أعلم.

وقد تقررت القاعدة عند ابن العربي المالكي صاحب التفسير المعروف، وأرجع السبب في وجود الاقتداء بالسلف في كل أمر من أمور الديانة إلى سببين رئيسيين وهما:

"الأول: الفصاحة والبلاغة؛ إذ جبلتهم عربية، ولغتهم سليقة.

---

[1] – ابن أبي زيد القيرواني؛ كتاب الجامع، المصدر السابق، ص117.

[2] – ابن أبي زيد القيرواني، أبو محمد عبد الله ؛ النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، ت: عبد الفتّاح محمد الحلو، محمَّد حجي، محمد عبد العزيز الدباغ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 1999م.، ج1/ ص5.

[3] – ابن أبي زيد القيرواني عبد الله؛ الذب عن مذهب مالك، تحقيق: محمد العلمي، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، 1432هـ/ 2011م، ج1/ ص438.

الثاني: **أنهم شاهدوا قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله، فأفادتهم المشاهدة عقل المعنى جملة، واستفاء المقاصد كلها، وليس من اخبر كمن عاين** ...وهذا لا ينبغي أن يستريب فيه منصف لبيانه"[1].

ومن المالكية الذين أكدوا أن القاعدة مقرر عند جمهور المالكية محمد الراعي الأندلسي[2]، في كتابه انتصار الفقير حيث قال:" **انبناء المذهب المالكي على متابعة السلف**... وقال: ومذهب **الإمام مالك رحمه الله مبني على متابعتهم**... وقد كان مالكا يقول: لم يكن آخر هذه الأمة بأهدى من أولها"[3]. من كلامه نستنتج أن القاعدة أساس مقرر عند المالكية عموما وأكيدة عن الامام مالك.

و قال قاضي بغداد الإمام ابن القصار المالكي[4] رحمه الله:" **ويجوز عند مالك تخصيص الظاهر بقول الصحابي الواحد إذا لم يعلم له مخالف وظهر قوله لأن قوله يلزم فيجب التخصيص به لأنه يجري مجرى الإجماع** جميع ذلك مذهبه في تخصيص الآي وكذلك مذهب مالك في السنة إذا كان اللفظ بها عاما يخص مثل ما ذكرنا **مما** يخص به الكتاب"[5]؛ وهذا يدل على مدى أهمية منهج السلف في مذهب مالك.

وفي تقرير القاعدة قال القاضي أبو الوليد الباجي المالكي رحمه الله:" **إذا اختلف الصحابة على قولين لم يجز إحداث قول ثالث هذا قول كافة أصحابنا** وأصحاب الشافعي"[6]؛ فنقل الخلاف عن

---

[1] – ابن العربي؛ أحكام القرآن، المصدر السابق، ج1/ ص22.

[2] – محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي، ثم القاهري، شمس الدين، أبو عبد الله، المعروف بالراعي: نحوي، من كتبه: "الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية "، و "انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك "، توفي: 853 هـ. ينظر: الضوء اللامع ج 9/ص203، وشذرات الذهب ج7/ص 278.

[3] – محمد الراعي الأندلسي؛ انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الامام مالك، تحقيق: أبو الأجفان، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، [د.ت]، ص243، 244.

[4] أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي المالكي من فقهاء المالكية، من كتبه: "عبون الأدلة"، توفي: 398هـ، ينظر: الديباج ج2/ص100، شذرات الذهب ج3/ص199.

[5] – ابن القصار أبو الحسن علي بن عمر؛ المقدمة في أصول الفقه، تحقيق: مصطفى مخدوم، ط1، دار المعلمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 1999م.، ص79.

[6] – الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي؛ الإشارة في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.، ص113.

الصحابة أولى من الاجتهاد والقياس عند المالكية وهذا مما يؤكد التزامهم بقول الصحابة واعتبارهم إياه مصدر من مصادر التشريع.

وفي بيان موقف المالكية من القاعدة قال الشاطبي رحمه الله :""**ولما بالغ مالك في هذا المعنى – يقصد التأسي والإتباع– بالنسبة إلى الصحابة أو من اهتدى بهديهم واستن بسنتهم جعله الله تعالى قدوة لغيره في ذلك** ، فقد كان المعاصرون لمالك يتبعون آثاره ويقتدون بأفعاله ببركة اتباعه لمن أثنى الله ورسوله عليهم وجعله قدوة"[1]، والعبارة تدل على قيمة منهج السلف عند المالكية في الشرائع والعقائد ويؤكد تقرر القاعدة عنهم.

قال الإمام أبو بكر محمد ابن يونس التميمي في كتابه "الجامع" المشهور بمصحف المذهب المالكي:" **ويلزم تسليم السنن وأن لا تعارض برأي ولا ترفع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا، ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه و رأوه في الحوادث**، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله. وكل ما قدمنا ذكره هو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول مالك رضي الله عنه، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه"[2]. وقد ذكر هذا كله بحروفه الإمام ابن أبي زيد القيرواني في اختصاره لمدونة الإمام مالك في آخر كتاب.

كما نقل لنا المالكي الشهير في المغرب الإسلامي أبو عيسى سيدي الوزاني[3]، وبين أن هذا الأصل هو سفينة النجاة ومركب السعادة، **ومن أراد الإخلاص مع مولاه فلا يتجاوز السنة... المذكورة عن البي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، جمهور الصحابة**، والتابعين وتابعيهم

[1] – الشاطبي؛ الموافقات، المصدر السابق، ج4/ ص80.

[2] – أبو بكر التميمي؛ الجامع، المصدر السابق، ج24/ ص63.

[3] – محمد المهدي بن محمد بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، أبو عيسى: مفتي فاس وفقيهها في عصره. من المالكية، من كتبه: "الكواكب النيارة " حاشية على شرح ميارة للدر الثمين، و "المعيار الجديد "، توفي: 1342 هـ. ينظر: فهرس المؤلفين ص 291 و 292 ومعجم المطبوعات ص1915 – 17 وشجرة النور ص 435.

إلى هلم جراً..."[1]؛ فكلامه بين لنا تقرر القاعدة وثبوتها، ورسم لنا منهج التلقي وتقرير مسائل الديانة كلها هو الاستناد إلى السلف الذين وافق كلامهم السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ذُكرت هذه القاعدة عند متقدمي المالكية والمتأخرين أيضا واعتبروها أصلا لا محاذاة عنه ولا مفارقة له ومن الذين أقروها صاحب جوهرة التوحيد حيث قال:

فكل خير في اتباع من سلـف ** وكل شر في ابتداع من خـلف.**

وكل هدي للنـــبي قد رجـــح **** فما أبيح افعل ودع ما لم يبـــح.

فتابع الصالح ممـــن سلفـــا ** وجانب البدعة ممـــــن خلفا.**

قال اللقاني في شرحه: أي:" (اتباع من سلف)، **ما تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم خصوصا الأئمة الأربعة المجتهدين من أرباب المذاهب المشهورة...**[2]؛ وهذا بيان صريح أن المنهج القويم في تقرير عقائد التوحيد في اتباع السلف وترك ابتداع من خالفهم من الخلف.

وقد ذكر الاحسائي في نظمه جوهرة التوحيد ما يؤكد القاعدة وأن العقيدة الصحيحة هي التي تكون على هدي وفهم السلف، بعد أن فصل في مسائل العقيدة وقضاياها قال لنا في البيت الثاني بعد المائة ما يؤكد القاعدة:

100-ودونك من نظم القريض قصيـدة **** وجيزة ألفاظ جناها مُـــذلل.

101-بديعة حســـن يشبه الدر نظمهـا **** ولكنه أحـلى وأغلى وأجمـــل.

102-عقيدة أهل الحق والسلف الأولى ** عليهم لمن رام النجاة المعول.**

---

[1] – الفاسي أبو عيسى سيدي الوزاني؛ النوازل الصغرى، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1417هـ/ 1996م، ج1/ ص100.

[2] – اللقاني عبد السلام بن إبراهيم؛ اتحاف المريد بجوهرة التوحيد، ط1، دار المعرفة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1438هـ/ 2016م، ص180، 181.

فقد تقرر في هذا البيت الأخير هنا أن من رام وأراد من الناس النجاة بمعرفة العقيدة الصحيحة المنجية عند رب العالمين عز وجل فعليه بعقيدة السلف الصالح.

وقال علي بن إسماعيل الأشعري[1] في الابانة ما تتقرر به القاعدة وتتأكد، وصرح بمنهج معرفة وتلقي الدين شريعة وعقيدة فقال:" **قولنا الذي نقول به، ودينتنا اليي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن السادة الصحابة والتباعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون**..."[2].

وتقررت القاعدة عند الطيبي[3] في الحاشية على الكشاف واستدل على ذلك بقول الله عز وجل: (وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ)، فقال:" **وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه، والاقتداء بآثارهم** في قوله صلى الله عليه وسلم: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد، مستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثمّ كان تبيانا لكل شيء.

وفي تفسير قول الله تعالى:" أنا ومن اتبعني: قال الخازن اسنادا إلى الأئمة ومنهم مالك بن أنس قول يؤكد القاعدة:" على بصيرة أنا ومن اتبعني بعدي أنا على بصيرة ومن اتبعني أيضا على بصيرة قال ابن عباس **إن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية وهم معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن**... وهو قول الأئمة مالك والشفعي وأهل التأويل"[4]؛ فبعد نقله لقول ابن عباس أشار إلى أنه قول الأئمة ومنهم مالك بن أنس في تقرير القاعدة.

---

[1] – علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصح أبي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، من كتبه: "مقالات الإسلاميين " و " الإبانة عن أصول الديانة "، توفي: 324 هـ. ينظر: طبقات الشافعية ج 2/ص245، والوفيات، ج 1/ص 326.

[2] – أبو الحسن الشعري؛ الابانة، المصدر السابق، ص43.

[3] – لحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان من كتبه: "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب " و "شرح مشكاة المصابيح"، توفي: 743 هـ. ينظر: الدرر الكامنة ج2/ ص 68 ، والبدر الطالع ج 1/ ص 229.

[4] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج2/ ص559.

وقد اعتبر ابن جزي قول الصحابة في التفسير من أكبر أسباب الترجيح خصوصا إذا كان من الصحابة العلوم عليهم بقوة العلم بالقرآن واشتهارهم بالتفسير أو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر الأول: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال. الثاني: حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم: فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه. لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح. الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإنّ كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه. **الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس**"[1].

وقد اعتبر الثعالبي[2] -كما صرح به في مقدمة تفسيره- أن الصحابة أكثر الناس فهما للقرآن الكريم والأعلم بتفسيره وبمعانيه، وأفصح الناس وأعلمهم باللغة العربية ومن ذلك اعتبر تفسير الصحابة حجة سابقة وراجحة على من جاء بعدهم فقال:" نزل القرآن عربيا على رسول عربي، وقوم عرب هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته، **فكانوا أخبر بلغتهم، وفهموا القرآن حق فهمه،** وقد يشكل عليهم فهم آية منه فيرجعون إلى القرآن نفسه، فقد يجدون فيه توضيحا أو تفصيلا، وإلا رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليفسر لهم ما أشكل عليهم ..."[3]، ومن هذا الاعتبار قرر أن ابن عباس مرجع في التفسير في عصره وبعد عصره يجب العودة إلى قوله، ومن خالفه فقد خالف الحق فقال:" وهي إن دلت فإنما تدل على سعة علمه بلغة العرب، وقوة ذاكرته مما جعله إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية لعصره، وهو إمام مدرسة التفسير في مكة، وأول من ابتدع الطريقة اللغوية في تفسير القرآن"[4].

---

[1] – ابن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1995م ، ج1/ ص19.

[2] – عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي/صاحب التصانيف، اختصر تفسير ابن عطية، وشرح ابن الحاجب الفرعي، وكان واعظا، مات سنة 875هـ، أنظر: الضوء اللامع، ج4/ص152، ونيل الابتهاج: ج1/ص257.

[3] – الثعالبي؛ الجواهر الحسان، المصدر السابق، ج1/ ص50.

[4] – الثعالبي؛ الجواهر، المصدر السابق، ج1/ ص19.

ونلاحظ الشنقيطي[1] قد أستدل على حكم من أحكام الشريعة واعتبره حكما ثابتا بسبب اجماع الصحابة عليه وقبولهم إياه فقال في حكم وطء المملوكات:" **فمقتضى السنة وعمل الصحابة في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبعده** جواز وطء المملوكات على أي دين كن، وهذا مذهب طاووس وغيره، وقواه صاحب «المغني» فيه ورجح أدلته، وبالله التوفيق"[2].

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

قاعدة اعتبار تقريرات السلف أصل من أصول المنهج في تقرير العقيدة مسائلا وقواعدا، والذي ينبغي تبنيه والالتزام به، كما بينا من قبل من خلال أقوال العلماء، وأنه منهج أئمة المالكية واختيارهم، ينتج عنها فوائد عظيمة ومتنوعة في حفظ العقيدة من الشبهات وفي ضبط مسائل العقيدة ويمكن تلخيصها في فوائد تتعلق بالعقيدة ذاتها، وفوائد تتعلق بالمؤمن وبالأمة:

أ/**فوائد تتعلق بالعقيدة:** والمقصود بكونها تتعلق بالعقيدة: أثر الالتزام بالقاعدة في حفظ العقيدة ويظهر ذلك في نقاط وهي:

– رسم اطار كلي تجتمع فيه العقائد وتنضبط في صورة تمكن العقل من استيعابها لتكون قاعدة كلية تواجه شبهات مختلفة قد تحاول خرق مسألة من مسائل العقيدة.

– توحيد الرؤية الشرعية وضبطها في اطار تاريخي يؤكد رسوخ الشريعة الاسلامية وترابطها عبر الأجيال من عهد النبوة إلى حصرنا الحاضر.

– تأكيد الخصوصية في المنهج واثبات أن المنهج الاسلامي هو المنهج الأوثق والأقدر على حفظ مسائل العقيدة والذي يمكن تعميمه على كل العلوم المتشابهة، مثل العلوم الانسانية والاجتماعية التي تتخبط إلى يومنا هذا في مشكلة المنهج وعدم امكانية ضبطه في اطار منسق موضوعي.

فوائد تتعلق بالمؤمن والأمة: والمقصود هنا أثر هذه القاعدة في قلوب المؤمنين وعلى الأمة من جهة حفظ العقيدة ومن جهة تحقيق الخصوصية والمطلوب بأحسن منهج وأقومه ومنها:

---

[1] – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) . من كتبه: منع جواز المجاز ، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب ، توفي: 1393 هـ، ينظر: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، معجم المفسرين ج2/ ص496.

[2] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج1/ ص239.

- ربط عقيدة المؤمن بعقائد السلف وأصول الأمة وهذا يؤكد أصالة العقيدة وامتدادها في التاريخ وصحتها من جهة أنها متوارثة وأكيدة من جيل إلى الجيل الذي قبله إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

- ترسيخ العقيدة في قلب المؤمن باعتبارها عقيدة التزم به الصحابة الذين شهد لعهم الله عزو جل بالصدق ورضي عنه وأرضاهم بالجنة، في آيات كثيرات من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الصحيحة.

- ترسيخ هوية الأمة وتقوية حبلها المتين من خلال توارثها الذي يدل على اتفاق العقيدة والمصير والعهد بين ماضي الأمة وحاضرها وبين حاضرها ومستقبلها.

- تحقيق الثقة للأمة والأفراد أن منهج الاسلام يحقق الثقة في مستقبل الأمة والثقة في أنه المنهج الذي تصلح به آخر الأمة كما قد صلحت به أولها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: قواعد العقائد التي قررها الأئمة المالكية في باب الالهيات.

المبحث الأول: القاعدة الأولى.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الرابع: القاعدة الرابعة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الخامس: القاعدة اخامسة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث السادس: القاعدة السادسة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

خاتمة الفصل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: قواعد العقائد التي قررها المالكية في باب الالهيات:

المبحث الأول: القاعدة الأول: [وجود الله معلوم بالفطرة وتوحيد الربوبية أكثر تحققا بين الناس من الأقرار بتوحيد الألوهية]:

المطلب الأول: تصور القاعدة:

التأمل الموضوعي الذي يتأسس على حضور القلب ،والتفكر المبني على الاستجابة لقوله عز وجل: **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢٤﴾ ﴾** [1] **و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ ﴿١٧﴾** [2] ينتبه ومن الوهلة الأولى أن الوجود بما فيه من أكوان ومخلوقات عديدة ،والعقل بما يحتويه من قواعد وأفكار سديدة ،والأنفس وما تقتضيه من فطرة وجبلة سليمة قال صلى الله عليه وسلم:" يولد على الفطرة..."[3]؛ وهي فطرة الإسلام والتوحيد، التي ضدها انتكاس[4] أدلة قاطعات وبراهين ناطقات ناصعات على وجود خالق قدير خبير عليم ،دبر الكون بما فيه وهو يتحكم به وبما يحتويه مما علمنا وما لم نعلم من مخلوقاته سبحانه –عز وجل– والأدلة على ذلك كثيرة وقد جعلها العلماء أصناف وأنواع وهي في الجملة، شرعية من القرآن والسنة، وعقلية. وفطرية وكونية.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

القاعدة تتضمن مصطلحات فقهها واجب من أجل فقه القاعدة وعليه يجب بيان بعض مقتضيات القاعدة، وبالخصوص قضية اثبات وجود الله، وقد تبينت طرق ذلك من القرآن الكريم حيث بين الله عز وجل وسيلة ذلك وأمر بالنظر في الأنفس والآفاق وفي آياته الكونية والشرعية لتعلم القلوب السليمة والعقول القويمة والفطر المستقيمة أن وجود الله أكيد لا ريب فيه.

أ–طرق اثبات وجود الله وتوحيد الربوبية:

الأول: دلالة الفطرة على الربوبية ووجود الله: دليل الفطرة من الأدلة التي نَبَّه عليها القرآن الكريم، فالفطرة السليمة مغروز فيها الإقرار بوجود الرب الخالق، والنفوس الإنسانية تشهد بضرورة وجود الخالق

---

[1] – سورة محمد؛ الآية: 24.

[2] – سورة الغاشية: 17.

[3] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1385، ومسلم؛ رقم: 2386.

[4] – علي بن خلف بن بطال؛ شرح صحيح البخاري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2/ ص231.

عز وجل، والذي عليه جمهور علماء الأمة أن الإقرار بالخالق فطري[1] ضروري مغروز في الجبلة، وإنكار الصانع وجحده في العقول والنفوس بمنزلة إنكار العلم وجحده ولا فرق بينهما، ولا يوجد عاقل يشك لحظة في وجود خالق السموات والأرض، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴿١٠﴾ ﴾** [2]؛ إن وجوده عز وجل أوضح أظهر من أن يستدل عليه[3]؛ يقول ابن القيم" ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم يَرَ ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما". ويضيف" سمعت سيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية يقول: كيف يطلب الدليل على هو دليل على كل شيء، ثم قال:" وفي كتابه "مفتاح دار السعادة" يذكر ابن القيم كلاما مماثلا لما ذكره آنفا ثم يقول:" ففي هذا أعظم دلالة وأوضحها على أن العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدره أحس تقدير، ونظمه أحسن نظام"[4].

الثاني: دليل الربوبية بالعناية:

يقوم هذا الدليل على النظر في السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات وملاحظة ما فيهما من فعل معجز وتدبير محكم، وعناية وإتقان، مما يدل على وجود الرب الخالق الحكيم الذي أتقن كل شيء خلقه.

وقد ذكر أبو سليمان الخطابي مثل كلام ابن القيم السابق، ثم قال " وفي هذا دلالة واضحة، على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعاً حكيماً، تام القدرة بالغ الحكمة"[5]، وفي هذا بيان يقنع العقول ويؤكد لها أن الربوبية المعلومة تستلزم العبادة والتعظيم.

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري ابن زمنين؛ تفسير القرآن العزيز، ط1، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، 1423هـ/2002م، ج3/ص361.وينظر: محمد بن رياض الأحمد؛ أصول الاعتقاد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1433هـ* 2013م، ص152-155.، وينظر: شروحات صالح آل الشيخ، ص52-54.

[2] – سورة إبراهيم؛ الاية: 10.

[3] – القاضي عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض السبتي؛ إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1419 هـ/ 1998م.، ج8/ص150.

[4] – ابن القيم الجوزية؛ مفتاح دار السعادة، ط1– دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م، ج2/ ص124.

[5] – الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ط3، دار الثقافة العربية، 1412هـ/ 1992م، ص75.

الثالث: دلالة المعجزة:

كما استدل علماء الأمة بالمعجزة في إثبات وجود الله تعالى، والمقصود بالمعجزة ما جاء على أيدي الرسل عليهم السلام من الأمور الخارقة للعادة والطبائع، وقد تحّدوا بها المعاندين من الكفار والمشركين، ودلالة المعجزات على وجود الله تعالى من جهتين أولاهما: دلالتها على صدق الأنبياء وقد أخبروا بوجود الخالق عز وجل، وثانيهما: من جهة كون المعجزات حادثة ضرورة، ومخالفة للطبائع والعادات، والحادث المخالف يحتاج إلى المحدث الموجد[1].

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة.

الأدلة على هذه القاعدة وعلى مسائل الاعتقاد عموما كما بينا من قبل تقوم على دليل القرآن وما صح من السنة؛ فكل ما جاء من أقوال السلف والعلماء تبعٌ لذلك ويقاس عليه؛ فيستعمل كدليل للاستئناس لا للتأسيس ذلك كون العقائد من الأمور الغيبية التي تستدعي الوحي الرباني كما هو ثابت ومجمع عليه عند علماء الأمة، كما أن الله عز وجل جعل للعق مجالا في اثبات مسائل الاعتقاد وخاطبه في القرآن الكريم.

أ/ الدليل على القاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]، قال القرطبي في تفسيره:" قوله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) أي هم يعترفون بأن الله خالقهن فلم يعبدون غيره. (قل الحمد لله) أي على ما هدانا له من دينه، وليس الحمد لغيره. (بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا ينظرون ولا يتدبرون"[3]. وفي هذا التفسير أشار القرطبي إلى أنَّ الدليل الشرعي يدعو إلى الدليل العقلي ويقويه، وذلك من قوله (أي: لا ينظرون ولا يتدبرون). وهذه قاعدة صريحة، بأن العلوم بوجود الله فطري وأن توحيد الربوبية معلوم بالفطرة، ومن أدلة ذلك كون الإنسان يتوجه إليه بالدعاء بل

---

[1] – نور الدين الإمام؛ فتاوى علماء المالكية، المرجع السابق، ص341-346، وينظر: ابن القيم؛ مدارج السالكين، المصدر السابق، ج1/ ص58، وينظر: ابن تيمية؛ النبوات، ص158-170.

[2] – سورة لقمان، الآية: 25، 26.

[3] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر السابق، ج14/ص75.

وإلى السماء يرفع يديه تخصيصا مُقرًا بذلك بربوبيتِه –سبحانه وتعالى–وهذا الإقرار يشترك فيه الناس جميعاً والأدلة التي سقناها سابقاً كافية لتوضيح المعنى وتقريره، وللعلماء في ذلك الكلام الطويل والكثير، ومما يلحق هذا الكلام وما هو ثابت بالاستقراء أنَّ الناس في تقرير الربوبية أكثر وأسبق منه في تقرير الألوهية، بل ابليس اللعين أقر بالربوبية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1]، وجواب العقل السليم على هذا الخطاب هو: أنه مستحيل أن يُخلق الوجود من العدم، كما أنه من المحال أن يَخلق المخلوق نفسه، فيبقى الجواب الوحيد الصحيح وهو: أن له رب خالق وهو الله عز وجل، وهو مقتضى الفطرة وهو الإسلام[2].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُل مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[3]؛ فقال القرطبي في تفسيره:" قال الله تعالى: (قل) يا محمد جوابا لهم عما قالوه (لمن الأرض ومن فيها) يخبر بربوبيته وبوحدانيته وملكه الذي لا يزول، وقدرته التي لا تحول، ف (سيقولون لله) ولا بد لهم من ذلك. ف (قل أفلا تذكرون) أي أفلا تتعظون وتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على إحياء الموتى بعد موتهم قادر"[4].

ومن الآيات الكثير ما يؤكد هذا الشأن وفي مواضع مختلفة.

وجه الاستدلال من الآيات:

في هذه الآيات دليل على وجود والله وعلى ربوبيته للكون وكل من فيه، وفيها بيان على كون هذا الأمر معلوم للعقول وتُقره الفطرة وبالعقل وعليه وبين الله –عز وجل–اضطرار الخلائق جميعا إلى التسليم بالربوبية لأن الحجة أبلغ وأقوى من ان تُرَدَّ أو تُناقَش وأنَّ حجة من قال بالفيض أو قدم العالم أو الاحاد

[1] – سورة الطور؛ الآية: 35، 36.

[2] – لباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي؛ المنتقى شرح الموطأ، ط1، طبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1332هـ، ج7/ص232.

[3] – سورة المؤمنون؛ الآيات: 86-89.

[4] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر نفسه، ج12/ص145.

داحضة فاسدة، ومثل هذه الآيات في القرآن الكثير ومن الأحاديث النبوية كذلك كما سوف يأتي ذكره وهي متعددة ومتنوعة وفيها خطاب للعقل والفطرة والعلم والواقع، فتعددها فيه قوة في الاستدلال على صدق المسألة ومن جهة وعلى تقرر القاعدة من جهة أخرى، فهي قد شملت العقل والقلب والفطرة وخاطبة الانسان بالعلم والواقع وبالنصوص السمعية الواضحة.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الصحيحة:

– عن أب هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالم:" «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء»[1].

– عن البراء بن عازب، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، **فأنت على الفطرة**، واجعلهن آخر ما تتكلم به "[2]؛ وقد أوضح العلماء أن هذه الفطرة هي دين الله الإسلام، وهي المغروسة في فطر الناس ويولدون عليها[3].

– حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، قال ابن شهاب: «يصلى على كل مولود متوفى، وإن كان لغية، **من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام**، يدعي أبواه الإسلام، أو أبوه خاصة، وإن كانت أمه على غير الإسلام، إذا استهل صارخا صلي عليه، ولا يصلى على من لا يستهل من أجل أنه سقط» فإن أبا هريرة رضي الله عنه [ص:95]، كان يحدث، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[4].

– في حديث ابن نمير: «**ما من مولود يولد إلا وهو على الملة**» وفي رواية أبي بكر، عن أبي معاوية: «إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه» وفي رواية أبي كريب، عن أبي معاوية: «ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة، حتى يعبر عنه لسانه»[5]، وهي فطرة الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، وأمر به[6].

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1385، ومسلم؛ رقم: 2386.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 274، وأخرجه مسلم؛ رقم: 2658.

[3] – عبد الله بن أبي جمرة؛ بهجة النفوس بمعرفة ما لها وما عليها، ط1، دار المعرف، ص267.

[4] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1385، ومسلم؛ رقم: 2386.

[5] – أخرجه مسلم؛ رقم: 2658.

[6] – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي؛ التمهيد، ط1، المملكة المغربية، 1407هـ، ج18/ص72.

– عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، **وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"[1]، فالفطرة هي التوحيد، ثم جاء الشرك خلافا للفطرة، والذي من وساوس الشياطين.

وجه الاستدلال من الأحاديث: كل هذه الأحاديث جعلها علماء الحديث في مصنفاتهم في باب معرفة الله بالفطرة، ووجه الدلالة الصريحة من الأحاديث أن الله عز وجل لما خلق العباد، جعل فطرتهم مؤمنة بوجوده وبربوبيته، والفطرة هي المعرفة الأولية التي في فطر الناس وجبلتهم التي جبلها الله عز وجل عليهم، وهذا هو مضمون القاعدة ومدلولها الذي نريده للاستدلال والبرهان فالمعرفة الفطرية تستلزم بالضرورة إفراد العبادة لله كما اتفق على ذلك سلف الأمة وأئمتها، وأن الوقوف على الفطرة يكفي لمعرفة وجود الله، ولا يستوجب الطرق التي يذكرها أهل النظر[2].

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

أشرنا فيما سبق إلى قضية تعدد الحجج في اثبات وجود الله، بينا أن العقول السليمة تقر بوجود الله، وكذلك الفطر، والله عز وجل قد خاطب عقولنا في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، وأمرها بالنظر والاستدلال والتفكر، الأنفس والآفاق، لتتقن أكثر مما هو فيها بالفطرة، أن للكون خالق، وأنه مربوب مخلوق.

لقد ذكرنا من قبل أن العقل يقر بوجود الله والفطرة كذلك كما لم يتجاهل علماء الأئمة العقل عكس ما يدعي بعض أدعياء الفلسفة قديما والفكر حديثا، بل جعلوا للعقل المكانة العالية وانزلوه المنزلة التي أمر الله بها أن تكون، وأدرجوه ضمن الكليات الواجب حفظها، باعتبار أنه شرط التكليف وسبب فهم الشرائع ووسيلة من وسائل الدفاع عنها وحفظها، لذا استعمل علماء المالكية الدليل العقلي لإثبات وجود الله تعزيزا للدليل الشرعي من جهة وعملا بمقتضى الأمر الإلهي من جهة أخرى إذ أمر الله تبارك وتعالى الانسان بالنظر والتفكر فقال: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ

---

[1] – أخرجه مسلم؛ رقم: 2865.

[2] – ابن تيمية؛ نقض تأسيس الجهمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصي وولده، ج5/ ص473، وينُظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ج6/ ص350.

رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم وقد سبق ببيانه.

كما أنَّ الفطرة السليمة تستسلم للنصوص الشرعية المؤكدة لوجود الله، والمقررة بأن الكون له رب خالق مدبر يتصرف في دقائقه وعظائم ما فيه، بل إن الفطرة تبين ميل الانسان إلى افتراض وجود الله، وإلى التيقن بذلك بالفطرة ودون أن يبحث، فلو سألنا أبعد الناس عن العلم والحضارة واختبرناه وقلنا له سائلين: هل تعتقد أن الكون جاء من العدم ومن الصدفة أو اوجد نفسه بنفسه؟ لأجاب مباشرة: مستحيل أن يكون كذلك بل يجب أن يوجده موجد عظيم عليم وحكيم.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

المقصود من هذه القاعدة أنَّ الناس في تسليمهم بوجود الله وفي اقرارهم توحيد الربوبية أسبق من جهة وأن الطرق متعددة وكثيرة في اثبات ذلك من جهة أخرى؛ لأنهم يعلمون ذلك علما لدُنياً فِطرياً أوَّلياً، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] ، قال بن أبي زمنين في تفسيره:" {فأقم وَجهك} اي: **وجهتك {للدّين حَنِيفا} أَي: مخلصا. {فطرت الله الَّتِي فطر} خلق {النَّاس عَلَيْهَا}**، والشاهد في تفسيره فطرت الله بقوله خلق الله، أي أنَّ بالفطرة جعل الناس مسلمين أن الله رب العالمين موجود،

ومن المالكية القرطبي:" قوله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله) فيه ثلاث مسائل: الأولى–قال الزجاج:" فطرت" منصوب بمعنى اتبع فطرة الله. قال: لأن معنى" فأقم وجهك للدين" اتبع الدين الحنيف واتبع فطرة الله. وقال الطبري[3]:" فطرت الله" مصدر من معنى:" فأقم وجهك" لأن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة. وقيل: معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس له، وعلى هذا القول يكون الوقف على" حنيفا" تاما. وعلى القولين الأولين يكون متصلا، فلا يوقف على" حنيفا"

---

[1] – سورة الغاشية؛ الآية: 17–20.

[2] – سورة الروم؛ الآية: 30.

[3] – محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. من كتبه: "أخبار الرسل والملوك"، "جامع البيان في تفسير القرآن"، توفي 310 هـ ينظر: تذكرة الحفاظ ج2/ص 201 ، وطبقات السبكي، ج 3/ص 120، والبداية والنهاية، ج 11/ص 165.

وسميت الفطرة دينا لأن الناس يخلقون له"[1]، قال محمد: (فطرت الله) بمعنى: **اتبع فطرة الله**"[2]، فالله جعل هذه الفطرة في قلوب الخلق رحمة منه لكي يسهل عليهم معرفة ربهم والشعور بقوته وربوبيته وحفظه ولكي تكون دليلا على توحيد الألوهية الذي هو الأصل الذي خلق الله الانس والجن ومن أجله قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[3]والمقصود من أنه أشمل وأكثر هو أن الناس في التسليم به أكثر عددا اذ أقر به حتى الكفار ومن لم يوحد توحيد العبادة أصلاً، ولأن من ينكر توحيد الربوبية قليل في الحقيقة إلا من انتكست فطرته وخرجت عن طبيعتها، والدليل أنَّ الله بعث الرسل ليعلموا الناس ويدعوهم لتحقيق توحيد الألوهية.

وممن نقل أقوال المالكية في تفسير أن الفطرة التي جَبَلَ الله عليها العباد هي الإسلام أبن عبد البر فقال:"...وقال آخرون: **الفطرة ههنا الإسلام، قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من اهل العلم بالتأويل**، فقد أجمعوا في قوله –عز وجل-:(فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا)، على أن قالو: فطرة الله دين الله الإسلام"[4]، والأحاديث والآيات في هذا السياق كثيرة متواترة، رأينها في أدلة القاعدة مع الإشارة إلى الشروح والتفاسير في المطلب السابق.

وقد بين أئمة المالكية وأقروا في مواضع كثيرة أنَّ الفطرة هي دين الإسلام، وأن الربوبية معلومة بالجِبِلَّة، فلما ذكر الإمام مالك حديث أولاد المشركين واحتجاج المعتزلة (القدرية) به على أنَّ الكفر والمعاصي ليستا بقدر الله، بل مما فعله الناس، لأن كل مولود يولد على الفطرة، وكفره بعد ذلك من الناس، فقال:" احتجوا عليهم بآخره، وهو قوله:(**الله أعلم بما كانوا عاملين**)[5]؛ فردَّ عليهم مالك بآخر الحديث الذي يبين أنَّ الفطرة عنده الإسلام، لأن القدرية قلوا: إنَّ كل مولود يولد على الفطرة سليماً، وأمَّ كفره فقد يحصل من الناس، فأثبت لهم بما في آخر الحديث، أنَّ كل شيء بقدر الله –عز وجل- فإذا كان قد يولد على الفطرة التي هي الإسلام، فكذا تغيره –أي كفره- بعد ذلك بقدر الله، وإن كان ثمة

---

[1] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج14/ص24.

[2] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري ابن زمنين؛ تفسير القرآن العزيز، ط1، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، 1423هـ/2002م، ج3/ص361.

[3] – سورة الذاريات؛ الآية: 56.

[4] – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي؛ التمهيد، ط1، المملكة المغربية، 1407هـ، ج18/ص72.

[5] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1383، ومسلم، رقم:2659.

أسباباً لهذا التغيُّر من الأبوين وغيرهما؛ فيبقى الأصل أن المقصود بالفطرة الإسلام وهو الاعتراف الجبلي بوجود الله.

ومما يستدل به في هذا الباب حديث عياض بن حمار–رضي الله عنه–عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما روى عن ربه تعالى أنه قال:" خَلَقتُ عبادي حنفاء، فاجتابتهم الشياطين، وحرَّمَتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزِّل به سلطاناً...(الحديث)"[1]

وفي السياق قال ابن تيمية:" ولما كانت النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم إلى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة؛ كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم من جهة ألوهيته، وكان الدعاء له والاستعانة والتوكل عليه منهم أكثر من العبادة والإنابة إليه، ولهذا بعث الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم للإقرار بالربوبية"[2]، قال ابن وهب[3]: سمعت ما لكاً قيل له: إنَّ أهل الأهواء يحتجون علينا بهذا الحديث. قال مالك:" احتج عليهم بآخره " قالوا: أرأيت من يموت وهو صغير؟ قال:" الله أعلم بما كانوا عاملين"[4].

ولقد ترجم الإمام في موطئه:" باب ما جاء في السنة في الفطرة"[5]، لحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:" خَمسٌ من الفطرة: تقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، والاختتان"[6]. قال أبو الوليد الباجي –مبيناً المعنى الذي يريده الإمام مالك– :" **قوله: خمسٌ من الفطرة: يريد –والله أعلم– من سنة الدين الذي يوصف بأنه الفطرة**، قال الله –عز وجل– ﴿ **فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ**

---

[1] – أخرجه مسلم؛ رقم:2865.

[2] – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية؛ قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة، تحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البُصيري، ط1، دار العلصمة للنشر والتوزيع، 1418هـ/1997م، ص68.

[3] – عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد: فقيه من الأئمة. من أصحاب الإمام مالك. جمع بين الفقه والحديث والعبادة. له كتب، منها " الجامع " في الحديث، مجلدان، و " الموطأ " في الحديث، كتابان كبير وصغير. وكان حافظا ثقة مجتهدا. توفي: 197 هـ. ينظر: تهذيب ج6/ ص71، الوفيات ج1/ ص249.

[4] – أخرجه أبو داوود؛ رقم: 4715،

[5] – الإمام مالك؛ الموطأ، ج2/ص702.

[6] – أخرجه البخاري رقم 5889، ومسلم؛ رقم 257.

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ

﴿٣٠﴾، يريد والله أعلم: **الدين الذي ولدوا عليه، وخُلقوا عليه**"[1]؛ وهي دلالة واضحة على القاعدة.

وفي توضيحه لمعنى حديث:" كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه"[2]، قال الباجي:" ومعنى الحديث في الشرع: **الحالة التي خلقوا عليها من الإيمان والمعرفة به والإقرار بالربوبية، فأبواه هما اللذان يصرفانه عن الفطرة، وما خُلق عليه من الإيمان** إلى دين اليهودية والنصرانية"[3]. وكل هذا يثبت القاعدة ويبين تقرير الأئمة المالكية لها وأنَّ الربوبية معروفة بالفطرة عند جميع الناس، وما يحصل من خروج عنها إنما بأسباب مفسدة لها –وهي لا تخرج عن قدر الله–كما تقرر ذلك عند مالك.

كما نقل ابن عبد البر[4] عن سحنون[5] في مسألة الطفل يحكم بكفره بأبويه، فإذا لم يكن بين أبويه كافرين فهو مسلم، ووجه ذلك أنَّ الله تعالى قد أخذ عليهم العهد بقوله –تعالى–: ((ألست بربكم قالوا بلى))[6]. الآية. فمراد سحنون ظاهر في أنه يحكم:" **بالميثاق الذي أخذه الله على العباد، وأقروه به قبل خروجهم إلى الدنيا، فحكم بإسلام الطفل، مما يبين أنَّ الإسلام هو الذي فطر عليه جميع الخلائق**"[7]؛ فالميثاق هو الإسلام والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد.

وفي التمهيد أيضا قال:" من أحسن ما رُوِي في تأويل قوله –عز وجل–:((وإذ أخذ ربك من بني ....)) الآية: حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– عن ناس من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– في قوله –عز وجل–((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...)) قال:" لمَّا أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج منها ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ

---

[1] – الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي؛ المنتقى شرح الموطأ، ط1، طبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1332هـ، ج7/ص232.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم 1385.

[3] – الباجي؛ المنتقى، المصدر السابق، ج2/ص33.

[4] – يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب، من كتبه: "الدرر في اختصار المغازي والسير "و " العقل والعقلاء " و " الاستيعاب " في تراجم الصحابة، و " جامع بيان العلم وفضله توفي: 463 هـ، ومن أعظم كتبه التمهيد وكتاب الاستذكار. ينظر: بغية الملتمس 489 ووفيات الأعيان ج2/ ص348.

[5] – عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون: قاض، فقيه، انتهت إليه رياسة العلم في المغرب، روى " المدونة " في فروع المالكية، عن عبد الرحمن بن قاسم، عن الإمام مالك، توفي: 240 هـ. ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص26، الوفيات ج1/ص291.

[6] – ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1379هـ.، ج3/ص249.

[7] – عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن العرفج؛ جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة، رسالة جامعية مطبوعة، ط1، دار التوحيد للنشر، المملكة العربية السعودية، 1428هـ/2007م، ص155.

كهيئة الذر، فقال ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك قوله: أصحاب اليمين والشمال؛ ثمَّ أخذ منهم الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى؛ فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقية؛ فقال هو والملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة: إنَّا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل؛ قالوا: **فليس احد من ولد آدم إلاَّ وهو يعرف الله أنه ربَّه**، وذلك قوله –تعالى–﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]، وذلك قوله:﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[2]، يعني: يوم أخذ الميثاق"[3]؛ وقال السهيلي[4] في تفسير قوله تعالى((وإذ اخذ ربك من بني آدم...)): **وذلك أنَّ العهدَ الذي هو الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله، فكل مولود يولد على تلك الفطرة**، وعلى ذلك الميثاق، فلولا أنَّ أبويه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه حتى يسودَّ قلبه بالشرك لما حال عن العهد"[5].

وفي شرح الحديث السالف الذكر"كل مولود يولد على الفطرة..."[6] قال القاضي عياض:" أي: تولد متممة الخلق، سالمة من النقص والتغيير، ولم يلحقها جدع، وهو قطع الأذن وغير ذلك، إلاَّ بعد ولادتها... **والفطرة: هي ما فطر عليه العبد في أصل خلقته وابتدائها، قبل معرفته بشيء من بني آدم، من التهيُّؤ لقبول الهداية، والسلامة من ضد ذلك**، حتى يدخل عليه من أبويه وقريبه ومربيه وقرينه ما يغيره عن ذلك..."[7].

ويقوي هذا القول عن الفطرة اختيار القرطبي وبعد أن أشار إلى الأقوال المختلفة في تعريف الفطرة ثم رجح أنها الإسلام؛ فقال:" اختلف الناس في الفطرة المذكورة في القرآن؛ لأنَّ في القرآن **قَالَ**

---

[1] – سورة آل عمران؛ الآية: 83.

[2] – سورة الأنعام؛ الآية: 149.

[3] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج18/ص86.

[4] – انظر: تذكرة الحفاظ، ج4/ص1348، والديباج: ص246.

[5]– عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حسين بن سعدون السهيلي؛ الروض الأنف، ط1، مكتبة ابن تيمية، مصر، القاهرة، 1410هـ، ج2/ص275.

[6] – سبق تخريجه: ص34.

[7] – القاضي عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض السبتي؛ إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1419 هـ/ 1998م.، ج8/ص150.

تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [1]، وأما الحديث فلا؛ لأنه أخبر في بقية الحديث بأنها تبدل وتغير، -بفعل أبويه ومخالطة الناس-... ومعنى الحديث أنَّ الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات؛ فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، **ودين الإسلام هو الدين الحق، وقد جاء ذلك صريحا في الصحيح: جَبَلَ الله الخلق على معرفته، فاجتابتهم الشياطين**..."[2]؛ فالله عز وجل فطر الناس على التوحيد حنفاء في أصل خلقتهم ثم أجنفتهم الشياطين عن التوحيد إلى الشرك.

ومما يتضح به المقال ما نقله ابن حجر العسقلاني[3] عن الطيبي المالكي أنَّ المراد بالفطرة:" **تمكن الناس من الهدى من أصل الجبلة، والتهيؤ لقبول الدين**، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها؛ لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية، كالتقليد... وإلى هذا مال القرطبي[4] في المفهم"[5].

فمعرفة وجود الله معلوم بالفطرة وتوحيد الربوبية أقر به الخلائق إقرارا فطريا جبليا لأنه الله —عز وجل- جعله في أصل خلقتهم ويشمل هذا الكافر والمؤمن والعالم والجاهل، وهذا ما قرره المالكية قاعدة من قواعد العقيدة الثابتة، وقد ذكر ابن عبد البصري:" **أنَّ الخلق يقرون بربوبيته، وإنما جحدوا معرفة التوحيد الذي تعبدهم به على ألسنة السفراء**..."[6]. وهذا ما سيأتي بيانه في القاعدة الثانية وأن توحيد الربوبية حجة على وجوب الإقرار بتوحيد الألوهية.

---

[1] – سورة الروم؛ الآية: 30.

[2] – المفهم، ج6/ص675.

[3] – أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة "، و:"لسان الميزان " فتح الباري في شرح صحيح البخاري، توفي: 852هـ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر.

[4] – أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث. يعرف بابن المزين. كان مدرسا بالإسكندرية وتوفي: 656 هـ، من كتبه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. ينظر: البداية والنهاية 13: 213 ونفح الطيب 2: 643.

[5] – جمال الدين القاسمي؛ دلائل التوحيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1996م، ص22.

[6] – ابن تيمية؛ درء تعارض العقل والنقل، المصدر السابق، ج8/ص509.

ومن المالكية القرطبي في تفسيره الجامع حيث فسر قوله تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] ، ذكر القرطبي[2] في تفسيره للآيات الثلاثة:" **في مركوبه، ثم يمد بصره إلى السماء ثم إلى الأرض. فأمروا بالنظر في هذه الأشياء، فإنها أدل دليل على الصانع المختار القادر**"[3]. أي أن في هذه المخلوقات دليل على وجود خالق قادر مريد حكيم وهو الرب سبحانه، كما قد أشار القرطبي في التفسير إلى أنَّه ومن الدلة على وجود الله دليل الحس وهو في قوله :(ثم يمد بصره إلى السماء ثم إلى الأرض. فأمروا بالنظر في هذه الأشياء)، والواقع حيث أمر الله تبارك وتعالى بالتأمل في جميل مخلوقاته وغريبها وعظيمها وكثيرها.

وممن اقر بالقاعدة من أئمة المالكية ابن جزي حيث بين أنَّ جميع الخلائق تقر بربوبيته –سبحانه وتعالى– فقال:" اعلم أنَّ العالم العلوي والسفلي كله محدث بعد العدم، شاهد على نفسه بالحدوث، وشاهد لخالقه بالقِدم، وذلك لما يبدو عليه من تغير الصفات وتعاقب الحركات والسكنات، وغير ذلك من الأمور الطارئات، وكل محدَث لا بد له من محدِث أوجده، وخالق خلقه، إذا لا بد لكل فعل فاعل، فجميع الموجودات من الأرض والسماوات والحيوان والجبال... وكل صغير وكبير: تظهر منه آثار الصنعة ولطائف الحكمة والتدبير، ففي كل شيء دليل ساطع وبرهان قاطع علو وجود الصانع، وهو ربُّ العالمين، خالق الخلق أجمعين، الملك الحق المبين ... فما أعظم برهان الله، وما أكثر الدلائل على الله، **وحسبك الفطرة التي فطر الناس عليها، وما يوجد في النفوس ضرورة من افتقار العبودية، ومعرفة الربوبية،** قال الله –عزَّ وجلَّ–:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

---

[1] – سورة الغاشية؛ الآية: 17-20.

[2] – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. توفي:671 هـ. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن – ط "، التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة. ينظر: نفح الطيب ج1/ص 428، والديباج ج2/ص308.

[3] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي؛ **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1384هـ/1964م، ج20، ص37.

مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] "[2]؛ واكد القاعدة في تفسيره قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]، تقديرها: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله، ومعناه: **خلقة الله، والمراد به دين الإسلام، لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة**، وإنما كفر من كفر لعاض أخرجه عن أصل فطرته، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-:"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه..."؛ ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ يعني بخلق الله الفطرة التي خلق الناس عليها من الإيمان، ومعنى أنَّ الله لا يبدلها: **أي لا يخلق الناس على غيرها، ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة الأولى**"[4]؛ فأشار هنا إلى كل الأدلة المختلفة اتي يثبت بها للناس ضرورة وجود الله عز وجل، ثم ختمها بالبيان أن الفطرة وحدها تكفي لذلك لمن كان فطرته سليمة.

وممن قرر القاعدة من أئمة المالكية، الزرقاني[5] في شرحه لحديث: ((**كل مولود يولد على الفطرة**))[6]، أنَّ الحديث عام في جميع المولودين على ظاهره، وأصرح منه رواية مسلم: ((**ما من مولود إلاَّ وهو على الملة**))[7]... وأشهر الأقوال أنَّ المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف بعد ذكر الأدلة الروم والزمر من القرآن وحديث أبي هريرة وحديث عياض بن حمار: ورجح بقوله تعالى﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾، لأنها إضافة مدح، وقد أمر الله نبيه بلزومها؛ فعلم أنَّها الإسلام"[8]،

---

[1] – سورة الزمر؛ الآية: 38.

[2] – القرافي؛ القوانين الفقهية، المصدر السابق، ص17.

[3] – سورة الروم؛ الآية: 30.

[4] – ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، المصدر السابق، ج3/ص255،256.

[5] – محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله: خاتمة المحدثين بالديار المصرية، من كتبه: شرح موطأ الإمام مالك، وشرح البيقونية، توفي: 1122 هـ. ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج4/ ص32، الرسالة المستطرفة، ص 143.

[6] – تقدم تخريجه

[7] – أخرجه مسلم؛ رقم 23 .

[8] – الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري؛ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م.، ج2/ص749،750.

وفي هذا تقرير جلي للقاعدة وانَّ توحيد الربوبية مسلم به بالفطرة ومن جميع الناس وبذلك كان الأشمل والأوسع تحقيقا من الناس مقارنة بتوحيد الألوهية كما سوف يأتي. ومما يستأنس به في اثبات أن المالكية قرروا القاعدة قول ابن عاشور:" أما المخلوقات الأرضية فهم مخلوقين للطاعة،**قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾**[1] **فزيغ الزائغين عن طاعة الله تعالى انحراف منهم عن الفطرة التي فطروا عليها، وهم في انحرافهم متفاوتون، فالضالون الذين أشركوا بالله فجعلوا له أندادا، والعصاة الذين لم يخرجوا عن توحيده ولكنهم ربما خالفوا بعض أوامره** قليلا أو كثيرا: هم في ذلك آخذون بجانب من الإباق، متفاوتون فيه"[2]، وبين في موضع آخر من تفسيره معنى الفطرة بقوله:" ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف: **أنَّ الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها،** غير ناءين عنه، ولا منكرين له، مثل إثبات الوحدانية لله؛ لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح، حتى لو ترك الإنسان وتفكيره —ولم يلقن اعتقادا ضالا– لاهتدى إلى التوحيد بفطرته[3].

لقد تأكدت هذه القاعدة عند أئمة المالكية وتنوعت براهينهم عليها وعلى طرائق اثبات وجود الله كما قررنا من قبل، كما استعمل الدليل العقلي السكوني في شرح مرشدة ابن تومرت فقال:" قوله: خلق العالم بأسره. **والعالم كل موجود سوى الله تعالى فلا يشذ عنه شيء، ولا حركة وسكون ثم عبر عن العالم بقوله: العلوي والسفلي، والعرش، والكرسي، والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما؛ فهذا هو العالم، وحدوثه معلوم بتغيره بين أوجه الممكن المحوج إلى الفاعل المختار؛ وقوله ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك، هو معنى الوحدانية لأنه لا خالق إلاَّ الله، لم يكن أحد سواه**"[4] وفي هذا الكلام صراحة الاستنتاج أنَّ تفرده —سبحانه وتعالى– بالخلق والتدبير يوجب الإقرار بربوبيته على خلقه إقرارا منطقيا يوافق الاستنتاج العقلي الصريح الذي تثبته الدلائل الواضحات البَيِّنات وهو دليل الخلق والتدبير. ثم أضاف دليل عقلي آخر في اثبات وجود الله وربوبيته وهو دليل الافتقار

---

[1] – سورة الذاريات؛ الآية: 56.

[2] – الطاهر ابن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق. ج10/ص2.

[3] – المصدر نفسه، ج10/ص90.

[4]– أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني الاشبيلي؛ شرح مرشدة ابن تومرت، تحقيق: يوسف أحنانا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م، ص11.

واحتياج الانسان إليه –تبارك وتعالى–فقال:" قوله: **موجود قبل الخلق بدليل افتقار الخلق إلى الخالق.** قال عليه السلام: كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق فكان في أزليته ولا عرش ولا سماء ولا أرض ولا ماء ثن خلق المخلوقات، **ولو كان وجوده قبل المخلوقات بنهاية لزم حدوثه وافتقاره إلى المحدث وأدى إلى التسلسل فهو محال ولو كان وجوده قبل المخلوقات من غير نهاية وهو قدمه تعالى فكان ولا مكان، ولا زمان، فهو سبحانه على ما عليه كان قبل أن يخلق شيئاً إذ التغير على القديم محال**"[1]، فالعقل يثبت أن وجود الله معلوم بالضروة، وأن الشك فيه يؤكد عدم سلامة التفكير، وتناقضه مع المبادئ العقلية أصلا.

وقد بين الشيخ الشنقيطي أنَّ الإقرار توحيد الربوبية امر فطري، جَبَلَ الله الناس عليه، تعرفه النفوس مباشرة؛ حيث قال:" **هذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء**؛ قال تعالى﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾** ﴾[2] ، وقال:﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾** ﴾[3] "[4]، وفي هذا تقرير وتصريح واضح للقاعدة وأن الربوبية مفطور عليها جميع الناس وأن القلوب تسلم بذلك دونما طلب البرهان أو الاستدلال.

وذكر محمد المكي[5] أنَّ الإسلام دين الفطرة وأن توحيد الربوبية يسلم به العباد جميعا بالفطرة وأن الكفار مقرين في قلوبهم ولو جحد لسانهم ذلك لأن الله أصدق قيلا ورسوله منه كذب الكفار الجاحدين والمستكبرين، ما يؤكد القاعدة فقال:" أنَّ الإسلام هو دين الفطرة القيم الذي لا تناقض وعقيدته، ولا اعوجاج في شريعته؛ فهو الملائم للفطرة، المنسجم معها منذ البداية، وهو الموافق للنظر الصحيح، والمطابق للعقل السليم ... وهذا الميثاق هو ميثاق فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهو يتضمن في جوهره الإقرار

---

[1]– المصدر نفسه؛ ص17.

[2] – سورة الزخرف؛ الآية: 87.

[3] – سورة يونس الآية: 31.

[4] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، ج3/ص410.

[5] – محمد المكي الناصري عالم، مفسِّر. ولد في الرباط ودرس في القاهرة، ثم باريس، ثم جنيف. رئيس رابطة العلماء، من كتبه: نظام الفتوى في الشريعة والفقه، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، توفي: 1414هـ. ينظر: تتمة الأعلام ص: 145، مقدمة كتاب التيسير في أحاديث التفسير.

بربوبية الله وبعبودية الإنسان، فما من إنسان وُكّل إلى فطرته الأولى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1]، حتى إذا ما وقع الإنسان بين أيد غير آمنة؛ فعملت على تشويه فطرته وإفسادها انحرفت عن الفطرة السليمة، واختلطت عليه العقيدة الصحيحة بالمعتقدات السقيمة، ونسي الميثاق الأزلي المعقود؛ فوقع في شرك الشيطان وحزبه[2].

ومن خلا هذه النقول عن أئمة المالكية وعلمائها المتقدمين منهم والمتأخرين يظهر لنا أن القاعدة القائلة بأن توحيد الربوبية معلوم بالفطرة والاقرار به أشمل وأعم، ثابتة ودليل ذلك استقراء النصوص من القرآن والسنة وأقوال الأئمة.

المبحث الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

القاعدة فيها فوائد عظيمة تتعلق بدين الفرد في نفسه وتحقق سلامة الاعتقاد، وفيها تحدي، ورد على الشبهات المثارة والمنتشرة والتي يراد بها تشكيك الناس في دينهم، وإفساد عقائدهم، خصوصا مع التفتح الإعلامي، الذي فسح لدعاة الالحاد والكفر الدخول إلى بيوت المسلمين وزعزعت أمنهم الثقافي والديني، ونذكر من ذلك النقاط الآتية:

– الاستجابة لدعوة الإيمان والاذعان لأمر الله المقتضي بأن تقرير توحيد الربوبية معلوم بتنوع الأدلة، وبأنه شطر من الإيمان وأن التسليم به توحيد وأن إنكاره كفر والحاد.

– البيان أن قضية وجود الله معلومة بالفطرة، وأن الله خلقنا على فطرة التوحيد، وأنَّ الأصل هو الخضوع لله تعبدا وهي الفطرة التي خلقنا الله عليه وهي الحرية الحقيقية.

– القاعدة تتضمن ردا على شبهات الملحدين، فهي تخاطب الفطرة أولا، وكل ما في الفطرة سابق لما تتعلمه العقول وتكتسبه من مخالطة الأفكار والفلسفات المختلفة.

---

[1] – سورة الروم؛ الآية: 30.

[2] – المكي محمد الناصري؛ التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405 هـ/ 1985، ج2/ص290، وانظر: ج5/ص40.

– القاعدة تبين أن أي دعوى مخالفة لوجوب الإقرار بالربوبية لله هي دعوة متناقضة في ذاتها، ومخالفة لمبادئ العقل، وفيها تناقض، لأن العقل لا يقبل أبدا ان يكون العدم أصلا للوجود، أو أن الموجود قادر على خلق نفسه، وهذا التناقض معلوم بالفطرة، ولا تقبله أضعف العقول وأقلها حظا من التفكير.

– تقرر هذه القاعدة في قلوب المؤمنين يؤدي إلى تحقيق الثبات في الاعتقاد والهوية، والرسوخ في الايمان، الذي يمكن صاحبه من مواجهة أعاصير الشبهات، ورياح الأباطيل والأراجيف، المتنوعة خصوصا في عصرنا هذا وما فيه من شبهات مختلفة بشتى الأسماء والطرق، كدعوى كرامة الانسان وحريته، وفلسفات موت الاله، واللادين، واللاأخلاقية، واللاسلطة، والفوضى الخلاقة، وغيرها من الفلسفات المعاصرة والحديثة.

– القاعدة تحقق الثبات والتمييز بين المسلمات الدينية والتجديدات والتغيرات والتطورات العلمية، والتميز بين الثابت والمتغير، إذا لا يمكن للثابت بالنص الشرعي وبأصله المعلومة، أن يتغير بسبب تغير العلوم والمناهج العلمية، ومن ذلك شبهة العصر، وهي أن العلم ما أثبته المنهج العلمي التجريبي، فقد انتشرت هذه القضية كل العلوم والتخصصات، ومنها المادة الجامدة والحية، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وأدمجوا فيها العلوم الدينية، وأصبح التفكير التجريبي هو الحكم على الشرع!!! وفي هذا شبهة يجب التنبه لها والحذر من خطرها.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية: [الاقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الاقرار بتوحيد العبادة]:

المطلب الأول: تصور القاعدة:

رأينا في القاعدة السالفة أن توحيد الربوبية يقره الجميع، وأن قضية وجود الله معلومة بطرق متعددة ومن أول تلكم الطرق الفطرة، إذ يدرك الانسان أنه مربوب، وأنه مخلوق، وأنه تحت عناية خالق قدير، وأن الكون وما فيه من عجائب الخلائق وبديعها، وما نلاحظه من انتظام ودقة فائقة في الخلق والحركة والتحول دليل قاطع يكفي للعقل السليم ليقر بوجود الله وباستحالة النشوء من العدم أو أن يُنشأ المسبوق بالعدم، والمنتهي إلى العدم، والمحتاج إلى غيره في كل شيء هذا الكون الفسيح، والعالم المترامي الأطراف، والمتنوع الموجودات الأصناف، ولما كان ذلك كذلك، كان من مستلزمات العقول السليمة والفطر القويمة، التسليم أن هذا الخالق العظيم، والرب الكريم هو وحده المستحق للعبادة[1]، وأنه كما فطر الناس على التسليم الفطري أن الرب الخالق، والموجود بالضرورة العقلية والفطرية وبالأدلة الشرعية والكونية، فهو قد فطر الناس على التسليم أنه وحده المستحق للعبادة، وأن أي عبادة تُصرف لغيره من الكائنات المخلوقة ظلم وتعدي وشرك، إذا لا يعُقل، أن يعبد غير الخالق، أو أن يتوجه لأي مخلوق مهما عظمة قوته وجماله وسلطته، بل التسليم بوجود الله يستلزم وجوبا التسليم بأنه وحده المسحق للعبادة، وأن التسليم بتوحيد الربوبية يستلزم التسليم لله بتوحيد الإلهية.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

القاعد تتضمن مصطلحات تستوجب توضيحا لكي يتضح المقصد من القاعدة وهما مصطلحا توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية:

أ/المقصود بتوحيد الربوبية:

يعني الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكة، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته[2].

---

[1] – أبو عمر الداني؛ الرسالة الوافية، المصدر السابق، ص151، 152، وينظر: المعلمي اليماني؛ العبادة، المصدر السابق، ص53، يُنظر: الفوزان؛ فتح الولي الحميد، 126-128.

2-ينظر تعاريف: تفسير القرطبي، ج1/ ص137، وتفسير الطبري، ج1/ 62، والمفردات، ص336، تاج العروس، ج1/ ص260، وينظر: سليمان بن عبد الله؛ تفسير العزيز الحميد/ص34،33، وأنظر: أعلام السنة المنشورة؛ حافظ الحكمي، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، ص55، وانظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد؛ صالح الفوزان، ص16.

توحيد المعرفة هذا أقر به الكفار على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالى، والدليل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1]،[2]والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً في كتاب الله القرآن الكريم، والمؤكده أن ربوبيته دليل استحقاقه العبودية دونما سواه[3].

ومن الأسماء والاصطلاحات التي يستعملها العلماء في التعبير على توحيد الربوبية أيضا:

1_توحيد الربوبية كما سبق.

2_التوحيد العلمي.

3_التوحيد الخبري.

4_توحيد المعرفة والإثبات.

5_التوحيد الاعتقادي.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4]؛ والآية فيه استلزام صريح بأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد

---

[1] – سورة يونس؛ الآية: 31.

[2] – سورة المؤمنون؛ الآية: 84-89.

[3] – ابن جزي؛ التسهيل، المصدر السابق، ج2/ص181.

[4] – سورة البقرة؛ الآية: 21، 22.

الألوهية، وذلك أن استهلها الله عز وجل بخطاب عباده بالربوبية وأنه هو خالقهم وخالق أرزاقهم وحده عز وجل، ولما كان هو الرب فهو المعبود وحده فأمرهم في آخر الآية بالعبادة لأنه فقط من يستحقها سبحانه[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2].

وجه الاستدلال من الآيات:

الآيات الكريمة فيها تصريح واضح بالقاعدة، وأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، وذلك أن الله عز وجل فيه خاطب عباده، بلفظ الربوبية والخلق، وأستدل لهم بذلك على أنه وحده من يستحق العبادة، وأن من صرف عبادته لغير الله عز وجل فقد وقع في الظلم واستحق العقاب.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

لما كان الدعاء من أعظم أفراد العبادة –بل ثبت في السنة أن الدعاء العبادة–ورد في السنة من الأحاديث الكثيرة التي فيها بيان فضل الذكر والدعاء[3] وفيها استدلال بالربوبية على الألوهية، وذلك لكون الغاية من الدعاء غالبا الطلب، للرزق والعطاء والمعفاة والقوة وغيرها مما هو من مستلزمات الربوبية لتفرده عز وجل بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة وهي جميعا من دلائل الربوبية[4] ونذكر من ذلك ما يأتي:

– عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " سيد الاستغفار أن تقول: **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** " قال: «ومن قالها من النهار موقنا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»[5]، فالتوحيد سبب دخول الجنة وضده سبب الهلاك، ومن صرف العبادة لغير الله أبطل توحيده[6].

---

[1] – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، دار مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1423هـ/ 2003م.، ج10/ص522.

[2] – سورة الأنعام؛ الية: 102.

[3] – عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر؛ فقه الأدعية والأذكار، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، ج1/ ص13.

[4] – عبد الرزاق البدر؛ المصدر نفسه، ج2/ ص203، 204، وج3/ ص7، 8، ويُنظر: ابن القيم طريق الهجرتين، ص220–230.

[5] – أخرجه البخاري؛ رقم: 6306.

[6] – الملهب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله، الأسدي الأندلسي، مصنف شرح البخاري، كان من أئمة الفصاحة، وله كلام في شرح الموطأ، مات بالأندلس، سنة 435هـ، يُنظر: السير، ج17/ ص579، وبغية الملتمس، 471.

وجه الاستدلال بالحديث:

سمَّ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء بسيد الاستغفار، لأن في بدايته الثناء على الله عز وجل من جهة، ثم فيه الاعتراف بأنه عبد مربوب مخلوق له عز وجل، وأنه سبحانه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه[1]، وهذا استدلال بالربوبية على الألوهية إذ فيه اعتراف بالربوبية، ثم الوجه بالدعاء والافتقار والاستعاذة بالله وهو من تمام الاعتراف بالألوهية لله عز وجل.

– عن أبي راشد الحبراني، قال: أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت له: حدثنا مما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقى إلي صحيفة، فقال: هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنظرت فيها فإذا فيها: إن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: يا أبا بكر قل: **اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم**"[2].

– عن عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم ثلاث مرات، لم يضره شيء"[3].

وجه الاستدلال بالحديث: الحديث الشريف فيه استدلال بربوبية على الألوهية، لأن الله عز وجل خالق السماوات والأرض وخالق الاصباح والمساء، والنفع والضر، فكان الواجب التوجه إليه بالدعاء وحده، ففيه اعتراف بالربوبية لله على كل شيء، ثم التوجه بالعبادة والدعاء له وحده والاستعاذة به وحده سبحانه في قوله بسم الله – أي: بسم الله أستعيذ[4]، وهي من مقتضيات توحيد العبادة.

– عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه يقول: إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور"[5].

---

[1] – عبد الرزاق البدر؛ فقه الدعاء، المصدر السابق، ص17، 19.

[2] – أخرجه الترمذي؛ رقم: 3392، وأبي داوود؛ رقم: 5067، وصححه الألباني، في صحيح الترمذي، رقم: 2701.

[3] – أخرجه أبو داوود، رقم: 5088، والترمذي، رقم: 3388، وصححه الألباني في الصحيح الجامع، رقم: 6426.

[4] – عبد الرزاق البدر؛ فقه الأذكار، المصدر السابق، ج3/ ص13.

[5] – أخرجه الترمذي؛ رقم: 3391، وأبي داوود، رقم: 5068، حسنه الألباني في الصحيح الجامع، رقم: 353.

وجه الاستدلال من الأحاديث: كل الأحاديث التي ذكرناها ومثلها كثير، في اثبات للقاعدة وأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة، فهي عبارة عن اعتراف من الداعي بالربوبية التامة لله، بأنه هو خالقه ورازقه ومحييه ومميته، وهو مقدر الخير والشر له، وهو الرازق، وهو الشافي والمعافي، وكل ذلك من مستلزمات الربوبية، وهذا الاعتراف الغاية منه التوجه إلى الدعاء، والطلب، والعبادة بالدعاء لله عز وجل وحده، فلما كان هو رب العالمين وحده، فهو وحده المستحق للعبادة بكل أفراده من خضوع وخشوع واستعاذة واستعانة واستغاثة وحده.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

لقد خاطب الله عز وجل عباده في آيات كثيرة، وأمرهم بالتدبر في آياته الكونية وآياته الشرعية، وفي الأنفس والآفاق، ليعلموا علم اليقين، ولتطمئن قلوبهم وتستقر عقولهم على حقيقة عظيمة أن هذا الكون خلقه رب عظيم وهو المتصرف فيه وحده عز وجل، وأن ذلك دليل على أنه وحده المستحق للعبادة، وأن اشراك غيره في العبادة ظلم، وأن تصور وجود آلهة أخرى وخالق آخر يستلزم من فساد الكون وحدوث الشقاق والصراع، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [1]؛ المعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض إلهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال[2].

فالعقول الموضوعية إذا احتملنا وجود سيد يطعم ويكسي ويداوي، ويحفظ خادمه، ويعتني به، وهو المسؤول عن تربيته، وعن كل شؤونه ومصاريفه، ثم يتوجه ذلك الخادم بالشكر وبالطاعة وبالخدمة لغير سيده، ويتجاهل سيده ولا يخدمه ويعصي أوامره، فإن ذلك جنحة وظلم في حق السيد، وأن الخادم استحق العقوبة بإجماع الناس والقانون والعقل، فكذلك مفهوم القاعدة —ولله المثل الأعلى– كيف يقبل العقل أن يسلم من جهة وبمقتضى الفطرة أن الله هو ربه الذي خلقه ورزقه ويحييه ويميته ويحفظه، ثم لا يعبده ويعصي أمره، أو يتوجه بالعبادة لغيره ممن هم مثله مخلوقين مربوبين !!! فهذا لا يقبله أي عقل سليم ولا يسلم به عرف ولا قانون.

---

[1] – سورة المؤمنون؛ الآية: 91.

[2] – عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج4/ ص65.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

رأينا في القاعدة السابقة أن توحيد الربوبية الإقرار به فطري، وأن الناس يسلمون به دون الحاجة إلى البرهان، وأن القرآن الكريم اكَّد بأنَّ الكفار بالفطرة يقرون بوجود خالق مدبر ولا ينكر ذلك إلا مكابر جاحد بلسانه وحقيقة حاله الإقرار والتسليم في جنانه، وبقية هذه القاعدة التي بينا ثباتها وثبوت القول بها عند أئمة المالكية، بحاجة إلى قاعدة تضبطها وتكمل الغاية من إدراجها وهي استلزام لهذه القاعدة، ذلك أنَّ التسليم بربوبيته سبحانه وتعالى دليل وحجة على وجوب الإقرار بتوحيد الألوهية، وأنَّ الاستقرار والاكتفاء بتوحيد الربوبية لا يكفي لتحقيق التوحيد الواجب وبلوغ الإيمان المطلوب، ومما يؤكد ذلك آيات كثيرة منها قال تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] قال القرطبي في تفسيره قوله تعالى:" **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" أي لأقروا بأن الله خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئا." فأنى يؤفكون" أي كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون** عنها حتى أشركوا به غيره رجاء شفاعتهم له. يقال: أفكه يأفكه أفكا، أي قلبه وصرفه عن الشيء. ومنه قوله تعالى:" قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا"، وقيل: أي ولين سألت الملائكة وعيسى" من خلقهم" لقالوا الله." فأنى يؤفكون" أي فأنى يؤفك هؤلاء في ادعائهم إياهم آلهة."[2]

وهذا المعنى ما ذكره الإمام ابن أبي زمنين في تفسيره حيث قال:" ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[3] "[4]، وفي كلام الشيخين توضيح جلي لما في القاعدة وكأن لسان الحال يقول كيف تقرون أنَّ الله هو خالقكم وخالق كل شيء ثم لا تعملوا بما يقتضيه ذلك وتوحدوه بالعبادة وتتخذون معه الشريك وتجعلون له الند سبحانه وتعالى.

والآيات الدالات على أن توحيد الربوبية الذي تسلم به فطر الناس وتقره من دون الحاجة إلى البرهان أو الاستدلال في القرآن كثيرة منها قول الله –عز وجل-﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ

---

[1] – سورة الزخرف؛ الآية: 87.

[2] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج16/ص123.

[3] – سورة الزخرف؛ الآية: 87.

[4] – ابن ابي زمنين؛ تفسير القرآن العزيز، المصدر السابق، ج4/ص197.

تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، قال ابن جزي في بيان معنى الآية:" وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي المعنى: **أي شيء يمنعني من عبادة ربي؟** وهذا توقيف سؤال وإخبار عن نفسه قصد به البيان لقومه، ولذلك قال: وإليه ترجعون فخاطبهم إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ هذا وصف للآلهة، والمعنى: **كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذوني من الضر** إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ أي: إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ خطاب لقومه أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل: خطاب للرسل ليشهدوا له"[2].

وذكر الأدلة كما سبق كثير والمالكية عملوا بمقتضى تلك الأدلة وقرروا وفقها القواعد العقدية، وساروا على النهج القرآني القويم في **الاحتجاج على هؤلاء المقرّين بالربوبية، ومطالبتهم إياهم بحقها المتمثل في الالتزام بعبادته** –سبحانه وتعالى- وحده لا شريك له[3].

وممن قرر قاعدة أن توحيد الربوبية يستلزم استحقاق الله –عز وجل- أن يعبد وحده، من المالكية ما قاله الباقلاني:" **ويجب أن يُعلم أنَّ صانع العالم جلَّت قدرته واحد أحد، ومعنى ذلك أنه ليس معه إله سواه، ولا يستحق العبادة إلاَّ إياه**"[4]؛ فنلاحظ من خلال كلامه وفك مصطلحاته أنَّ قوله (يجب أن يعلم) أي أن يتقرر في الاعتقاد، وقوله:(صانع العالم) توحيد الربوبية، وقوله: (ليس معه إله سواه)، أي لا رب معه، وقوله: (لا يستحق العبادة إلاَّ إياه) أي: لا يستحق العبودية إلاَّ هو –سبحانه وتعالى- فأثبت الربوبية وتفرده سبحان بالخلق وحده، ثم أثبت لازم ذلك وهو استحقاقه سبحانه للعبودية وحده وهي القاعدة.

---

[1] – سورة يس؛ الآية: 22، 23.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، المصدر السابق، ج2/ص181.

[3] – جهود المالكية في تقرير العقيدة، المصدر السابق، /ص173.

[4] – الإنصاف، ص33.

ومن الأئمة المالكية ابن البطال[1] الذي ظهر جليا تقريره للقاعدة في شرحه لحديث: ((**أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك**))[2]، قال:" كيف تقتله وخلق رزقه؟ فلا يأكل من رزقه شيئاً، **فمن خلقك وخلقه ورزقك ورزقه أحق بالعبادة** من الند الذي اتخذت معه شريكاً"[3] أي: في قوله: (فمن خلقك وخلقه ورزقك ورزقه)، إقرار بالربوبية، وقوله: (أحق بالعبادة من الند الذي اتخذت معه شريكا)، ما هو تحصيل حاصل بالضرورة وهو استحقاقه –سبحانه– العبادة وحده.

. كما نقل ابن بطال قول شيخه أبن المهلَّب[4] في تفسيره لقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [5]، فقال:" **فمن علم أنَّ الله خلق كل شيء فقدَّره تقديراً؛ فلا ينسب شيئاً من العبادة إلى غيره**، فلهذا ذكر الآيات في نفي الأنداد والآلهة المدعوة معه، فمنها ما حذَّر به المؤمنين، ومنها ما وبَّخ به الكافرين الضالين، ثم أثنى على المؤمنين"، وفي هذا الكلام تقرير واضح للقاعدة وأنَّ الإقرار بالربوبية يستوجب الإقرار بالألوهية لله وحده.

ومن الأئمة الذين قرروا القاعدة، واعتبروا أن التسليم بالربوبية يستوجب التسليم افراد الله بالعبادة ابن عطية[6]، قال في تفسير قول الله –عز وجل–:﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا

---

[1] – علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة. من كتبه: " شرح البخاري "، توفي: 449 هـ، ينظر: شذرات الذهب، ج3/ ص283.

[2] – أخرجه البخاري، رقم: 4761. ومسلم، رقم:86.

[3] – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، دار مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1423هـ/ 2003م.، ج10/ص522.

[4] – الملهب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله، الأسدي الأندلسي، مصنف شرح البخاري، كان من أئمة الفصاحة، وله كلام في شرح الموطأ، مات بالأندلس، سنة 435هـ، يُنظر: السير، ج17/ ص579، وبغية الملتمس، 471.

[5] – سورة البقرة؛ الآية: 21، 22.

[6] – عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، وتوفي: 542 هـ. له "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ". ينظر: نفح الطيب، ج1: ص593 وقضاة الأندلس، ص109 وبغية الملتمس، ص 376..

يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]، :" **تقرير لهم على جهة التوبيخ في هذا الأمر الذي يشهد العقل بصحته: أنَّ من فُطِرَ وأُخترع وأُخرج من العدم إلى الوجود؛ فهو لا يستحق العبادة**"[2] أي: من لم يتحقق فيه أن يكون خلق رب صانع لا يستحق العبادة وان العبادة يستحقها من تقررا فطرة وعقالا أنه الخالق وحده –سبحانه وتعالى–.ثم قال:" في قول الله –تعالى–(أجئتنا لنعبد الله وحده...):" **ظاهر قولهم وحده أنهم انكروا أن يتركوا أصنامهم ويفردوا العبادة لله مع إقرارهم بالاه الخالق المبدع**"[3]، كما اكد ابن عطية القاعدة في مواضع أخرى كثيرة منها في تفسير قول الله –عز وجل–: ((وما أرسلنا من قبلك من رسول لإلا نحي إليه أنه لا إلاه إلا أنا فاعبدون)) قال:" ثم عدَّد الله تعالى بعد ذلك نوعاً آخر من **كفرهم، وذلك انهم مع اتخاذهم آلهة كانوا يقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق**"[4].

والمعنى المفهوم من كلامه أنَّ الربوبية تقتضي الألوهية وبل صرح بالقاعدة تصريحا مباشرا في قوله:" **المستوجب للعبادة والألوهية، وإذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغيره حق**"[5]، عند تفسيره للآية من قول الله –عز وجل–﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾[6].

وقد طبق هذه القاعدة واستدل بها الباجي في الدفاع عن العقيدة الصحيحة وابطال ما يضادها من الشرك في الرد على الراهب الفرنسي الذي حاول أن يفسد عقائد المسلمين بنشره لخطابه فقال له راداً:" لو جاز أن يقال: عيسى –عليه الصلاة والسلام– هو الخالق، لما ظهر من ذلك على يده، والمنفرد بفعله؛ لجاز أن نقول: إنَّ آدم وإبراهيم وموسى ومحمد وسائر الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– انفردوا بخلق ما ظهر على أيديهم –يقصد من المعجزات– وإن جميعها من خلقهم، وإنهم لذلك يعبدون؟ وذلك محال؛ **فلا خالق إلاَّ الله، ولا معبود سواه**"[7]. ووجه الاستدلال أن معجزة عيسى ليست من خلقه بل هي من خلق الله ومادامت من خلق الله فالله ووحده يستحق العبادة، وهذا استلزام عقلي واضح لا يحتاج

---

[1] – سورة يس؛ الآية: 22، 23.

[2] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز. ج2/ ص 422.

[3] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، ج2/ص419.

[4] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، ج10/ص139.

[5] – المصدر نفسه، ج3/ص118.

[6] – سورة يونس؛ الآية: 32.

[7] – رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، المصدر السابق، 61،62.

إلى برهان بديهي، وإلا لصح القول: إن كل الأنبياء آلهة لما جرى على أيدهم من المعجزات، وهذا باطل شرعا وعقلا، لما فيه من الاستحالة والتناقضات الجلية الواضحة.

وهي القاعدة الجلية في كلام القرطبي في تفسيره لكثير من الآيات القرآنية مصرحا بها لفظا ومقرا بها تطبيقا في التفسير ومن ذلك قوله:" بيَّن **أن المتفرد بقدرة الإيجاد، فهو الذي يجب ان يُعبد**"[1] في تفسيره لقول الله –عز وجل-﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]، ومثل هذه الاستدلالات كثير عند القرطبي ومن ذلك ما يظهر في تفسيره لقول الله –عز وجل- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] ، قال:" فعد قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أَمَرَ بالعبادة له، وفي قوله: (ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ): **خص تعالى خلقه، فذكر ذلك حجة عليهم وتقريعا لهم**"[4]، أي أن الله –عز وجل- نبه الانسان أن يتوجه إليه وحده وامره بذلك، وذكره بما هو يُقِرُّه بالفطرة انه هو خالقه –سبحانه وتعالى- وفي قول الله تعالى: (إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى إلى العرش) قال:" أي: ذلكم الذي فعل هذه الأشياء –من خلق السماوات والأرض- **هو ربكم لا رب غيره**... (**فاعبدوه**) **أي: وحدوه واخلصوا له العبادة**... (أفلا تذكرون) أي: أنها مخلوقاته فتستدلوا بها عليه"[5]، وذكر في قول الله تعالى: (أرءيت من اتخذ الهه هواه):" **عجب نبيه** –صلى الله عليه وسلم- **من اضمارهم على الشرك واصرارهم عليه، مع إقرارهم بأنه خالقهم ورازقهم، ثم يعمد إلى حجر يعبده من غير حجة**"[6].

---

[1] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر السابق، ج7/ص218.

[2] – سورة الأعراف؛ الآية: 54.

[3] – سورة البقرة؛ الآية: 21.

[4] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر السابق، ج1، 226.

[5] – المصدر نفسه؛ ج8/ص308.

[6] – المصدر نفسه؛ ج13/ص35.

فالآيات الدالات على القاعدة كثيرة وأقوال علماء الأمة واضحة وجلية في أن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الاستسلام إلى الله بالعبودية التامة وهي القاعدة التي نود بيانها وسرد أقوال علماء المالكية المقررة لها، ومن المالكية الذين قرروا القاعدة ابن جزي في تفسيره سورة الإخلاص فقد قال:" **وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته**، وذلك في القرآن كثير جدًا، فمنها قوله تعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] ، لأنه إذا أثبت أنَّ **الله تعالى خلق لجميع الموجودات لم يكن أن يكون واحداً منها شريكاً له...**"[2]، وفي كلام ابن جزي استدلال بالنص صريح، كما فيه دليل عقلي مفاده أن الإقرار أن الله هو الخلق يستلزم بالضرورة العقلية والمنطقية الإقرار بالعبودية له وحده –سبحانه وتعالى– كما أن الإقرار بأن الله هو الخالق وحده يقتضي بالضرورة استحالة كون أحد تلك المخلوقات شريك له في الملك أو في استحقاق العبادة وهي استحالة عقلية من مبدأ عدم التناقض، كما قال في صدد تفسير الآية الكريمة من قول الله تعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ :" تقرير يقتضي الرد على من عبد غير الله... **وذكر من أول السورة أنواعها من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال على وحدانيته**"[3]، وإلى نفس القاعدة احتكم في تفسيره قولَ الله –عز وجل–:﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[4] فقال:" **نزلت في كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره**"[5].

وقال أيضا في تفسيره أيضا لقول الله –عز وجل– ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

---

[1] – سورة النحل؛ الآية: 17.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، ج4/ص446.

[3] – المصدر نفسه، ج2/ص277.

[4] – سورة يوسف؛ الآية: 106.

[5] – ابن جزي؛ المصدر السابق، ج2/ص230.

وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1] ، قال:" كأنه يقول: **إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض**، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟"

فمن كلام ابن جزي تظهر القاعدة بلفظها في قوله: (**كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره**). أي: ليس من العقل ولا العدل أن يُقرَّ المرءُ بالربوبية ويخالف تقريره بعدم الإقرار بما تستلزمه من العبودية لله وحده؛ فيكون كفرهم مناقض لمقتضى العقل ومخالف لما تستلزمه الفطرة السليمة لذا فالعجب كل العجب ممن ادعى معرفة الله ثم يتجه بعبادته أو ببعضها إلى غيره ولعل ما يبين هذا المعنى قول ابن جزي في تفسير قول **الله تعالى**: (**إنَّ الذين تدعون من دون الله لا يخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له...**)، **فقال:**" تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى، والمعنى: **أنَّ الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره؛ فكيف تُعبَد مِن دون الله الذي خلق كل شيء**"[2].

والاستفهام في كلام ابن جزي السابق فيه إنكار وإبطال للفعل الذي هو خلاف القاعدة التي تقررت بالضرورة، واعتبار فعل الكفار لا يقره عقل ولا تقبله فطرة وهذا برهان على القاعدة بالخلف وببطلان الضد تثبت المسألة والقاعدة.

ويقول أيضا في تفسير قول الله –عز وجل-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]؛ قال: في الآيتين" ثلاث فوائد:

الأولى: **الآية تضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقين: أحدهما: إقامة البراهين بخلقهم وخلقه السماوات والرض والمطر**. الآخر: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق ومن الإنعام، فقد ذكر أولاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقه لهم ولآبائهم؛ **لأنَّ الخالق يستحق أن يعبد**، ثم ذكر ما أنعم الله به عليهم

[1] – سورة الأعراف؛ الآية: 154.

[2] – المصدر نفسه، ج3/ص100.

[3] – سورة البقرة؛ الآية: 21، 22.

من جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً، ومن إنزال المطر، وإخراج الثمرات؛ **لأنَّ المنعم يستحق أن يعبد ويشكر...**"[1].

ومن علماء المالكية الذين أقروا بالقاعدة تأصيلا واحتجاجا على أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية بالضرورة أبو بكر ابن العربي الاندلسي الذي قال:" فلينظر حينئذٍ أنه **عبد مربوب مكلف مخوف بالعذاب إن قصَّر، مرجو الثواب إن ائتمر، فيقبل عبادة مولاه...**"[2]، ويفهم من كلامه أن اعتراف العبد بأنه مخلوق مربوب خاضع لمالك رازق، وتحت رقابة المدبر، استلزم ذلك بالضرورة الحرص على فعل المأمورات وترك المنهيات خضوعا تعبدا، فما ذكره ابن العربي –رحمه الله– **من الاستدلال بأمور الربوبية، من الخلق والتدبير وغيرهما دال على وحدانية الله تبارك وتعالى**[3].

وممن يُستَدَلُّ بقولهم من المالكية في تقرير هذه القاعدة، الثعالبي عند تفسيره لقول الله –عز وجل–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾[4]؛ قال:" معناه: **وحِّدوه وخُصُّوه بالعبادة، وذكر تعالى خلقه لهم إذ كانت العرب مقرة بأنَّ الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم**"[5] **أي**: أنَّ الله قد أمر عباده بالعبادة والانقياد له وحده وتخصيصه –عز وجل– بها توحيدا وخضوعا ثم جعل من تذكريه لهم وأنه هو وحده –سبحانه وتعالى– خالقهم وخالق أرزاقهم جميعاً دليلٌ على استحقاقه –سبحانه وتعالى– العبودية وحده.

وممن أطال الكلام في المسألة، وجمع الحجج والأدلة المثبتة لهذه القاعدة الجليلة، الطاهر بن عاشور[6]، الذي أقر قاعدة الاحتجاج بالربوبية على الألوهية وجمع لها من الأدلة الآيات الكثيرة في تفسيره

---

[1] – المصدر نفسه، ج1/ص71.

[2] – أبو بكر ابن العربي؛ أحكام القرآن، ج2/ص216-218.

[3] – عبد الله بن فهد؛ جهود المالكية في تقرير العقيدة، المرجع السابق، ص183.

[4] – سورة البقرة؛ الآية: 21، 22.

[5] – الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1418هـ، ج1/ ص190.

[6] – محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، من كتبه: "مقاصد الشريعة الإسلامية" و "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، توفي: 1393 هـ. ينظر: الأعلام ج6/ ص174.

منها في قول الله –عز وجل– ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]؛ قال:" جملة: (فَٱعْبُدُوهُ) مفرعة على قوله: (رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)، وقد جعل الأمر بعبادته فرعاً على صفة الربوبية والوحدانية؛ لأنَّ **الربوبية مقتضية استحقاق العبادة، والانفراد بالربوبية يقتضي تخصيصه بالعبادة**"[2]، وفي قوله –عز وجلَّ– ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] قال:" **وهو يخلص للاستدلال على تفرد الله بالالهية إلزاماً لهم بما يقرون به من أنه رب السماوات والأرض وما بينهما**، ويقرون بأنَّ الأصنام لا تخلق شيئاً، وذهب إلى نفس المعنى في تفسير قول الله –تعالى– ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾[4]؛ فقال:" لأن **انفراده بربوبية السماوات والأرض وما بينهما دليل على انفراده بالإلهية**، أي على بطلان إلهية أصنامهم"[5]

ومما يلاحظ في كلام الشيخ ابن عاشور، أنه استعمل علاقة التلازم الضروري لمقدمة الإقرار بالربوبية نتيجتين ضروريتين وهما: وجوب الإقرار باستحقاقه –عز وجل– وحده الألوهية أولاً، ودليل على بطلان دعوى من جعل لله ندا وشريكا في العبادة ثانياً.

وقرر القاعدة في مواضع أخرى ابن عاشور من تفسيره منها في شرحه لقول الله –عز وجل– ﴿ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[6] قال:" ضمير (**له**) عائد إلى اسم الجلالة من قوله:﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾، فعطفه على جملة:﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾، لأنَّ عظمة الإلهية اقتضت الرهبة منه، وقصرها عليه مناسب أن يشار إلى **صفة**

---

[1] – سورة الأنعام؛ الية: 102.

[2] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج23/ص86.

[3] – سورة الشعراء؛ الآية: 24.

[4] – سورة الدخان؛ الآية: 8

[5] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج25/ص283

[6] – سورة النحل؛ الآية: 52.

المالكية تقتضي إفراده بالعبادة"[1]، وفي تفسير قول الله –عز وجل- **(قل ظاغير الله اتخذ وليا فاطر السماوات والأرض...)** قال:" **لمّا تقرر بالقول السباق عبودية ما في السماوات والأرض لله، وأنَّ مصير كل ذلك إليه؛ انتقل إلى تقرير وجوب إفراده بالعبادة، لأنَّ ذلك نتيجة لازمة** لكونه مالكاً لجميع ما احتوته السماوات والأرض"[2].

وفي كلام الشيخ تقرير للقاعدة بالمعنى، وذلك واضح جلي، وتصريحه بالعبارة المباشرة للقاعدة وأنَّ الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم بالضرورة الإقرار توحيد الإلهية كثير جدا في كلامه بل في كل آية تقتضي هذا المعنى أشار إلى القاعدة واستنبطها ودل عليها.

وممن صرح بالقاعدة واعتبر أن الإقرار بالربوبية لا يكفي أن يدخل به العبد الإسلام بل يستلزم ذلك الإقرار بالإلهية توحيد العبادة له وحده –عز وجل- من المالكية المعاصرين محمد أمين الشنقيطي، وصرح بذلك في مواطن كثير منها في تفسير قول الله –عز وجل- ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾** ﴾[3] ، قال:" **صرَّح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأنَّ الكفار يقرون بأنه –جل وعلا– ربهم الرازق المدبر للأمور، المتصرف في ملكه بما شاء، وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جل وعلا؛ لإشراكهم معه غيره في حقوقه** جل وعلا – كثيرة، كقوله :﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾** ﴾[4]،، إلى غير ذلك من الآيات ولذلك قال الله تعالى:﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾** ﴾[5] والآيات المذكورة صريحة في **أنَّ الاعتراف بربوبيته –جل وعلا– لا يكفي في دخول الإسلام، إلاَّ بتحقيق معنى لا اله إلاَّ الله نفياً وإثباتاً"**[6].

---

[1] – المصدر نفسه، ج25/ ص284.

[2] – المصدر نفسه، ج7/ ص156.

[3] – سورة يونس؛ الآية: 31.

[4] – سورة الزخرف؛ الآية: 09.

[5] – سورة يوسف؛ الآية: 106.

[6] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، ج2/ص481، 482. وج3/ص74، 75. وص410.

وقد أشار الشيخ إلى أنَّ الآيات الدالات على كون تقرير الربوبية يستلزم تقرير الألوهية حتى يدخل المرء الإسلام في القرآن الكريم كثيرة فقال:" ويكثر في القرآن العظيم **الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته**، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه المستحق لأن يُعبد وحده؛ **لأنَّ من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يُعبَدَ وحدَهُ**"[1].

ومن الأئمة المالكية المقررين لهذه القاعدة عبد الحميد بن باديس[2] حيث قال: في تفسير قول الله تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[3] " وجيء باسم الرب في مقام الأمر يقصر العبادة عليه، وتنبيها على أنَّ **الذي يستحق العبادة هو من له الربوبية بالخلق والتدبير والملك والإنعام**، وليس ذلك إلاَّ له، فلا يستحق العبادة بأنواعها سواه، فهو تنبيه **بوحدانية الربوبية التي من مقتضاها انفراده بالخلق والأمر الكوني الشرعي على وحدانية الإلهية التي من مقتضاها استحقاقه وحده عبادة جمع مخلوقاته**"[4].

ومن المالكية المتأخرين محمد المكي[5]، نجد له من الكلام الكثير ما نثبت به تقريره للقاعدة ومما نذكر تمثيلا لا حصرا، ما ذكره في تفسير قول الله –عز وجل-:﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[6] حيث قال:" يثبت الله عبودية

---

[1] – المصدر نفسه، ج3/ص411، وج5/ص813، وج6/ص620.

[2] – عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة 1931 م، إلى وفاته، من كتبه: مجالس التذكير" في التفسير، توفي: 1359 هـ. ينظر: الأعلام ج3/ص289.

[3] – سورة الاسراء؛ الآية: 23.

[4] – ابن باديس؛ التفسير، المصدر السابق، ص63.

[5] – محمد المكي الناصري عالم، مفسّر. ولد في الرباط ودرس في القاهرة، ثم باريس، ثم جنيف. رئيس رابطة العلماء، من كتبه: نظام الفتوى في الشريعة والفقه، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية، توفي: 1414هـ. ينظر: تتمة الأعلام ص: 145، مقدمة كتاب التيسير في أحاديث التفسير.

[6] – سورة الأنعام؛ الآية: 131، 14.

المخلوقات كلها للإله الواحد الأحد؛ فله ما سكن وله ما تحرك والليل والنهار من كافة العوالم، وجميع الأفلاك، ما علا منها وما سفل، وما نطق زما لم ينطق، في أول الآية، وفي ثاني آية منه يلقن كتاب الله للرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ما يفحم به المشركين المعاندين، فيتساءل في لهجة الاستنكار والاستغراب: **كيف يتخذ الإنسان له ولياً غير الله!؟ وكيف يستنصر بمن سواه؟ والله مبدع السماوات والأرض**، الذي يرزق الخلق ويطعمهم، وهو مع ذلك عني عنهم جميعاً..."[1].

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها.

هذه القاعدة العظيمة التي تبين من خلالها العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وتجلى بها أنهما متلازمان، وكل منهما يستلزم الآخر فيه فوائد عقدية مهمة وهي:

– توحيد الربوبية معلوم ويقرره كل الناس، حتى الكفار يسلمون بأنهم مخلوقين وأنَّ السماوات والأرض مخلوقات من مخلوقات الله.

– التسليم بربوبية الله من التوحيد الفطري، الذي لا يعقل إنكاره، كما أنه لا يكفي لدخول المرء إلى الايمان، بل يستلزم الإقرار بتوحيد العبادة، والاقرار بأن الخالق وحده هو المستحق للعبادة لوحده.

– توحيد الربوبية مقدمة ضرورية ينتقل بها الانسان إلى التوحيد المطلوب منه الذي هو توحيد الإلهية، وأن هذا الاستلزام بينهما يقره الشرع بآيات القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كما تقرره العقول السليمة، ويعيها التدبر والتفكر.

– الاكتفاء بتوحيد الربوبية لا يكفي لحصول الإيمان وحده، لكن انكاره كفر والحاد يمنع الايمان كله ويجعل صاحبه كافرا ومشركا.

– للقاعدة آثار علمية واجتماعية على العبد فهي من جهة تدل المتعلم على منهج التدبر ال\ي يوصل إلى الايمان الصحيح، اذا الانسان مجبول بالفطرة وما تقتضيه من شعور وادراك داخلي، كما أن مجبول بالتفكر فرزقه الله العقل ليتدبر به في آياته الكونية والشرعية، كما أن مجبول بالتأمل في الطبيعة وكل ما يحيط به من مخلوقات، فرزقه الله الحواس من أجل ذلك، وجعلها أسباب ووسائل تساعد الانسان للخلوص إلى النتيجة الحتمية التي هي الغاية التي خلق من أجلها، وهي توحيد العبادة، فيتيقن الانسان

[1]– – المكي محمد الناصري؛ التيسير في أحاديث التفسير، مصدر سابق، ج2/ص110.

بفطرته وعقله وحواسه، أن الرب الذي خلق الانسان وكل هذا العالم وحده بدون معن وشريك فهو المستحق للعبادة والخضوع وحده لا شريك له.

– كما للقاعدة أثر عظيم في تثبيت الايمان في القلوب، وترسيخ العقيدة الصحيحة لدى المؤمنين، وهذا الرسوخ واليقين الذي يصل إليه يجعله في مأمن على هويته، وعلى أصالته وانتمائه، ويقوي جذوره للثبات أما عواصف دعاوى الالحاد والكفر والتشكيك، التي اكتسحت المجتمعات وباتت تهدد أمنها على عقيدته وهويتها، بل وكيانها الأيديولوجي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: [الأمر بتحقيق التوحيد أول[1] دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو أو واجب على العبيد وأول حق للمعبود –عز وجل–]

المطلب الأول: تصور القاعدة:

القاعدة السالفة الذكر تضمنت أن توحيد الربوبية ضرورة لكنه لا يتحقق به الاسلام ولا يكفي لتمام التوحيد وكماله، والإقرار به لا يكفي لدخول الإسلام وقد رأينا الخلائق جميعهم يقرونها بالفطرة، وعلمنا أن الأنبياء لم يكن خلافهم مع أقوامهم فيه، كما دلت الآيات والاحاديث والعقول السليمة أيضا أن الاعتراف بربوبية الله مغروزة في الفطر معلومة بالضرورة أو بالاضطرار ،كما رأينا أيضاً انها من المطلوب في الدين بالضرورة وهي كما سوف نرى في تقريرات المالكية وعلماء الأمة على الغالب تفضي إلى توحيد الإلهية وتستلزمه بالضرورة وعلى ذلك كان مضمون القاعدة السالفة هو أن توحيد الربوبية يستلزم ويقود إلى توحيد الربوبية وهو دليل عليه وإليه ،وهذا الاستلزام يستوجب تحقيق التوحيد كما أراده رب العبيد من العبيد، فكان بذلك هو أول ما دعت له الرسل أقوامها وكان سبب خلافهم وسبب الحروب بينهم ،وكان أول واجب على غير المسلم ليدخل دين الإسلام ويصير مسلما، لأنه الغاية من خلقهم هي توحيد العبادة لله وحده لا شريك له، قال الله عز وجل-:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

---

[1] – هذه مسألة دخلت في كتب العقيدة ردًا على آراء كلامية وتقعيدات فلسفية، وهذه المسألة عنون لها أصحابها بـ "أول واجب على العبد" "أول واجب على المكلف" "أول واجب على العبيد"...وقد اختلف أهل الكلام في هذه المسألة على اثني عشر قولًا سردها الباجوري في كتابه " تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد"، والخلاف بينهم في حقيقته نظري كما قرر الجويني والرازي والتفتازاني ووافقهم ابن تيمية–رحمة الله عليهم جميعا– وغير واحد من الباحثين، ولما حدثت هذه البدعة انتشر مبحثها في كتب أهل السنة للرد على مذاهبهم فيها سواء من قال: إنَّ أول واجب هو: (النظر) أو (القصد إلى النظر) أو (أول أجزاء النظر) أو (المعرفة) أو (الشك) أو أو ...، وكان لابد حينها على علماء السنة من تحديد موقفهم الصحيح من هذه المقولة، ثم بيان القول المعتمد المستقى من الأدلة الشرعية وأقوال السلف –فهما المرجع الوحيد لأهل السنة في تقرير عقائدهم وما سوى ذلك فإنما يورد على سبيل تكثير الأدلة كالعقل والفطرة ونحوها– فحينها وجدنا جماعة من علماء السنة صار يطلق القول :إنَّ أول واجب على العبيد هو (التوحيد) أو (عبادة الله) أو (معرفة الله) أو (شهادة ألا إله إلا الله) ونحوها من العبارات التي هي كذلك متفقة معنى وإن اختلفت ألفاظها فمرادهم الشهادتين وتعلم ما دلت عليهما، وفي هذا يقول ابن أبي العز –رحمه الله – في شرحه: وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إلَى النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ. بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إذَا بَلَغَ أَوْ مَيَّزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطِبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوُجُوبُهُ يَسْبِقُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ. ينظر: شرح عقيدة الطحاوي، طبعة الريان، ت:ياسين، ص25، 26، وابن تيمية؛ درء تعارض العقل والنقل، المصدر السابق، ج8/ ص38.

﴾[1] فجعل الغاية هي العبادة وأمر الأنبياء أن تكون أول ما يدعون إليه أقوامهم كما في الآية حيث قال أيضا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] ، ولما كانت الغاية هي العبادة وتجريد التوحيد لرب العبيد كان لزاما العمل على تعلمه وتعليمه أولى الأولويات وأهم المهمات، ولما كان الأنبياء أول من أمر الله أن يبنوا للناس واجبهم كان بضرورة العقل التي وافقت منطوق الآيات القرآنية أن تكون الدعوة إلى التوحيد أولا وقبل أي شيء ،وعليه من الواجب معرفة شروط هذا التوحيد واشكاله وأفراده والتوجه به خالصا لله فتكون العبادة كلها لله واجب على العبيد وحق لله رب العالمين.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

هذه القاعدة العظيمة التي هي أول دعوة الرسل هي إلى تحقيق العبادة الخالصة لله وتجريد التوحيد له سبحانه وتعالى ،والتي هي غاية الله من خلقه للإنسان والجان ؛فهي قاعدة مفصلية لأنها تفصل بين من هو داخل في الإيمان وتشمله كلمة الإسلام ومن هو على خلاف ذلك، فتحقيق مضمون هذه القاعدة هو الغاية من بعث الرسل وتنزيل الكتب، ومنه كان التفقه والعلم به ضرورة ملحة وواجب عيني لا حجة لمن فرط في تعلمه، فعلم التوحيد وفقهه هو العلم الذي يجدر العناية به؛ تعلما وتعليما، والحرص على العمل بموجبه ومقتضاه، لتكون الأعمال صحيحة، مقبولة عند الله نافعة للعباد، وتزداد الأهمية وتتوجب في آخر هذا الزمان الذي تجددت فيه البدع واستفحلت في الشركيات وانتشرت وراجت الشبهات، ففتحت علينا أبواب وثنية جديدة تحت مضلة العلم والمنهج التجريبي والتجديد وما إلى ذلك من صور الانحرافات التي تقودها أياد الملحدين والعلمانين، ومن القبورية الوثنية الجديدة، فلا محصن ولا ملجأ للمؤمن إلا أن يتعلم دينه وأهم ذلك عقيدته، وتزداد درجة الوجوب على أهل العلم والبحث لكي يبينوا للناس دينهم ويعملوا على كشف الشبهات ومواجهة الغارات، فما هي الأحكام والشروط التي يجب تفقهها لتحقيق التوحيد.

---

[1] – سورة الذاريات؛ الآية: 56.

[2] – سورة الأنبياء؛ الآية: 25.

أ- **التوحيد بمفهوميه:** التوحيد بمفهومه العام، هو اعتقاد تفرد الله تعالى بالربوبية وإخلاص العبادة له، واثبات ماله من الأسماء والصفات فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولكل نوع من هذه الأنواع معنى وشروط.[1]

وهو من مصدر وحد يوحد توحيدا، وتوحيد الشيء جعله واحدا، تقول: وحدت المتكلم، إذا جعلته واحدا، ووحد المسلمون: إذا جعلوا المعبود واحدا، وهو الله – جل وعلا – والتوحيد المطلوب يشمل ما أمر الله به في كتابه من توحيده وهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات[2].

وقد علم بالاستقراء لنصوص الشرعية القرآن والسنة أن التوحيد يقتضي هذا التقسيم وسارت عليه الأمة واستقبلته بالقبول، واستحسنته لما فيه من المام واحاطة بمقتضيات التوحيد وجوانبه والتي سوف نراها ونستدل لها بالنصوص الصريحة الصحيحة.

ب–أقسام التوحيد: اختلفت تقاسيم[3] العلماء للتوحيد، لقد جرى عمل غالب علماء الأمة في هذا الباب، ذكر الأقسام التي يحتوي عليها ركن الإيمان بالله وهي ثلاثة أقسام على أشهر اختيارات العلماء؛ قسم توحيد الألوهية، وقسم توحيد الربوبية، وقسم توحيد الأسماء والصفات، ومنهم من قسمه التقسيم الثنائي: توحيد المعرفة والاثبات وتوحيد الإثبات، وقيل: التوحيد العملي، والتوحيد العملي، وقيل: التوحيد الخبري والتوحيد الطلبي، وقيل: التوحيد القولي والتوحيد العملي، وقيل: توحيد السيادة وتوحيد العبادة، وكل هذا توحيد اختلاف لا تضاد.

في القول التوحيد أول واجب لأنه أول دعوة الرسل.

هذه مسألة دخلت في كتب العقيدة ردًا على آراء كلامية وتقعيدات فلسفية، وهذه المسألة عنون لها أصحابها بـ "أول واجب على العبد" "أول واجب على المكلف" "أول واجب على العبيد" ،وقد

---

[1] – نور الدين الامام؛ فتاوى علماء المالكية، المرجع السابق، ص166-268، وينظر: إبن فارس؛ معجم مقاييس اللغة، المصدر السابق، ج6/ ص90،91، وينظر: صالح بن الفوزان الفوزان؛ عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو يناقضها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، ط1، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1434هـ/ص22.

[2] – الجوهري؛ الصحاح، المرجع السابق، ج2/ ص548، لسان العرب، ج15/ ص231، وينظر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ؛ التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ط1، دار التوحيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423/2002م، ص6.

[3] – الزبيدي؛ تاج العروس، المرجع السابق، ج9/ ص277، وينظر: نورالدين الإمام؛ فتاوى علماء المالكية، المرجع السابق، ص169، 170، وينظر: مدارج السالكين، ج3/ ص449، 450.

اختلف أهل الكلام في هذه المسألة على اثني عشر قولًا سردها اللاقاني في كتابه " اتحاف المريد بجوهرة التوحيد" واجزم بأن أولا **مما يجب*****معرفةٌ **وفيه خلف منتصب**.

قال الشارح اللقاني:" (خلف) أي: اختلاف (منتصب) أي: قائم بين الأمة، [1].

وذكره الباجوري[2] في "تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد"، والخلاف بينهم في حقيقته نظري كما قرر الجويني والرازي والتفتازاني ووافقهم ابن تيمية–رحمة الله عليهم جميعا– وغير واحد من الباحثين، ولما حدثت هذه البدعة انتشر مبحثها في كتب أهل السنة للرد على مذاهبهم فيها سواء من قال: إنَّ أول واجب هو: (النظر) أو (القصد إلى النظر) أو (أول أجزاء النظر) أو (المعرفة) أو (الشك) أو أو ...، وكان لابد حينها على علماء السنة من تحديد موقفهم الصحيح من هذه المقولة، ثم بيان. القول المعتمد المستقى من الأدلة الشرعية وأقوال السلف –فهما المرجع الوحيد لأهل السنة في تقرير عقائدهم وما سوى ذلك فإنما يورد على سبيل تكثير الأدلة كالعقل والفطرة ونحوها– فحينها وجدنا جماعة من علماء السنة صار يطلق القول :إنَّ أول واجب على العبيد هو (التوحيد) أو (عبادة الله) أو (معرفة الله) أو (شهادة ألا إله إلا الله) ونحوها من العبارات التي هي كذلك متفقة معنى وإن. اختلفت ألفاظها فمرادهم الشهادتين وتعلم ما دلت عليهما، وفي هذا يقول ابن أبي العز –رحمه الله – في شرحه: وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ. بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ أَوْ مَيَّزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطِبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوُجُوبُهُ يَسْبِقُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ. "[3]

---

[1] – انظر: عبد السلام بن إبراهيم اللقاني؛ اتحاف المريد بجوهرة التوحيد، ط1، دار المعرفة، الدار البيضاء، المغرب، 1438هـ/2016م ص33.

[2] – ابراهيم بن محمد بن احمد الباجوري الشافعي شيخ الجامع الازهر، ولد في الباجور، احدى قرى مديرية المنوفية بمصر، وقدم الازهر فتعلم فيه. من تصانيفه: تحفة البشر على مولد ابن حجر، التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية في الفرائض، تحفة المريد على جوهرة التوحيد توفي 1277هـ. ينظر: معجم المؤلفين؛ ج1/ص 84، والأعلام، ج1/ص 71.

[3] – ابن أبي العز الحنفي؛ شرح العقيدة الطحاوية، ت: أبو العباس العدني، ط4، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ومكتبة الإمام الوادعي، صنعاء، اليمن، 1435هـ/2014م، ص25-27.

ولما كان هذا الاختلاف الذي اشرنا اليه كان الجامع الذي لا يختلف فيه قول: أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله[1]، ومن أجل الفقه في المسألة بعض الشيء فإن الاختلاف في أصله كلامي وانما الأمة توارثت ما ذكرناه في القاعدة عملا بالآيات والأحاديث التي سيأتي ذكرها في مبحث الاستدلال على القاعدة، وهي أن التوحيد هو أول ما دعت إليه الرسل؛ فالسلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ[2]، ومنه يظهر عدم صحة إطلاق القول بأن التوحيد أول واجب على العبيد إطلاقا كليا.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾[3]، هذه الآية الكريمة تفيد الاستغراق أن الدعوة إلى التوحيد اشترك فيها كل الرسل، وهي تدل أن الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يجب في دعوة الأنبياء أقوامهم، وقد قال يحي بن سلام في تفسير الآية وتوضيح معانيها :" أَيْ: لا تَعْبُدُوا غَيْرِي، بِذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ جَمِيعًا.

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ ﴾[4].

معلوم أم نوح صلى الله عليه وسلم أول الرسل وقد دلت الآية في ترتيبها أن أول شيء أمره الله به هو العبادة وتحقيق التوحيد ثم نفي الشرك والنهي عنه وبعده ذكر بقية الأحكام والشرائع ، وقد قال مقاتل بن سليمان:" يعني يوحدون ربهم لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ يعني وحدوا الله مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ يقول ليس لكم رب غيره فَإِن لم تعبدوه إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ فى الدنيا عَذابَ يَوْمٍ

---

[1] – المصدر نفسه، ص24.

[2] – المدونة، المرجع السابق، ج2/ ص135، وينظر: ابن تيمية؛ درء التعارض، المصدر السابق، ج8/ص11.

[3] – سورة الأنبياء؛ الآية: 25.

[4] – سورة الأعراف، الآية: 59.

عَظِيمٍ"[1].أي: أول شيء دعاهم إليه هم عبادة الله وتحقيق التوحيد له وحده لا شريك له. ومثله في تفسير ابن أبي حاتم حيث ذكر لنا في أثر عن ابن عباس وعبيد بن عمير أن الله بعث نوحا وأمره أولا الدعوة الى عبادة الله —التوحيد– ولبث فيه السنون الطوال فقال:" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَلَمَةَ، ثنا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ مِنْ حَدِيثِ نُوحٍ وَحَدِيثِ قَوْمِهِ فِيمَا قَصَّ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَذْكُرُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ، وَمَا حَفِظَ مِنَ الأَحَادِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَدْ فَشَتْ فِي الأَرْضِ الْمَعَاصِي، وَكَثُرَتْ فِيهَا الْجَبَابِرَةُ، وَعَتَوْا عَلَى اللَّهِ عُتُوًّا كَبِيرًا ..."[2]

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3].

وعلى منهج نوح أكمل هود المهمة في قومه، ودعاهم إلى دين الله وبدأ بالتوحيد والتحذير من الشرك وعاقبته الوخيمة والآية تدل أنه أول ما دعاهم إليه هو التوحيد ونبذ الشرك ولأجل ذلك خالفهم وخالفوه وحاربوه، وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله **قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ يعني أفلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره**[4]، وفيه بيان أن أهم ولب دعوته فيهم هي التوحيد حيث أمرهم بعبادة الله وخوفهم من عبادة غيره وبين لهم أن الشرك هو سبب غضب الله وهلاكهم، وهذه دعوة الرسل جميعا، و أن هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره.

وإلى نفس القول ذهب الطبري في تفسيره فقال: " يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هودا، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة

---

[1] – مقاتل بن سليمان؛ التفسير، المصدر السابق، ج2/ ص43، وأنظر: الطبري ج10/ ص260.

[2] – أبو محمد عبد االرحمان بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، م ع س، 1419هـ/ 1999م، ج5/ ص1704. رقم:8619.

[3] – سورة الأعراف؛ الآية: 65.

[4] – علاء الدين بن علي الخازن؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ، ج2/ ص216.

والأوثان... **ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالألوهة...** ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه"[1].

وقال يحي بن سلام نفس القول: (كَانَ أَخَاهُمْ فِي النَّسَبِ وَلَيْسَ بِأَخِيهِمْ فِي الدِّينِ، {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، يَعْنِي: وَحِّدُوا اللَّهَ، تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ.)[2]؛ فهذه كلها أدلة يستنتج منها أن أول دعوة الرسل هي التوحيد كما في القاعدة.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، وفي الآية أيضا خاطب الله عز وجل نبيه شعيبا بما خاطب به غيره من الأنبياء وبدأ بالتوحيد أولاً كما هو في ظاهر الاية الذي لا يستدعي تأويلا ولا فلسفة فقال صاحب التفسير الكبير: " وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنْ شُعَيْبٍ أَنَّهُ أَمَرَ قَوْمَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَهَذَا أَصْلٌ مُعْتَبَرٌ فِي شَرَائِعِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ"[3] ؛ فقال الأول أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن الشرك، وفيه تصريح يوافق القاعدة موافقة تامة، ثم أشار إلى أنها قضية مشتركة بين جميع الأنبياء والرسل وأصل معتبر لا يحيد عنه أحد.

ومن الآيات أيضا قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[4]، وفي هذه الآية دلالة جلية واضحة عن عن القاعدة والعبارة صريحة وهي أن الرسل جميعه بعثهم الله بواجب يبدؤون به وهو الدعوة إلى التوحيد، ففسر مقاتل

---

[1] – الطبري؛ جامع البيان، المصدر السابق، ج12/ص442.

[2] – تفسير يحي بن سلام؛ المصدر السابق، ج2/ ص550.

[3] – الفخر الرازي؛ التفسير، المصدر السابق، ج14/ ص313.

[4] – سورة النحل؛ الآية: 36.

بن سليمان[1] قوله تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ)) **يعني: أن وحدوا الله** ((وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) **يعني عبادة الأوثان**[2].

وجه الاستدلال بالآيات:

تواترت التفاسير لما في القرآن الكريم من آيات تدل على أن رأس أمر دعوة الرسل هو مضمون هذه القاعدة وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل واجتناب الشرك ونبذه، وهو ما قال به الشنقيطي:" **بدأ هذه الوصية بعدم الإشراك بالله؛ لأن إخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به هذا رأس الأمر، وهو الذي بعث الله جميع الرسل من أجله،** وهو الذي فيه المعارك بين الرسل والأمم، والله قد أوضح في كتابه ذلك إجمالاً وتفصيلاً "[3]. فصرح بلفظ القاعدة وقال:(لأن إخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به هذا رأس الأمر، وهو الذي بعث الله جميع الرسل من أجله)، وبنفظ المنهج صرح في كتاب التفسير الموضوعي بالقاعدة فقال:" هذه الآية تقرر أن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسولًا، وكان أول دعوة كل رسول في كل أمة: أن اعبدوا الله ولا تشركوا به الطواغيت، والطواغيت: كل ما يعبد من دون الله تعالى، وهو مشتق من الطغيان"[4]، فقال: (وكان أول دعوة كل رسول في كل أمة أن أعبدوا الله ولا تشركوا به الطواغيت).

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

وردت في السنة النبوية الشريف الدلة الكثيرة والمتعدد في أثبات أن التوحيد أول دعوة الرسل وأنه أول واجب على العبيد وحق للمعبود، ومن تلكم الأحاديث نختار ما يجعل القاعدة شرعية ومرتبطة بالسنة النبوية باعتبارها أساس استنباط كل الاحكام والقواعد الشرعية المتعلقة بالأحكام أو بالعقائد ومنها:

---

[1] – مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. من كتبه: التفسير الكبير جزء منه، و نوادر التفسير و الرد على القدرية ينظر: وفيات الأعيان؛ ج2/ ص112، وتهذيب التهذيب؛ ج10/ ص279.

[2] – أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي؛ تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1423هـ/2003م، ج2/ ص468.

[3] – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي؛ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، ط2، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، م ع س، 1426هـ/ 2006م، ج2/ ص450.

[4] – مناهج جامعة المدينة العالمية؛ التفسير الموضوعي، ط1، جامعة المدينة العالمية، ص13.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم –لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن **أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله. وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله،** فإن هم أطاعوك لذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم بين لمعاذ بن جبل منهج الدعوة وأن أول شيء يجب البداية منه هو الدعوة إلى التوحيد، وبعده تأتي باقي الشرائع، وقد ذكر صاحب الارشاد في التعليق على هذا الحديث أن التوحيد أساس دعوة الرسل فقال:" فمن هذا الحديث الشريف، ومن استقراء دعوة الرسل في القرآن، ومن استقراء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، يؤخذ الدعوة إلى الله، وأن أول ما يدعى الناس إليه هو العقيدة، المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه؛ كما هو معنى لا إله إلا الله.

ويلاحظ هنا التصريح بلفظ " أول " في الحديث حيث قال: " **فليكن أول ما تدعوهم إليه** " فهو نص في الموضوع، مع أن المتواتر من أحواله – صلى الله عليه وسلم– وسيرته أنه كان يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وهذا منهج رسل الله جميعا حيث إنهم " يأمرون بالغايات المطلوبة من الإيمان بالله ورسوله وتقواه، ويذكرون من طرق ذلك وأسبابه ما هو أقوى وأنفع، وأما أهل البدع المخالفون لهم فبالعكس يأمرون بالبدايات والأوائل"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: ((**أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**))[3]؛ فشاهدة أحدنا بكلمة التوحيد –لا إله إلى الله– هي أول شرط وواجب به يصير الرجل مسلما ؛فالواجب أن تكون أول ما يجب الدعوة إليه فكانت البداءة به من طرف الرسل صلى الله عليهم وسلم قال: ابن تيمية رحمه الله معلقا على الحديث: "وقد عُلِم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 7372، ومسلم؛ رقم: 19.

[2] – المصدر نفسه، ج21/ ص08.

[3] – أخرجه البخاري، رقم (25) ، ومسلم، رقم(22)

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليًا، والمباح دمه وماله معصومَ الدم والمال"[1].

والدليل في أثر آخر:(**وقال (هرقل) لأبي سفيان ـ لما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول لكم؟ ـ قال: يقول: "اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم))**[2].

الملاحظ في الحديث أن سؤال هرقل –ملك الروم– لما سأل أبا سفيان —رضي الله عنه– عن دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– سأله سؤالا عاما دون تفصيل، لكن جواب أبو سفيان جاء على الترتيب الذي يدل على الأولوية التي بدأ منها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يقول: **أعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً**، أي أنه أول ما بدأ الدعوة إليه وحو تحقيق التوحيد وترك ضده الشرك، ثم ذكر باقي التشريعات والأحكام والأخلاق.

وجه الاستدلال من الحديث:

من ظاهر الحديث وصريح عبارته كان الجواب على سؤال هرقل: بماذا يأمركم: قال أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له ولا نشرك به شيئا، أي: أول واجب أمرنا به هو تحقيق التوحيد، وأول قضية دعا إليها صلى الله عليه وسلم هي تحقيق التوحيد ونبذ الشرك، وهي عبارة صريحة تتضمن مقتضى القاعدة، وتبين جوهرها وهو أن أول واجب على العباد هو أول ما دعت إليه الأنبياء وهو توحيد الله عز وجل.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

العقل السليم كما علمنا في قواعد المنهج يوافق النص الصريح وقد رأينا من النصوص الصريحة الوضيحة التي دلت وأكدت أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأن كل الأنبياء كانت دعوتهم مستهلة بالدعوة إلى تحقيق التوحيد وترك الشرك وهذ يقره العقل ويبرره، فإذا كان الدين من خلال صريح الآية جاء لغاية أساسية ومحورية وهي بيان الغاية من الخلق هي العبادة وأن الله خلقنا ورزقنا وانزل الرسل لذلك فالواجب عقلا على الأنبياء أن يوضحوا للناس أول غاية، والاجابة على أهم التساؤلات التي يطرحها وعلى رأس تلكم التساؤلات، ما أصل الوجود؟ وماهي الغاية من وجودنا وخلفنا؟ ولماذا ولأي غاية

[1] – ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج16/ ص330.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم 7.

خُلقنا، فكان أول مطلوب من الأنبياء هو بيان ذلك، فكذلك التوحيد بالنسبة إلى باقي مشكلات الأمة والمجتمع والفرد هو الأساس الذي يجب البداءة به والتركيز عليه في الدعوة والإصلاح، ثم تأتي باقي القضايا والمسائل الشرعية.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

تعددت تقريرات الأئمة المالكية لهذه القاعدة العظيمة فمنها ما كان تقرير لفظي مباشر وتصريح قولي على أنه قاعدة ومنها ما يفهم من تطبيقاتهم وترجيحاتهم العامة من خلال كتب تفاسير القرآن الكريم وشروح أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم أو في تقريراتهم العقائد والرد على المخالفين في مسائل العقيدة والكلام عن الأصول العامة لما يجب اعتقاده.

فلو رجعنا إلى تفاسير كثيرة تحيل القول بالقاعدة إلى مالك بن أنس إمام المذهب، في الآيات التي أدرجناها كأدلة من القرآن الكريم نجدهم قد استدلوا بها على أن التوحيد أو دعوة الرسل وأن أو ما دعوا إليه أقوامَهُم هو أول ما أمروا به أن يفعلوه وهو التوحيد والتحذير من الشرك ومما قالوه في القاعدة:" قوله عز وجل: **((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون))؛ أي فوحدوني،** وقيل لما توجهت الحجة عليهم، ذمهم على جهلهم بمواضع الحق، فقال بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون، أي عن التأمل والتفكر و**ما يجب عليهم من الإيمان بأنه لا إله إلا هو، وهو قول الأئمة، مالك والشافعي وغيرهم...**"[1]، فتبين من كلامه الأخير الذي أحاله إلى الأئمة أن أول ما توجب عليهم هو الإيمان بأنه لا إليه إلا هو، أي أن يعلموا ويقروا أن أول واجب عليهم لتحقيق الإيمان هو الإيمان بأنه لا اله إلا الله وتحقيق التوحيد الخاص له.

وذكر الثعلبي أن الله عز وجل أرسل لكل الأمم رسلا مبشرين ومنذرين، وأمرهم أن يكون أو واجب هو أن يبينوا لأقوامهم أن الله يوجب عليهم التوحيد والتوجه إليه وحده بالعبادة واجتناب الطاغوت فقال:" **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله يعني بأن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهو كل معبود من دون الله فمنهم من هدى الله في دينه ومنهم من حقت أي وجبت عليه الضلالة حتى**

[1] – علاء الدين علي الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج3/ ص224.

مات على كفره فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي خراب منازلهم وديارهم بالعذاب والهلاك إن تحرص يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل"[1]

إلى نفس المعنى ذهب القشيري في تفسيره الآية فقال:" **التوحيد في كل شريعة واحد، والتعبد –على من أرسل إليه الرسول– واجب**، ولكنّ الأفعال للنسخ والتبديل معرّضة، أما التوحيد وطريق الوصول إليه فلا يجوز في ذلك النسخ والتبديل"[2]؛ فصرح أن العقيدة واحدة وإن تعددت شرائع الأنبياء فقد تنسخ وتغير الرائع لكن الدين واحد عند الله وهو الإسلام وهو التوحيد الخالص لله تعالى ،ويظهر من كلامه أنه أول واجب على العبيد من قوله (التوحيد في كل شريعة واحد، والتعبد– على من أرسل إليه الرسول– واجب)، وهذا قياسا على أنه دين الرسل الذي اجتمعوا فيه وكان بذلك أول ما يجب أن يبلغوه أقوامهم.

ومن أئمة المالكية الذين صرحوا بالقاعدة ابن عبد البر حيث صرح قائلا:" **فكما لا يكون السلم مسلما حتى يشهد أن لا إله إلا الله، بشهادة الحق، فكذلك لا يكون متطهرا ولا مصليا حتى ينطق بالشهادة**"[3]؛ فيفهم من كلامه إن أول واجب على المسلم هو التوحيد، فلا يُقبل منه أداء أي واجب إلا بعد أن يحقق الواجب الأول وهو التوحيد فلما كان ذلك كذلك فلا يعقل أن لا يكون أول ما يبدأ به الأنبياء دعوتهم.

وقد صرح ابن عطية بأن التوحيد عقيدة الأنبياء جميعهم وأن الدعوة إليه مستهل كل دعوة الأنبياء فهي بذلك أول واجب فقال:" لما أخبرهم تعالى أنهم لا يعلمون الحق لإعراضهم أتبع ذلك بإعلامهم **أنه ما أرسل قط رسولا إلا أوحى إليه أن الله تعالى فرد صمد، وهذه عقيدة لم تختلف فيها النبوات**، وإنما اختلفت في الأحكام"[4]؛ يظهر من قوله بالا استغراق كل الأنبياء في نفس المهمة وهي الدعوة لتوحيد الواحد الأحد الفرد الصمد، وهي دلالة واضحة على القاعدة على أن أول واجب في دعوة الأنبياء هو الدعوة إلى التوحيد.

---

[1] – أحمد الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج6/ ص16.

[2] – عبد الكريم بن هوزان القشيري؛ لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج2/ ص498.

[3] – ابن عبد البر؛ الكافي في فقه أهل المدينة، ط1، مكتبة الرياض الحديث، الرياض، السعودية، 1398هـ، ج1/ ص153.

[4] – أبو محمد عبد الحق بن غالب، بن عطية الأندلسي؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1422هـ/ 2002م، ج4/ ص79.

وقال الطرطوشي كلاما يؤكد قوله بالقاعدة، وأن تحقيق لا إله إلا الله هي أول واجب وآخر واجب، فقال معلقا عن حديث (**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**):" فمفتاح الدخول في الإسلام: لا إله إلا الله، وخاتم الخروج من الدنيا والقدوم على الله: لا إله إلا الله"[1]، وقد أكد هذا الكلام في مواضع كثيرة مختلفة بين فيها أن التوحيد هو أول واجب على العباد وأول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد صرح ابن رشد أنه مذهب سحنون[2].

وقد ببين القرطبي أن أول دعوة الرسل هي الدعوة إلى التحيد وترك الشرك واجتناب عبادة الطاغوت فقال في تفسير قوله تعالى: (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله**) ؛أي: بأن اعبدوا الله ووحدوه. (واجتنبوا الطاغوت) **أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال**. فمنهم من هدى الله أي أرشده إلى دينه وعبادته"[3].

وقد استدل البيضاوي[4] على أن ادعاء الآلهة مع الله باطل نقلا وعقلا، ولا حجة لهم في ذلك وأن الكتب السماوية كلها دليل على أن التوحيد خالص لله وحده وأنه نقطة اتفاق بين الرسل وأول ما يدعون اليه أقوامهم فقال:" في قوله تعالى: ((**هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**)) **من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك، والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب** صح الاستدلال فيه بالنقل ومَنْ مَعِيَ أمته ومَنْ قَبْلِي الأمم المتقدمة وإضافة ال ذِكْرُ إليهم لأنه عظتهم"[5].

---

[1] – الطرطوشي؛ الدعاء المأثور، المصدر السابق، ج1/ ص58، 59.

[2] – ابن رشد؛ البيان والتحصيل، المصدر السابق، ج2/ ص213.

[3] – القرطبي؛ التفسير الجامع ، المصدر السابق، ج10/ ص103.

[4] – عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء، من كتبه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ط " يعرف بتفسير البيضاوي، و " طوالع الأنوار – ط " في التوحيد، و " منهاج الوصول إلى علم الأصول – ط "، توفي: 685 هـ. ينظر: البداية والنهاية ج13/ ص309، طبقات السبكي ج5/ص 59.

[5] – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ، ج4/ ص49.

وقد سئل ابن عرفة[1] عن تأويل قوله تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ...}**، فقال: حكى الفقهاء في كتاب الجهاد والخلاف هل خلا العقل من جمع أو لا وحكاه المازري في المعلم، قلت لابن عرفة: قد قالوا لأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هو ونوح كانا عامين [للعرب والعجم*] فدل على أن غيرهما لم يرسل للعجم، فيرى العقل خلا من السمع، فقال: إنما ذلك في التفاصيل والأحكام وأما [الإيمان بوجود الإله ووحدانيته*] **فكل شيء أرسل بذلك على العموم، فإن قلت: قس بن ساعدة وغيره من فصحاء العرب وعبدة الأصنام كانوا لَا يعرفون الإله بوجه، قلنا: إنما ذلك في عوامهم وأما رؤساؤهم فيعرفون وجود الإله وإن كانوا متعاهدين على ذلك**"[2].

وقد بين الثعالبي في تفسيره أن كل الكتب السماوية متفقة أن الله هو وحده الخالق لا شريك له فلا يصح بعد ذلك أن يعبد غيره، كما رأينا في قاعدة الربوبية تستوجب الإلهية فقال:" وقوله: هذا ذكر من معي وذكر من قبلي يحتمل أن يريد بالإشارة بقوله: **هذا إلى جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها– أنها تبين أن الله الخالق واحد لا شريك له**، ويحتمل أن يريد بقوله: هذا القرآن والمعنى: فيه نبأ الأولين والآخرين فنص أخبار الأولين، وذكر الغيوب في أمورهم، حسبما هي في الكتب المتقدمة، وذكر الآخرين بالدعوة، وبيان الشرع لهم، ثم حكم عليهم سبحانه بأن أكثرهم لا يعلمون الحق، لإعراضهم عنه، وليس المعنى: فهم معرضون لأنهم لا يعلمون بل المعنى: فهم معرضون، ولذلك لا يعلمون الحق، وباقي الآية بين، ثم بين سبحانه نوعا آخر من كفرهم بقوله: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية كقول بعضهم: اتخذ الملائكة بناتا، وكما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، واليهود في عزيز"[3]. فتبين أن التوجه إلى غير الله أو اعتقاد الشريك في الربوبية أو الإلهية كفر خلاف دين الرسل ودعوتهم.

ذكر صاحب محاسن التأويل أن التوحيد هو أول واجب على العبيد وأنه أول وأعظم حقوق المعبود عز وجل، وأنه نقطة التقاء واشتراك بين كل الأنبياء فقال في تفسيره، وقد بدئ بأعلى الحقوق وأعظمها. وهو حق الله تبارك وتعالى. أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا. وبهذا أمر جميع خلقه. ولذلك

---

[1] – محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، من كتبه: من كتبه (المختصر الكبير " في فقه المالكية، و "المختصر الشامل ، توفي: 803 هـ. ينظر: نيل الابتهاج ص 274، الضوء اللامع ج9/ص 240.

[2] – ابن عرفة؛ التفسير، المصدر السابق، ج3/ ص19.

[3] – أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1418هـ، ج4/ ص84.

خلقهم. كما قال تعالى: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**)). وقال تعالى: ((**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. وبالوالدين إحسانا**)) والإحسان نهاية البر، فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين، **حتى قرن تعالى الأمر بالإحسان إليهما، بعبادته التي هي توحيده، والبراءة عن الشرك، اهتماما به وتعظيما له**"[1]؛ ومن قوله يستفاد أن الدعوة تبدأ من التوحيد وذلك قياسا على الآية التي بدأ فيها الله عز وجل بالتوحيد ثم بنى عليه بقية الأحكام تباعا له ويستفاد أيضا أن هذا الواجب العظيم هو الدعوة المشتركة بين كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وذكر المبارك الميلي[2] القاعدة وصرح بها في رسالة الشرك وظاهره فقال :" **إن القرآن العظيم يقص علينا في جلاء ووضوح أن أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين هو توحيد الله، وأول ما ينكرونه على قومهم الشرك ومظاهره**، وعلى حكم هذه السنة الرشيدة جاءت بعثة خاتم النبيين – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ فعنيت بالدعوة إلى التوحيد، والتحرز من الشرك، والتحذير منه، وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته، وإنك لتجد تلك العناية ظاهرة في الكتاب وأطوار البعثة وأركان الدين"[3]، فتبين من قوله:(أن أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين هو توحيد الله) تقرير للقاعدة مطابق لها حتى في ألفاظها.

وقد اعتبر الطاهر بن عاشور أَنَّ الآية تدل على اتفاق الدعوة في أهم قضاياها بين كل الأنبياء والمرسلين جميعهم فقال في تفسير الآية: ((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون))؛ لما أظهر لرسوله أن المعاندين لا يعلمون الحق لإعراضهم عن تلقيه أقبل على رسوله صلى الله عليه وسلم بتأييد مقاله الذي لقنه أن يجيبهم به وهو قوله تعالى: ((قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي))، **فأفاده تعميمه في شرائع سائر الرسل سواء من أنزل عليه كتاب ومن لم ينزل عليه كتاب، وسواء من كان كتابه باقيا مثل موسى وعيسى وداود ومن لم يبق كتابه مثل إبراهيم**"[4]،

---

[1] – محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي؛ محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418، ج1/ ص343.

[2] – الشيخ العلامة مبارك بن محمد الميلي الجزائري، من أفاضل علماء الجزائر، وأحد أعضاء جمعية العلماء من كتبه : رسالة الشرك ومظاهره، توفي: 1364 هـ. ينظر: مقدمة كتاب رسالة الشرك ومظاهره، ومعجم المؤلفين، ج3/ ص13.

[3] – مبارك الميلي؛ رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص39.

[4]– الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج17/ ص49.

أي: أن هذه القضية وهي: عبادة الله وحده لا شريك له، عامة وشاملة كل الأنبياء في دعوتهم، فهم جميعا كلفوا أولا أن يبلغوا أقوامهم أنه لا اله إلا الله وحده لا شريك له.

وقال الشنقيطي في القضية أن الأنبياء متفقون في الأصول ودعوتهم واحدة في العقيدة وهي الدعوة إلى التوحيد وأما الشرائع فمختلفون عليهم الصلاة والسلام فقال:" ومن طاعته اتباعه فيما أمر به كله، إلا ما قام فيه دليل على الخصوص به – صلى الله عليه وسلم – وكون شرع من قبلنا الثابت بشرعنا شرعا لنا، إلا بدليل على النسخ هو مذهب الجمهور، منهم مالك، وأبو حنيفة، وأحمد في أشهر الروايتين، وخالف الإمام الشافعي – رحمه الله – في أصح الروايات عنه، فقال: إن شرع من قبلنا الثابت بشرعنا ليس شرعا لنا، إلا بنص من شرعنا على أنه مشروع لنا، وخالف أيضا في الصحيح عنه في أن الخطاب الخاص بالرسول – صلى الله عليه وسلم – يشمل حكمه الأمة؛ واستدل للأول بقوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، وللثاني: بأن الصيغة الخاصة بالرسول لا تشمل الأمة وضعا، فإدخالها فيها صرف للفظ عن ظاهره، فيحتاج إلى دليل منفصل، وحمل الهدى في قوله: فبهداهم اقتده، والدين في قوله: ((**شرع لكم من الدين ...**))، على خصوص الأصول التي هي التوحيد دون الفروع العملية ؛ لأنه تعالى قال في العقائد: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**))، وقال:((**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**)) ، وقال: ((**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**))، فدعوة الأنبياء واحدة من جهة العقائد، وان تعددت الشرائع.

والآيات الدالة على أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحده كثيرة جدا، كقوله: ((**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**))، وقوله: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**))، وقوله: ((**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**))، إلى غير ذلك من الآيات"[1].

فيتأكد من هذا أن التوحيد هو أول دعوة الأنبياء وهو النقطة المشتركة بين سائر الأنبياء فهو أول واجب على العبيد من هذا الاعتبار ومن خلال صريح عبارات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،

[1] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر نفسه، ج2/ ص169.

ولقد تبين لنا أن أئمة المالكية اعتبروها قاعدة ونقطة أكيدة أن الرسل أول ما دعت إليه هو التوحيد، فتصبح القاعدة ثابتة عند أئمة المالكية بالاستقراء.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

تقرير القاعدة العقدية بدون شك يكون لفوائد والفوائد العقدية بالضرورة متقاطعة في أغلبها لكن هناك بعض القواعد التي تشتمل فوائد خاصة ومنها ما يكون بدرجة أكبر من القاعدة الأخرى وليس في هذا عجب أو استنكار لذا فإن ذكر القواعد المتكرر ليس تكرارا حشويا بل ضروري لأنه من مقتضيات القاعدة، ومنه نذكر القواعد الآتية:

- وجوب العمل على حفظ العقيدة من التزوير وذلك أن الله عز وجل وعد بحفظها ويظهر ذلك من خلال بعثت الرسل وإنزال الكتب لنفس الغاية ابتداءً وهي الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الاشراك بالله.
- اشتراك الأنبياء والرسل في نفس المهمة التي هي الدعوة إلى التوحيد وترك الشرك يدل على أهمية التوحيد في حياة البشر وخطر الشرك على الانسان في الدنيا والآخرة.
- الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الوقوع في الشرك ومن عبادة الطاغوت أول ما دعت إليه الرسل جميعا من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم.
- من بدأ في دعوته بغير التوحيد واشتغل على أي قضية أخرى قبل التوحيد فقد خالف منهج الأنبياء صلى الله عليهم وسلم في الدعوة إلى الله عز وجل.
- أول سبب خالف به الأنبياءُ عليهم الصلاة والسلم أقوامَهم هو العقيدة وهو توحيد العبادة، لأنه الغاية من خلق العباد والغاية من بعثة الرسل.
- من خالف دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام استحق العداء ووجب أن يُجاهد ويحارب حتى يقضي الله أمره وهذا الذي كان لأنبياء مع من خالفهم من أقوامهم لأنه بتلك المخالفة كان كافرا وجب أن يؤمن أو يحق عليه الجهاد والقتال من المؤمنين.

المبحث الرابع: القاعدة الرابعة: التوحيد حقٌ مطلقٌ لله –عز وجل–وحده لا شريك له وهو معنى شهادة لا إله إلا الله.

المطلب الأول: تصور القاعدة:

رأينا أن التوحيد هو أن تتوجه إلى الله –عز وجل– بالعبادة كلها مخلصا فيها له وحده لا شريك له فالتوحيد الذي هو تحقيق لشهادة لا إله إلا الله وهو أول حق لله على عبيده وأنه سبب ارسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الإنسان والجان، ولأنه جوهر الدعوة ومبدؤها الرئيس ،وغايتها القصوى، ولما كان ذلك كذلك جاءت هذه القاعدة لتكمل القواعد السابقة لها ،والتي تحمل في مضمونها قضية مركزية وهي جوهر التوحيد ونقطة المركز التي عليها يدور الدين كله وهي: أن التوحيد يقتضي من العبد أن يتوجه بكل أفعاله إلى الله عز وجل مخلصا فيها، لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا كوكب أو جن أو شجر أو بشر، بل يكون الدعاء والرجاء والخشوع والخضوع والانابة والاستعانة والاستعاذة والذبح والنحر والتقرب والخوف والرجاء وغيرها من العمال خالصة لله وحده[1].

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

التوحيد الذي هو حق الله على العبيد كما جاء في الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي –صلى الله عليه وسلم –على حمار فقال لي: **يا معاذ ... أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا** "[2]، والذي هو تحقيق مضمون لا إله إلا الله بشروطها واركانها، لكي يصير بها موحدا ، مما يجب فقهه من هذا الحديث ما يأتي:

يحتوي هذا الحديث على عدة مسائل يجب فقهها منها أنَّ العبادة لله وحده لا شريك له، والعبادة من التوحيد ؛فمن لم يعبد الله لم يكن موحدا، ولم يحقق مضمون –لا إله إلا الله– والثانية التنبيه على

---

[1] – القرافي؛ ترتيب الفروق، المصدر السابق، ج2/ ص389، وينظر: القرطبي؛ المفهم، ج7/ ص62، 63، محمد المكي؛ التيسير، ج2/ ص224، وينظر: ابن تيمية؛ رسالة العبودية، المصدر السابق، ص437، ويُنظر: مجموعة التوحيد، المصدر السابق، ص164.

[2] – أخرجه البخاري، رقم: (2856)، ومسلم، رقم: (30).

وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند موته، يدل على أنها وصية مهمة جدا فكانت أول الدعوة وآخر الوصايا.

ففي الحديث قضية رئيسية في قوله: " **أتدري ما حق الله على العباد**"؟ والدراية هي المعرفة أي: هل تعرف؟ ونلاحظ أنه أخرج السؤال بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفس، وأجلب للانتباه، وأبلغ في فهم المتعلم، فإن الإنسان إذا سُئِل عن مسألة لا يعلمها، ثم أُخبِر بها بعد الامتحان بالسؤال عنها، فإن ذلك أوعى لفهمها وحفظها، وهذا من حسن إرشاده وتعليمه صلى الله عليه وسلم[1].

وحق الله على العباد، هو ما يستحقه عليهم ويجعله متحتمًا على كل من وجبت عليه العبادة لله استحقاقا تقر به الفطرة والعقل والسمع، وقد رأينا أن الإقرار بالربوبية يستدعى الاعتراف بالألوهية له وحده لا شرك له سبحانه عز وجل.

وحق العباد على الله معناه أنه متحقق لا محالة، لأنه قد وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده، ووعده حق، {**إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**}؛ لا كما يقرر غلطا بعض الطوائف أنه حق واجب قهري على الله وأن الله لا يمكنه مخالفة ذلك بل ولا يستطيع المخافة ولا يمكنه ذلك.

وأهل السنة يقولون: هو الذي ((**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**))[2]، وأوجب هذا الحق على نفسه لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه القدرية والجبرية أتباع جهم والقدرية النافية.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ

[1] – الأبهري؛ شرح المختصر الكبير، المصدر السابق، ص195، وينظر: سليمان بن عبد الله؛ تيسير العزيز الحميد، المصدر السابق، ص45.

[2] – سورة الأنعام؛ الآية: 12

مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[1]، وهي من أعظم آيات التوحيد وقد استهل بها آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن الكريم لما تحتويه من التوحيد بكل أنواعه الالوهية والربوبية والاسماء والصفات، وبكل ما تقتضيه من إثبات للكمال ونفي للنقصان والشركاء[2]،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3] والآية والتي سبقتها فيها تقرير واضح أن التوحيد حق لله وحده لا شريك لك وأنه المستحق وحده لكل أنواع العبادة، فقال التستري في تفسيره الآية:" فمعنى قوله :"**وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم**": والذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعةَ له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير"[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]؛ والآية فيها نهي صريح على عبادة غير الله، وزجر بأن يتوجه العبد بأي حق من حقوق الله لغيره سبحانه وتعالى، وقال في التفسير: "قل إني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد. أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله، أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها. قل لا أتبع أهواءكم تأكيد لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم، وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى، وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع الحجة ولا يقلد. قد ضللت إذا أي إن اتبعت

---

[1] – سورة البقرة؛ الآية: 255.

[2] – عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري؛ لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3/ ص228.

[3] – سورة البقرة؛ الآية: 163.

[4] – محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان؛ المصدر السابق، ج3/ص265، ويُنظر: الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج1/ص31، والسمعاني؛ تفسير القرآن، المصدر السابق، ج1/ ص161.

[5] – سورة الأنعام؛ الآية: 56.

أهواءكم فقد ضللت. وما أنا من المهتدين أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم، وفيه تعريض بأنهم كذلك"[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2]؛ قال ابن عباس في تأويله :" {قُلْ} يَا مُحَمَّد {إِنَّ صَلاَتِي} الصَّلَوَات الْخمس {وَنُسُكِي} ديني وحجتي وذبيحتي وعبادتي {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَة الله وَرضَاهُ {رب الْعَالمين} سيد الْجِنّ وَالْإِنْس"[3]. وقال ابن مسعود في تفسير الآيتين أيضا:" {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي} أعيد الأمر لمأأن المأمور به متعلِّقٌ بفروع الشرائعِ وما سبق أصولها أي عبادتي كلَّها وقيل وذبحي جُمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحر وقيل صلاتي وحجّي {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} أي وما أنا عليه في حياتي وما أكونُ عليه عند موتي من الإيمان والطاعةِ أو طاعات الحياة الخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير وقرىء محياىْ بسكون الياء إجراءً للوصل مُجرى الوقفِ {للَّهِ رَبّ العالمين}"[4]

والإشارة: الإخلاص سر من أسرار الله، يُودعه قلب من أحب من عباده، وهو أخلاص العبودية لله وحده، ولا يتحقق ذلك للعبد إلا بعد تحرره من رق الهوى وخروجه من سجن وجود نفسه، وهذا شيء عزيز. ولذلك قيل"[5].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[6]، أي: ثم لما ذكر ما هو الركن الأعظم وهو التوحيد أتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال: وقضى ربك أي: أمر أمرا

---

[1] – ناصر الدين الشيرازي البيضاوي؛ أنوار التنزيل، المصدر السابق، ج2/ ص164.

[2] – سورة الأنعام؛ الآية: 162، 163.

[3] – يُنسَبُ لعبد الله بن عباس؛ جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي؛ تنوير القباس من تفسير ابن عباس؛ ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/ص123.

[4] – أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى؛ تفسير ابن مسعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط1، دار احياء التراث العلربي ، بيروت، لبنان، ج3/ ص207.

[5] – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الفاسي؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ج2/ ص193.

[6] – سورة الاسراء؛ الآية: 23.

جزما، وحكما قطعا، وحتما مبرما ألا تعبدوا أي: بأن لا تعبدوا إلا الله بحده لا شريك له[1]؛ فالتوحيد يستوجب صرف كل العبادات له وحده لا شريك له كما دلت على ذلك الآية الكريمة وقد ذكر ذلك صاحب التحرير والتنوير فقال :"هذه الآية جعلت المقضي هو توحيد الله بالعبادة، لأنه المناسب لحال المسلمين فحذرهم من عبادة غير الله"[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3]، وهي دعوة إلى النظر والتأمل الذي به يتأكد العقل وتطمئن النفس بوحدانية الله قال الطاهر بن عاشور "إذ المقصود من النظر المأمور به هنالك النظر للاستدلال على إثبات الوحدانية، فإن جحودهم إياها هو الذي أقدمهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: إن الله بعثه بإثباتها وأبطل الإشراك، فلما أمرهم بالنظر المؤدي إلى إثبات انفراده تعالى بالإلهية"[4]، فهذا النداء الرباني لعباده والذي خاطب فيه عقولهم لعلهم يرشدون ولعلهم يعقلون أن العبادة لله وحده.

ولقد صرح – صلى الله عليه وسلم – بمن يعبده في قوله تعالى: (وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) والاستدراك؛ لنفي أن أوثانهم تحيي أو تميت، وهو يتضمن إثبات عبادة الله وحده لا شريك له متجاوزا عبادتهم مبتعدا عنها"[5].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾[6]؛ وفي هذه الآية أمر ظاهر لا تأويل فيه ولا تحريف وخبر جازم أنه الله وحده لا شريك له رب العرش العظيم واثبات الوحدانية يقتضي نفي الشريك والند قال الطبري :" وقوله: (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ**) يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا

---

[1] – الشوكاني؛ فتح القدير، المصدر السابق، ج3/ ص259.

[2] – الطاهر بن عاشور؛ التنوير والتحرير، المصدر السابق، ج15/ ص65.

[3] – سورة يونس؛ الآية: 104.

[4] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج11/ص300.

[5] – محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة؛ زهرة التفسير؛ ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ج7/ ص3642.

[6] – سورة النمل؛ الآية: 26.

به شيئا (**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**) يعني بذلك: مالك العرش العظيم الذي كل عرش، وإن عظم، فدونه، لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره[1] ؛فالعبادة لله وحده وهي حق لا يلح إلا له ومن صرفها لغيره فقد ظلم وأشرك وخالف الحق واستحق بذلك العقاب وقد استقر تفسير السلف على أن العبادة حق لله وحده لا شريك فذكر ابن أبي حاتم في تفسيره هذا المعنى فقال :" قرئ على يونس بن عبد الأعلى أنبأ ابن وهب، وحدثني أيضا عمر بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، أخبرني السلولي، عن كعب قال: لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص...حدثنا محمد بن يحيى أنبأ أبو غسان، ثنا سلمة قال: قال محمد ابن إسحاق الله لا إله إلا هو أي ليس معه غيره شريك في أمره[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ ﴾[3]؛ وفي هذه الآية العظيمة من كتاب الله عز وجل قسم صريح يفيد الخبر الجازم والتأكيد الذي ليس وراءه شك أو ريب أنه سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته في ربوبيته وألوهيته ، قال القشيري في تفسيره :" أخبر أنه سبحانه واحد في ملكه، وذلك لأنهم تعجبوا أن يقوم الواحد بجميع أحوال العالم. ومعنى كونه واحدا تفرده في حقه عن القسمة، وتقدسه في وجوده عن الشبيه، وتنزهه فى ملكه عن الشريك واحد في جلاله، واحد في استحقاق جماله، واحد في أفعاله، واحد في كبريائه بنعت علائه، ووصف سنائه"[4]؛ وقد ذهب إلى هذا التفسير معظم المفسرين واعتبروها قسما يفيد أن الله وحده في ربوبيته وصفاته فهو المستحق وحده للعبودية سبحانه عز وجل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[5]؛ فالله عز وجل لما كان هو وحده المستحق للعبادة فهو وحده الذي يجب ان نتوجه إليه بكل أصناف وأنواع العبادات ومنها التوكل كما هو في الآية الكريمة، قال الطبري :" (**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ**) يقول جلّ ثناؤه: معبودكم أيها الناس معبود واحد لا تصلح العبادة لغيره ولا معبود لكم سواه، (**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**)

---

[1] – الطبري؛ جامع البيان، المصدر السابق، ج19/ص450.

[2] – أبو محمد عبد الرحمن التميمي الحنظلي الرازي بن ابي حاتم؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ج9/ ص2869.

[3] – سورة الصافات؛ الآية: 04.

[4] – عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري؛ لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3/ ص228.

[5] – سورة التغابن؛ الآية: 13.

يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس فليتوكل المصدّقون بوحدانيته"[1]. فعبادة التوكل تكون لله في كل الأمور التي لا يقدر علها إلا هو سبحانه، لأن التوحيد يقتضي افراده عز وجل بكل أصناف العبادة وأفرادها ،وذكر السمرقندي فيما معناه من القول السابق فقال :" **اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ** يعني: لا ضار، ولا نافع، ولا كاشف إلاَّ هو. **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** يعني: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، ويفوضوا أمرهم إليه[2]؛ فالتوكل على الله وحده من دلائل اخلاص التوحيد.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي –صلى الله عليه وسلم –على حمار فقال لي: **يا معاذ ... أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا** "[3].

حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: حدثني أبي، عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار**»، **قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذا يتكلوا» وأخبر بها معاذ عند موته تأثما**"[4].

عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**»[5]

---

[1] – الطبري؛ جامع البيان، المصدر السابق، ج23/ ص422.

[2] – السمرقندي؛ بحر العلوم، المصدر السابق، ج3/ ص457.

[3] – أخرجه البخاري، رقم: 2856. ومسلم، رقم: 30.

[4] – أخرجه البخاري، رقم: 128.

[5] – أخرجه البخاري،، رقم: 25.

عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله، علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يا أبا بكر، قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا، أو أجره إلى مسلم** "[1].

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله** "[2]. قال مالك: محال أن يُظَنَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه عَلَّم أمتَه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، **والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، فما عُصِمَ به الدم والمال فهو التوحيد"[3].

و عن وراد، مولى المغيرة بن شعبة، قال: كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان، إذا فرغ من الصلاة وسلم، قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[4].

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

لقد رأينا من قبل أن مقتضى الفطرة السليمة هو التسليم بربوبية الله عز وجل وأن مقتضى العقل السليم الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الالوهية، وعليه فالعقل السليم والفطرة السليمة يقتضيان التوجه بالعبادة لله عز وجل وحده وتجريد تلك العبادة من كل أصناف الشرك وعليه فكل من الفطرة والعقل السليم يقر بالوحدانية وتتقرر فيه القاعدة بأن العبادة حق لله وحده لا شريك له وقد ذكر

---

[1] – أخرجه الترمذي؛ رقم: 3392، وأبو داوود، رقم: 5067، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم:2701.

[2] – أخرجه مسلم؛ رقم؛ رقم: 21 .

[3] – أبو الفضل المقري؛ المنتقى من ذم الكلام، ط1، دار الكتب التراث العربي، بيروت لبنان، ص92، وأنظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج9/ ص40.

[4] – أخرجه مسلم؛ رقم: 593.

مثل هذا ابن كثير فقال :"يخبر الله تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أنَّ الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو ،كما أخبر أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه"[1]؛ فحق الله عز وجل بالتوحيد وتجريد العبادة كلها له وحده مقتضى الفطرة السليمة والقول القويمة، وقد اكد الله عز وجل هذه الحقيقة وخاطب بها العقول في كتابه الكريم، ومن ذلك قوله عز وجل :"﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، فدلت الآية أن عبادة غير الله عز وجل باطلة، وأنه ليس من العقل أن تشرك به من لا يخلق ولا يرزق ،كما دلت أنه ليس من العقل ولا من الحق أن تعرض عن عبادة من خلق ورزقك وسواك وعدلك، وأن الشرك ضلال مبين وازدراء لحق رب العالمين وظلم كبير.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

المتتبع لكلام علماء المالكية يجد أنهم اجمعوا على أن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله وعلى أنَّ العبادة حق الله وحده ولا شرك له وأنه حق لله يجب تحقيقه قبل أي حق آخر من الحقوق زعم أقر بهذه الحقيقة الامام مالك رحمه الله حيث ذُكرَ عن الزمني أنه قال: سمعت الشافعي يقول :"سُئل الإمام مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك: محال أن يُظَنَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه عَلَّم أمتَه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، **والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، فما عُصِمَ به الدم والمال فهو التوحيد"[3]؛ فتبين من كلام الامام مالك أن التوحيد هو أول حقوق الله وهو لا إله إلا الله ،التي بتحقيقها يكون المرء قد انتقل من الكفر الإيمان وقد صار مسلما بعد أن كان كافرا حلال الدم والمال والعرض، فيفهم من قول الامام مالك أن التوحيد هو أول الحقوق لله والواجبات على العباد حتى يصبحوا مسلمين معصمي الدماء والمال والعرض وهو مقتضى القاعدة بالضبط.

---

[1] – ابن كثير؛ تفسير القرآن، المصدر السابق، ج4/ ص1504.

[2] – سورة يس، الآية:22-25.

[3] – أبو الفضل المقري؛ المنتقى من ذم الكلام، ط1، دار الكتب التراث العربي، بيروت لبنان، ص92، وأنظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج9/ ص40.

ومن الروايات التي تعزز هذا الكلام وأن التوحيد حق خالص لله يتوجه له وانه هو لا إله إلا الله، ما رواه سحنون فقال: **"قلت لابن قاسم: أرأيت من نزل بهم أهل الشرك بساحلنا ،فباعوهم منا وهم صبيان ،فماتوا قبل أت يتكلموا بالإسلام بعد ما اشتريناهم ؛فهل تحفظ من مالك فيهم شيئا ؟ قال: نعم ؛لا يُصلَّى عليهم حتى يجيبوا الإسلام"**[1]. ويفهم من هذه الرواية أن حقوق العباد مشروطة بتحقيق حق الله عز وجل وهو التوحيد فمن أقر به وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله نال الحقوق ومن أبى فلا حق له من حقوق الإسلام.

ومن أئمة المالكية المقررين للقاعدة وأن التوحيد أعظم الحقوق الواجب تحقيقها وهي وهو تحقيق لا إله إلا الله التي يصير بها العبد مؤمنا بحقوق المسلمين سحنون فقد ذكر ابن رشد مذهب سحنون في القضية فقال:" **ومذهب القاسم، وروايته عن مالك أن الصغير من سبي أهل الكتاب لا يجبر على الإسلام ،ولا يحكم له بحكمه حتى يجيب إليه... ثم قال وهو مذهب سحنون**"[2] ؛فتبين أن التوحيد أول الحقوق التي يجب تحقيقها على العبد وأن يتوجه بها إلى الله وحده.

وهو راي ابن عبد البر حيث اعتبر التوحيد أول حقوق الله عز وجل على عباده وهو السبب والشرط الذي بتحقيقه يدخل الرجل الإسلام وبتركه يخرج منه فقال :"وفي حديث مالك هذا –يقصد حديث الجارية– **من الفقه أنَّ من شرط الشهادة التي بها يخرج من الكفر إلى الايمان مع الإقرار بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله: الإقرار بالبعث بعد الموت**"[3] ؛فنص أنه يستحال أن يكون الواحد مسلما إلا بعد الإقرار بشهادة أن لا إلى إلا الله محمدا رسول الله.

وفي معرض شرح حديث الجارية أيضا قال أبو الوليد الباجي:"وذلك يقتضي أنه حَكَمَ بكونها مؤمنة ،دون أن يسألها عن نظر واستدلال ،**وكذلك كل من أتى ليؤمن أخذنا عليه الشهادتين ،فإذا أقرَّ بهما حكمنا بإيمانه ،ولم نسأله عن نظره واستدلاله**"[4] وفي هذا الكلام توجيهات منها:

---

[1] – المدونة، المصدر السابق، ج1/ ص179.

[2] – ابن رشد؛ البيان والتحصيل، ج2 /ص213، 214.

[3] – ابن عبد البر؛ الاستذكار، المصدر السابق، ج23 /ص170.

[4] – الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي؛ المنتقى شرح الموطأ، ط1، طبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1332هـ ج6/ ص274.

-أن شهادة أن لا إله إلا الله تكفي ليدخل بها المرء الإسلام ويصيرا مؤمنا بحقوق المسلمين كعصمة الدم والمال والعرض وغيرها

- لا دليل على اشتراط النظر في دخول الإسلام وإنما يكون النظر في آيات الله سببا لزيادة الإيمان واليقين لا شرط لقبوله واعتباره.

- أول ما يطلب من العبد هو الإقرار بالتوحيد الذي هو حق لله وحده على كل عباده.

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله :" **اعلموا أرشدكم الله تعالى أن لا إله إلا الله هي العروة الوثقى ،ومركب النجاة ،وسفينة نوح ،من عدل عنها هلك ،ومن ركبها خلص ونجا ،وهي قطب الإسلام ،وقاعدة الأديان ،وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه بها**...فمفتاح الدخول في الإسلام: لا إله إلا الله ، وخاتم الخروج من الدنيا والقدوم على الله تعالى: لا إله إلا الله"[1]؛ فيفهم من كلام ابي بكر الطرطوشي أن التوحيد هو أول ما يجب العناية به وهو أول ما يجب تحقيقه حتى يصير العبد مؤمنا والتوحيد وهو تحقيق لا إله إلا الله ،وهو مسلك النجاة ومرتع الفلاح وموطن السلامة، وهو أعظم حقوق الله التي خلق من أجلها الأنس والجان وأمرهم بها لينالوا الجنة بذلك وإذا لم يفعلوا كفروا وكانت عاقبتهم النار وبيس المصير، وهو مقتضى القاعدة بالضبط وبالتحديد.

وذكر هذا المعنى وأن التوحيد يقتضي التوجه بكل عبادة لله وحده لا شريك له، أبو بكر الأبهري[2]، في شرحه للمختصر الكبير لابن عبد الحكم المالكي، معلقاً على قوله :"وإنما يحلف الحالف بالله الذي لا إله إلا هو فقط فقال: **ذلك لأن اليمين إنما هي بالله عز وجل وهو إن يذكر الله ويوحده، وينفي غيره، وذلك التوحيد**..."[3]؛ ويفهم من كلامه أن التوحيد هو أن تتوجه لله بكل عبادة له وحده لا غيره معه ،وهو مضمون القاعدة ومنطوقها إذ يفهم من كلامه أن العبادة حق لله وحده لا شريك له في ذلك.

---

[1] – الطرطوشي؛ الحوادث والبدع، المصدر السابق، ص349.

[2] – محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح، أبو بكر التميمي الأبهري: شيخ المالكية في العراق، من كتبه: (الأصول) و (إجماع أهل المدينة)، توفي: 375 هـ. ينظر: تاريخ بغداد ج5 /ص 462، والوافي بالوفيات ج 3/ص 308.

[3] – الأبهري؛ شرح المختصر الكبير، المصدر السابق، ص195.

قاعدة العبادة حق لله وحده لا شريك له أقرها ابن عمر الداني وهو من أئمة المالكية أيضا فقال :"**والتوحيد له هو والإقرار بأنه ثابت موجود ،وواحد معبود...**"[1]؛ ويستفاد من كلام الداني القاعدة وهي أن الله هو الواحد في ذاته وصفاته المستحق للعبادة وحده، فهو الرب الخالق الرازق وحده فهو المعبود المستحق للعبادة وحده لا شريك له وأنَّ التوحيد هو معنى لا إله إلا الله.

وذهب ابن نصر البغدادي إلى اعتبار كلمة التوحيد شرط لدخول الإسلام وأنها توجب العودة والتوبة وتكفي المرتد ليعود مسلما إذا أقرها ونطق بها مرة أخرى ثم استدل بالحديث :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ..."[2]، وقد اتفق علماء المالكية أن هذا الحديث فيه دلالو أن كلمة التوحيد هي الحق الذي يجب أن يتقرر في قلب ولسان المرء حتى يصير بها مسلما.

وذكر ابن بطال مفاد القاعدة في مواطن كثيرة من شروحاته وتعليقاته وتقريراته العقدية ومن ذلك ما قاله في شرح حديث :"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..." فقال: **فثبت أن الإسلام لا يكون إلا بالمعاني التي تدل على الدخول في الإسلام؛ وهو الإقرار بالشهادتين، وترك سائر الملل**"[3] وقال في موضع آخر، في تعليقه على حديث :" **وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت**" :"**يريد العهد الذي أخذه الله على عباده** ؛**حيث أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم: أست بربكم؟ فأقروا له بالربوبية ،وأذعنوا له بالوحدانية** ،وبالوعد ما قال على لسان نبيه: أن من مات لا يشرك بالله شيئا ،وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة..."[4]؛ فنص على أن التوحيد هو الميثاق الذي كان بين عهدنا به ربنا فهو الحق الأول والواجب الذي يكون السبب في دخول الجنة والفوز برضى الله عز وجل.

وقال القرافي في بيان معنى الله وأنه المستحق للعبادة وحده :"والاله المعبود، وليس المراد نفي المعبود كيف كان، لوجود المعبودين في الوجود، كالأصنام والكواكب، بل ثم صفة مضمرة تقديرها **لا**

---

[1] – ابن عمر الداني؛ الرسالة الوافية، المصدر السابق، ص46.

[2] – أخرجه البخاري ؛ رقم: 25، و مسلم ؛ رقم: 22، وينظر: المعونة على مذهب أهل المدينة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ، ج2/ ص295.

[3] – ابن بطال ، شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج10/ ص73.

[4] – ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج10/ص75.

معبود مستحق للعبادة إلا الله ومن لم يضمر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهد كذبا"[1]؛ ويستفاد من كلام القرافي فوائد منها:

– تصريحه بالقاعدة في قوله :(لا معبود مستحق للعبادة إلا الله ومن لم يضمر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهد كذبا) أي: أن الواجب على العباد أن يحققوا حق الله عز وجل وأن يتوجهوا له وحده بكل أنواع العبادة اذ لا يستحقها غيره.

– أن من قال بأن لا اله إلا الله معناها لا معبود إلا الله شهادته ناقصة وغير تامة لأنها خلاف الواقع

– في الواقع معبودات كثيرة تعبد من غير الله وذلك عين الظلم لأن فيه صرف لحق الله وحده لغيره أو اشراكه فيه من لا يستحقه.

– حق الله بالتوحيد حق واجب على العباد مع وجوب افراده به واخلاصه له وحده لا شريك له ومن اشرك في ذلك فقد ظلم واسند حق العبادة لغير مستحقها.

ومما يؤكد ويعزز أيضا تقريرات أئمة المالكية للقاعدة ما ذكره ما قاله ابن عطية في تفسير قول الله عز وجل ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2] ؛فقال :"**لا إله إلا الله: هي كلمة الحق ،والعروة الوثقى** ... ثم استدل بحديث :" أي عم ! قل: لا إله إلا الله؛ أحاج لك بها عند الله" ثم قال معلقا :"وبفرضه عليه الصلاة والسلام قول : **لا إله إلا الله ،جرت السنة في تلقين الموتى المحتضرين ليخالفوا الكفرة، ويخضعوا له**..."[3]؛ فالشهادة بالتوحيد هي الفاصل بين الكفر والإيمان، وهو مقتضي القاعدة.

وذكر أبو بكر بن العربي القاعدة في تأويله لقول الله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[4] فقال :"هذه الآية هي أصل في التوحيد، ويتعلق بها مسائل ومنها: بيان معنى الاله، فالإله هو المعبود ،وهي الفائدة التي خلق لأجلها الخلق قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

[1] – القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس؛ الذخيرة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1994م.، ج2 /ص57.

[2] – سورة الصافات، الآية: 35.

[3] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز؛ المصدر السابق، ج12 /ص350.

[4] – سورة البقرة؛ الآية: 163.

وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ "[1]؛ ومن كلام أبن عربي يظهر تصريح بالقاعدة جلي في قوله: (هذه الآية هي أصل في التوحيد... فالإله هو المعبود) أي: أن الله وحده هو المعبود وأن العبادة حق لله لا شريك له فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا طاغوت مبتكر، وفي قوله أصل يعني قاعدة لا مفك منها ولا شك في ثبوتها وصدقها.[2]

وقد ذكر عياض انَّ عصمة الدم لا تحصل إلا بعد الإقرار بشهادة التوحيد والتوجه بها الله خالصة من الشرك فقال :"اختصاص عصمة النفس والمال بمن قال: لا إله إلا الله ،تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد بهذا مشركوا العرب وأهل الأوثان...فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفي بعصمته بقول: لا إله إلا الله ،إذ كان يقولها في كفره"[3]؛ وفي كلامه زيادة تفصيل وتفريق بين صنوف من يقول لا إله إلا الله وبيان فقه متى تعصمه كفاية ومتى تلحقها شروط أخرى، لكن يفهم من كلامه تبقى هي الشرط الأول الذي تلحق بعدها كل الشروط باعتبارها أول وأعظم حقوق الله على عباده ،ثم قال في موضع آخر في شرحه لحديث :" **الايمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إليه إلا الله** ..."[4] وبين في ذلك أهمية التوحيد فقال :"وقد نبه صلى الله عليه وسلم على أفضلها بالتوحيد المتعين على كل مسلم ،الذي لا يصح شيء من هذه الشعب إلاَّ بعد صحته"[5].فهذا يدل على مدى أهمية التوحيد الذي هو حق متعين على كل فرد لكي يصير مسلم وعلى كل مسلم أن يجعل كل أفرده وأعماله خالصة لله لكي يتحقق بذلك التوحيد بشروطه ،وهو ما يؤكد أيضا اطراد القاعدة وأن التوحيد أعظم حقوق الله التي يجب تحقيقها بإخلاص له وحده لا شريك له.

وقال أبو العباس القرطبي في تعليقه على حديث :"**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله** ..." "ظاهره أن من نطق بكلمة التوحيد فقط ؛حكم له بحكم الإسلام ... ثم النطق بالشهادتين يدل على الدخول في الدين ، والتصديق بكل ما تضمنه"[6] ؛ومن كلامه يظهر أن كلمة التوحيد هي

---

[1] – سورة الذاريات؛ الآية:156.

[2] – ابن العربي؛ قانون التأويل، المصدر السابق، ص300.

[3] – القاضي عياض؛ إكمال المعلم، المصدر السابق، ج1 /ص272.

[4] – أخرجه مسلم؛ ، رقم: 35.

[5] – عياض؛ اكمال المعلم، المصدر السابق، ج1 /ص272..

[6] – القرطبي؛ المفهم؛ المصدر السابق، ط1، دار ابن كثير، بيروت ، لبنان، 1417هـ، ج1/ ص187، 188.

الفاصلة بين الكفر والإيمان وهي حق الله الذي به ينال العبد حقوق الإسلام؛ ثم قال القرطبي في موضع آخر :" **أفضل ما نأخذه عدة للقاء الله تعالى: الايمان بالله تعالى ،وتوحيده ،وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم، والنطق بذلك**... ويتأكد أمر النطق بالشهادتين عند الموت ،ليكون ذلك خاتمة أمره ،وآخر كلامه"[1]؛ ويستفاد من كلامه ضرورة التوحيد وتقرر القاعدة بوضوح.

وقد بين كذلك عبد الله بن سعد ابن جمرة[2] أن التوحيد هو مقتضى لا إله إلا الله التي هي اعظم حقوق الله على عبيده فقال في شرح الحديث :" **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**... " قال: فيه دليل لقول من يقول بأن الكافر... إنما يكون على التوحيد دون الفروع ،والتوحيد ما ذكر قوله: لا إله إلا الله"[3] حيث ترجم لهذا الحديث بقوله: (حديث قتال المشركين حتى يعلنوا بكلمة التوحيد). وهذا دليل أن التوحيد حق لا مفك منه على كل أحد، ثم قال في موضع آخر من التعليق على نفس الحديث :"على مقتضى ما جئت به وما جاء صلى الله عليه وسلم به هو الإقرار بالوحدانية على ما هي عليه من الجلال والكمال، ونفي الشريك والضد"[4]. أي: أن التوحيد حق لله وحده لا يجوز معه شريك ولا ند ومن اعطى منه شيء لغير الله فقد بخص الله حقه وكان من الظالمين.

وقال محمد بن يحي المختار عند تعليقه على حديث :" **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**...". "أي: إلى أن يقروا لله بالوحدانية، أي: **التفرد بالألوهية، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من عند الله**"[5]؛ فتقرر من كلامه أن حق الأمن وتحصين النفس والأخوة يقوم بتحقيق حق الله أولا وهو التوحيد فبين أن التوحيد هو لا إلى إلا الله، وهو أول شروط الإسلام.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان في تفسير قول الله عز وجل ﴿ **وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [6] ؛ :"ما تضمنته هذه الآية الكريمة من

---

[1] – المصدر نفسه؛ ج1/ ص328.

[2] –

[3] – ابن جمرة أبو محمد عبد الله الأندلسي؛ بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري؛ ط1، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، مصر، 1348هـ، ج3 /ص132.

[4] – المصدر نفسه؛ ج3 /ص132.

[5] – محمد يحي المالكي؛ نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الصحيح، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، رقم: 770.

[6] – سورة الزخرف؛ الآية: 45.

أن جميع الرسل جاؤوا بإخلاص التوحيد لله، الذي تضمنته كلمة لا إله إلا الله..."[1] ؛فيظهر تقريره للقاعدة لفظا ومعنا في قوله : (جميع الرسل جاؤوا بإخلاص التوحيد لله، الذي تضمنته كلمة لا إله إلا الله)، فمن لا يخلص توحيده لله بطلت أعماله وخالف منهج ودعوة الرسل جميعا ،قال في موضع آخر في معرض تعريفه وحد ضابط التوحيد فقال :" توحيده جل وعلا في عبادته ،وضابط هذا النوع من التوحيد: هو تحقيق معنى لا إله إلا الله"[2]؛ فالتوحيد هو تحقيق لا إله إلا الله بشروطها ومقتضياتها وهو حق الله عز وجل الذي يقتضى اخلاص كل العبادة له وحده لا شريك له.

وذكر ابن باديس القاعدة وتقرر عنده أن التوحيد الذي هو لا إله الا الله يقتضي اخلاص العبادة لله كلها لا شريك له فيها فقال في تفسير قول الله عز وجل ﴿ **لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا** ﴿٢٢﴾ ﴾[3] :" **هذا هو الأساس الدين كله ،وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تقبل الأعمال إلا به، وما أرسل الله رسولا إلا داعيا إليه،** ومذكرا بحججه ،وقد كانت أفضل كلمة قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو كلمة: لا إله إلا الله"[4]. والقاعدة واضحة من كلام ابن باديس وأطلق عليها اسم الأصل فقال: (هذا هو الأساس الدين كله، وهو الأصل الذي لا تكون النجاة ولا تقبل الأعمال إلا به) أي: تحقيق التوحيد الذي هو لا إله إلا الله أصل الديانة وأساس الأعمال الذي لا قيمة للعمل إلا بعد تحقيقها.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

هذه القاعدة تتضمن فوائد عديدة من جهة التنظير والتطبيق ومن جهة ما يجب تعلمه من الدين والابتداء به ومن جهة الحفاظ على سلامة العقيدة وثبات الدين في وجه التأويلات الفاسدة والهجومات المعاصرة العلمانية منها والتأويلية بدعوى التجديد والنهضة ونذكر منها:

---

[1] – الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط1، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.، ج7/ ص254.

[2] – المصدر نفسه؛ ج3/ ص410.

[3] – سورة الاسراء ؛الآية: 22.

[4] – ابن باديس عبد الحميد؛ تفسير ابن باديس؛ ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م، ص62.

- تحقيق أعظم الحقوق وهو حق الله عز وجل: أي: تقرير هذه القاعدة والعمل بها يكون سببا وجيها للعمل على تحقيق أول الحقوق وأعظمها وهو التوحيد والتوجه إلى الله به بإخلاص تام وتجرد عن الشرك فيه.
- تحقيق الايمان والدخول في الإسلام: أي: لا يمكن للمرء أن يكون مسلما إلا إذا حقق مقتضى القاعدة وهو لا إله إلا الله وقولها والعمل بها وتصديقها شرط لا مفك منه للدخول في الإسلام، فتقريرها يفيد الاحتفاظ بأعظم مفاتيح الدين وحمايته من التحريف.
- تقرير القاعدة وتعليمها للناس يحقق التوحيد والوحدة: أي: من فوائد الاجتماع على هذه القاعدة أن يكون سببا لتحقيق اجتماع الكلمة إذ يفيد من وحدة الاعتقاد وحدة التفكير ووحدة الصف ووحدة القلوب ووحدة الأمة لاشتراكها في أصل أصيل ألا وهو أصل افراد الله الوحد بالعبادة، فأمة برب واحد ومعبود واحد تكون في قلب واحد ومصير واحد وهذه من أعظم مستجلبات الوحدة والاتحاد.
- تقرير القاعدة قوة للأمة وازدهار لها اجتماعيا واقتصاديا: أي: وذلك بتحقيق ما تقتضيه من التوحيد الخالص لله والحنف عن الشرك، وقد جاء في نصوص كثيرة الوحد منه عز وجل بالنصر فمن ينصر الله بالتوحيد والطاعة ينصره بالقوة والتمكين، ووحد بالأمن فمن حقق الايمان حقق له الله الأمان في الأوطان والأبدان، ومنها الوعد وبالرزق الوافر فمن حقق مقتضى القاعدة الذي هو التوحيد تكفل الله له بالرزق وضمن له أم يطعمه من جوع ويأمنه من خوف.
- تقرير القاعدة وتعليمها أمن للأمة من التفرق والانقسام: أي: تعليم النشأ والشباب هذه القاعدة يجعلهم على قلب رجل واحد متحدين متظافرين خصوصا في زمن كثرت فيه المفرقات ومشارب الافتراق مع انفتاح العالم وعلى العالم وما نتج عنه من صناعة العوالم الفردية والإلكترونية والذي يجعل شباب الأمة في ضياع ويجعلهم لقمة وفرسية سهلة في أيدي المغرضين من أعداء هذا الدين من العلمانيين ودعاة الالحاد والتنصير وغيرهم من الطوائف لزعزعت عقائدهم وتفريقهم على سبب وحدتهم وبعدها هلاكهم واهلاكهم بالعداوة وزرع الخلافات الوهمية والطائفية كحال أمتنا اليوم.

- تقرير القاعدة وتعليمها حفظ لأمانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلم-ورسالة الإسلام: أي: علمنا أن جل الأنبياء أمرهم الله أن يعلموا أقوامهم هذه القاعدة وهي وجود تحقيق حق الله الذي هو التوحيد الخالص، ولقد توارث الأنبياء صلى الله عليهم وسلم على هذه الأمانة العظيمة حتى ختمها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم أورثها من بعده من أمته فكان لزام على الأمة الاهتمام بها وتعظيمها وتقديمها على طل مقدم أو مؤخر، فهي أمانة في أعناق كل مسلم يشهد أنَّه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم..
- للقاعدة فوائد أخروية عظيمة وهي ضمان الجنة -برحمة الله وفضله-: أي: وكما جاء في حديث حذيفة أن من حقق التوحيد الذي هو حق الله عز وجل الذي هو التوجه إليه بكل عبادة بإخلاص وإفراد كان له عند الله حقٌ وهو أن يدخله الجنة وألا يعذبه، فهذه القاعدة التي تحفظ في طياتها قضية مهمة جدا وهي غاية كل مسلم ومؤمن ومحسن ألا وهي دخول الجنة والفوز بها والنجاة من النار ومن عذابها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الخامس: القاعدة الخامسة: [شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إفراد الله بالعبادة]:

رأينا أن التوحيد في القاعدة السابقة هو تحقيق لا لإله إلا الله، وأن لا إله إلا الله ترادف كلمة التوحيد ومن قبلها رأينا أنها دعوة الرسل جميعا وأنها أول ما دعت إله الرسل أقوامهم وأنها سبب خلق العباد وبعثت الرسل وانزال الكتب، وقيام الجهاد ومن أجلهما خلقت الجنة والنار إذ أهل التوحيد إلى الجنة وأهل الشرك إلى النار كما ثبت ذلك في القرآن والسنة، وهذه القاعدة مكلمة لما قبلها ويتضح بها المقصود العملي من القواعد السابقة وهي قضية العمل والعبادة، حيث يقتضي التوحيد أن تكون كل العبادات لله وحده وهو معنى لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله.

المطلب الأول: تصور القاعدة:

المقصود من القاعدة أن التوحيد الذي علمنا فيما سبق هو تحقيق لا إله إلا الله التي اتفق جميع الأنبياء في الدعوة إليها كأساس للدعوة وبابها الرئيس قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1]، والتي صرح الله عز وجل أنها الغاية من خلق الإنس والجن فقال ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] ؛يتوجب علنا تحديد ومعرفة المقصود العملي منها لأن هذا الدين دين عمل لا دين شعارات ومبادئ جوفاء، بل دين الايمان فيها مشروط بالعمل، وعليه فإن النقطة الرئيسية التي يجب فهمها من قولنا فيما سبق أو أول دعوة الرسل هو التوحيد وأن التوحيد هو تحقيق لا إله إلا الله يعني ما تتضمنه هذه القاعدة وهو: أن التوحيد الذي هو لا إليه إلا الله يستوجب إفراد الله بالعبادة، أي: أن تكون كل اعمالنا وطاعاتنا خالصة لله، من صلاة وصيام وزكاة وحج ودعاء ورجاء وخوف ورغبة ورهبة واستعانة واستعاذة وذبح ونذر ؛فلا يحق صرف العبادة ولا جزى ومنها ولا أقل من ذلك لا لملك مقرب ولا رسول مرسل ولا لكوكب ولا ملائكة ولا جن ولا أحد من الصالحين أو المتجبرين فكل معبود سوى الله طاغوت وعبادته باطلة وذلك أعظم الظلم كما سوف يأتي في القاعدة اللاحقة بحول الله.

---

[1] – سورة الأنبياء؛ الآية: 25.

[2] – سورة الذاريات؛ الآية: 56.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

قاعدة أن كلمة التوحيد لا إله إلا الله تقتضي إفراد الله بالعبادة الي نحن في صدد بيانها وشرح معناها تتضمن قضايا مهمة وترتكز على دقائق عقدية يجب تفقهها قبل الخوض فيها؛ وأهمها جوهر القاعدة هو العبادة والتي تعني التوجه إلى الله بكل الأفعال الظاهرة والباطنة واخلاصها له وحده ،وهي الغاية من الخلق ومن البعث ومن إرسال الرسل وإنزال الكتب ومن أجلها أقيمت الحدود وأحلت الدماء وشرع الله الجهاد في سبيل الله ومن أجلها وبسببها ينقسم الناس فريقين كافر ومؤمن في الدنيا وإلى أهل الجنة وأهل النار يوم القيام.

أ/ العبادة في اللغة:

عرفها صاحب المعجم الوسيط فقال:" عبد الله عبادةً وعبوديةً: انقاد له ،وخضع وذل. والعبادة هي الخضوع للإله على وجه التعظيم"[1].

عرفها الجوهري فقال: "العبادة الطاعة والتعبد والتنسك...وأصل العبودية الخضوع والذل"[2].

وقال الاصفهاني في تعريفها :"العبودية إظهار التذلل ،والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل"[3].

أما القرطبي فقال في تعريفها :"أصل العبودية الخضوع والذل والتعبد والتذلل"[4].

وقال الأنباري في التهذيب :"فلان عابد وهو الخاضع لربه، والمستسلم لقضائه، المنقاد لأمره"[5].

وقال الشنقيطي :"العبادة لغة الذل والخضوع، فكل مذلل معبَّد، ومنه قيل للرقيق عبد".[6]

---

[1] – المعجم الوسيط، المصدر السابق، ط1، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، تركيا، حرف العين، رقم: 579.

[2] – الجوهري؛ المصدر السابق، ص94.

[3] – الأصفهاني؛ المفردات في غريب القرآن، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، رقم: 319.

[4] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج17/ ص56.

[5] – الأنباري؛ تهذيب اللغة، المصدر السابق، ج2/ ص236.

[6] – الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي؛ معراج الصعود، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ/ 1995م.، ص40، 41.

فيصر معنى العبادة اللغوي يتلخص في معنى التذلل والانقياد لله بالطاعة وهذا هو المقصود أصلا من العبادة وهو المطلوب فيها.

ب/ العبادة في الاصطلاح:

المعنى الاصطلاحي للعبادة تقدم الإشارة إليه في معرض التقسم للتوحيد وبالضبط في الكلام عن توحيد العبادة، والتي استنبطت بالأساس من حديث معاذ بن جبل الذي ذكر فيه قصته وهو رديف النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن المسألة ثم أجابه :" **عن معاذ بن جبل، قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " أتدري ما حق الله على العباد؟ " قلت: الله ورسوله أعلم. قال: " أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " قال: " وهل تدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟ " قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: " أن لا يعذبهم"**[1]؛ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى العبادة :"كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد"[2]، فهي الغاية من الخلق، وأن العبد خلق لكي يعبد الله، فهو بالضرورة يؤمر وينهى"[3].

وقال القرطبي في معرض تأويل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4]؛ فقال في صدد بيان المعنى :" المعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والانس إلا ليوحدون"[5]... أما من لم يوحد الله تعالى من الكفرة فإنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم ؛لأن قضاءه جار عليهم لا يمتنعون منه إذا نزل بهم ،كما قال ابن عباس في الآية: ((وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا))[6] ؛وفيه توافق على أن معنى العبادة التذلل بالعبادة والطاعة، وقال أبو العباس القرطبي :"وعبادة الله إنما هي امتثال أوامره الواجبة والمندوبة، واجتناب نواهيه المحضورة والمكروهة"[7].

---

[1] – سبق تخريجه.

[2] – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ – 1997 م

[3] – ابن عطية الأندلسي؛ المحرر الوجيز، المرجع السابق، ج15/ ص226.

[4] – سورة الذاريات؛ الآية: 56.

[5] – القرطبي؛ جامع الأحكام، المصدر السابق، ج17/ ص55.

[6] – الطبري؛ جامع البيان، المصدر السابق، ج11/ ص476.

[7] – أبو العباس القرطبي؛ المفهم، المصدر السابق، ج4/ ص86.

وذكر صاحب المفهم معنى العبادة الاصطلاحي فقال :"والعبادة إنما هي امتثال أوامره الواجبة والمندوبة، واجتناب نواهيه المحظورة والمكروهة "[1].

وقال في موضع آخر :"أصل العبادة الخضوع والتذلل ،وسميت وظائف الشرع على الكلفين عبادات ،لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى"[2].

وفي المحرر الوجيز ذكر ابن عطية معنى العبادة فقال:" نعبد: نقيم الشرع والأوامر، مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبد، وكذلك البعير..."[3].

قال الباجي :"العبادة: هي الطاعة والتذلل لله تعالى باتباع ما شرع"[4].

قال ابن العربي:" العبادة هي التذلل والخضوع للمعبود بما يكون من فعل يقصد به خدمته في أمره"[5].

قال القرافي :"أمرنا سبحانه أن نظهر الذل والانقياد لجلاله"[6].

قال الخرشي[7] :" العبودية: إظهار التذلل ،والعبادة أبلغ منها ؛لأنها غاية التذلل ،ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال ،وهو الله سبحانه"[8].

وقال الطاهر بن عاشور :"ولما كان التذلل والخضوع إنما يحصل عن صدق اليقين كان الإيمان بالله وتوحيده بإلاهية مبدأ العبادة؛ لأن من أشرك مع المستحق ما ليس بمستحق فقد تباعد عن التذلل والخضوع"[9].

---

[1] – القرطبي؛ المفهم، المصدر السابق، ح4/ ص86.

[2] – القرطبي؛ المفهم؛ المصدر السابق، ج1 /ص181.

[3] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج15/ ص226.

[4] – الباجي أبو الوليد؛ الحدود، ط1، دار الآفاق الجديدة، القاهرة، مصر، 1420هـ، ص57.

[5] – ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي؛ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ، ج11/ ص71.

[6] – القرافي؛ الذخيرة، المصدر السابق، ج2/ ص189.

[7] – محمد بن عبد الله الخرشي، أبو عبد الله، فقيه مجتهد، انتهت إليه الرئاسة في مصر، وأول من تولى مشيخة الأزهر من كتبه: الشرح الكبير على متن خليل (المعروف بشرح الخرشي) ، منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة لابن حجر"، توفي: 1101 هـ. ينظر: سلك الدرر ج 4/ ص 62، الأعلام ج6/ ص241.

[8] – الخرشي محمد بن عبد الله؛ مختصر خليل، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ج1 /ص13.

[9] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج1/ ص326.

وقال ابن باديس :" العبادة: نهاية الذل والخضوع، مع الشعور بالضعف والافتقار ،وإظهار الانقياد والامتثال، ودوام التضرع والسؤال"[1].

ويظهر لنا من خلال تقاطع واشتراك كل التعاريف السابقة والضوابط لمعنى العبادة أنها تنصب في قالب واحد وهو: أن العبادة تعني: التذلل لله وحده لا شريك له والخضوع له حبا وطاعة بفعل أوامره وترك ما نهى عنه

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

هذه القاعدة العظيمة جمعت جوهر الدين وجاء الدين من أجل تقريرها ،وبعث الله الرسل من أجلها، وأنزل الكتب في بيانها وعليه فإن القرآن الكريم كله في تقريرها وكل ما فيه بيان لها وعليه فسوف اختار من الآيات التي تدعو للعبادة بصفة عامة دونما التطرق إلى الآيات التي تتكلم على صور خاصة وجزئية من العبادة كالأمر بالصلاة وبالصيام والزكاة والاستغفار والتوكل وغيرها لأنها تدخل ضمن الأمر بالعبادة العام والذي تتقرر به كل العبادات الفرعية والجزئية.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[2]؛ وفي الآية حث صريح أمر واضح بالعبادة ونداء يفيد وجوب توحيد الله بالعبادة وحده لا شريك له بإظهار التذلل والخضوع التام له؛ لأنه الخالق وحده سبحانه[3].

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[4]؛ وفي الآية أمر صريح بوجوب توحيد الله عز وجل بالعبادة وإفراده بذلك، ويفهم هذا من قوله :(وإلهكم إله واحد) أي ومعبودكم معبود واحد لا إله غيره يستحق العبادة معه؛ ففي الآية تقرير صريح للقاعدة.

---

[1] – ابن باديس؛ تفسير ابن باديس، المصدر السابق، ص62.

[2] – سورة البقرة؛ الآية: 21.

[3] – الخرشي؛ حاشية الخرشي على مدونة سيدي خليل، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 125.

[4] – سورة البقرة؛ الآية: 163.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1] ؛ وفي الآية دليل قوي تستند إليه القاعدة وتتأكد به وذلك لأن أمر نبيه ان يخبر قومه أن الله عز وجل خالق الناس جميع قد أمره – وأمره فيه أمر لهم- أن يتوجهوا إلى ربهم بالعبادة وأن يخلصوا له العبادة[2]، وهي القاعدة.

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾[3]، والآية كما في التفاسير تعني: أن الله هو المعبود بحق عند أهل السماء هو نفسه الذي يعبد في الأرض فهو إله واحد لا شريك له في الملك ولا في استحقاق العبادة، ومنه فالواجب اخلاص العبادة له وحده لا شريك له وهي القاعدة.

ومثل هذه الآيات كثير في كتاب الله ويكفي هنا الاستقراء الناقص المعلل للاستدلال بما ذكرنا على صدق القاعدة وعلى ارتباطها بكتاب الله عز وجل، وبسنة نبيه كما سيأتي ذكره في المطلب الآتي.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة: السنة

النبوية الشريفة هي الشارحة للقرآن والموضحة له وما من مسألة مذكورة في القرآن الكريم إلا ولها ما يشرحها وما يبينا في السنة النبوية الشريفة ومن ذلك ما يستدل به في تقرير القاعدة ومنها:

– عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –: "**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض**". قال أنس: وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء، وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل الله عز وجل: {فإن تابوا} قال: بخلع الأوثان عبادتها {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة} وقال في آية أخرى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين}"[4].

---

[1] – سورة الأعراف؛ الآية: 29.

[2] – ابن العربي المالكي؛ عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، ط1، دارالفكر، بيروت، لبنان، ج11/ ص71.، ينظر: الباجي؛ الحدود، ط1، دار الآفاق الجديدة، القاهرة، مصر، 1420هـ، ص57.

[3] – سورة الزخرف؛ الآية:84.

[4] – أخرجه ابن ماجة، رقم 70، خرجه الألباني، تخريج مشكاة المصابيح، رقم: 1869.

– عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه**»[1]؛ وفيه أن قول لا إله إلا الله هي التوحيد والعمل بما تقتضيه وتجنب ما يفسدها، وهو مما يجب الحرص على تعلمه واليقين فيه[2].

– عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار " فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله**"[3]؛ وفيه أن شهادة ألا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وهي مفتاح الجنة، وهي كلمة التقوى[4].

– عن أبي هريرة، أنه قال يا رسول الله ماذا رد إليك ربك عز وجل في الشفاعة؟ قال: " **لقد ظننت لتكونن أول من سألني عنها مما رأيت من حرصك على العلم، شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، يصدق قلبه لسانه، ولسانه قلبه** "[5]؛ وفيه إشارة واضحة إلى أن الحرص على التوحيد من دلائل قوة الإيمان، وأنه مما ينبغي التنبه إليه وتعلمه والسؤال عنه.

وجه الاستدلال من الأحاديث:

في الأحاديث السالفة الذكر بيان صريح أن التوحيد هو التصريح بشهادة ألا إله الا الله، وأن من حقق شهادة التوحيد، العروة الوثقى فهو من أهل الجنة، ومن لم يحقق التوحيد لم يتحقق له ذلك فلا إيمان له وكان من نوال الجنة بعيد.

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 99،

[2] – القاضي عياض؛ اكمال المعلم، المرجع السابق، ج1/ ص203.

[3] – أخرجه أحمد، رقم: 447، واخرجه الحاكم في المستدرك رقم: 250، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ وهذا الاسناد.

[4] – ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري، المرجع السابق، ج1/ ص102-103.

[5] – أخرجه أحمد بن حنبل؛ رقم: 10713.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

العقل السليم لا يتناقض مع النص الصريح هذه قاعدة ثبتت معنا في قواعد المنهج، وقد ثبت لنا بنصوص القرآن والسنة وبتنصيصات الأمة المالكية القاعدة وأن التوحيد الذي هو تحقيق معنى لا إله إلا الله يقتضي افراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وهو الإخلاص، لأنه لا يعقل أن يُترك الخالق الرازق المحيي المميت السميع العليم المجيب ويتوجه العبد إلى غيره بأي نوع أو فرد من أفراد العبادة، فهذا فعل لا يقبله عقل ولا يستسيغه عاقل لأنه خلاف الحق والمنطق والفطرة، وقد علمنا في قاعدة استحقاق الله عز وجل الألوهية ثابت عقلا ومنطقا لأن الربوبية أم مسلم به فطريا فكان القول باستحقاق الربوبية لله عز وجل دليل عقلي واضح على استحقاقه العبادة سبحانه وتعالى، وقد ثبت الدليل العقلي حتى في القرآن الكريم حيث ضرب الله لعباده المثل الذي تقيس به وعليه العقول فتستنتج أن الوحدانية والربوبية تستوجب العبودية لله وحده وترك الشرك فقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] ؛فالمثل المضروب في الآية قياس عقلي – قياس الأولى– معناه النظر في حياتنا وأنفسنا هل نقبل أن نجعل مماليكنا ومستخدمينا شركاء لنا!!! فإذا كان هذا محال فمن باب أولى أن تتوجه بالعبادة إلى غير الله عز وجل وهو خالك ومالكك ورازقك فهذه لا يقبلها عقل ولا تنطبق منطقيا، ثم ذكر في آخر الآية العقل فقال: ((ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ) فتأكد من الآية أن للعقل هنا مدخلا صريحا في حسن التوحيد وتقبيح الشرك.

وقد تعددت طرق الحجاج العقلي في القرآن ووردت مسألة خلق الإنسان بدليل آخر يأخذ بالألباب في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]؛ لأن البشر لم يخرجوا عن أحد احتمالات ثلاثة وهذا تحدي وانكار في نفس الوقت للعقل أن يجد خلاف هذا:

---

[1] – سورة الروم؛ الآية: 28.

[2] – سورة الطور؛ الآية: 35، 36.

أ-إما أن يكونوا مخلوقين من غير خالق أي وجدوا بطريق الصدفة، وهذا غير معقول.

ب-وإما أن يكونوا خلقوا السماوات والأرض وخلقوا أنفسهم، وهذا يستحيل عقلا.

ج-وإما أن يكونوا مخلوقين لخالق واحد، وهذا المقرر عقلا ومنطقا.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

كما سبق التنبيه في القواعد السابقة نقول في هذه القاعدة وأن الملكية إما ذكروها بألفاظها كقاعدة أو أصل أو أساس أو أنهم قرروها من خلا ل تطبيقاتهم وتقريراتهم للمسائل المتعلقة بالقاعدة وهذ يؤكد مدى اهتمام أئمة المالكية بالعقيدة وبالتقعيد العقدي ونذكر من تلك التقريرات بعض ما ورد منها في أقوال مستقلة أو في تفسير آية أو شرح حديث شريف ومنها:

مما جاء عن الإمام مالك في بيان أن توحيد الالوهية هو تحقيق العبادة الخالصة لله وأن التوحيد هو تجريد العبادة له في تأويله لقول الله تعالى: ((**أفرءيت من اتخذ الهه هواه**)) ،حيث نقل المخزومي فقال: سمعت مالكا يقول:" لا يرى شيئا إلا عبده" ؛ فقال ابن العربي معلقا على قول الامام مالك :"فهذا من مالك رحمه الله تفسير للإله بأنه المعبود"[1]. فتبين إن تحقيق التوحيد يعني تحقيق العبودية الخالصة لله والتوجه اليه وحده بكل ما استعبد به عباده.

و من أجل بيان المقصود من كلام الامام مالك في تأويل الآية ننقل ما هو في نفس الصدد من القول تأويل الشنقيطي في تفسيره الذي أشار فيه لنا إلى اجماع العلماء في تأويل الآية فقال :"إيضاح أقوال العلماء المذكورة في هذه الآية: (**أفرءيت من اتخذ الهه هواه**)): أن الواجب الذي يلزم العمل به هو أن يكون جميع أفعال المكلف مطابقا لما أمره به معبوده جل وعلا ،**فإذا كانت جميع أفعاله تابعة لما يهواه، فقد صرف جميع ما يستحقه عليه خالقه من العبادة والطاعة إلى هواه، وإذن فكونه اتخذ إلهه هواه في غاية الوضوح**"[2]. ونلاحظ من تفسير الشنقيطي موافقة لما قاله الامام مالك من قبل وزاد عليه

[1] - ابن العربي؛ القبس، المصدر السابق، ج3/ ص1081.

[2] - الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج6/ ص330.

الشرح والتوضيح ليظهر قول مالك على صورته الواضحة المنكشفة من الغموض الذي احاطها به سحاب الأسلوب والاختصار.

ومما يؤكد القاعدة بأن التوحيد هو تجريد كل العبادة لله وحده ما نُقل عن إمام المالكية في وقته القاسم بن عبد البصري حيث قال :"**الخلق يقرون بربوبية الخالق ،وانما جحدوا معرفة توحيد العبادة الذي تعبدهم به** ..."[1]؛ أي: أن التوحيد الذي أمر به الله عباده والذي هو دعوة الرسل جميعا ليس توحيد الربوبية لأنه مسلم به بالفطرة ومعترف به من طرف الكفار، وإنما المقصود هو التوحيد العملي الذي يقضي التوجه إلى الله عز وجل بكل العبادة.

ومن المالكية الذين قرروا هذه العقيدة وصرحوا بهذه القاعدة وعرَّفوا التوحيد على أنه العبادة الباقلاني[2] فقال :"**فليس معه إله سواه، ولا يستحق العبادة إلا إياه، فلا شبيه له، ولا نظير له**، ونريد بذلك أن ليس معه من يستحق الإلهية سواه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[3]، ومعناه لا إله إلا الله..."[4] ؛فقرر الباقلاني هنا أن التوحيد هو توحيد الألوهية وهو معنى لا إله إلا الله ومعناه لا أحد يستحق العبادة إلا الله وحده.

---

[1] – الباجي؛ الحدود، ط1، دار الآفاق الجديدة، القاهرة، مصر، 1420هـ، ص57، ينظر: ابن تيمية؛ درء التعارض، المصدر السابق، ج8/ ص509.

[2]– محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت اليه الرياسه في مذهب الأشاعرة. ،. من كتبه: "إعجاز القرآن "و " "الإنصاف"، توفي: 403 هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج1/ص 481 وقضاة الأندلس ص 37 – 40.

[3] – سورة النساء؛ الآية: 171.

[4] – الباقلاني؛ الانصاف، المصدر السابق، ص23.

واعتبر ابن عبد البر أن التوحيد هو العبودية لله وعليه فسر قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [1]، فقال:" فوجب حمل الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك **أنه في السماء إله معبود من اهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض**... وكذلك قال أهل العلم بالتفسير"[2]؛ فمما يستفاد من كلام ابن عبد البر أن التوحيد هو اخلاص العبادة لله وحده وهي القاعدة وأن هذه القاعدة محل اجماع عند العلماء.

وهو ما يفهم من كلام ابي الوليد الباجي في معرض كلامه على خلاصة الدعوة المحمدية دعوة الإسلام والتي جاءت بالأساس لتوحيد العبادة وعوة الناس إليها ونبذ الشرك وعبادة غير الله عز وجل فقال :"... فقام فيهم –النبي صلى الله عليه وسلم- **يدعوهم إلى عبادة الرحمان ،وخلع الأوثان**..."[3] ؛ فتبين أن التوحيد الذي هو جوهر الدعوة الإسلامية يعني أفراد الله بالعبادة وحده وإخلاص العبادة له وحده.

والتوحيد هو العبادة عند الطرطوشي الذي فسر التوحيد بإخلاص العبادة لله وأن الشرك هو ان تتوجه بالعبادة لغير الله فقال :"**فإذا قلت: لا إله إلا الله، فيت ما لا يجوز في صفته من شريك في عبادته، مع الإقرار بأنه الاله وحده**..."[4]؛ فيتبين من كلام الطرطوشي أن التوحيد هو العبادة الخالصة لله وهو مقتضى القاعدة؛ وتكر كلامه في عدة مواضع وأن التوحيد هو إخلاص العبادة لله عز وجل فقال في تأويل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[5] ما تتقرر به القاعدة أيضا

---

[1] – سورة الزخرف؛ الآية:84.

[2] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج2/ ص11.

[3] – رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين؛ ط2، البحوث العلمية، م ع س، 1407، ص 70، 71.

[4] – الطرطوشي؛ الدعاء المأثور وآدابه، المصدر السابق، ص178.

[5] – سورة الأنعام؛ الآية: 71.

:"أي: **لا ندعو من دون الله تعالى ربا ولا نعبده**"[1] ؛ومعنى هذا الكلام هو: لا يستحق أي أحد الدعاء ولا العبادة إلا الله وحده لا شريك له.

وتقررت القاعدة أيضا من خلال كلام ابن رشد الجد[2] فقال :" **وأنه –الله– أوجب على عباده أن يؤمنوا به وحده، ويعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا** ..."[3]، فيظهر من كلا ابن رشد أن الواجب على العباد هو التوحيد والذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

وذكر المعنى نفسه ابن عطية كما في المحرر الوجيز في تأويله لقول الله عز وجل ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[4]:" **أي المستوجب للعبادة والألوهية، فإذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق** ..."[5]؛ توحيد الألوهية هو عبادة الله وحده ومن صرف منها شيء لغيره بطلت عبادته وقد يبطل توحيده، وذكر في موضع آخر من التفسير فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[6] :"هذا تعديد نعمة الله تعالى الدالة على وحدانيته، **وأنه الإله الذي يستحق أن يعبد دون سواه من الأنداد**"[7] ؛ فيظهر هنا تسلسل القواعد التي ذكرنا من قبل وهي: أن تعدد النعم التي تدل على ربوبية الله تعالى تستوجب توحيد الإلهية وتوحيد الإلهية هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له في نسق مناسب لمقتضى ما اوجبه الله من العبادة على عباده، كما قال في موضوع آخر في تأويل قول الله عز

---

[1] – الطرطوشي؛ الدعاء المأثور وآدابه، المصدر السابق، ص 196.

[2] – محمد بن أحمد ابن رشد، أبو الوليد: قاضي الجماعة بقرطبة. من أعيان المالكية. وهو جدّ ابن رُشد الفيلسوف، من كتبه: "المقدمات الممهدات" و " في الأحكام الشرعية"، و " البيان والتحصيل"، توفي: 520هـ. ينظر: قضاة الأندلس ص 98، والصلة ص 518 وبغية الملتمس ص 40.

[3] – ابن رشد؛ البيان والتحصيل، المصدر السابق، ج1/ ص25.

[4] – سورة يونس؛ الآية: 32.

[5] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج3/ ص118.

[6] – سورة الشورى؛ الآية: 28.

[7] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج13/ ص171.

وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]:"**معناه: وحدوه وخصوه بالعبادة**"[2] وهي القاعدة بالضبط.

وقد تقررت القاعدة عند ابن العربي الذي فسر الإله على أنه المعبود، وأن التوحيد هو العبادة التي خلق الله من أجلها الجن والإنس فبين عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3]؛ معنى التوحيد فقال :" **هذه الآية هي أصل في التوحيد، ويتعلق بها مسائل، ومنها: بيان معنى الإله وهو: المعبود وهي الفائدة التي خلق لأجلها الخلق**"[4]. فتبين أن التوحيد هو العبودية لله وأن الاله هو المعبود المستحق للعبادة وحده.

وقد أكد القرافي المعنى وبين حقيقة الضابط في تعريف التوحيد على أنه استحقاق العبادة لله وحده لا شريك له فقال:" وليس المراد من النفي نفي المعبود كيف كان، لوجود المعبودين في الوجود، كالكواكب والأصنام ،بل ثم صفة مضمرة؛ تقديره: **لا معبود مستحق للعبادة إلاَّ الله**..."[5] ؛ وفي كلامه تقرير للقاعدة باعتبار أن التوحيد هو افراد الله بالعبادة وحده والتوجه له بها لا شريك له، وذكر في الذخيرة نفس المعنى فقال :"في ذكر مسائل في العقيدة بالله عز وجل ...**وأنه واحد في ذاته لا نظير له، ولا شريك له، ولا يستحق العبادة غيره**"[6]؛ وقد تقرر عند القرافي القول بالقاعدة ومما قاله في بين القول الأول عن الاضمار –اضمار استحقاق الله للعبادة– في الفروق قال:" **الذي يجب توحيد الله تعالى به من التعظيم بالإجماع** ،فذلك كالصلوات على اختلاف أنواعها، والصوم على اختلاف رتبه في الفرض والنفل والنذر، فلا يجوز أن يفعل شيء من ذلك لغير الله تعالى، وكذلك الحج ونحو ذلك، وكذلك الخلق والرزق... فيجب على كل أحد ان يعتقد توحيد الله تعالى، وتوحده بهذه الأمور...وكذلك يجب توحيده

---

[1] – سورة البقرة؛ الآية: 21.

[2] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج1/ ص105.

[3] – سورة البقرة؛ الآية: 163.

[4] – ابن العربي؛ قانون التأويل، المصدر السابق، ص300.

[5] – القاضي عياض؛ إكمال المعلم، المصدر السابق، ج2/ ص253، 254.

[6] – القرافي؛ الذخيرة، المصدر السابق، ج13/ ص232.

تعالى باستحقاق العبادة والألوهية..."[1]، فتبين من قوله القاعدة وأن التوحيد هو استحقاقه عز وجل العبادة وحده لا شريك له.

وفسر الصفتي المالكي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بما تقتضيه القاعدة التي نحن في صدد تقريرها فقال:" جملة لا إله إلا الله، خبر، ومعناه الحقيقي: لا معبود بحق إلا الله، ويلزم من ذلك كونه مستغنيا عما عداه، ومفتقرا إليه كل ما سواه".

وفي تفسير قول الله عز وجل:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ ﴾[2]، قال أبو عبد الله القرطبي :" **وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ** أي: أنا إلهكم وحدي **فَٱعْبُدُونِ ؛ أي: أفردوني بالعبادة**"[3]؛ فتبين من قوله أن القاعدة في هذه المسألة مطردة وأنه لا يكون التوحيد توحيدا صحيحا إلا إذا تضمن افراد الله بالعبادة ثم ذكر في مواضع كثيرة من تفسيره نفس القول ومنها في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4] قال:" لا تعبد معه غيره، فإنه لا إله إلا هو، ففي لكل معبود، وإثبات لعبادته"[5]، أي: التوحيد يقتضي إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وهي القاعدة.

وفي شرح الحديث الصحيح المتضمن الدعاء :((**أنت إلهي، لا إله إلا أنت**))[6] ؛ قال أبو عبد الله القرطبي:" أي: **لا معبود غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك** "[7]، ويقصد ولا معروف بهذه المعرفة سواك: أنه يعقل أن يستحق أحد ذلك غيرك ولا يعلم عند أهم المعرفة أحد قال أن العبودية تكون لغيرك بل هي كلها لك سبحانك، وهي القاعدة.

---

[1] – القرافي؛ الفروق، المصدر السابق، ج3/ ص48.

[2] – سورة الأنبياء؛ الآية: 92.

[3] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر السابق، ج11/ ص338.

[4] – سورة القصص؛ الآية: 88.

[5] – القرطبي؛ التفسير الجامع، المصدر السابق، ج13/ ص322.

[6] – سبق تخريجه: ص200.

[7] – القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، وزملاؤه، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1417هـ/ 1996م.، ج2/ 399.

وقال الشاطبي في تأويل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣ ﴾ [1] :" وما أشبه ذلك من الآيات التي لا تكاد تحصى كلها أدلة على أن المقصود التعبد لله، وإنما أوتوا بأدلة التوحيد ليتوجهوا إلى المعبود بحق وحد سبحانه لا شريك له، ولذلك قال تعالى :﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [2]، ومثله سائر المواضع التي نص فيها على كلمة **التوحيد لا بد أن أعقب بطلب التعبد لله وحده**..."[3]؛ وفي قوله:(سائر المواضع التي نص فيها على كلمة التوحيد لا بد أن أعقب بطلب التعبد لله وحده) تقرير للقاعدة الكلية ومعنى كلامه: القاعدة هي: كلما ذكر الله كلمة التوحيد أعقبها بوجوب التعبد له وحده، ويعني: أن التوحيد يقتضي إفراد الله عز وجل بالعبادة.

وذكر محمد بن إبراهيم التتائي[4] في تنوير المقالة معلقا على مقدمة أبي زيد القيرواني، في موضوع :(وأنَّ الله واحد) :"معناه: **لا معبود يستحق العبادة غيره، ولا إله إلا هو**..."[5]، وفي كلامه تقرير جلي للقاعدة إذا يقصد من كلامه، أنه لما كان الله هو الاله الواحد فهو المستحق للعبادة وحده، وهي القاعدة، وذكر في موضوع آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ [6]، فقال:" ودعاهم صلى الله عليه وسلم، إلى

---

[1] – سورة الزمر؛ الآية: 2، 3.

[2] – سورة غافر؛ الآية: 65.

[3] – الشاطبي؛ الموافقات، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1415هـ، ج1/ ص 55، 56.

[4] – محمد بن إبراهيم التتائي المالكي،

[5] – محمد بن إبراهيم التتائي، تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، تحقيق: محمد عياش عبد العال، ط1، 1409هـ، ج1 ص153.

[6] – سورة آل عمران؛ الآية: 64.

توحيد الله ،وترك ما عبدوه من دونه..."[1]، إي دعاهم إلى التوحيد الذي تقتضي افراد الله بالعبادة وحده لا شريك له وهي القاعدة.

وقرر زروق[2] القاعدة في موضع سُئِل فيه عن معنى (لا إله إلا الله) فقال مجيبا :" الاله أطلقه العرب على كل معبود بحق أو باطل، فجاء الشرع فنفى ما سواه، وهو: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلاَّ الله، لأنه لا مستحق للاتصاف بالكمالات سواه"[3]. فتظهر القاعدة جلية من كلامه الأخير: (لا معبود بحق إلاَّ الله، لأنه لا مستحق للاتصاف بالكمالات سواه) أي: الله هو الإله وحده وهو المتصف بالكمال وحده فتوحيده يقتضي عبادته وحده، وهي القاعدة.

وبين محمد بن عبد الرحمن التلمساني نفس المعنى لما شرح كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فقال: "**إنما يسلط النفي في كلمة الشهادة على كل ما يفرضه العقل من عدد كل إله معبود بحق خاص، لا على الآلهة المعبودة بباطل، إذ النفي إنما يقع على كل ما لم يكن لا على ما كان...والمعبود بباطل لا عبرة بألوهيته، لأنه لا يستحق عبادة**"[4]، ومن كلامه تتقرر القاعدة أيضا إذ يُفهَم منه: أن من يعبدون كثير بالباطل، لكن التوحيد هو التوجه فقط لمن يستحق العبادة وحده وهو الله عز وجل، وهي القاعدة.

ومما قاله ابن عاشر[5] في هذا الصدد والذي يعزز القول بالقاعدة في بيان أن التوحيد يقتضي أن تكون العبادة لمن يستحقها وحده فقال:" **لا مستحق للعبودية له موجود أو في وجود إلا الفرد الذي هو خالق العالم جل وعزَّ**...وهو صريح في أن المنفي هو ما قد يتوهم من تعدد المعبود بحق"[6]، فالتوحيد

---

[1] – التتائي؛ تنوير المقالة، المصدر السابق، ج1/ ص154.

[2] – أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق: فقيه محدث صوفي. له تصانيف كثيرة:. من كتبه "شرح مختصر خليل" في فقه المالكية، و "النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية " و "القواعد "، توفي: 899 هـ. ينظر: الضوء اللامع ج 1/ص 222 والمنهل العذب ج 1/ص 181، وشذرات الذهب ج 7/ص 363.

[3] – أبو الحسن العلمي؛ النوازل، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1409، ج3/ ص297.

[4] – العلمي؛ النوازل، المصدر السابق، ج3/ ص295.

[5] – عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري: فقيه، له نظم. أندلسيّ الأصل. نشأ وتوفي بفاس، من كتبه:" المرشد المعين على الضروريّ من علوم الدين " منظومة في فقه المالكية، وأرجوزة في " عمل الربع المجيب " و " تنبيه الخلان"، توفي: 1040 هـ. ينظر: خلاصة الأثر ج 3/ص 96، الأعلام ج4/ص175.

[6] – ميارة محمد بن أحمد المالكي؛ الدر الثمين والمورد المعين، ط 3، الحلبي، مصر، 1483هـ، ج1/ ص53.

المثبت هو افراد الله بالعبادة وحده والمنفي هو عبادة من لا يستحق العبادة أي: التوحيد يقتضي التوجه لله وحده بالعبادة لأنه مستحقها وحده لا شريك له وهي القاعدة.

وذكر النفراوي[1] نفس المعنى السابق في معنى لا إله إلا الله عند شرحه لجمل الآذان فقال:" أشهد أنَّ لا إله إلا الله: أي: **أتحقق وأُذعن أنَّ لا معبود بحق سواه،** ثم قال في موضوع آخر:" **الإخلاص: إفراد المعبود بالعبادة**"[2]. وهو المقرر في القاعدة وان التوحيد هو اخلاص العبادة لمن يستحق العبادة وحده.

وتقررت القاعدة أيضا عند محمد بن يحي المختار، حيث فسر كلمة التوحيد باستحقاق الله وحده للعبادة وهي القاعدة فقال:" بني الإسلام... شهادة أنَّ لا إله إلا الله..." أي: لا معبود على الحق إلاَّ الله عز وجل"[3] والمقصود نفسه والقاعدة تقررت عند محمد المختار في كثير من المواضع منها في تأويله قول الله عز وجل: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾[4]؛ فقال:" أي: منقادون إلى العمل بمقتضى الشهادة، وهو اختصاص الله تعالى بالوحدانية والعبادة، وعدم إشراك شيء به ..."[5]. أي: التوحيد الصحيح والواجب يقتضي ان يُخصص الله عز وجل بالعبادة وحده لأنه فقط يستحقها، وهي القاعدة المقررة.

وتقررت القاعدة عند عبد الحميد بن باديس حيث ثبت أنه أعتبر التوحيد هو اخلاص العبادة لله وحده لأنه المستحق لها لا شريك له فيها فقال :"ومن توحيده في ألوهيته، وهو العلم بأنه تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، والقصد والتوجه والقيام بالعبادات كلها إليه لقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ**

---

[1] – أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي: فقيه من بلدة نفرى، من كتبه: "الفواكه الدواني"، "التعليق على البسملة"، توفي: 1126 هـ. ينظر: سلك الدرر ج 1/ ص 148، معجم المطبوعات ص 1863.

[2] – أحمد ابن غانم؛ الفواكه الدواني على رسالة ابي زيد القيرواني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ج1/ ص144.

[3] – محمد المالكي؛ نور الحق الصبيح، المصدر السابق، ج1/ ص41.

[4] – سورة آل عمران؛ الآية: 64.

[5] – محمد المالكي؛ نور الحق الصبيح، المصدر السابق، ج1/ ص35.

﴿ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2] ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**))"[4]، فابن باديس هنا صرح بالقاعدة واعتبر أن التوحيد هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

وممن تقررت عندهم القاعدة وصرحوا بها المبارك الميلي، حيث فسر معنى الاله —عز وجل – بالمستحق للعبادة فقال: "فإذا كانت العبادة هي الانقياد والخضوع على وجه التقرب، فإن الاله هو المعبود بتلك العبادة، فمن قصرها على الله فقد وحده، وعبد عبادة شرعية، ومن وجد هذا المعنى في نفسه لغير الله فقد اتخذ ذلك الغير إلهاً، وكانت عبادته شركية..."[5]. ويفهم من كلام مبارك الميلي أن العبادة التي هي من أدلة الخضوع والانقياد لشرع الله وتطبيق أوامره والتي هي التوحيد يجب أن تُقصر له وحده سبحانه وتعالى لأنه المستحق لها وحده لا شريك له وهي القاعدة، وقد تطرق للقاعدة في مواطن كثيرة منها قوله: " يدخل المرء في الإسلام بقوله لا إله إلا الله حمد رسول الله، ومعنى الجملة: أنه لا يعترف لغير الله بقوة غيبية تخضع لها روحه، فلا يخضع لسواه ولا يعبد إلا إياه... وأن لا يعبد إلا الله وأن يعبده إلا بما شرعه على لسان رسوله، وعلى هذين الأصلين انبنى الإسلام"[6] أي: أن من أصول الدين الإسلامي وعقائده الراسخة استحقاق الله عز وجل العبادة وحده القاعدة، وأن يكون ذلك بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] – سورة الأنبياء؛ الآية: 25.

[2] – سورة الأنعام؛ الآية: 79.

[3] – سورة الأنعام الآية: 162، 136.

[4] – أبو عبد المعز محمد علي فركوس؛ تحفة الأنيس شرح عقيدة التوحيد للإمام ابن باديس، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، 1435هـ/ 2014م، ص25.

[5] – مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص94.

[6] – مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص49.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

إن هذه القاعدة العظيمة تتضمن أهم الفوائد الإيمانية وأعظمها وهي اخلاص العبادة لله عز وجل ويتفرع عنها فوائد كثيرة أخرى منها:

الفائدة الأولى: الالتزام بالقاعدة التزام بالإسلام، فمن تقررت عنده القاعدة والتزمها فقد استمسك بالعروة الوثقى وأجاب الله عز وجل وفي أول واجب أوجبه على خلقه وأول حق له عليهم كما تقرر سابقا.

الفائدة الثانية: تقرير القاعدة حفظ أعظم ركائز الدين وصون لأصل أصول الدين ألا وهو التوحيد الخالص لله وحده لا شريك بتخصيص كل العبادة له وحده.

الفائدة الثالثة: الالتزام بالقاعدة تحقيق لدعوة الرسل ودخول في الإسلام وانضمام إلى عباد الله الذين اصطفى بالإيمان فكلما تحققت القاعدة في القلب كان التوحيد أحقق وأقوى.

الفائدة الرابعة: تقرير القاعد حفظ للأمة من تحريف دينها وحفظ لاجتماع الكلمة على ما تقرر عند سلف الأمة من عقيدة وايمان استطاعوا به فتح العالم وبناء الحضارة وانتصال الصدارة لقرون متتالية.

الفائدة الخامسة: بيان عقيدة السلف في مسائل العقيدة والتوحيد ومواجهة الشبهات العلمانية والتجديدية التي تريد العصف بدين الأمة من خلال تغييب ارثها العلمي وقطعها عن سلفها الصالح ومن خلال اخدوعة التجديد والشروط العلمية المعاصرة التي لا ترقى في حقيقتها إلى المنهج العلمي الإسلامي في حفظ التاريخ والأديان ومنهج العلوم الإنسانية بصفة عامة.

الفائدة السادسة: ابراز دور علماء المالكية وجهودهم الجبارة في حفظ العقيدة الإسلامية ،والتقعيد لها وتأصيلها والاستدلال لها من مصادرها السمعية، وتوارثهم القول الواحد فيها ؛ مما يؤكد رسوخهم في العلم بعقيدة الإسلام وباعتمادهم منهج السند الصحيح في تقرير الاعتقاد واتفاقهم فيها.

المبحث السادس: القاعدة السادسة: [الشرك أول ما حذر منه الرسل أقوامهم لأنه يبطل التوحيد].

المطلب الأول: تصور القاعدة:

لما كان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، يعني لا إله إلا الله وكانت لا إله إلا الله تتضمن اثباتا ونفيا في تركيبها، ورأينا أن الاثبات يقتضي الشهادة بأن العبادة حق لله وحده لا شريك له، وإن هذا الاثبات يستوجب نفيا للضد بالضرورة العقلية والشرعية، فكان الشطر الأول من لفظ الشهادة يتضمن نفيا مطلقا، وهو نفي لكل ما سوى الله من استحقاق العبادة، وذلك يقتضي البراءة التامة من الشرك الذي هو ضد التوحيد، فلما كان ضده ونفي له وجب على كل موحد أن يتبرأ من الشرك ويُشهِد اللهَ بلسانه وقلبه وجوارحه أن العبودية خالصة لله وأنه بريء من كل شرك وشريك مزعوم في الألوهية، ذلك لأن الشرك سبب لبطلان التوحيد وسبب لفساد دين المرء وانتقاض إيمانه وتحوله من الإيمان إلى الكفر إذا كان مؤمنا ثم أشرك أو بقائه في الشرك إذا لم يحقق الإيمان أصلاً، والشرك هو السبب الأول الذي كان من أجله بعثةُ الأنبياء، فلما وقع الشرك في قوم نوح وتوجهوا إلى عبادة الطواغيت من الأصنام وتركوا التوحيد وأعرضوا عن عبادة الله بعث الله فيهم نوحا لعلمهم الدين وليحذرهم مغبة الشرك وينذرهم من عذاب الله، فلما أصروا على الكفر والشرك نالهم العذاب الشديد من الله أن أفناهم وطهر الأرض من رجس الشرك الذي ابتدعوه ظلما وعدوانا، وكذلك كل الرسل بعد نوح كان أو شيء حذروا منه أقوامهم هو الشرك وعبادة غير الله، فكان بهذا الأمر بالتوحيد أول دعوة الرسل، والشرك الذي هو ضده أول ما حذر منه الرسل جميعهم، وذلك معنى لا إله إلا الله كلمة التوحيد العروة الوثقى، وذلك يعني أن تحقيق التوحيد هو أول شرط للدخول في الإسلام ،والشرك هو أول سبب للخروج من الإسلام، فلا يستقيم الإيمان إلا بتكامل الشرطين، تحقيق التوحيد الخالص لله والبراءة من الشرك.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

اذا كان الحكم على الشيء فرع من تصوره فإن بناء تصور الشرك هو الذي يتبرر به الحكم في الأخير وعليه من الواجب بيان معنى الشرك وذلك لأهميته ولأهمية معرفة ذلك للموضوع، كما قال المبارك الميلي :" إذا كان الاحتياج إلى معرفة الشرك شديداً، كان تعريف الناس به أمراً لازماً أكيداً، وإذا كان

الباعث على هذا التعريف إقامة العقيدة؛ فهو من النصيحة المفيدة الحميدة، وليس الإرشاد إلى الخير النافع بأولى من التنبيه على الباطل الضار، بل كلاهما غرض حسن وسَنن، لا يعدل عنه الساعون في خير سُنن، وهذا ما حمل المصلحين المجددين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد وتخليصه من خيالات المشركين"[1].

1–معنى الشرك لغة:

قال ابن فارس: "الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدلّ على مقارنة وخلافِ انفرادٍ، والآخر يدلّ على امتداد واستقامة:

فالأول: الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكَه، وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك"[2].

وقال الجوهري: "الشريك يجمع على شركاء وأشراك، وشاركت فلاناً صرت شريكه، واشتركنا وتشاركنا في كذا، وشركته في البيع والميراث أشركه شركة، والاسم: الشرك"[3].

وقال أيضاً: "والشرك أيضاً الكفر، وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك ومشركيّ"[4].

وقال الفيروز آبادي: "الشِّرك والشِّرُكة بكسرهما وضم الثاني بمعنى، وقد اشتركا وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والشِّرك بالكسر وكأمير: المشارك، والجمع أشراك وشركاء"[5].

2–معنى الشرك شرعاً:

قد تتعدد صور الشرك ودرجاته وعليه نختار من كثير مما قيل في الشرك بعض أقوال العلماء الموضحة لذلك ومنها:

---

[1] – المبارك الميلي؛ رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص43.

[2] – ابن الفارس؛ مقاييس اللغة، المصدر السابق، ج3/ ص265.

[3] – الجوهري؛ الصحاح، المصدر السابق، ج4/ ص1593، 1594.

[4] – الجوهري، الصحاح، المصدر السابق، ج4/ ص1594.

[5] – الفيروزآبادي؛ القاموس المحيط، المصدر السابق، ج2/ ص499.

قال القرطبي :" الشرك هو اتخاذ الإنسان إله غير خالقه المنعم عليه، وهو اعتقاد شريك لله تعالى والهيته، وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية."[1].

وقال محمد المكي في بين فعل الشرك:" المشرك بالله يزعم زورا وبهتانا أن الوثن يستحق العبادة، ويشهد له بالقدرة على الضر والنفع، وغيره من صفات الكمال، التي هي صفات الله وحده دون ما سواه"[2].

قال ابن سعدي[3]: "حقيقة الشرك أن يُعبَد المخلوق كما يعبَد الله، أو يعظَّم كما يعظَّم الله، أو يصرَف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية"[4].

وقال الدهلوي: "إن الشرك لا يتوقّف على أن يعدِل الإنسان أحداً بالله، ويساوي بينهما بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال . خصها الله تعالى بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية . لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستعانة به في الشدة، والاعتقاد أنه ناظر في كل مكان، وإثبات التصرف له، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركاً"[5].

وقال أيضا محمد بن عبد الوهاب[6] رحمه الله تعالى في: "الكبائر" في تعريف الشرك: "الشرك: هو جعل شريك لله سبحانه وتعالى في ربوبيته وإلهيته، والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح لغير الله أو النذر أو الخوف أو الدعاء"[7].

---

[1] – أبو العياس القرطبي؛ المفهم، المرجع السابق، ج6/ ص615.

[2] – نحمد ابن مكي؛ التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب، ج4/ ص172.

[3] – عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. من كتبه: "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن" ، و "تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن". توفي: 1376 هـ .ينظر: مشاهير علماء نجد ص 392 – 397، الأعلام ج3/ ص340.

[4] – ناصر السعدي؛ تيسري الكريم الرحمن، المصدر السابق، ج2، ص499.

[5] – الدهلوي إسماعيل بن عبد الغني بن وَلِي الله العُمري؛ رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان؛ ط1، دار وحي القلم، دمشق، سورية، 1423هـ/ 2003م، ص32، 33، ويُنظر: الشرك في القديم والحديث، ج1/ ص120.

[6] – محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. من كتبه: كتاب التوحيد، الكبائر، مختصر زاد المعاد، توفي: 1206 هـ، ينظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته.

[7] – محمد بن عبد الوهاب؛ الكبائر، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، ط1، دون سنة الطبع، ص67.

وعلق المبارك الميلي بعد أن نقل على بعض العلماء فقال: "أما في الشرع؛ فقد فسره صاحبا " الصحاح " و " المصباح " بالكفر، وجعله الراغب على ضربين، فقال: " أحدهما: الشرك العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى؛ يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾[1]، وغيرها من الآيات الكثيرة في ذم الشرك الأكبر والدالة على جرمه العظيم.

والثاني: الشرك الأصغر، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور التي هي من حق الله، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾[2] ، وقال بعضهم: معنى قوله: {إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ}؛ أي: واقعون في شرك الدنيا، أي: حبالتها "؛ وقال: " ومن هذا ما قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا**» "، وذكر القرافي قاعدة هنا فقال:" هذه قاعدة وضابطها أن يعمل العمل المأمور به والمتقرب به إلى الله وهو يقصد وجه الله"[3]. فبقدر خروج القصد يكون الشرك أكبرا أو أصغرا.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

لمَّا كان الشرك ضد التوحيد وكانت الدعوة إلى التوحيد سبب ارسال الرسل وإنزال الكتب، بسبب استفحال جريمة الشرك بين العباد كان ذكر الشرك والتحذير منه كثير جدا في القرآن الكريم، الذي هو كما قال ابن القيم إما أمر بالتوحيد أو تحذير من الشرك أو مآل من أشرك ومآل من وحد الله ونذكر من الآيات المناسبة للقاعدة بعض الآيات حيث يكفي فيها الاستقراء الناقص المعلل لأن الإحاطة بكل الآيات زيادة عن المطلوب ومنها:

---

[1] – سورة النساء؛ الآية: 116.

[2] – سورة يوسف؛ الآية: 106.

[3] – القرافي؛ الفروق، المصدر السابق، ج3/ ص180.

-قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، وفي هذه الآية دلالة جلية واضحة عن القاعدة والعبارة صريحة وهي أن الرسل جميعا بعثهم الله بواجب يبدؤون به وهو الدعوة إلى التوحيد، ففسر مقاتل بن سليمان قوله تعالى: ((وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ)) يعني: أن وحدوا الله ((وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)) يعني عبادة الأوثان[2]، أي: أن أول واجب علينا في مهمتنا ونحن ندعوكم يا قومنا هو أن توحدوا الله وأن تجتنبوا الشرك ؛وهو التأويل نفسه الذي ذهب إليه وقاله الطبري في تفسيره فقال: " يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدُكم عن سبيل الله، فتضلوا"[3] فتبين من خلال قوله: **(ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له)** أن أول مهمة الرسل في أقوامهم هي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الوقوع في الشرك بالله وهي القاعدة.

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾؛ وفي الآية دليل صريح على القاعدة ذلك أن من معانيها أن صالحا لما جاء قومه وأراد دعوتهم إلى الدين الذي أمره به الله عز وجل، بدأ أول ما بدأ نهيهم عن الشرك الذي احدثوه والكفر الذي خالفوا به عقيدة التوحيد الذي أمرهم بها أول مرة، كما في الآية استنكار صريح لفعلهم القبيح وأول ذلك الشرك كما هو في الآية.

---

[1] – سورة النحل؛ الآية: 36.

[2] – أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي؛ تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1423هـ/2003م، ج2/ ص468.

[3] – محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م، ج17/ ص201.

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [1].

ب/الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

والدليل في أثر آخر:(**وقال (هرقل) لأبي سفيان ـ لما سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول لكم؟ ـ قال: يقول: "اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم))** ؛ أي وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَسَأَلَهُمْ: **بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا،** وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ»[2].

وجه الاستدلال بالحديث: يظهر من الحديث أن أول مسائل العقيدة هي الأمر بالتوحيد ونبذ الشرك لأن التوحيد التام يقتضي نفي كل شرك بل معنى لا إله إلا الله كما رأينا هو اثبات التوحيد الذي يسبقه البراءة من كل شريك.

-فقد وردت أحاديث صحيحة، منها في الشرك الخفي ما رواه الإمام أحمد في المسند وغيره أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟"[3]، وفيه أن الشرك يبطل التوحيد وهو أخطر ما يجب الحذر منه، وهذا قول ابن الجلاب وقول ابن عبد البر وعليش.

-**وجه الاستدلال بالحديث:** من الحديث تصريح من النبي صلى الله عليه وسلم أن أخوف ما يخاف على أمته هو الشرك، وقد كان هنا الشرك الأصغر –الرياء– الذي فيه توجه لغير الله في نية العمل، فنهى عنه وحذر من واعتبره من اخطر ما يخافه على الأمة، فكيف بالشرك الأكبر المخرج من الملة!!!

---

[1] – سورة النساء الآية: 36.

[2] – ابن أبي العز محمد الحنفي؛ شرح العقيدة الطحاوية، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ج1، ص147.

[3] – اخرجه أحمد؛ رقم: 23630، وقال الأرناؤوط: حديث حسن.

– عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»[1].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث تصريح واضح أن الغاية من بعثة الرسل هي تحقيق التوحيد لله، فذكر في الحديث ما أمره الله به، وبدأ بكسر الأوثان كأول أمر عظيم في العقيدة، وقال: وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء، وهي خلاصة الرسالة كلها.

– عن أبي حفصةَ، قال: قال عبادةُ بن الصَّامت لابنه: يا بُنيَّ إنَّك لن تَجِدَ طعمَ حقيقةِ الإيمان حتّى تَعلمَ أن ما أصابَكَ لم يكُنْ ليُخْطئَكَ، وما أخطَاكَ لم يكُنْ ليُصيبَك، سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم – يقول: "**إن أوَّلَ ما خلقَ اللهُ القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ"، يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ ماتَ على غير هذا فليسَ منّ"**[2].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث أمر بالإيمان بالقضاء والقدر وهو من أعظم مسائل التوحيد، وتحذير من ضد ذلك، وأن الشرك وإلغاء التوحيد يخرج عن الملة في قوله: ومن مات على غير هذا فليس مني.

– قال أبو داود غير النبى صلى الله عليه وسلم اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وأرضا تسمى عفرة سماها خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بنى الرشدة وسمى بنى مغوية بنى رشدة. قال أبو داود تركت أسانيدها للاختصار[3].

---

[1] – أخرجه مسلم؛ رقم: 294.

[2] – أخرجه أبو داود، رقم:4700، وقال الأرناؤوط: حديث حسن.

[3] –أخرجه أبو داود، رقم: 4956

وجه الاستدلال بالحديث: انه صلى الله عليه وسلم كان ينهى ويحذر من أدق ما يمكن أن يفسد التوحيد ويفضي على الشرك ولو كان في الأسماء والشرك اللفظي الذي جرت به عادة الأسماء والألقاب عن العرب.

– عن ابن عباس، أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " **أجعلتني والله عدلا بل ما شاء الله وحده** "[1]

وجه الاستدلال بالحديث: النبي صلى الله عليه وسلم بادر مباشرة في التحذير من الشرك ولم يؤجل ذلك بل حذره مباشرة بعد قوله، وهذا يدل على مدى خطر الشرك ووجوب التحذير منه.

– عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان** "[2].

وجه الاستدلال بالحديثين: فيهما تصريح واضح من خطر الشرك ولو في الكلام الذي لا يتضمن نية عبادة غير الله أو التوكل أو صرف المشيئة له، فنهاهم وحذرهم وصحح ألفاظهم إلى يؤدي إلى تحقيق التوحيد واجتناب الشرك

– عن أبي موسى الأشعري، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، قال: فبلغ ذلك قومنا ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية، فقدمنا وقدما على النجاشي ،فأتوه بهديته فقبلها، وسجدوا، ثم قال له عمرو بن العاص: إن قوما منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك، فقال لهم النجاشي: في أرضي؟ قالوا: نعم، فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، قال: فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس سماطين، وقد قال له عمرو بن العاص وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، قال: فلما انتهينا إليه زبرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله فلما انتهينا إلى النجاشي قال، ما يمنعك أن تسجد؟ قال: لا نسجد إلا لله قال له النجاشي، وما ذاك؟ قال: " إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به

[1] – أخرجه أحمد، رقم 1839 ، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[2] – أخرجه أبو داود، رقم: 4980، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

عيسى ابن مريم: {برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} [الصف: 6] **فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر** "[1].

وجه الاستدلال بالحديث: الصحابة هنا برروا فعلهم بعدم السجود للملك ببيان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم فعلوا ذلك اقتداء بما أمرهم به من نبذ الشرك وتركه وأن السجود لا يكون إلا لله، قد بينوا للملك خلاصة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أنه أمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ،وهي أول ما أمر به التوحيد وأول ما نهى عنه الشرك كما في عبارة الحديث، والحادثة جرت في بداية الدعوة، فدليل أنه أول مار كز عليه النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته.

– عن عَائِشَةَ، وَعَبْد اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[2]، وفيه منع الصلاة تجاه القبور لمنع ذريعة الشرك، وهو مذهب أشهب وسحنون[3].

وجه الدلالة: أن في الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم وخبر منه فيه تحذير صريح من الشرك، وهو في أصعب الأحوال وأشقها على النفس وعلى العقل فكان صلى الله عليه وسلم يحذر من الشرك وهو في سكرات الموت.

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**» ، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»**[4].

وجه الاستدلال بالحديث: فيه تصريح ظاهر بالتحذير من الموبقات المفسدات للدين السبعة، وأول ما حذر منه هو الشرك بالله، وهذه رسالة كل الأنبياء أول واجب التوحيد وأول محذور هو الشرك.

---

[1] – أخرجه الحاكم؛ رقم: 3208، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

[2] – متفق عليه؛ أخرجه البخاري، رقم: 435، ومسلم، رقم:22.

[3] – ابن رشد؛ المقدمات والممهدات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422هـ، ج1/ ص234.

[4] – متفق عليه؛ أخرجه البخاري، رقم: 2766 ، ومسلم، رقم: 145.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية: رأينا في القواعد السابقة أن العقل السليم لا يتناقض مع النص الصريح بل يمتاز الإسلام شريعة وعقدية بكونه دين العقل الذي يتوافق معه بالفطرة والاستدلال ومما يؤكد ذلك توافق هذه القاعدة مع العقل في أوجه عديدة منها:

-خطابُ الشريعةُ العقولَ والتوجه إليها بالخطاب في وجوب نفي الشرك والبراءة منه في آيات كثيرة وأحاديث عديدة تصريحا وتلميحا، فليس من العقل أن يتصور أي عاقل سليم العقل أن يغفل الأنبياء عن نهي أقوامهم عن الشرك وتحذيرهم من مغبته باعتباره مفسد للدين ومبطل للإيمان.

- العقل الصريح والقياس المنطقي السليم يؤكد التلازم الآتي: إذا كان التوحيد أول واجب على العباد، وكان هو أول ما دعت إليه الرسل جميعا، فإنَّ الشرك أول ما يجب البراءة منه من طرف العباد، وكان هو أول ما نهت عنه الرسل.﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾[1]. فلا تكون العروة الوثقى إلا بتحقق الشرطين وهما، البراءة من الشرك وإخلاص التوحيد.

- إذا كنت الغاية من ارسال الرسل وانزال الكتب هي تحقيق سعادة العبادة في الدنيا والآخرة وكان الشرك أعظم ما يفسد ذلك ويمنع تحققه للعباد ؛لا يعقل أن تتغافل عنه الرسل أو أن يتجاهلوه بل كان الواجب –وقد كان– على الأنبياء كما هو في صريح السمعيات من الآيات والأحاديث– التحذير من الشرك أول خطوة في طريق دعوتهم لأقوامهم، وأول ما يجب التحذير منه ومن عاقبته، قال تعالى:﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾[2] ، فهم يبشرون الناس بالجنة لمن حقق التوحيد، وينذرونهم من عذاب جهنم إذا هم أشركوا بالله، ذكر ابن الخازن في مواضع كثيرة أن الله عز وجل بعث لكل أمة رسولا لغاية أساسية أولى وهي عبادته واجتناب الطاغوت وكل من يعبد من دونه سبحانه عز وجل فقال:" ((**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا**))؛ **يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**

[1] – سورة البقرة؛ الآية: 256.

[2] – سورة الكهف؛ الآية: 56.

يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم بأن يعيدوا الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت، وهو اسم كل معبود من دون الله فمنهم يعني فمن الأمم الذين جاءتهم الرسل من هدى الله يعني هداه الله إلى الإيمان به وتصديق رسله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني، ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال، وفي هذه الآية أبين دليل على أن الهادي، والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه بما حكم به في سابق علمه"[1].

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد الذي هو معنى كلمة التوحيد العروة الوثقى –لا إله إلا الله– اهتم بها المالكية كثيرا وتكلم عنها كل العلماء وحصر ذلك مستحيل لكنهم كانوا جد مهتمين بأسس الدين خصوصا أن القاعدتين هما عروة سنام العقيدة، وشرط صحتها فقد ونذكر من ذلك على سبيل الاستئناس لا الحصر بعض أقوالهم ومنها:

قال الإمام مالك –رحمه الله–:" **وما كان من أمر التماثيل والصور في الطست والإبريق والأسرة والقباب، فإن كان خرطت خرطا فهي أشد، وبلغني أن أول ما اتخذت الصور في موت نبي، فصور لهم ليأنسو بصورته، فما زال ذلك حتى صار إلى أن عبدت**"[2]؛ أي: أنَّ في سد ذريعة الشرك الذي يحدث أول ما يحدث بسبب الغلو في الأنبياء والصالحين، وفيه استناد منه بقصة قوم نوح، وأن سبب بعثة نوح الأول هو لما وقع الشرك في قومه، فكان من مالك أن نهى عن كل مفضيات إلى الشرك سدا للذريعة الموصلة إلى الشرك.

ومما يؤكد القاعدة عند الامام مالك ما أورده القرطبي وعزاه للإمام مالك في قول النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين عند تلبيتهم بالتوحيد "قد قد"، فقال:" **أي: حسبكم التوحيد ينهاكم عن**

[1] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج3/ ص76.

[2] – ابن إبي زيد القيرواني، الجامع، المصدر السابق، ص261.

الشرك"[1]؛ ويفهم منه أن أصل دعوة التوحيد التي جاء بها النبي صلى الله وسلم هي الحجة في بطلان الشرك وفساده.

وقد بين مالك بن أنس –كغيره من الأئمة–ما يشرع عند زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:" لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويمضي"[2].

وقد بين القاضي عياض ما تتقرر به القاعدة في الشفا معلقا على قول الامام مالك في قضية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" والأولى عندي: أن منعه وكراهة ملك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لو قال: زرت النبي، لم يكرهه؛ لقوله: صلى الله عليه وسلم:" اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد..."، **فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر، والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب، والله أعلم**"[3].

كما صرح ابن عبد البر بأن الشرك من اعظم ما يجب الحذر منه وأنه لا يجوز الوقوع في أي صورة من صور الشرك كالاستعاذة بالمخلوق أو دعاؤه فقال:" وفي الاستعاذة بكلمات الله أبين دليل على أن كلام الله فيه تبارك اسمه من صفاته ليس بمخلوق؛ **لأنه محال أن يستعاذ بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله**"[4].

وقد نقل لنا القاضي عياض الاجماع في أن فعل أي فعل هو من حقوق الله، لغير الله فهو كفر وشرك يجب الحذر والتحذير منه، ومن ذلك السجود فقال:" **وكذلك نُكَفِّر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل، كالسجود للصنم، وللشمس والقمر، والصليب، والنار**"[5].

---

[1] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج3/ ص269، ويُنظر: العرفج عبد الله بن فهد، جهود المالكية، ص362، 363.

[2] – المصدر نفسه؛ ج2/ ص671.

[3] – المصدر نفسه، ج2/ ص669.

[4] – عطية محمد سالم؛ فتح البر بالترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، ط1، مجموعة النفائس الدولية، مكتبة الرياض الحديثة، 1416هـ/ 2005م، ج2/ ص61.

[5] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص1072، ويُنظر: ابن عبد البر، الاستذكار، ج8/ ص109، والتمهيد، ج5/ ص45، وفيه نقل للإجماع عن البقلاني، وابن أبي زيد؛ الرسالة، ص60، والقرطبي؛ التفسير الجامع، ج1/ ص293، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج13/ ص117.

قال أبو عبد الله القرطبي –مبينا أن الشرك أعظم ما حذر من الأنبياء بل ومنعوا ما يؤدي إليه سدا للذريعة– في شرح حديث :" لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليه" :أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها، أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام، **فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك..."**[1]؛ فتبين أن الشرك أمر خطير كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر منه ومما يؤدي إليه.

وفي النهي عن الشرك ذكر الثعلبي مثل ذلك وأن الله عز وجل أرسل لكل الأمم رسلا مبشرين ومنذرين، وأمرهم أن يكون أو واجب هو أن يبينوا لأقوامهم أن الله يوجب عليهم التوحيد والتوجه إليه وحده بالعبادة واجتناب الطاغوت ونبذ الشرك بالله عز وجل، فقال:" **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله يعني بأن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وهو كل معبود من دون الله** فمنهم من هدى الله في دينه ومنهم من حقت أي وجبت عليه الضلالة حتى مات على كفره فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي خراب منازلهم وديارهم بالعذاب والهلاك إن تحرص يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل"[2]

وقال في النهي عن الشرك من أول ما نهى عنه الأنبياء ابن عطية في موضع آخر يبين فيه أن وظيفة الرسل البلاغ وأول بلاغ هو أن يبلغوا أقوامهم أن عبادة الله عز وجل أول ما يجب الاهتمام به وأن يجتنبوا الطاغوت وعبادة غيره فقال: **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥ ﴾**[3] إلى إقامة الحجة حسبما ذكرناه، بين ذلك في هذه الآية، أي **إنه بعث الرسل آمرا بعبادته وتجنب عبادة غيره"**[4].

---

[1] – القرطبي؛ التفسير، المصدر السابق، ج23/ ص303.

[2] – أحمد الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج6/ ص16.

[3] – سورة النحل؛ الآية: 35.

[4] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج3/ ص392، ويُنظر: ابن رشد المقدمات والممهدات، ج1/ ص192، والشنقيطي، الأضواء، ج7/ ص138.

وقد بين القرطبي أن النهي عن الشرك مستهل ما نهى عنه الرسل في دعوتهم أقوامَهم وأول دعوة الرسل هي الدعوة إلى التوحيد ،فقال في تفسير قوله تعالى: **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله)** ؛أي: **بأن اعبدوا الله ووحدوه. (واجتنبوا الطاغوت) أي اتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم، وكل من دعا إلى الضلال.** فمنهم من هدى الله أي أرشده إلى دينه وعبادته"؛ فتبين من كلامه أن الشرك بالله أول ما حذرت منه الرسل، بل هو سبب بعثة الرسلة فقد كان الناس على الفطرة فلم يبعث الله الرسل، ولما وقع الشرك مع قوم نوح بعثه الله أول رسول بالإنذار والنهي عن أعظم معصية وقعت على وجه الأرض وهي الشرك بالله وعبادة الأوثان.

وقد أكد الطرطوشي أن الشرك أول ما يجب التحذير منه عملا بمنهج الأنبياء فقال في تفسير **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾**[1]:" **فجمع الله عز وجل بين الأصنام وبي آدم في اسم العبودية، فدلت الآية على من دخل تحت العبودية لا يضر ولا ينفع**، ولا يستأهل كل ذلك التعظيم، وأن ذلك من الشرك والكفر، بل هو خلق محتاج قد لحقه ذل التكوين، مفتقر إلى ما يفتقر إليه من دعاه"[2].

وقد استدل البيضاوي على أن ادعاء الآلهة مع الله باطل نقلا وعقلا، ولا حجة لهم في ذلك وأن الكتب السماوية كلها دليل على أن التوحيد خالص لله وحده وأنه نقطة اتفاق بين الرسل وأول ما يدعون اليه أقوامهم فقال:" في قوله تعالى: **((هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي)) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك**، والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومَنْ مَعِيَ أمته ومَنْ قَبْلِي الأمم المتقدمة وإضافة ال ذِكْرُ إليهم لأنه عظتهم"[3] فتبن من كلامه أن مجمل دعوة الرسل هو النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد.

وقد بين الثعالبي في تفسيره أن كل الكتب السماوية متفقة أن سبب مجيء الرسل هو وقوع الشرك وعبادة غير الله، أن الله هو وحده الخالق لا شريك له فلا يصح بعد ذلك أن يعبد غيره، كما رأينا في

---

[1] – سورة الأعراف؛ الآية: 194.

[2] – الطرطوشي؛ الدعاء المأثور، المصدر السابق، ص31، 32.

[3] – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ، ج4/ ص49.

قاعدة الربوبية تستوجب الإلهية فقال:" وقوله: هذا ذكر من معي وذكر من قبلي يحتمل أن يريد بالإشارة بقوله: هذا إلى **جميع الكتب المنزلة قديمها وحديثها– أنها تبين أن الله الخالق واحد لا شريك له،** ويحتمل أن يريد بقوله: هذا القرآن والمعنى: فيه نبأ الأولين والآخرين فنص أخبار الأولين، وذكر الغيوب في أمورهم، حسبما هي في الكتب المتقدمة، وذكر الآخرين بالدعوة، وبيان الشرع لهم، ثم حكم عليهم سبحانه بأن أكثرهم لا يعلمون الحق، لإعراضهم عنه، وليس المعنى: فهم معرضون لأنهم لا يعلمون بل المعنى: فهم معرضون، ولذلك لا يعلمون الحق، وباقي الآية بين، ثم بين سبحانه نوعا آخر من كفرهم بقوله: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية كقول بعضهم: اتخذ الملائكة بناتا، وكما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، واليهود في عزيز"[1]. فتبين أن التوجه إلى غير الله أو اعتقاد الشريك في الربوبية أو الإلهية كفر خلاف دين الرسل ودعوتهم، وأنه السبب الأول في بعثة الرسل هو وقوع الشرك.

ذكر صاحب محاسن التأويل أن التوحيد هو أول واجب على العبيد وأنه أول وأعظم حقوق المعبود عز وجل، وأنه نقطة التقاء واشتراك بين كل الأنبياء فقال في تفسيره **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾**[2] :"وقد **بدأ بأعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تبارك وتعالى، أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا، وبهذا أمر جميع خلقه، ولذلك خلقهم،** كما قال تعالى: ((**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**)). وقال تعالى: ((**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. وبالوالدين إحسانا**)) والإحسان نهاية البر، فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين، حتى قرن تعالى الأمر بالإحسان إليهما، بعبادته التي هي توحيده، والبراءة عن الشرك، اهتماما به وتعظيما له"[3].

---

[1] – أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1418هـ، ج4/ ص84.

[2] – سورة البقرة؛ الآية: 83.

[3] – محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي؛ محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418، ج1/ ص343.

وذكر القرافي في الفروق مسائل قد تفضي بمواقعيها إلى الشرك ونبه إلى وجوب الحذر منها بسبب اشتباهها من جهة، وبسبب خفائها على كثير من الناس فقال ناقلا عن مالك إمام المذهب وجماعة من العلماء كراهة انتصاب للدعاء من أئمة المساجد وغيرهم، وعلل الكراهة بتوقع فساد القلوب وحصول الكبر والخيلاء، ومعلوم ان ذلك متوقع، **وقد يفضي المنتصب أو غيره إلى الشرك باعتقاد أنه واسطة بين الخلق والحق في قضاء الحوائج واستدرار الخيرات**[1].

وقد أوضح محمد المكي مفاد القاعدة، وأن الشرك ذنب عظيم يجب التحذير منه ابتداءً كما فعل الأنبياء وحذر من كل ما قد يفضي بالمرء إلى ذلك فقال:" **كل من نسب الضر والنفع والعطاء والمنع إلى غير الله، وكل من علق أمله ورجاءه على مخلوق لا على خالق، فهو مشرك أبطل توحيده**"[2]، فهذا تحذير من الوقوع في الشرك بسبب عظم جريمته، وسهولة الوقوع فيه ببين الناس في مثل المسائل التي أشار إليه.

وذكر المبارك الميلي القاعدة وصرح بها في رسالة الشرك وظاهره فقال :" إن القرآن العظيم يقص علينا في جلاء ووضوح أن **أول ما يدعو إليه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين هو توحيد الله، وأول ما ينكرونه على قومهم الشرك ومظاهره**، وعلى حكم هذه السنة الرشيدة جاءت بعثة خاتم النبيين – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ فعنيت بالدعوة إلى التوحيد، والتحرز من الشرك، والتحذير منه، وما ذلك إلا لشدة الحاجة إلى معرفته، وإنك لتجد تلك العناية ظاهرة في الكتاب وأطوار البعثة وأركان الدين"[3].

وقد بيَّن ابن عطية مدى خطورة الشرك، واستدل من القرآن بأنه محرم، وأنه أول ما حذر منه الله عز وجل أنبياءه وأمرهم بتركه والتحذير منه فقال في تفسير **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ ﴾[4] :" **هذا الأمر–وهو الشرك– والمخاطبة**

---

[1] – القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس؛ الفروق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م ج4/ ص300.

[2] – الناصري محمد المكي؛ التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ج3/ ص212.

[3] – مبارك الميلي؛ رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص39.

[4] – سورة يونس؛ الآية: 106.

للنبي صلى الله عليه وسلم، إذا كانت هكذا، فأحرى أن يتحرز من ذلك غيره"[1]؛ فلما كان أعظم الذنوب حذر الله منه أنبياءه، ليكون أول ما يجب التحذير منه.

وهو ما نبه عليه الطاهر بن عاشور عند قول الله عز وجل **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ ﴾ [2]، فقال:" **والمقصود من هذا الغرض تنبيه الناس على فظاعة هذا الفعل–الشرك في الدعاء– حتى لو فعله أشرف المخلوقين لكان من الظالمين**"[3].

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعد وأثرها:

الفائدة الأولى: من القاعدة يظهر أن الرسل مجمعون على أنَّ أول ما يجب التحذير منه هو الشرك؛ والقرآن يؤكد ذلك في كل قصص الأنبياء، فيكون التحذير من الشرك ملازم للدعوة بالتوحيد إذ لا ينفك أحدهما عن الآخر أبدا.

الفائدة الثانية: النهي عن الشرك هو الشطر الأول من كلمة التوحيد –لا إله إلا الله–فهو المحذور الأول الذي يجب التحذير منه في كل دعوة لكي تكون على طريقة وهدي الرسل والأنبياء في دعوة أقوامهم ولكي يتحقق بها مبتغى الله عز وجل من بعثة الرسل إلى أقوامهم.

الفائدة الثالثة: الأئمة المالكية كانوا سباقين في هذا الأمر وقد تواتر عنهم أمر التحذير من الشرك باعتباره أول ما حذر منه الرسل، بل شددوا في التحذير منه فالتزموا وتميزوا بحصن سد الذريعة الذي يعرف عن المالكية بجه أعظم وأوسع.

الفائدة الرابعة: التحذير من الشرك مجلبة لكل خير ومدفعة عن كل شر والعمل بهذه القاعدة يتحقق به فوائد عظيمة للأمة ماديا ومعنويا، وللأفراد ماديا ومعنويا ودنيويا وأخرويا، فهي قاعدة أساسية لا يجب الغفلة عنها طرفة عين.

---

[1] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج7/ ص229.

[2] – سورة يونس؛ الآية: 106.

[3] – ابن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج11/ ص305.

المبحث السابع: القاعدة السابعة: [الشرك أكبر معصية لأنه محبط لإيمان ومبطل للتوحيد]:

المطلب الأول: تصوير القاعدة:

التوحيد أعظم طاعة وأول واجب على العبيد أن يحققوه كما رأينا في القواعد السابقة، لزم عن ذلك بالضرورة أن الشرك أعظم معصية وأول محذور يجب على العبيد تركه؛ لأنه النقيض الذي لا يجتمع معه في قلبٍ واحدٍ أبدا، ولقد تبين من خلال القاعدة السابقة أنه الشر الذي بدأ كل الرسل عليهم الصلاة والسلام بالتحذير منه هو الشرك بالله –سبحانه وتعالى– فالشرك هو أن يتوجه العبد بحق الله على عباده الذي هو العبادة إلى غيره من مخلوقاته، إمَّا بجهل منه وتقليد أعمى أو بعلم وعناد سببه الكبر واتباع الهوى وخطوات الشيطان، والشرك يعتبر أعظم معصية لأنه ضد التوحيد ولأنه تفريط ومساس بحق الله عز وجل الذي قال فيه وأخبر عنه في كتبه جميعا وعلى لسان رسله كلهم –عليهم الصلاة والسلام– أنه أعظم معصية وأنَّ الله عز وجل يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به، وأن من لقي الله وهو مشرك فقد استحق الخلود في نار جهنم وقد حاد الله ورسله وأعلن العصيان.

وهذه الحقيقة تظهر للمشركين يوم القيامة فيقولون لمعبوداتهم من دون الله **قَالَ تَعَالَى:** ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾[1]، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأوحى الله إلى عيسى: إما أن يبلغهن أو تبلغهن، فأتاه عيسى فقال له: إنك أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال له :يا روح الله، أخشى إنْ سبقتني أن أعذب أو يخسف بي؛ فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأَ المسجد، فقعد على الشرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: وأولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل من أشرك بالله كَمَثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق ثم أسكنه دارًا فقال: اعمل وارفع إليّ – أي ائتني بما

[1] – سورة الشعراء؛ الآية: 97، 98.

تكسبه – فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضَى أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولاتشركوا به شيئًا))[1]

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

لفظة الشرك جاءت في القرآن والسنة للتعبير عن فعل هو ضد التوحيد وقد ورد بمعاني كثيرة مختلفة لكنها تنتهي إلى الحكم الشرعي نفسه وهو الشرك الذي هو عكس التوحيد وضده ونذكر منها على وجه الاستدلال لا الحصر:

1. **الاشتراك**.: قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2]والشِّرْكُ أَن يجعل لله شريكاً في رُبوبيته تعالى الله عن الشُّرَكاء والأنداد وإنما دخلت التاء في قوله لا تشرك بالله لأن معناه لا تَعْدِلْ به غيره فتجعله شريكاً له.

2. **النصيب**: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[3]

3. **التجزئة**: وهو من الكفر كما في صريح الاية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

---

[1] – أخرجه الترمذي؛ رقم: 2863، وقال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير رقم: 1724.

[2] – سورة الأنعام؛ الآية: 162، 163.

[3] – سورة الأنعام؛ الآية: 136.

[4] – سورة الزخرف؛ الآية: 15.

4. **الإلحاق**، وهو أن تجعل لأحد من المخلوقات من الألوهية شيء وتلحقه بالله عز وجل في استحقاقها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1].

5. **المساواة**: وهي أن ترفع شيء منخفض ليتساوى مع من هة أعلى منه، وهنا أن يعلى أي أحد إلى مقام الألوهية أو الربوبية، وهو شرك وكفر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [2].

6. **المعادلة**: وهي أن تعادل بي شيئين وهنا أن يعادل بين الله عز وجل بأحد من خلقه في أي شيء من الأشياء وهو كفر وشرك عظيم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [3].

7. **التكافؤ**: والكفؤ هو من في كفاءة وقدرة الله في الخلق والتدبير، وهذا من أعظم الشرك والكفر بالله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [4].

8. **المماثلة**: وهي أن تجعل لله مثيلا في ذاته أو صفاته أو افعاله، أو تعطيه حقا من حقوقه عز وجل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [5].

9. **النسبة**: وهي أن تجعل بين الله عز وجل وبين أحد من خلقه نسبة من العلاقة سبحانه وتعالى عما يصفون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [6]

---

[1] – سورة سبأ؛ الآية: 27.

[2] – سورة الشعراء؛ الآيات: 96-98.

[3] – سورة الأنعام؛ الآية: 1.

[4] – سورة الإخلاص؛ الآية: 4.

[5] – سورة الشورى؛ الآية: 11.

[6] – سورة الصافات؛ الآية: 158، 159.

10. **المصاحبة**: وهي أن تجعل لله صاحبة أو صاحب سبحانه الواحد القهار، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾[1]. 11. **التولد**: وهو أن تجعل لله الولد كما فعلت النصارى، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ ﴾[2]، كما في لسان العرب :"وتَوالَدُوا أَي كثروا ووَلَد بعضهم بعضاً ويقال في تفسير قوله تعالى مالُه وولَدُه إلا خَساراً أَي رِهْطُه ويقال وُلْدُه والوِلْدَةُ جمع الأَولاد"[3].

12. **المساماة**: سَمِيُّكَ المسمَّى باسْمِك تقول هو سَمِيُّ فلان إذا وافَق اسمُه اسمَه كما تقول هو كَنِيُّه وفي التنزيل العزيز لم نَجْعلْ له مِن قَبْلُ سَمِيّاً قال ابن عباس لم يُسَمَّ قبلَه أَحدٌ بيَحْيى وقيل معنى لم نَجْعلْ له من قبلُ سَمِيّاً أَي نَظِيراً ومِثلاً وقيل سُمِّيَ بيَحْيى لأَنه حَيِيَ بالعِلْمِ والحِكْمة وقوله عز وجل هل تَعْلَمُ له سَمِيّاً أَي نَظِيراً يستَحِقُّ مثلَ اسمِه ويقال مُسامِياً يُسامِيه قال ابن سيده ويقال هل تَعْلَمُ له مِثْلاً وجاء أَيضاً لم يُسَمَّ بالرَّحْمنِ إلا اللهُ وتأْويلُه والله أَعلم هلْ تعلمُ سَمِيّاً يستَحِق أَ، يقال له خالِقٌ وقادِرٌ وعالِمٌ لِما كان ويكون فكذلك ليس إلا من صفات الله عز وجل[4].

13. **التنديد**: وهو أن تجل لله ندا تعبده وتعطيه من العبودية ما هو حق لله فقط.

ب–ما هو الشرك الأكبر المقصود منه في القاعدة؟ (الشرك الأكبر):

الشرك الأكبر هو إعطاء حق الله لغيره وهو تشبيه المخلوق بالخالق[5]، وهو كثيرٌ جداً في الناس، والتشبيه يكون ولو في حق من الحقوق، فمثلاً: المشركون مشبهة؛ حيث جعلوا أصنامهم آلهة فشبهوها بالله جل وعلا، وكذلك العابدون الذين يعبدون غير الله، أو يجعلون للمخلوق ما هو خالص حق الله ولو كان جزئياً، فإنهم يكونون مشبهة في ذلك، وهذا أقبح التشبيه وأخبثه، وصاحب هذا التشبيه إذا مات عليه فإن الجنة عليه حرام، كما قال الله جل وعلا: **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ

---

[1] – سورة الأنعام؛ الآية: 101.

[2] – سورة الإخلاص؛ الآية: 3.

[3] – ابن منظور؛ لسان العرب، المصدر السابق، ص532.

[4] – تنظر: لسان العرب، المصدر السابق، ص154.

[5] – ابن العربي؛ عراضة الأحوذي، المرجع السابق، ج7/ ص16-18.

وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[1] وعليه فالمشرك خالد مخلد في نار جهنم قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾ [2]، فهذا هو الشرك الأكبر الذي هو تشبيه المخلوق بالخالق تعالى وتقدس، وهذا جاء تفصيله في القرآن كثيراً، ولكن أصحاب المقالات والمتكلمون أعرضوا عن هذا فوقعوا فيه، كما سيأتي التنبيه على ذلك[3].

الشرك الأكبر أعظم ما يجب الحذر منه وأخطر ما يمكن أن يقع فيه العبد فيخسر دينه ويكون خالدا في النار، لأنه غير قابل للغفران كالشرك الأكبر إلا أنه يختلف مع الشرك الأكبر؛ لأن الشرك الأكبر يخلّد في النار –يقتضي الخلود في النار–فالمشرك شركاً أكبر الجنة عليه حرام، الجنة عليه حرام فلا يخرج من النار، بينما المشرك شركاً أصغر سواءً قلنا بقول من يقول: إنه لا بد من تعذيبه وأنه لا يوجد ما يخرجه من الآية إلا أن مآله إلى الجنة، يعذب بقدر ذنبه ثم يخرج، كحكم مرتكب الكبيرة إذا لم يتجاوز الله عنه[4].

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

القرآن الكريم لا تخلوا فيه سورة من السور إلا وفيها تحذير من الشرك وأمر بالتوحيد، وعليه سوف يكون الاستدلال هنا من القرآن الكريم استقراء ناقص معلل وبالآيات البينات التي لا متشابه فيها وإن كان أمر التوحيد والشرك بين لا تشابه في ذكره في القرآن الكريم إلا ما اشتبه منه في بعض عقول الناس من شبهة واجتهاد أو تقصدا وابتغاء للفتنة ونذكر منها وسوف أبدأ بحول الله بذكر الآيات التي فيها دلالة أن الشرك يبطل التوحيد ويحبط الأعمال:

---

[1] – سورة النساء؛ الآية: 48.

[2] – سورة المائدة؛ الآية: 72.

[3] – الامام مالك الأصبحي؛ المدونة الكبرى، ط4، دار صادر، بيروت، لبنان، 1/ ص178، 179، ج4/ ص315.وينظر: عبد الله بن محمد الغنيمان؛ شرح العقيدة الطحاوية، المصدر السابق، ج2/ ص 5.

[4] – المبارك الميلي؛ رسالة الشرك، المرجع السابق، ص 162، وينظر: عبد الكريم لخضير؛ شرح كتاب التوحيد، دروس مفرغة من موقع عبد الكريم لخضير الخضير،[الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 11 درسا]، ج5/ ص12.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [1]؛ قال ابن العربي :"تقدم في سورة البقرة بيان حال الإحباط بالردة، وسنزيده هاهنا بيانا، فنقول: هذا وإن كان خطابا للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقد قيل: إن المراد بذلك أمته، وكيفما تردد الأمر فإنه بيان أن الكفر يحبط العمل كيف كان"[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3]؛ وفيه تصريح بأن عبادة غير الله شرك، وكفر يستحق صاحبه النار، وأن الشرك هو الظلم العظيم[4].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ [5].

وجه الاستدلال بالآيات:

الآيات صريحة اللغة، وواضحة الدلالة، وهي تؤكد القاعدة وتثبت أنها مرتبطة بالقرآن الكريم، وأن مصدرها هو القرآن الكريم، فكل الآيات، بين أن أعظم الذنب هو الشرك بالله، وأن أكبر الكبائر هو أن يجعل الانسان لله ندا يعبده، ويعطيه من خصائص الألوهية شيء ولو مثقال ذرة، كما تبين أن من أكبر الأدلة أن الشرك هو أكبر الذنوب كون الله عز وجل لا يغفر ويغر ما دون ذلك جميعا لمن يشاء، فهو أظم ذنب وكل ذنب هو دونه في الدرجة، ثم إن الله عز وجل لا يغفره، ولا يسامح من يقع فيه.

---

[1] – سورة الزمر؛ الآية: 65، 66.

[2] – ابن العربي؛ أحكام القرآن، المرجع السابق، ج4/ ص79.

[3] – سورة المائدة؛ الآية: 72.

[4] – الشنقيطي؛ أضواء البياء، المرجع السابق، ج4/ ص456.

[5] – سورة غافر؛ الآية: 6.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

قال النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((**ألاَ أُنبِّئكم بأكبرِ الكبائر؟ الإشراك بالله**))[1].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث بين أن أعظم ذنب وأكبر الكبائر على الإطلاق هو الشرك بالله.

والشِّرْك بالله تعالى نوعان: شرْكٌ أكْبر، وهو عِبادة غير الله، أو صَرْف أيِّ شيءٍ مِن العبادة لغير الله، وشرْك أصغَر ومنه الرِّياء؛ قال – تعالى – في الحديث القُدسي وعن أبي هُريرةَ – رضي الله عنه – قال: سمعتُ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((**قال الله تعالى: أنا أغْنَى الشُّركاء عن الشِّرك، مَن عمِل عملاً أشْرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكه**))[2].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث الشريف إقرار من الله عز وجل نقله لنا النبي صبى الله عليه وسلم أن الشرك لا يليق في حق الله تعالى، ولا يقبله أبدا، وفيه تحذير منه عز وجل لكل من يقع فيه، وأن عقوبته أن يتركه لمن عبد من الانداد، وهذا فيه دلالة على طرده وخروجه من رحمة الله ومن جنة الله وهو الخسران المبين.

*أن يحلِفَ أو يقسم بغير الله تعالى، مِثال ذلك: الحَلِف بالأمانة والنِّعمة، وحياة النبي وحياة الأب والأم، وروح فلان أو رحمته، أو غير ذلك، فكلُّ هذا حرامٌ، وإليك بعضَ الأدلَّة من الأحاديث الصحيحة: عنِ ابن عمرَ مرفوعًا قال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((**ألاَ إنَّ الله ينهاكم أن تحلِفوا بآبائكم، فمَن كان حالفًا فليحلفْ بالله أو ليصمت**))[3]. قال ابن بطال :" من نسي أو جهل فحلف بغير الله كفارته أن يشهد شهادة التوحيد، لأنه قد تقدم النهي منه صلى الله عليه وسلم، عن أن يحلف أحد بغير الله"[4].

---

[1] – سبق تخريجه.

[2] – أخرجه مسلم؛ رقم: 2985.

[3] – أخرجه البخاري؛ رقم: 618، ومسلم؛ رقم: 1646.

[4] – ابن بطال؛ شرح البخاري، المرجع السابق، ج9/ ص292.

* ورَوى أبو داود: ((**مَن حلَف بالأمانة فليس منَّا**))[1]، فالحلف بغير الله شرك، وقوله (فليس منا) دليل أن الشرك يبطل التوحيد ويفسد الإيمان، وتنقدح به الاعمال جميعا[2].

وجه الاستدلال بالحديثين: كلا الحديثان فيهما توجيه وأمر صريح أن يكون القسم بالله وحده عز وجل، وأنَّه يستوجب اخلاص التوحيد في الأيمَان، ومن كان لابد حالفا فليحلف بالله وحده ولا يشرك في حلفه أحدا أبدا، ومن حلف بغير الله –كما في الحديث الثاني– فقد أشرك وأفسد بذلك دينه وهو ليس من المسلمين كما هو في صريح عبارة الحديث: ((**مَن حلَف بالأمانة فليس منَّا**)).

*ومما يفسد التوحيد من أشكال الشرك التميمة، وهي خرَزة كان العرَب يجعلون أولادهم يلبسونها، زاعمين أنَّها تدفَع عنهم شرَّ الجن وتقيهم العين وغير ذلك، وهذا شِرْك وحرام، والدليل قول النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((**مَن علَّق تميمةً فقد أشرك**))[3].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث تصريح مفاده أن الوقوع في أي نوع من أنواع الشرك فهو خطر على دين المسلم، وهذا الخبر والتقرير من الحديث ليس خبرا مجردا بل فيه تحذير ومن خطر الشرك خصوصا في صوره الخفية التي تشتبه على الناس ومنها الرقية وقد طم خطبها وكبر خطرها في أمتنا اليوم حيث تسمى المشعوذون والسحرة والدجالون باسم الرقاة وبتسمية الرقية حتى صارت المرض المطلوب للشفاء من المرض !!! ومكمن الخطر أن معظم الناس قد يقعون في هذا النوع من الشرك ويبطل إيمانهم ويفسد دينهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

لقد تعددت الحجج العقلية النافية للشرك والمحذرة منه، والتي تبين أنه ضد التوحيد وأنه خطر على عقيدة المسلم وتهدد ثباته وكماله أو تبطل أصله ويصبح مقترف الشرك كافرا خارجا عن الملة، ومنها ما ذكره الله في القرآن من الأمثلة وقال: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ

---

[1] – أخْرَجه أبو داود؛ رقم: 2831، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[2] – القرطبي؛ المفهم، المرجع السابق، ج4/ ص621، وينظر: التمهيد، ج14/ ص366.، والمدونة، 5/ 135، المقدمات لابن رشد، ص308، 309.

[3] – أخرَجه مسلم؛ رقم: 2200.

﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1] ليتفكر فيها الناس وتنظر فيها العقول الحية وتستخلص منها أن شرك خطر يجب الحذر منه والتحذير من عظيم شره وقبح عاقبته، فهو كله كذب على الله في أن لله شريكا، أو أنه عز وجل يرضى يدعى غيره ويعبد سواه، كما هو تكيب لله، ولكتبه ولرسله، فهو والكفر متلازمان[2] ونذكر من ذلك بعض الآيات من القرآن الكريم ونبين وجه الاستدلال بها ومنها:

قال الله –عز وجل– مبينا ضرر الشرك بمثل في سورة العنكبوت﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[3].

ضرب الله مثلا لعباده يبين فيه بطلان مذهب وضعف حجة المشركين، وبين لنا من خلال هذا المثل البالغ أن الذين أشركوا باتخاذهم معبودا غير الله حجتهم ضعيفة وأن صنيعهم باطل وفاسد، وذكر الخازن في تفسيره هذا المعنى فقال:" مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعني الأصنام يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تأوي إليه وإن بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الأوثان لا تملك لعابدها نفعا ولا ضرا. وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالإضافة إلى رجل بنى بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فكذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لأنها لا تضر ولا تنفع"[4]

وفي سورة الزمر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾[5]؛ في هذه الآية مثل للعقول السليمة لكي

---

[1] – سورة العنكبوت؛ الآية: 43.

[2] – ابن العربي المالكي؛ عارضة الأحوذي، المرجع السابق، ج7/ ص16، 17، وينظر: المعلم، ج2/ ص240، وينظر: المعلمي عبد الرحمان بن يحي اليمني؛ رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، ط1، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1432هـ/ 2011م، ص528، يُنظر: صالح آل الشيخ، التمهيد، ص44، 45.

[3] – سورة العنكبوت؛ الآية: 41.

[4] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج3/ ص381.

[5] – سورة الزمر؛ الآية: 29.

تتدبر فيها وتكتشف أن الشرك باطل وأن التوحيد هو الحق فهي في بيان الدين الحق من الدين الباطل أي: التوحيد من الشرك وقد بين هذا مجاهد حيث نُقل أنه فسر الآية فقال :" أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثنا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: نا آدَمُ، قَالَ: ثنا وَرْقَاءُ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ} [الزمر: 29] وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ قَالَ: «مَثَلُ آلِهَةِ الْبَاطِلِ وَإِلَهِ الْحَقِّ»"[1].

وقال ابن جزي في تفسير الآية ما معناه أنه مثل للعقول لبيان بطلان الشرك فقال:" والمعنى ضرب هذا المثل لبيان حال من يشرك بالله ومن يوحده، فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوإ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد، فمعنى قوله سالما لرجل «1» أي خالصا له وقرئ سلما بغير ألف والمعنى واحد"[2].

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

حارب أئمة المالكية الشرك بكل الطرق وقد كانوا من أكثر الناس تشددا في ذلك كيف لا وقد تقرر عندهم مبدأ عظيم وهو سد الذرائع فقد وقفوا سدا منيعا أمام كل أوجه الشرك من خلال منع كل الطرق المؤدية إليه ونذكر من تقريراتهم المؤكدة والمقررة للقاعدة ما يأتي:

أخرج أبو النعيم عن عبد الله بن نافع قال:" سمعت مالكا يقول: **لو أن رجلا ركب الكبائر كلها بعد ألا يشرك بالله ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع دخل الجنة**"[3]؛ ويفهم من كلامه رحمه الله أن الشرك هو أعظم الذنوب فهو يمنع الواقع فيه دخول الجنة وأنه قد يفعل الرجل الكبائر التي هي دون الشرك ويدخل الجنة، وهذا يدل أن الشرك يحبط التوحيد ويبطل الأعمال ويمنع دخول الجنة والشرك الأكبر بمنع حتى الشفاعة.

وأخرج الهروي عن الشافعي قال: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك:" ... والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم:" **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد**"[4]؛ فيفهم من كلامه أن التوحيد يصون الدم والمال وهذه معلومة بالضرورة للمؤمن،

---

[1] – مجاهد؛ التفسير، المصدر السابق، ص579، وأنظر: تفسير عبد الرزاق، المصدر السابق، ج3/ ص130.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، المصدر السابق، ج2/ ص221.

[3] – الحلية، المصدر السابق، ج6/ ص325.

[4] – ذم الكلام، المصدر السابق، ق210.

وبفقدان التوحيد بالشرك الأكبر الذي هو ضده يصير بذلك لزاما حلال الدم والمال وهذا دليل قوي على أنه أعظم الذنوب وأخطر المعاصي على الاطلاق إذ به يصير المؤمن كافرا.

وقد علم عن الامام مالك محاربة الشرك بل التحذير من كل يؤدي إليه من مقدمات وصور الشرك، **وسد كل الذرائع المفضية إليه باعتباره سبب فساد التوحيد وطمس العقيدة**، ومن ذلك تواتر ودة نهيه وتحذيره من ذريعة اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مزارا أو تربتها بركة فكره التجصيص على القبور والبناء عليها[1]، وقد رُوي عن الإمام مالك أنه قال:" وناس يقولون: زرنا قبر النبي –صلى الله عليه وسلم– قال ابن قاسم: **فكان مالك يكره هذا ويعظمه** أن قال: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– يزار"[2].

وكان ذلك من الامام مالك رحمه الله خشية الفتنة وسد لذريعة الشرك المبطل للتوحيد والايمان، بعبادة القبر، وقد استدل على شدة ذلك في الموطأ يقوله صلى الله عليه وسلم :" **قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا، لا يبقين دينان بأرض العرب**"[3]، مبينا أن الشرك يبطل الدين ويفسده كما فسد من قبل دين اليهود والنصارى بالشرك واتخاذ قبور انبيائهم مساجدا يعبدونهم من دون الله.

ومما يؤكد تقرر القاعدة عند المالكية وأنَّ الشرك يبطل التوحيد ويُفسد الإيمان ما أفتى به فقهاء القيروان، وأصحاب سحنون، "**في قتل شاعر أشرك بالله في كلامه، ووقع في الاستهزاء بالله وأنبيائه،** فأُحضر له القاضي يحي بن عمر[4] وغيره من الفقهاء، وأمر بقتله وصلبه، فطُعن بسكين، وصلب مُنكسا، ثم أنزل وأحرق بالنار"[5]، وفي الحكم عليه بالقتل والصلب دليل على أن شركه أبطل توحيده وجعله حلال الدم.

---

[1] – المدونة، المصدر السابق، ج1/ ص189.

[2] – المدونة، المصدر السابق، ج1/ ص370.

[3] – أخرجه البخاري؛ رقم: 437، ومسلم؛ رقم: 20 .

[4] – هو: أبو زكريا يحي بن عمر بن يوسف عامر الكناني وقيل البلوي، من كبراء أصحاب سحنون، توفي سنة 289هـ، يُنظر: الديباج المذهب، ص351-353، والسير، ج13/ ص462، 463.

[5] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص191.

كما أفتى في مثل هذا إبراهيم بن حسين بن خالد[1] وهو ما تتأكد بها تقرر القاعدة عند المالكية في رجل كثير التشاؤم، –بعد أن شهد له بالشهادات– أنه قال بعد استقلاله من مرض: لقيتُ في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم استوجب هذا كله: فأفتى الشيخ بقتله؛ لأن مُضمَّن قوله تجوير الله تعالى، وتظلم منه[2].

ومن الأدلة على تقرر القاعدة عن المالكية ما أفتى به ابن حبيب وأصبغ بن خليل[3]، بقتل رجل اشرك في قوله، فكان قد خرج يوما، فأخذه المطر، فقال: بدأ الخزَّار يرش جلوده، فقال ابن حبيب:" **دمه في عنقي، أيُشتم ربٌ عبدناه، ثم لا ننتصر له !!** إنا إذا لعبيد سوء، وما نحن له بعابدين، وبكى، ورفع المجلس إلى الأمير"[4]؛ فقوله دمه في عنقي يدل على أنه قد كفر وأشرك، وأن شركه أبطل توحيده وجعله حلال الدم.

وقال القرطبي في ذكر هذا الحديث الذي استدل به الامام مالك:" وقد ذكر مالك في الموطأ ما يدل على ذلك من حديث ابن عمر وذكر الحديث –يقصد التحذير من الوقوع في الشرك باتخاذ القبور مساجدا وسدا لذريعة الشرك– "[5]، ثم نقل القرطبي في موضع آخر أن **المالكية قد انتهجوا نهج مالك في محاربة الشرك وسد الذرائع المؤدية إليه** فقال:" وعلى هذا سار المالكية"[6].

وقال القرطبي في شرح حديث:" **لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها** "[7]، **قال**: أي: لا تتخذوها قبلة تصلوا عليها وإليها، كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، **فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك**"[8]،

---

[1] – أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن خالد، مذكور في المالكية، له تأليف في التفسير، توفي سنة 240هـ، يُنظر: الديباج المذهب، ص84.

[2] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص229، 230.

[3] – هو: أبو القاسم القرطبي، المالكي، سمع من اصبغ، وسحنون وجماعة، توفي سنة 273هـ، يُنظر: شجرة النور، ص75.

[4] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص247.

[5] – القرطبي؛ المفهم؛ المصدر السابق، ج4/ ص463.

[6] – القرطبي؛ التفسير، المصدر السابق، ج10/ ص380.

[7] – أخرجه مسلم؛ رقم: 972.

[8] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج1/ ص168، وأنظر: المنتقى، ج7/ ص195.

وفيه دلالة قوية أن المالكية حاربوا الشرك بل عملوا على سد كل الذرائع الموقعة فيه والسبب أنه أعظم معصية باعتباره يفسد الدين ويبطل التوحيد.

ومما تتأكد به القاعدة بلفظ صريح من أقوال القرطبي وتقريراته قوله:" **أصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الهيته وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية المفسد للتوحيد** ..."[1]، وفيه تصريح جلي بأن الشرك اعظم يبطل العقيدة وهو الشرك المحرم أي: الذي يجب تجنبه وتجنب ما يؤدي إليه وشرك الجاهلية أي: هو الكفر.

وقال أيضا:" المخلص في عبادته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء ... فإما أن يكون الباعث التقرب إلى الله أو الباعث غير ذلك من أعراض الدنيا فلا يكون عبادة بل مصيبة موبقة لصاحبها، **فإما كفر –وهو الشرك الأكبر**- وإما رياء وهو الشرك الصغر..."[2]، فبين هنا أن الشرك الأكبر مفسد للتوحيد ومجلبة للكفر وحبوط العبادة.

ونقل الطرطوشي عن مالك ما يؤكد هذا ويفسر استدلاله بالحديث السالف وأن السبب هو سد ذريعة الشرك فقال نقلا عن مالك:" **ولا يتخذ على القبور مساجدا، ويكره أن يبنى على القبور – سدا لذريعة الشرك المبطل للتوحيد**-"[3].

ومن المالكية الذين قرروا القاعد الثعلبي حيث قال في تفسير الآية الخامسة من سورة المائدة :" قال الثعلبي رحمه الله: وسمعت أبا القاسم الجهني قال: سمعت أبا الهيثم السنجري يقول: الباء صلة كقوله تعالى: يشرب بها عباد الله «2» تنبت بالدهن «3» **والمعنى ومن يكفر بالإيمان أي يجحده فقد حبط عمله**"[4]. فتقرر من كلامه أن الشرك بعد الايمان محبط له.

وقال ابن عبد البر في بيان خطر الشرك وأثره في افساد العقيدة والتوحيد:" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحذر أصحابه وسائر أمته من صنيع الأمم قبلهم، الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها

---

[1] – القرطبي؛ المفهم، المصدر السابق، ج6/ ص615.

[2] – القرطبي؛ المفهم، المصدر السابق، ج3/ ص742.

[3] – الطرطوشي؛ الحوادث والبدع، المصدر السابق، ص304.

[4] – الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج4/ ص24.

قبلة ومسجدا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك **الشرك الأكبر، فكان صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه** ..."[1]، فتبين أن الشرك الأكبر مجلبةٌ لغضب الله وسخطه على عبده الذي اقترفه، باعتباره مفسد للتوحيد وذلك لكونه ظلم في حق الله بإعطاء حق الله لغيره ممن لا يستحقونه ،وإن كان من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووصف ذلك ابن عبد البر بالوثنية.

وقد بين أبو عبد الله القرطبي في موضع مماثل أن الاستغاثة بغير الله عز وجل شرك وكفر وابطال لدين صاحبه لأن الاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده لا شريك له فقال في موضع تأويله لقول الله عز وجل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [2]، قال:" ما ورد من الآثار هو أنها نزلت في تعوذ أهل الجاهلية بالجن ...**ولا خفاء أنَّ الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك**.."[3].فيظهر من كلامه أن الاستعاذة لما كانت شركا أكبرا صارت كفرا والكفر يعني بطلان التوحيد وفساده.

وذكر ابن عرفة في تفسيره ما يؤكد هذه القاعدة وأن الشرك يبطل التوحيد ويفسد الإيمان فقال في تفسيره لسورة المائدة:" جرى مجرى التغليظ والتشديد في العبادة، **والمراد بذلك زوال الثواب الذي كان قابلا** لأن يحصل له إذا حصل هذه الأمور..."[4]، فتبين من كلامه أن المقصود بالآية: من يكفر بالإيمان ويرتد عن الإسلام بشرك أو انكار زال عمله وبطل دينه.

وقال مثيل ذلك محمد المختار في نور الحق المبين، متكلما عن الذين اتخذوا قبور انبيائهم مساجد:" **الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لعنوا على ذلك**..."[5]، ومعلوم أن اللعن هو الطرد من رحمة الله فيصير الشرك مطردة من الإيمان إلى الكفر، ومن التوحيد إلى ضده.

---

[1] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج5/ ص45.

[2] – سورة الجن؛ الآية: 6.

[3] – أبو عبد الله القرطبي؛ التفسير، المصدر السابق، ج19/ ص9.

[4] – ابن عرفة؛ التفسير، المصدر السابق، ج2/ ص91.

[5] – محمد المختار؛ نور الحق المبين، ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ج1، ص597.

وأقر ابن الشهاب القاعدة حيث نقل لنا الشاطبي وقرر بنقله أيضا أن أي فعل تقرر شرعا أنه يجب أن يكون لله عز وجل وحده إذا صُرف لغير الله صار شركا ويبطل به القصد وصار حراما وباطلاً، بل يصر الذي توجه إليه بالفعل ندا لله والتوجه له عبادة باطلة وشرك فاسد فقال في الذبح لغير الله :" روى ابن حبيب عن ابن شهاب أنه ذكر له أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي أجرى عيناً، فقال له المهندسون عند ظهور الماء: لو أهرقت عليها دماً؛ كان أحرى أن لا تغيض ولا تهور فتقتل من يعمل فيها. فنحر جزائر حين أرسل الماء، فجرى مختلطاً بالدم، وأمر فصنع له ولأصحابه منها طعام، فأكل وأكلوا، وقسم سائرها بين العمال فيها. فقال ابن شهاب: **بئس والله ما صنع، ما حل له نحرها ولا الأكل منها**، أما بلغه أن رسول – صلى الله عليه وسلم – نهى أن يذبح للجن؟! **لأن مثل هذا– وإن ذكر اسم الله عليه– مضاهٍ لما ذبح على النصب وسائر ما أهل لغير الله به**"[1].

وقال ابن بطال في بيان خطر الشرك الأكبر والتمييز بينه وبين الشرك الأصغر وانه كفر وضد التوحيد:" إن الرياء ينقسم إلى قسمين: **فإن كان الرياء في عقد الايمان فهو كفر ونفاق، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار**، وإن كان الرياء لمن سلم من عقد الإيمان من الشرك فليس ذلك بمخرج من الإيمان، إلا أنه مذموم فاعله..."[2]؛ فبين هنا أن الشرك الأكبر ينقل عن الملة ويبطل الدين ويفسد التوحيد، وأن صاحبه كافرٌ خالد في النار.

وقد نقل عن أبي الحسن القابسي، ما يؤكد تقرر القاعدة وأن الشرك يخرج صاحبه من الملة ويجعل دمه حلالا، ما أفتى به فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان الشاتم سكرانا فقال:" يُقتل، ولم يعتبر أن سكران؛ لأن حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود، ولأنه أدخاه على نفسه، ولأن من شرب الخمر وهو على علم من زوال عقله به، واتيان ما ينكر منه، فهو كالعامد بما يكون منسبه[3].

---

[1] – الشاطبي؛ الموافقات، المصدر السابق، ص516.

[2] – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، دار مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1423هـ/ 2003م، ج1/ ص113.

[3] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص202، ويُنظر: فتاوي البرزلي، ج6/ ص294، وفتاوي ابن رشد، ص343.

ومن أئمة المالكية أيضا قال صاحب الجوهرة أحمد بن علي الأحسائي المالكي مقررا أنَّ الشرك الأكبر موجب لحبوط الأعمال وفساد العقيدة فقال:

-والشرك نوعان فشرك أصغر *****وضده وهو الذي لا يغتفر

وبين الشرك الأصغر ثم أردف يقول عن الشرك الأكبر:

-والأكبر المحبط للأعمـــــال *** أعاذنا الله من الضـــــلال**

-ويحصر في ثلاثة أقســـــام *** كل ينافي ملة الإســـلام**

-وهي نقيض أضرب التوحيد *** موجبة الخزي على التأبيد**[1]

ثم أردف يبين أنواع الشرك الأكبر الثلاثة.

والظاهر من كلامه أن في البيت الأول قال:(**وهو الذي لا يغتفر**)، وهو من قول الله تعالى في القرآن أنَّ الله يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به، وفي قوله: (أعاذنا الله من **الضـــــلال**) بيان أنه ضلال وكفر صريح إذ هو ضد الهدى والتوحيد، وفي قوله:(**كل ينافي ملة الإســـــلام**) تقرير صريح للقاعدة وأن الشرك الأكبر ينافي ويحبط التوحيد، وفي قوله: (**وهي نقيض أضرب التوحيد*****موجبة الخزي على التأبيد**) بيان صريح للقاعدة أن كل أنواع الشرك الأكبر ينتج عنها انتفاء التوحيد وتستلزم بطلان العقدية بدليل أن من وقع فيها استحق الخلود في النار.

ونُقل عن المروزي المالكي أنه اعتبر التقرب لغير الله بما لا يليق إلا لله شرك تبطل به الأعمال وتفسد وتصير حراما بعد أن كانت حلالا ومثال ذلك الذبح لغير الله فقال:" الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه؛ أفتى أهل بخارى بتحريمه؛ لأنه مما أهل به لغير الله تعالى[2].

---

[1] – أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي المالكي؛ جوهرة التوحيد، ط1، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 1438هـ/ 2018م، ص42، 43.

[2] – المبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص 373.

وتقررت القاعدة أيضا عند المبارك الميلي في مواضع كثيرة متفرقة من كتابه رسالة الشرك ومظاهره ومنها قوله :" جاء الإسلام بقوته الروحية ومبادئه الراسية، فأعلن القرآن أن التقرب لغير الله لنيل غرض من أغراض الحياة على غير الوجه المعتاد **شرك بالله؛ يبعد من رحمته، ويستنزل شديد نقمته، وكشف عن هذا الضلال** بضرب كثير من الأمثال:

ففي سورة النساء: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}

وفي الحج: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} "[1]، فقال بصريح العبارة أن الشرك –الشرك الأكبر– يجلب النقمة ويبعد الرحمة لأنه ضلال ، ثم استدل بالآيات التي تتكلم عن الشرك الأكبر لبيان قصده من الشرك الذي تكلم عنه في هذا الموضع والذي اعتبره ضلالا ومبعدة عن رحمة الله.

وقد نقل الميلي كلام طويل عن المالكية في تحذيرهم من خطر الشرك بل في سد الطرق المؤدية إليه وإن كان في ظاهرها تسننا واقتداءً بأفعال النبي –صلى الله عليه مسلم– وذلك لكون الشرك خطر على الدين يجب سد كل الذرائع المؤدية إليه ونذكر من ذلك نقله وقوله :" وفي " الموطأ " وكتاب الحج من " صحيح البخاري " عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال للحجر الأسود: " أما والله؛ إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – استلمك؛ ما استلمتك "[2].

هذا لفظ البخاري، وفيه نفي للتبرك –لأنه ذريع إلى الشرك–.

ونقل قول الباجي مقررا للقاعدة أيض فقال: قال الباجي في " المنتقى " ما خلاصته: " بيّن عمر للناس أن تقبيل ذلك الحجر إنما هو اقتداء بالرسول، وليس تعظيماً لذات الحجر أو لمعنى فيه حتى يكون من تعظيم الجاهلية أوثانها؛ لاعتقاد النفع والضر فيها "[3]..

---

[1] – المصدر نفسه، ص141.

[2] – أخرجه البخاري (3/ 471/ 1605)؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن ... فذكره، وزاد في آخره: [فاستلمه، ثم قال: ما لنا وللرّمل؛ إنما كُنَّا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله. ثم قال: شيءٌ صنعه النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فلا نحبّ أن نتركه]، وفي لفظ له (1598 و1610): " ... قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُكَ " وأخرجه مسلم رقم:1270.

[3] – الباجي؛ المنتقى، المصدر السابق، ج2/ ص287.

5 – وفي رسالة " البدع والنهي عنها ": أن مؤلفها– ابن وضاح قال: سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس يقول: " أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم من الفتنة "[1][2]

ونقل في موضع آخر من تفسيره ما يؤكد أن الشرك يبطل التوحيد ويقرر القاعدة الي نحن في صدد بيانها فقال:" فأما حجة مالك فقال ابن العربي قال علماؤنا إنما ذكر الله الموافاة شرطا هاهنا، لأنه **علق الخلود في النار عليها فمن أوفى على الكفر خلده الله في النار بهذه الآية، ومن أشرك وحبط عمله** بالآية الأخرى فهما آيتان مفيدتان لمعنيين وحكمين متغايرين اهـ يريد أن بين الشرطين والجوابين هنا توزيعا فقوله: فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة جواب لقوله: ومن يرتدد منكم عن دينه. وقوله: وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون جواب لقوله: فيمت وهو كافر، ولعل في إعادة وأولئك إيذانا بأنه جواب ثان، وفي إطلاق الآي الأخرى عن التقييد بالموت على الكفر قرينة على قصد هذا المعنى من هذا القيد في هذه الآية.

وممن قرر القاعدة وأن الشرك محبط للتوحيد ومفسد للإيمان الشنقيطي حيث قال في تفسير الآية الخامسة من سورة المائدة:" ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، **ظاهر هذه الآية الكريمة أن المرتد يحبط جميع عمله بردته من غير شرط زائد**، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مات على الكفر، وهو قوله: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر، ومقتضى الأصول حمل هذا المطلق على هذا المقيد، فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر، و**هو قول الشافعي ومن وافقه، خلافا لمالك القائل بإحباط الردة العمل**"[3]. حيث نقل لنا قول الإمام مالك واختياره أن الردة والشرك الأكبر يبطلان الأعمال من دون أي شرط، وفيه بيان صريح للقاعدة وتقرير لمضمونها ومعناها.

---

[1] – أخرجه ابن وضاح؛ رقم: 102، و وقال الألباني: "رجال إسناده ثقات" ؛ تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، ص:51، إلّآ أن فيه انقطاعاً بين نافع وعمر.

[2] – المبارك الميلي؛ رسالة الشرك، المصدر السابق، ص151.

[3] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج1/ ص329.

ومن المالكية الذين قرروا القاعدة واعتبروا الشرك الأكبر مبطل للتوحيد ومفسد لدين من يقع فيه الطاهر بن عاشور عند تفسيره قول الله عزو جل: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1]، فقال:" والمقصود من هذا الغرض تنبيه الناس على **فظاعة هذا الفعل –يقصد الشرك الأكبر–، حتى لو فعله أشرف المخلوقين لكان من الظالمين، ولكان من الخاسرين**"[2] والظلم هو الشرك كما تقرر في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، والخسران هو حسران الجنة الذي كان بسبب الوقوع في الشرك الأكبر.

وقد قرر القاعدة عبد الحميد ابن باديس حيث قال في الآثار:" الداعي لغير الله تعالى يطلب منه قضاء حوائجه قد عبد من دعاه وإن لم يعتبر دعاءه عبادة لأن الله قد سماه عبادة، **واذا استمر على فعله مستحلا له بعد تعليمه وإرشاده يكون قد أنكر معلوما من الدين بالضرورة وهو أن العبادة والدعاء منها لا تكون إلا لله فيحكم بردته نظير مستحل الصلاة بلا وضوء بلا فارق**"[3]، فمن كلام عبد الحميد بن باديس تقررت القاعدة بوضوح وجلاء ففي قوله: (**اذا استمر...قد أنكر معلوما من الدين**) أي: أنكر وأبطل التوحيد الذي هو حق لله وحده ولا ينبغي أن يكون لغيره بفعل الشرك؛ وذلك الانكار والبطلان سببه الشرك الأكبر الذي بين ابن باديس متى يتحقق ويكون شركا أكبرا وذكر الشروط وهي:(الاستمرار بعد: الاستحلال وبعد التعليم والإرشاد)، وفي قوله :(**وأن العبادة –والدعاء منها– لا تكون إلا لله فيحكم بردته**) أي: أن من أعطى حق من حقوق الله التوحيدية ومنها الدعاء فقد وقع في الشرك وبوقوعه في الشرك يكون قد أبطل التوحيد وأفسد عقيدته، وفي قوله :(**فيحكم بردته نظير مستحل الصلاة بلا وضوء بلا فارق**)، أي: أن الشرك يبطل التوحيد كما أن الصلاة باطلة بعدم الوضوء، وأنَّ من تعمد الشرك بطل توحيده كما تبطل صلاة من تعمد عدم الوضوء.

---

[1] – سورة يونس؛ الآية: 106.

[2] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج11/ ص305.

[3] – ابن باديس عبد الحميد؛ مجموع الاثار، ط1، جمع وطبع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ج1/ ص158، ويُنظر: محمد علي فركوس؛ تحفة الأنيس شرح عقيد التوحيد للإمام ابن باديس، ص60.

المطلب السادس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

أ/ الفوائد العلمية:

الفائدة الأولى: الشرك الأكبر محبط للتوحيد فهو أخطر ما يجب الحذر منه، والتحذير منه شرط ضروري لصون العقائد ولأن تركه شرط لتحقيق التوحيد ومطلب أساسي في اكمال معنى لا إله إلا الله، والتي هي كلمة التوحيد والعروة الوثقى التي لا يمكن أن يصر العبد مؤمنا إلا بتحقيقها وتحقيق معناها ومضمونها وشروطها.

الفائدة الثانية: الوقوع في الشرك أكبر معصية وأعظم ذنب على الإطلاق وذلك لأنه ظلم في حق الله عز وجل ولأنه إعطاء أول حق لله اشترطه على عباده لغيره من المخلوقات التي لا تستحقه شرعا وعقلا.

الفائدة الثالثة: وجوب الاحتياط للتوحيد ومجانبة ما يبطله من الردة والشرك لأنه مفسدة لكل الأعمال بما في ذلك العقيدة ولأنه الشرك يورث السخط من الله والخلود في النار وهو الخسران المبين.

ب/ الفوائد العملية:

الفائدة الأولى: على المؤمن أن يترك كل عمل فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك لأنه مبطل للأجر ومفسد للعمل ومورث للكفر وطريق ذلك ووسيلته إليه أن يتعلم المسلم العقيدة الصحيحة من مصادرها الصحيحة وأئمتها الثقاة، ويبحث في كل ما يتعلق بها من أحكام؛ ليعلم صور الشرك ويستطيع تجنبه وترك ما يؤدي إليه من الأقوال والأعمال والنيات.

الفائدة الثانية: يجب على الجهات المعنية بالدعوة إلى الله من مساجد ومؤسسات جامعية ودعاة أن يعتنوا بهذا الجانب وأن يبينوا للناس خطر الشرك وكل الصور المؤدية إليه، والتحذير منها بكل الوسائل.

الفائدة الثالثة: البيان أن أئمة المالكية لم يهملوا موضوع الشرك بل حاربوه بكل الوسائل والطرق وكانوا منه سدا منيعا؛ بل تفردوا بالتشدد في النهي عن الشرك بقاعدة سد الذرائع التي ساهمت في محاربة الشرك بقوة منقطعة النظير، فعلى كل مالكي أن يتبع أسلافه المالكية في هذا الباب العظيم والخطير.

المبحث التاسع: القاعدة التاسعة: [الأسماء والصفات توقيفية فلا تُثبَتُ لله صفةً ولا اسماً ولا يُنفيان عنه إلا بدليل من القرآن أو السنة الصحيحة].

المطلب الأول: تصور القاعدة:

إنَّ هذه القاعدة من أهم القواعد العقدية التي عرفت اختلافا بين العلماء وهي كون الأسماء والصفات توقيفية لا اجتهاد فيها، وقد أثاروا حولها نقاشا حادا، واختلافا عميقا، يستوجب التفصيل فيه، إذ كل طرف أدلى فيه بدلوه واحتج بحجته ومن خلال التقريرات التي سوف نذكرها والتي تقررت عند المالكية، بل وعند الإمام مالك نفسه نحاول أن نبين وجه الحق فيها أو على الأقل وجه اختيار المالكية في المسألة وقد اشترطت من قبل أن تكون القواعد تنتهي إلى الامام مالك إما إلى قولٍ من أقواله أو إلى قول يوافق اختياره ولا يتعارض معه، ليس تعصبا لمالك وإنما تأصيلا للقاعدة وربطها بأئمة المالكية الذين عظموا هذا المبحث في فتاويهم[1] الكبار وعلى رأسهم الإمام مالك.

ومفهوم القاعدة والمقصود من تقريرها هو: أنها تتضمن بيانا مفاده أن الله عز وجل قد أخبر عن نفسه وذكر لنا في القرآن الكريم أسمائه وصفاته فسمى نفسه أسماء كثيرة ووصف نفسه بأوصاف حسنى عديدة، كما أن النبي صلى الله عله وسلم ذكر لنا في السنة الصحيحة أسماءً وصفاتاً لله عز وجل، فالواجب علينا أن نسمي الله عز وجل ونصفه بما سمى به نفسه وبما سماه ووصفه به نبيه –صلى الله عليه وسلم– فلا يصح لنا انكار شيء مما ذكره عن نفسه أو ذكره نبيه كما لا يحق لنا أن نسميه بما لم يسم به نفسه ولم يسمه به نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا تؤخذ من قياس ولا اجماع إلا اذا كان اجماع السلف مبنيا على الكتاب والسنة كما هو معلوم عنهم[2].

---

[1] – نورالدين الإمام؛ فتاوى علماء المالكية، المرجع السابق، ص190.

[2] – ابن رشد؛ المقدمات والممهادات، المرجع السابق، ج1/ ص22، وينظر: فتاوي البرزلي، ج2/ ص162، وينظر: العثيمين محمد بن صالح؛ شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط1، دار الآثار، القاهرة، مصر، 1423هـ/ 2002م، ص158، ويُنظر: السقاف علوي بن عبد القادر؛ صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، ط4، مؤسسة الدرر السنية، الظهران، السعودية، 1432هـ/ 2011م، ص20، وربيع بن هادي؛ شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، ص38.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

القاعدة في تركيبها اللفظي تتضمن مصطلحات تستوجب الشرح والبيان، ومن خلال ذلك يظهر المقصود من القاعدة لأن فقهها هو فقه مضمون مصطلحاتها ودلالاته العلمية والاصطلاحية وحسب الاستعمال العقدي، لأن اللفظ في مجمله حمال أوجه وقابل للتأويل والتبديل، ومما يجب فقهه ومعرفته ما يأتي:

أ/ إثبات الصفات الله والأسماء:

لقد ذكر الله تعالى لنا في القرآن الحكيم والسنة الشريفة الصحيحة من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، ما وصف به نفسه بأكمل وأجل الأوصاف، كما يليق بجلاله وعظمته، ليُعرِّف خَلقَهُ بنفسه، كالعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، والحب، والبغض، والرأفة، والرحمة، والعلو، والاستواء على العرش، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى سماء الدنيا، وأن له وجها، ويدا، وقدما، وساقا، وعينا، إلى غير ذلك من صفاته التي نطق بها الكتاب والسنة بعبارة ظاهرة وألفاظ عربية معلومة، بلال تشبيه ولا تجسيم وتكييف ولا تعطيل[1]، ولا تستوجب تأويلا ولا تفسيرا، فمعتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته يقوم على أساس الإيمان بكل ما وردت به نصوص القرآن والسنة صحيحة إثباتا ونفيا[2].

وقد تواترت الأخبار أنَّ عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين الذين كانوا أعلم الأمة وأعرفها بالله رب العالمين: الإيمان بجميع ذلك على وجه الإجمال فيما جاء مجملا، وعلى وجه التفصيل فيما جاء مفصلا[3]، من غير تزيد فيها ولا نقص منها، وكان هذا الاعتقاد يقوم على أربع دعائم أساسية وضوابط وقواعد جزئية تدخل في مضمون هذه القاعدة الكلية وهي:

---

[1] – القاضي عياض؛ الشفا، المرجع السابق، ج1/ ص188، وينظر: القرطبي؛ أحكام القرآن، ج7/ ص327.

[2] – الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد؛ كتاب العرش، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1420هـ/ 1999م، ج1/ ص28-30، ويُنظر: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم النميري؛ شرح حديث النزول، ط2، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1418هـ/ 1993م، ص72.

[3] – القرطبي؛ الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: مجموعة من العلماء، ط1، دار الصحابة للتراث، 1406هـ/ 1995، ج1/ ص265، وينظر: تفسير القرطبي، ج16/ ص93-95.

الأولى: الإثبات المفصل والمجمل لكل صفة كما ورد بها النص إجمالا أو تفصيلا: الواجب إثبات المفصل مفصلا والمجمل مجملا من غير تجاوز لما ورد في النصوص التوقيفية[1]، وقد كان السلف والعلماء الأئمة بعيدين عن التكلف والتنطع المذموم بل يثبتون الأسماء والصفات لله كما أثبتتها النصوص فإذا جاءت مفصلة أثبتوها بتفصيلها وإذا وردت مجملة أثبتوها مجملة فيتحقق بهذا قول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[2].

الثانية: عدم التكييف[3] والتمثيل[4]: يكون التنزيه لله بالإثبات مع نفي المماثلة للمخلوق ونفي التجسيم لا التعطيل بدعوى التنزيه[5]، ولفظ التمثيل هنا أبلغ من لفظ التشبيه، لأن الاثبات هو اثبات لحقيقة النص ومعنى الخطاب بأنه حق وأن الصفة كما هي لله تعالى دون تدخل في الكيفية من جهة تخيلها أو تصورها على شكل جسم أو صورة، بل ايمان بالصفة مع نفي العلم بالكيفية أو تصويرها من صميم خيال أو عقل؛ فيتحقق بهذا قول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[6] وكذلك قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[7]، وفي

---

[1] – أبو القاسم البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ج2/ ص162، وينظر: محمد أمان بن علي الجامي؛ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الاثبات والنفي، ط2، دار المحسن، الجزائر، ودرار المنهاج، القاهرة، مصر، 1434هـ/ 2012م، ص270-297، وتنظر: الذهبي، كتاب العرش، ج1، ص30، 31.

[2] – سورة الأعراف؛ الآية: 180.

[3] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المرجع السابق، ج7/ ص149، وينظر: ابن أبي زيد القيرواني؛ النوادر والزيادات، ج14/ ص553، وترتيب المدارك، ج2/ ص44.

[4] – لأن مصطلح التمثيل هو الأنسب من اصطلاح الشبيه؛ لموافقته التعبير في النص السمعي في قول الله تعالى:(...**ليس كمثله شيء**...)، ولأن التشبيه كلمة مجملة، ولا يمكن نفيها على الاطلاق لأن بين الصفات المذكورة قدر مشترك ذهني لا يمكن نفيه وإلا يكون اللفظ بلا معنى ولا قصد وهذا لا يليق بالله ولا يصدق أن يقال عن القرآن المنزل بلسان عربي مبين ومفهوم.

[5] – لأن التنزيه الذي يكون بتعطيل الصفات بحجة المماثلة والتجسيم يؤدي إلى تشبيه من جهة أخرى؛ وهو تشبيه أخس ولا تنزيه فيه فينتج عن نفي الصفات بدعوى منع المشابهة إلى تشبيه الله عز وجل بالجمادات، أو بالمعدومات، ودليل ذلك وأمثلته كثيرة، تنظر، الذهبي؛ كتاب العرش، ج1/ ص101-110، ومحمد بن براهيم الحمد؛ مصطلحات في كتب العقائد، ص9، 10.

[6] – سورة الشورى؛ الآية: 11.

[7] – سورة الصافات؛ الآية: 180.

الآيتين نفي من جهة وإثبات من جهة مع وجوب التنزيه في كليهما مع التوقف وعدم الابتداع في ذلك بدون علم ولا حجة من القرآن والسنة.

الثالثة: عدم التحريف[1]: والتحريف هنا أبلغ من التأويل لأنه يطابق المقصود، وهو اخراج النص عن ظاهره بدعوى وجود معنى اصح وهو المعنى الداخلي والخفي في النصوص الشرعية من القرآن أو السنة، وهذا التحريف بمسمى التأويل كثيرا ما أدى إلى التعطيل بدعوى التنزيه، وعليه يجب التسليم للنص أنه مقصود المعنى وصريح الدلالة، وعدم التأويل إلا لضرورة شرعية، لا بمقتضى التنزيه العقلي، بل الله يعلم ما يثبت لنفسه وما يتنزه منه سبحانه وتعالى؛ فيتحقق بهذا معنى قول الله تعالى﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[2].

والرابعة: العلم بالله تعالى والمعرفة به من خلال صفاته: فالحكمة التي أرادها الله عز وجل من خلال ذكره أسمائه هي أن يتعرف عليه خلقه من خلالها فيعلمون أنه سميع بصير عليم خبير رحيم فيدعونه بها ويتعبدونه بمعرفتها ومعرفة معانيها ثم العمل بما تقتضيه من معاني؛ فيتحقق بهذا العلم وبما ترتب عليه من عمل واعتقاد قول الله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3].

ومنه تكون هذه الدعامات التي ذكرنا سبب للعلم بما يجب تعلمه واعتقاده وما ينتج عنها من ضوابط وشروط وفوائد وهي:

الدعامة الأولى: اقتضت ضابط الايمان بالصفات وتضمنت الإيمان بكل صفة لله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة وأن الإيمان ببعض الصفات كالإيمان بباقي الصفات.

الدعامة الثانية: واقتضت ضابط الاثبات مع التنزيه، وتضمنت تنزيه صفات الرب تعالى عن مماثلة صفات خلقه وأن الاشتراك في الأسماء أو الصفات لا يعني اشتراك في الحقيقة والتطابق الذي يستوجب التنزيه والتعطيل بهذه الدعوى الغير مؤسسة.

---

[1] – والتحريف هنا أفضل من اصطلاح التأويل وأدق تعبيرا عن الغاية المقصودة وإن اشتهر في كلام أهل العلم، لأن التأويل ليس مذموم في كل حالاته ولا ممنوع، كالتأويل الذي بمعنى التفسير وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بالمدح ونسبه إلى الأنبياء العلماء، وعليه لا يصح نفيه على الاطلاق الكلي، لأن النفي الصحيح ينطبق على نوع فقط من أنواع التأويل وهو التأويل الذي يتبعه من أرد الفتنة والتحريف، تنظر: الحمد؛ مصطلحات في كتب العقائد، ص7.

[2] – سورة الأعراف؛ الآية: 180.

[3] – سورة ص؛ الآية: 29.

الدعامة الثالثة: وضابطها الاثبات مع منع التحريف المفضي إلى التعطيل والنفي، تضمنت إثبات كل صفة على الحقيقة كما ورد بها النص، من غير صرف له إلى معنى آخر غير الظاهر بدعوى التنزيه من الشبيه.

الدعامة الرابعة: اقتضت ضابط أن هدي السلف الذين هم أعلم بمراد الله وباللغة العربية وأقربهم إلى زمن خير القرون ومنهم الايمان بكل الصفات دون رد ولا تأويل ولا تجسيم ولا تمثيل، وتضمنت أن السلف كانوا يعلمون معاني الصفات، ويفرقون بينها بحسب ما دلت عليه مما تعرفه العرب من لسانها، فالعلم غير الحياة، والإتيان غير الاستواء على العرش، واليد غير الوجه، وهكذا سائر الصفات.

وفي هذا المعنى المقتضى من القاعدة إبطال قول الملحدين[1] في أسماء الله وصفاته في حكايتهم مذهب السلف وكبار علماء المالكية ومنهم مالك على رأسهم –كما سيأتي ذكره–:أنهم كانوا مفوضة[2]، ولا يعنون بهذا التفويض أنهم لم يكونوا يعلمون معاني الصفات، ولا التمييز بينها، وأنها من المتشابه الذي يكلون العلم به إلى الله تعالى، ولهذا معنى قولهم "أمروها كما جاءت" لكان هذا القول من أفسد ما ينسب إلى السلف، وهو من الكذب والبهتان والافتراء البين، ذلك لأن الصفات إنما تعرف بالموصوف، فإذا كان السلف يجهلون معانيها فكيف كانوا أعلم من غيرهم بالله تعالى؟ وبماذا عرفوه إذن؟

إن هذا لمن أسوء ما يظن بهم، وهم خير هذه الأمة، وفيهم أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–الذين لم يقدر الله تعالى أحد مثلهم ولم يعلموا حقيقة معاني كلامه مثله، فقد عايشوا التنزيل وتعلموا من المرسل صلى الله عليه وسلم[3].

ومن تأمل جواب الإمام مالك بن أنس رحمه الله لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش، فقال: "الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة" تبينت له عدة أمور:

الأول: نفي الكيفية وأن كيفية الصفات مجهولة للعباد لأنها من الغيبيات التي يعجز عنها العقل البشري.

---

[1] – الالحاد في اللغة هو: الميل، ومنه اللحد في القبر، والملحدون هم المائلون عن الحق، وفي الاصطلاح: فهو العدول عما يجب اعتقاده وعمله، والالحاد في الأسماء والصفات هو: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، يُنظر: الحمد مصطلحات في كتب العقائد، ص7.

[2] – التفويض في اللغة: هو الرد إلى الشيء، والتحكيم فيه، والتوكيل، وفي باب الأسماء والصفات هو: الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة، لا يعلمها إلا الله، أو هو اثبات الصفات، وتفويض المعنى والكيفية، يُنظر: الحمد؛ مصطلحات في كتب العقائد، ص11–13.

[3] – القاضي عياض؛ ترتيب المدارك، المرجع السابق، ج2/ ص44، 45.وينظر: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ؛ شرح الفتوى الحموي الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عادل بن محمد الرفاعي، ط1، مكتبة دار الحجاز، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2013م، ص23، 24.

الثاني: معاني الصفات معلومة من لسان العرب ولغتها إذ لا يعقل أن يخاطب الله قوما بلغة لا يفقهون معناها.

الثالث: الواجب الإيمان بالصفة كما أخبر الله بها مع الاعتراف بالجهل بكيفيتها مع إمكان العلم بمعناها؛ لأنه داخل في عموم الإيمان بالله تعالى والتسليم بما أخبر.

الرابع: نفي الكيفية يقصد به: نفي العلم بتفاصيل الكيفية أو تشبيهها بكيف المخلوقات، لا نفي وجود الكيفية مطلقا، لأن إثبات الكيفية يوهم التشبيه ونفيها أدعى وأنسب للتنزيه؟ وما يؤكد هذا رواية ابن وهب، قال:" سمعت مالكا يقول: من قرأ يد الله، وأشار إلى يده، وقرأ عين الله، وأشار إلى العضو منه، يقطع تغليظا عليه في تقديس الله تعالى، وتنزهه عما أشبه إليه، وشبهه بنفسه، ثم قال ابن وهب: وهذه غاية في التوحيد لم يسبق إليها مالكا أحدٌ"[1]؛ فكان نفي الكيفية أسلم وأنسب للتنزيه.

الخامس: أن الزيادة والنقص بالسؤال والخوض فيها بدعة مذمومة لم تعرف عند السلف، لما تتضمن من القول على الله تعالى بغير علم بتسميته بما لم يسمي نفسه أو وصفه أو النفي عنه ما أثبت من الصفات والأسماء.

فقد كانت قاعدة الامام مالك أعظم أساس تستند إليه كل أقوال العلماء في المسألة بل لا تخرج عنها وعما تضمنته من ضوابط ولم يزل الأئمة يذكرونها ويرددونها ويقرونها في سائر صفات الباري عز وجل عبر الأزمان وفي كل أقطار العالم وكتب العقائد المعتمدة، فبهذا يظهر استقامة اعتقاد السلف، الذين يستحيل في حقهم القول بأنهم غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين وقد نزل الوحي والنبي صلى الله عليهم وسلم بينهم، فهو المذهب الأسلم الأعلم الأحكم والذي سارت عليه الأمة شيخ عن شيخ واستقرت عليها بالقبول[2]، وأن الله يسمى ويوصف بما سمى ووصف نفسه، وبما سماه ووصفه نبيه صلى الله عليه وسلم، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل ولا تجسيم، كما قال الامام مالك:" ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن... ونقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب، فإن الله لا مثل له ولا شبيه له ولا نظير"[3].

---

[1] – ابن العربي المالكي؛ أحكام القرآن، المرجع السابق، ج4/ ص1740، وينظر: تفسير القرطبي، ج11/ ص256.

[2] – صالح آل الشيخ؛ شرح الفتوى الحموي الكبرى، المصدر السابق، ص22–

[3] – ابن رشد؛ البيان والتحصيل، المرجع السابق، ج16/ ص401، 24، وينظر: أبو عمر الداني؛ الرسالة الوافية، ص122، 123.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1]؛

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[2]،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[3]؛ وفي هذه الآيا وآيات أخرى كثير أثبت الله عز وجل لنفسه الصفات مع نفي المثيل والشبيه[4].

ومثل ذا من كلام الله كثير جدا ليس المقام مقام جمعه، وإنما يكفي الاستدلال ببعض الآيات فقط.

وجه الاستدلال بالآيات:

الآيات التي تم الاستدلال بها تحمل دلالة واضحة، وبلغة صريحة، وفيه دعوة للتدبر في آيات الله الكونية والشريعة، والذي سوف يصل بالإنسان إلى التسليم بصدق الأخبار التي جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن الكريم والتي تثبت أن لله صفات الكمال، التي تخصه، وأن الايمان بها واجب والجحود بها كفر وإبطال لأصل التوحيد، وأن العبد لا يبطل أحكام الشرع، كما لا يثبتها من تلقاء نفسه، ومن غير علم وإنما الأصل السؤال والبحث والتعلم.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة: عن حذيفة رضي الله عنه؛ أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَنَزَلَ القُرْآنُ؛ فَقَرَءُوا القُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**»[5].

---

[1] – سورة الأعراف؛ الآية: 180.

[2] – سورة الاسراء؛ الآية: 110.

[3] – سورة الشورى؛ الآية: 11.

[4] – أبو عمر الداني؛ الرسالة الوافي، المرجع السابق، ص122، 123.

[5] – أخرجه البخاري؛ رقم: 7276.

وجه الاستدلال بالحديث: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن القرآن الكريم هو المصدر الأمين الذين انزله لهذه الأمة فالواجب على الأمة العودة إليه واستنباط كل احكامها منه وعدم تعديه لغيره إلا بما نصه القرآن من مصادر، وعليه تكون العقيدة في أسماء الله وصفاته من باب أولى مما يجب استنباطها من القرآن كما وردت فيه من غير ادخال للعقل وعملياته فيها.

- وعنه من قوله أيضاً: «**إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**»[1].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث تصريح واضح أن القرآن الكريم هو خير مصدر للهدى وأعظم منبع للعلم الصحيح وأكمل مرجع لمعرفة الدين وتحقيق الإيمان، وأن السنة هي أفضل ما يشرح القرآن ويبين أحكامه وهي أحسن ما يجب العودة إليه فيطلب العلم الصحيح بالدين وبأحكامه، وعليها ولما كانت العقيدة أول ما يجب تعلمه وأعظم ما ينبغي معرفته فإن العقل السليم لا يستقل بنفسه في تقرير وتحديد ذلك، وعليه فإن الصفات الربانية غيبية لا يمكن للعقا ادراكها إلا بمخبر ومصدر فلما عجزت مصادره الكونية من الحواس والخيال، فيجب عليه الاحتكام إلى المصادر الشرعية وهي القرآن والسنة اللذان يضمنان الخبر الصحيح والحكم اليقين.

ج/ الاستدلال للقاعد بالحجج العقلية:

لقد بين الله عز وجل في آيات كثيرة، ووضح لنا ذلك نبيه صلى الله عليه وسلم في أحاديث متعددة أن الدين قد اكتمل وأن النعمة قد تمت على هذه الأمة، وأن الله قد رضي لنا بالإسلام دينا، ومن أعظم ما في هذا الدين العقيدة التي هي دليل الانتساب للإسلام من عدمه، فالعقيدة اشرف العلوم وأعظمها لتعلقها بأشرف وأعظم موجود وهو الله عز وجل، مما يعني أن الدين تام كامل مُرتضى ما فيه من أحكام وأخبار عن العقيدة الإسلامية تتعلق بالله عز وجل، فلا يقبل العقل السليم الشك في هذا وإن كان الشك مبدأ التفكير والعقل، وعليه نستنتج أن القرآن والسنة يجب ان تتضمن كل ما يجب معرفته واعتقاده عن الله عز وجل إذ لا يعقل أن تتضمن الشريعة العلم بكل شيء وتكون تامة وتكون أهملت أعظم شيء فيها وهي العقيدة وما تتضمنه من العلم بصفات الله وأفعاله وأسماءه.

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم:13، عن ابن مسعود موقوفاً.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

كان الأئمة المتقدمون المعتبرون من أصحاب مالك على عقيدة السلف القائمة على الإثبات لنصوص الأسماء والصفات والاقرار بأنها توقيفية لا مجال فيها للعقل والتأويل، كعبد الرحمن بن القاسم[1] وعبدالله بن وهب، وعبد العزيز بن الماجشون[2] وتلاميذ تلامذته كسحنون وأصبغ بن الفرج[3]، وأتباع مذهبه كأبي عمر ابن عبد البر، وابن أبي زيد القيرواني، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي بكر محمد بن موهب[4]، وعبدالعزيز بن يحي الكناني[5]، والأصيلي[6]، وأبي الوليد الفرضي، وأبي عمرو الداني، ومكي القيسي[7] ، وابن أبي زمنين، وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم، وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في

---

[1] – عبد الرحمان بن القاسم العتقي، يكنى أبا عبد الله، أحد أشهر أصحاب مالك، فقيه زاهد عالم، نشر مذهب مالك في مصر، أملى الأسدية (المدونة) فكانت الكتاب للمذهب شرقا وغربا وروايته للموطأ صحيحة، مات سنة: 191هـ، ينظر: ترتيب المدارك، ج3/ ص244-261، والديباج، ص239.

[2] – عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي، مولاهم، المدني، أبو عبد الله: ففيه، من حفاظ الحديث الثقات. له تصانيف. كان وقورا عاقلا ثقة، توفي:164 هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ج1/ص 206 وتهذيب ج 6/ص 343.

[3] – اصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، رحل الى المدينة ليسمع من مالك فوصل في يوم موته، صاحب ابن القاسم وأشهب، وابن وهب، وتفقه بهم، وكان فقيها ناظرا، من أعلم الخلق برأي مالك، مات سنة: 225هـ، ينظر: ترتيب المدارك، ج4/ ص17-22، والديباج، ص158.

[4] – عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد أبو شاكر التّجيبي القرطبي سكن بلنسية، القاضي، الفقيه، المحدث، الأديب، الخطيب، الشاعر، المتفنن، الفاضل. المعروف بابن القبري، سمع من أبيه، وأبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، وأبي حفص ابن نابل، وغيرهم. وكتب إليه أبو محمد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسي بإجازة روايتهما وتآليفهما، يُنظر: ترتيب المدارك: ج8/ ص144، 145 وتاريخ الإسلام: ج30/ ص402، 403، والعبر: 2/ 306، وسير أعلام النبلاء: ج18/ ص179، 180، وشذرات الذهب: ج5/ ص239.

[5] – هو عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز الكناني المكي، من تلامذة الامام الشافعي المقتبسين منه، المعترفين بفضله وكان يلقب بالغول لدمامته وقدم بغداد في أيام المأمون، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن، له عدة تصانيف، توفي سنة 240 هـ، يُنظر: ترتيب المدارك: ج4/ ص266، موسوعة الأعلام: 2ج/ ص237.

[6] – عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله أبو محمد الأصيلي، قال القاضي عياض: «قال ابن مفرّج: أصله من كورة شذونة، وقال ابن الحذاء: من الجزيرة الخضراء، وكان جده من مسالمة أهل الذمة، ورحل به أبوه إلى أصيلا من بلاد العدوة، فسكنها، ونشأ أبو محمد بها وطلب العلم بالآفاق. ويقال: بل ولد بأصيلا فيما قاله ابن عائذ، قال ابن الفرضي: أخبرني أنه دخل قرطبة سنة 342هـ، قال ابن الحذاء: وكان أبوه وراقا للحكم»، يُنظر: ترتيب المدارك، ج 7/ ص135 – 145، والديباج المذهب: 1ج/ ص433، 434.

[7] – هو مكي بن أبي طالب بن حيوس القيسي القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي، الامام العلامة المحقق أستاذ القراء والمجودين، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم، كثير التآليف في علوم القرآن، توفي سنة 437 هـ، ينظر: " طبقات القراء " 2 / 309، 310.

الاثبات كثير مشهور، حتى من المالكية من حكوا اجماع أهل السنة والجماعة[1]، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم وذكر أقوالهم التي تؤيد هذا القول وتؤكده مع الاستهلال بأقوال وتقريرا الإمام مالك طبعا.

وقد نقل لنا أبو عيسى، في تفسيره لحديث:" **يمين الله ملأى لا يغيضها شيء...**"[2]، اجماع الأئمة على توقيفية الأسماء والصفات ومنهم الامام مالك بن أنس فقال :" هذا الحديث حسن صحيح، ووهذا الحديث تفسره الآية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3]؛ وهذا الحديث **قالت الأئمة: نؤمن به كما جاء**، من غير أن يفسر أو يُتوهم عينه، قاله غير واحد من الأئمة منهم سفيان الثوري، و**مالك بن انس** وابن عيينة وإبن المبارك، **وأنه تروى هذه الأشياء ونؤمن بها**، لا يقال كيف"[4]، وفي هذا النقل تقرير للقاعدة وتأصيل لها من جهة نسبها إلى كبار الأئمة من جهة وإلى الامام مالك على وجه ارتباط ببحثنا هذا ويظهر ذلك من قوله: وأنه تروى هذه الأشياء ونؤمن بها، لا يقال كيف؟ وقد نسب القول إلى الأئمة.

ثم قال في موضوع آخر عن حديث: ((**ما تصدق أحد بصدقة ... إلا أخذها الله بيمينه ، وإن كانت ثمرة ، فتربو في كف الرحمن ...**)) **الحديث**[5]، حديث حسن صحيح، وقال الترمذي: قد قال غير واحد من اهل العلم في هذا الحديث وما أشبهه –يقصد أحاديث الصفات– من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: **قد ثبتت الروايات في هذا، ونؤمن بها، ولا نتوهم ولا يقال كيف هذا؟** وروي عن **مالك بن أنس** وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك

---

[1] – الراجحي عبد العزيز بن عبد الله؛ التعليقات الايضاحية على القاعدة المراكشية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط1، دار المنهج، قالمة، الجزائر، 1434هـ/ 2014م، ص144.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 6869، ومسلم؛ رقم: 1658.

[3] – سورة المائدة؛ الآية: 64.

[4] – أبو عيسى الوزاني؛ كتاب التفسير، باب: ومن سورة المائدة، ج5/ ص251.

[5] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1321.

أنهم قالوا: **أمروها بلا كيف"**[1]؛ ويستفاد من هذا أن ثبوت الروايات الصحيحة والآيات من القرآن كاف لإثبات الصفات من غير تأويل ولا عقل في ذلك.

ونقل لنا أبو القاسم إسماعيل التميمي[2] قول الأئمة ومنهم مالك بن أنس في القاعدة فقال:" **مذهب مالك والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وحماد بن سلمة، حماد بن زيد، وأحمد بن حنبل... أن صفات الله التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله من السمع، والبصر، والوجه، واليدين، وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يُتوهم فيه، ولا تشبيه، ولا تأويل**"[3]؛ وفي هذا تأكيد أن القاعدة مقررة من مالك وأئمة السلف.

ونُقل ما يشهد على تقرير القاعدة عند مالك ما مثله ابن عبد البر في كتابه التمهيد، قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان **ومالك بن أنس**، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات؟ فقالوا: **أمروها كما جاءت بلا كيف"**[4]؛ أي: نتوقف في رواية وإثبات أو نفي الصفات والاسماء لله تعالى حيث توقفت النصوص من القرآن والسنة.

وممن نقل الرواية عن مالك ونؤكد بها ثبوت القاعدة أن الصفات توقيفية وأن الأصل فيها عدم التأويل وإعمال العقل بذريعة التنزيه المؤدي إلى التعطيل نجد حرملة بن يحي حيث قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئا من ذات الله تعالى مثل **قَالَ تَعَالَى:**﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾[5]، فأشار بيده إلى عنقه، قطعت، ومثل قوله: **قَالَ تَعَالَى:**﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[6]، فأشار

---

[1] – أبو عيسى؛ كتاب التفسير، المصدر السابق، ج5/ ص 255.

[2] – أبو القاسم إسماعيل التميمي هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، التميمي، ثم الطلحي، الصفهاني، الملقب بقوام السنة، صاحب كتاب الترغيب والترهيب، إمام، حافظ، ولد سنة 457هـ، وتوفي سنة 535هـ، يُنظر: السير، ج20/ ص80، والداودي، طبقات المفسرين، ج1/ ص112.

[3] – الذهبي؛ كتاب العلو، المصدر السابق، ص359.

[4] – ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ التمهيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م، ج7/ ص138.

[5] – سورة المائدة؛ الآية: 64.

[6] – سورة الشورى؛ الآية: 11.

إلى عينيه أو شيء من بدنه قطع ذلك منه لأنه شبه الله تعالى بنفسه؛ فيستنتج من كلامه أن الصفات الربانية توقيفية لا يجوز فيها لا إثبات ولا نفي ولا تشبيه وتعطيل لأنها ثابتة بالخبر الأكيد من القرآن والسنة منزهة من المشابهة بالمخلوقات ومن غير كيف محدد.

من أشهر المالكية الذين تقررت عندهم القاعدة ونقل لنا اجماع الأئمة عليها الحافظ الكبير والإمام النحرير أبو عمر ابن عبد البر، وكلامه في إثبات الصفات، وأنها توقيفية تثبت بمجرد ثبوت ذكرها في القرآن والسنة فقال رحمه الله في كتاب التمهيد:" **أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها**، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم يكيفون شيئا من ذلك ولا يجدون فيه صفة محصورة"[1]؛ فيظهر من كلامه تقرير القاعدة والقول بها وأن الصفات الربانية توقيفية تثبت بثبوت ذكرها في النص الشرعي، وقد حدد لنا مصدر ذلك فقال الواردة كلها في القرآن والسنة، ومما يجب التنبه إليه في تقريره للقاعدة هو قوله: كلها إشارة منه إلى أن القول في بعض الصفات كالقول في كل الصفات وهي قاعدة تنطوي تحت هذه القاعدة ومعناها أن الصفات التي ذكرها الله تعالى عن نفسه يجب اثباتها كلها دون تمييز بينها فانتفى بقوله رأي طائفتان وهما:

-طائفة تنفي كل الصفات ولا تثبتها إطلاقا بدعوى التنزيه وعدم الشبيه التجسيم.

-طائفة تثبت بعض الصفات وتلغي الأخرى بدعوى التأويل والمجاز وعدم الحقيقة بذريعة التنزيه أيضا.

ومما يؤكد تقرير ابن عبد البر للقاعدة تطبيقاته لها في مواطن عديدة من أجل تقرير العقائد أو التصحيح والرد على من خالف القاعدة في قضية اثبات الأسماء والصفات ومنها قوله وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش – ثم ذكر الأصل في الاستدلال على ذلك- فقال: والدليل على صحة ما قالوه أهل الحق في ذلك والدليل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[2] وقوله عز وجل: {ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع} **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ

[1] – ابن عبد البر، التمهيد، المصدر السابق، ج7/ ص145.

[2] – سورة طه؛ الآية: 5.

﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ ﴾[1] ،وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾[2]، **وذكر آيات كثيرة دالة على العلو...إلى أن قال: وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قولي المعتزلة، وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة.** ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنا يوجه كلام الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، وجل الله عز وجل عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: {استوى} قال: علا. قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوى أي: انتهى شبابه واستقر، فلم يكن في شبابه مزيد"[3].

فيستفاد من كلامه أنه عارض كل المخالفين وصحح رأيهم وجعل دليله وحجته في ذلك أن القرآن الكريم أثبت الصفة وأن الصافات والغيبيات كلها توقيفية فيجب الوقوف عند النص والاكتفاء به وذلك مقتضى الايمان والواجب تجاه الغيبيات عموما والصفات خصوصا.

ومثيل قول ابن عبد البر ما تقرر عند أبو عمر حيث نجد منه تصريحا واضحا للقاعدة وعملا بها في التقرير والرد على المخالف فقال: " **ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول الله أو أجمعت عليه الأمة**، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه"[4]، ويفهم من كلامه نفس القاعدة فهو يقر هنا أنَّ الصفات والأسماء الربانية غيبية ولا يجوز فيها تأويل ولا مناضرة، بل بين أنه يكفي ذكرها في مصادر الشريعة وذكر

---

[1] – سورة السجدة؛ الاية: 4.

[2] – سورة فصلت؛ الآية: 11.

[3] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج7/ ص 329-331.

[4] – أبو عمر الداني، الرسالة الوافية، المصدر السابق، ص 49.

لنا: القرآن والسنة ولو كانت آحادا، واردفهما بالإجماع الذي تقرر عند علماء الأمة، وقد طبق القاعدة أيضا في مواضع كثيرة ومواطن مختلفة ومنها ما كان في صدد اثبات صفة الاستواء فقال :" الاستواء الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1].و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]. وقال: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3]... إلى آخر كلامه، فنلاحظ في كلامه استدلال مباشر بظاهر ما في القرآن الكريم من غير تأويل ولا تحريف الكلم من مواضعه.

بل نقل ابن عبد البر الاجماع على القاعدة فقال:" **أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة**"[4]، هذا كلام صريح في تقرير القاعدة ونقل الاجماع فيها.

ومن الأئمة المالكية المقررين للقاعدة أبو عمر الطلمنكي، قال في كتابه "الأصول" ناقلا الاجماع فيها: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته. وقال في هذا الكتاب أيضا: **أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان، ثم قال في هذا الكتاب: وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : {هو معكم أينما كنتم} ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه، كيف شاء**"[5] ويفهم من الكلام أنه حقق القاعدة وطبقها في هذه الصفة التي عرفت تأويلات مختلفة فهو اختار الظاهر من القرآن والذي يستنتج منه انه

---

[1] – سورة الزخرف؛ الآية: 13.

[2] – سورة هود؛ الآية 44.

[3] – سورة المؤمنون؛ الآية: 28.

[4] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج7/ ص145.

[5] – ابن القيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ؛ اجتماع الجيوش الإسلامية، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.، ص76، وانظر: ابن تيمية، المجموع، ج3/ ص219.

اقر بالقاعدة واعتبر الصفات الإلهية توقيفية وأن مصدر معرفتها هو القرآن الكريم لا تأويل العقول والأهواء وقد شرح هذ وبينه عدد من علماء الأمه نقلا عنه منهم ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية"، وابن تيمية في "الفتاوى".

وقال ابن رشد في القاعدة مؤكدا لها ومقررا بل ناقلا للإجماع فيه:" ولا خلاف بين أهل القبلة في جواز اطلاق القول بأن لله يدين ووجها وعينين، **لأن الله وصف بذلك نفسه بكتابه، فوجب إطلاق القول بذلك، والاعتقاد بأنها صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحديد،** إذ لا يشبهه شيء من المخلوقات، هذا قول المحققين من المتكلمين"[1]، ففي كلامه تصريح بالقاعدة وأن الواجب الذي يقتضيه الاعتقاد الصحيح هو التسليم بما في النصوص والتوقف عندها ومنع التأويل فيها والتحريف، بل نقل لنا اجماع علماء الأمة وأئمة العقيدة في ذلك.

وتقررت القاعدة عند العلامة ابن القاسم المالكي حيث قال :"**ولا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن،** ولا يشبه وجهه تبارك وتعالى بشيء، لكنه يقول: وله وجه كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه في القرآن، **يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثيل له ولا شبيه ولا نظير**"[2]؛ فالقاعدة ظاهرة بلفظها في كلام ابن قاسم واضحة تفيد وجوب التوقف على ظاهر النصوص في اثبات الصفات لله عز وجل ولا يجوز تعطيل فيها ولا نفي ولا إضافة الا بدليل ونص.

وترددت القاعدة عند الامام عبد العزيز بن الماجشون[3] وتقررت صراحة لا تقبل تأويلا ولا تزويرا حيث قال:" **فما وصف الله من نفسه على لسان نبيه سميناه كما سماه،** ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لا هذا ولا هذا، ولا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة مالم يصف إلى أن قال: **وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ، ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك، فلا تتكلفن**

---

[1] – ابن رشد؛ البيان والتحصيل، المصدر السابق، ج16/ ص400، وانظر مثله في موضع اثبات الاستواء ومنع تأويله بالاستلاء، المصدر نفسه، ج16/ ص368-369.

[2] – ابن ابي زمنين، أصول السنة، المصدر السابق، ص 75، ويُنظر: البيان والتحصيل، ج16/ ص400، النوادر والزيادات، ج14/ ص533.

[3] – ابن عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة كنيته أبو مروان واسم أبي سلمة ميمون. قاله الألكاني. ويقال دينار، وقال الباجي: مولى بني تميم من قريش، والماجشون هو أبو سلمة فيما قاله الألكاني، وقال محمد بن سعد والدارقطني: هو يعقوب بن أبي سلمة، قال الباجي: والماجشون المورد، بالفارسية، وحكى ابن حارث: أن ماجشون موضع بخراسان نسبوا إليه، وكانت وفاة عبد الملك سنة 214هـ، وهو ابن بضع وستين سنة، يُنظر: ترتيب المدارك، ج3/ ص144، وسير أعلام النبلاء، ج7/ ص

علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما مت الرب عنه عن نفسه ... ثم قال: **والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف به نفسه، التاركون لما ترك من ذكره،** ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا، لأن الحق ترك ما ترك، وتسمية ما سمى..."[1]، ومن كلامه فوائد تضمنتها القاعدة وهي:

-الأسماء والصفات توقيفية نثبت كل ما ثبت في القرآن والسنة.

-أي تأويل أو تحريف للصفة هو ابطال لها وإنكار من غير دليل ولا حجة.

-أي شك أو انكار من النفس يجب اختباره للعقل وتحكيمه له، فالا يجوز نفي أي صفة ثابتة في القرآن او السنة بمحض العقل المجرد.

-يجب السكوت على ما سكت عليه الشرع من الصفات وعدم التكلف والتعمق والتسمية والوصف لله عز وجل بما لم يصف أو يسم به نفسه أو يسمه به نبيه صلى الله عليه وسلم.

وممن أئمة المالكية الذين تقررت عندهم القاعدة وقالوا بها صراحة من غير غموض ولا إجمال في العبارة محمد بن عبد الله عبد الله ابن أبي زمنين، حيث جاء عنه أنه قال :" وأعلم أن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به تبارك وتعالى عن نفسه علما، والعجز عما لم يدع إيمانا، وأنهم **إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه وعلى لسان نبيه...**"[2] ؛فيظهر من كلامه أن الصفات الإلهية توقيفية فلا نصف الله إلا بما وصف نفسه، وأن تماما العلم هو التوقف عند النصوص، كما أن عدم العلم بما لم يسم ويصف والسكوت عنه من تمام العلم وكماله وهو اجماع أهل العلم وقولهم.

ومن أئمة المالكية الذين تقررت عندهم القاعدة وقالوا بها تصريحا وتأكيدا مالك الصغير ابن ابي زيد حيث ذكر في مقدمة الرسالة :" مما اجتمعت الأمة عليه من أمور الديان، ومن السنة التي خلا فها بدعة وضلالة؛ أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا، لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه وتعالى موصوف بأن له علما وقدرة وإرادة ومشيئة، ولم يزل بجميع صفاته وأسماءه، له الأسماء الحسنى، والصافات العلا، أحاط علما بجميع ما برأ قبل كونه، وفطر الأشياء بإرادته ... ثم قال في آخره: وكل

---

[1] – ابن بطة عبد الله العبكري؛ الشرح الابانة على أصول السنة والديانة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/ 2002، وانظر: الرد على الجهمية، ج3/ ص68.

[2] – ابن أبي زمنين؛ أصول السنة، المصدر السابق، ص60.

هذا قول مالك، فمنه منصوص ومنه قوله ومنه معلوم من مذهبه"[1]، فيظهر من كلامه أن الأسماء والصفات معلومة منا بغير تكلف ولا تأويل وأن مصدر ذلك القرآن والسنة حيث نجده وصف نفسه أو وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقرر القاعدة من المالكية أيضا عبد الرحمن ابن مهديفي الرد على من أنكر الصفات بدعوى التنزيه فقال:" **الجهمية ينفون أحاديث الصفات، اليد والرجل، ويقولون: الله أعظم من أن يوصف بشيء،** فقد هلك قوم من هذا الوجه..."[2]؛ ومن مفهوم المخالفة أن ضد الهلاك هو التسليم بما جاءت به النصوص من الأخبار الصحيحة عن الأسماء والصفات.

وقال القاضي أبوبكر الباقلاني في تقرير هذه القاعدة العظيمة في اثبات الصفات أو نفيها موافقا الأئمة في كونها توقيفية كما في كتابه الابانة :"فإن قيل: فما الدليل على أن لله وجها؟ **قيل: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [3] و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [4]، **فأثبت لنفسه وجها ويدا**"[5]، فالقاعدة هنا واضحة وفصيحة، وقد ذكرها بالتقرير والتطبيق وذلك من قوله: اذا قيل لك ما الدليل على أن لله صفات، فأجاب مباشرة بالقرآن ومستدلا بظاهر الآيات دون تأويل ولا تحريف قاصدا في ذلك: وليكن جوابك على من طرح عليك هذا السؤال أن الدليل هو القرآن الكريم حيث وصف الله نفسه فيه كما شاء عز وجل.

وقال في موضع آخر، في كتابه الرد على من نسب للأشعري خلاف قوله، ما يدل على القاعدة ويؤكدها فقال الباقلاني :"وكذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في صفات الله عز وجل إذا ثبتت بذلك الرواية من إثبات اليدين اللتين نطق بهما القرآن، والوجه والعينين ...إلى أن قال: **قد بينا دين الأئمة وأهل السنة، أنَّ هذه الصفات تُمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد، ولا**

---

[1] – ابن أبي زيد؛ كتاب الجامع، المصدر السابق، ص139.

[2] – الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين؛ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد أحمد الحمود النجدي، ط1، دار ايلاف الدولية، الكويت، 1431هـ/ 2010م، ج1/ ص53.

[3] – سورة الرحمن؛ الآية: 27.

[4] – سورة ص؛ الآية: 75.

[5] – الباقلاني، الابانة، المصدر السابق، ويُنظر: الذهبي؛ كتاب العلو للعلي الغفار، ص237، ويُنظر: التمهيد، ص296.

تجنيس ولا تصوير، كما رُوى عن ابن الشهاب وغيره، ورَوى عن الثقات عن مالك ... -وساق قاعدته- فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة."[1]، ومن كلامه نقل للقاعدة وبيان فيها للإجماع وربط للسند إلى الامام مالك.

ومن المالكية القائلين بالقاعدة، أبو الحسن ابن القابسي[2]، حيث قال:" **أسماء الله وصفاته لا تُعلم إلا بالتوقيف، والتوقيف كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أو اتفاق أمته، وليس للقياس في ذلك مدخل، وما أجمعت عليه الأمة، فإنما هو عن سمع علموه من بيان الرسول صلى الله عليه وسلم**"[3].

وقال أبو الوليد الباجي في تقرير القاعدة وتطبيقها في اثبات الصفات لله عز وجل في تفسيره لحديث خلق آدم ما مفاده:" إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه؛ **فيقتضي أن الباري تعالى موصوف بأن له يمينا**، وأجمع أهل السنة على أن يديه صفة وليست بجوارح كجوارح المخلوقين، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[4]، ووجه الاستدلال من قول الباجي هو أنه أثبت صفة اليد كما هي في الحديث من غير تأويل لها ولا تحريف عن معناها الظاهر، ثم تأكد ذلك في آخر كلامه لما قال: وأجمع أهل السنة على أن يديه صفة وليست بجوارح كجوارح المخلوقين، فأثبت صفة اليد ونفى العلم بالكيفية والتشبيه.

وقال ابن عرفة الملقب بنفطويه[5] ما يقرر القاعدة في تفسير قوله تعالى: ((فسبح باسم ربك العظيم)):" أي: **سبحه بأسمائه ونزهه عن التسمية بغير ما سمى به نفسه، ومن سمى الله تعالى بغير ما سمى به نفسه، فهو ملحد في اسمائه...**"[6]

---

[1] – أبو بكر الباقلاني؛ الرد على من نسب للأشعري خلاف قوله، يُنظر: ابن تيمية؛ بيان تلبيس الجهمية، 271، وابن تيمية؛ الصفدية، 2/ 162، الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج17/ 556.

[2] – أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي، صاحب التآليف، منها: الممهد في الفقه، وأحكام الديانة، توفي سنة 403هـ، يُنظر: الديباج المذهب، ج1/ ص199-201.

[3] – ابن بطال؛ شرح صحيح البخاري، المصدر السابق، ج10/ ص141، 142.

[4] – الباجي؛ المنتقى شرح الموطأ، المصدر السابق، ج9/ ص401.

[5] – هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي الواسطي، اللغوي، صاحب التصانيف، منها: غريب القرآن، مات سنة 323هـ، يُنظر: السير، ج15/ ص75، 76.

[6] – ابن منظور؛ لسان العرب، المصدر السابق، ج2/ ص474.

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ((**وجاء ربك والملك صفا صفا..**)) ما يؤكد القاعدة ويبين أن الأصل هو إثبات المثبت بالنص من غير تكييف ولا تعطيل فقال:" **والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: يجئ وينزل ويأتي. ولا يكيفون، لأنه" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"**[1]. فأثبت صفة المجيء من غير تأويل ولا تشبيه بل اقرها بضابط عدم التكييف، وهو مقتضى القاعدة ومضمونها.

ومن المالكية الذين جاء منهم التصريح بالقاعدة عبد الخالق السيوري[2]، فقال:" **إنه لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه، وأجمعت عليه الأمة أو في حديث** متواتر"[3]؛ في كلامه هذا إشارة إلى التوقيف الذي تقتضيه القاعدة، لكن يُلاحظ انه اشترط شرطا لم نره عند من سبقه من المالكية المتقدمين ولا من مالك بن أنس وهو اشتراط التواتر في الحديث.

وذكر أبو علي عمر السكوني في لحن العامة ما يفيد تقرر القاعدة فقال:" **فالإلحاد في أسماء الله تعالى هو الخروج فيها عن الشرع، ولا خلاف بين علماء أهل السنة في ذلك...فلا يجوز أن يُطلق في حق الله سبحانه إلا ما ورد به التوقيف بالإذن الشرعي**"[4]، فتبن من كلامه أن أي ابطال أو وصف لله عز وجل أو تسميته من صميم العقل دون نص شرعي يكون باطلا، وأن الأسماء والصفات توقيفية.

ومن المالكية المقررين للقاعدة المطبقين لها على أفراد الصفات أبي مطرف عبد الرحمن بن هارون القنازعي[5]، حيث قال في شرح الحديث الذي جاء فيه ذكر صفة اليد لله عز وجل، فقال: هذا حديث

---

[1] – القرطبي، التفسير الجامع، المصدر السابق، ج7/ ص145. وانظر: ج 16 /ص 7.

[2] – هو أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السيوري، شيخ المالكية، فقيه، له تعاليق على المدونة، توفي سنة 460هـ بالقيروان، يُنظر: الديباج، ج1/ ص158، والسير، ج18/ ص213.

[3] – البرزلي؛ فتاوي البرزلي، المصدر السابق، ج2/ 162، وقوله:(ولم يأتي من طريق الآحاد) فيه نظر، وهو خلاف قول كبار أئمة المالكية، الذين اعتبروا أن الشرط في الحديث هو الصحة فقط ليفيد العلم، يُنظر: ابن عبد البر؛ جامع بيان العلم، ج2/ ص943، والداني؛ الرسالة الوافية، ص234، 235، والقرطبي؛ المفهم، ج2/ ص126، وج5/ ص618، وابن رشد، فتاوي ابن رشد، ج2/ ص966، وتعليق البرزلي في فتاويه، ج2/ ص163.

[4] – السكوني أبي علي عمر بن محمد المالكي؛ لحن العامة والخاصة في المعتقدات، ط1، شركة دار المشاريع للطباعة والنشر، دون بلد الطبع، 1426هـ/ 2005م، ص4، 5.

[5] – عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري، أبو المطرف القنازعي: فقيه، مالكي، من رجال الحديث والتفسير. من أهل قرطبة. له كتب، منها "شرح الموطأ" و "عقد الشروط وعللها" و "اختصار تفسير ابن سلام"، توفي: 413 هـ. ينظر: الصلة 309 والمغرب في حلى المغرب: ج1/ ص166.

صحيح، و**فيه أن لله يمينا، وكلتا يديه يمين بلا كيف"**[1]**، أي:** من كلامه نفهم أنه أثبت الصفة كما أثبتها الحديث دون اللجوء إلى التأويل والعقل في إثباتها أو نفيها.

ونقل عن الامام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقري الأندلسي المالكي في الجزء الأول من كتاب الاهتداء لأهل الحق من شرح المخلص لأبي الحسن القابسي[2] رحمه الله تعالى في شرح حديث النزول: **في هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سماوات من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم**. ثم سرد نصوصاً تدل على ذلك، وأبطل تأويل استوى باستولى"[3]. ويستنتج من قوله أن اثبات الصفات لله عز وجل يكون بالكتاب والسنة، وأنه يكفي أن تُذكر الصفة في القرآن أو السنة الصحيحة لكي نسلم بها ونقرها ونثبتها ويظهر هذا من خلال تطبيقه للقاعدة على صفة النزول والتي استدل بها على إثبات صفة العلو التي أنكرها الكثير ممن احتكم إلى عقله وأولها بدعوى التنزيه ومنع المشابهة والتحيز ونفوها لما لم تقبلها عقولهم!!!

ومن أئمة المالكية المقرين بتوقيفية الأسماء والصفات الونشريسي[4] حيث قال مجيبا عن سؤال:" **لا يُسمى الله إلا بما سمى به نفسه أو أسماه به نبيه صلى الله عليه وسلم، في حديث صحيح...**"[5]؛ وهي القاعدة بلفظها.

ومن المالكية الذين تقررت عندهم القاعدة وأقاموها شعارا لا مناص منه ومفك من اشتراطه والعمل المبارك الميلي حيث قال:" لم يلينوا في إنكارهم علينا **الرجوع إلى الكتاب والسنة في الحكم على العقائد بالاستقامة والزيغ، وعلى الأعمال بالاستنان والاتباع، وكيف لا نرجع إليهما ولا نستمد هدايتنا منهما والسنة تفصيل وتكميل للكتاب**"[6]؛ ومن كلامه تصريح للقاعدة وأن مصدر تقرير العقائد توقيفي وهو القرآن والسنة.

---

[1] – القنازعي أبو مطرف عبد الرحمن بن هارون؛ شرح الموطأ، ط1، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1432هـ/ 2012، ص573.

[2] – علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني، أبو الحسن ابن القابسي، عالم المالكية بإفريقية في عصره. كان حافظا للحديث وعلله ورجاله، فقيها أصوليا من أهل القيروان، من كتبه: الممهد "، و " المنقذ من شبه التأويل " و " ملخص الموطأ "، توفي: 403 هـ، وفيات الأعيان ج1/ص 339. الأعلام ج4/ص326.

[3] – ابن القيم؛ اجتماع الجيوش الإسلامية، المصدر السابق، ص 89.

[4] – أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي، نزيل مدينة فاس وفقيهها، أخذ العلم عن علماء تلمسان، من كتبه: إيضاح المسالك، والمعيار المعرب، والقواعد في فقه المالكية، وغيرها، مات سنة 914هـ، ينظر: جذوة الاقتباس، ج1/ ص156، الأعلام، ج1/ ص269.

[5] – ابن تيمية؛ مجموع الفتاوي، المصدر السابق، ج1/ ص224.

[6] – المبارك الميلي؛ رسالة الشرك ومظاهره، المصدر السابق، ص71.

ومن المالكية المتأخرين الذين تقررت عندهم القاعدة وطبقوها في كل الصفات الواردة في القرآن والسنة الشنقيطي وما قرره في أضواء البيان فمما قاله :" هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله: يد الله فوق أيديهم ، ونحو ذلك؛ أشكلت على كثير من الناس إشكالا ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه، سبحانه وتعالى علوا كبيرا عن ذلك كله والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين:

أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: أأنتم أعلم أم الله؟، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال فيه: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى... فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعما أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا. سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا. هي قوله تعالى: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: ليس كمثله شيء وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: وهو السميع البصير فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال"[1].

[1] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج2/ ص18.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

أ/ الفوائد والآثار العلمية:

- وجوب التسليم بما ورد في النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة من صفات الله وأسمائه وعدم تعديها بتحريف أو تعطيل أو تشبيه.

- تقرير الأئمة المالكية وعلى راسهم الامام مالك بن أنس شيخ المذهب الذي تسمى به المالكية القاعدة وتوترها بينهم وذكر الاجماع فيها.

- سبق المالكية واجماعهم على القاعدة مما يؤكد على الدور العلمي الكبير الذي لعبه الأئمة المالكية في حفظ العقيدة الصحيحة من خلال التقعيد لها وتأصيلها عبر كل العصور والقرون والأمصار في العالم الإسلامي الفسيح.

- أثر علماء المالكية على باقي علماء الأمة من مختلف المذاهب حيث يعتبر الأئمة المالكية الكبار والمتقدمين المرجع والمصدر لمن بعدهم وقد وجدت أقوالهم وتقريراتهم عند اشهر الأئمة المدافعين عن العقيدة الصحيحة ومنهم ابن تيمية وابن القيم والسيوطي وغيرهم كثير.

ب/ الفوائد والآثار العملية:

- وجوب العمل بظاهر القرآن والسنة في معرفة العقيدة وفي تقريرها وعدم تجاوزها بعقل أو رأي أو عاطفة أو مذهب ما.

- اجتناب تسبيق العقول والمذاهب والآراء على القرآن والسنة، والحذر من مغبة ذلك إذ ينتهي بصاحبه إلى الجحود والكفر وانكار المعلوم من القرآن والسنة ظاهرا من أجل شبهة عقلية أو نزعة مذهبية.

- اجتماع الأمة على القواعد يؤدي إلى تماسك عقيدتها وما ينتج عن ذلك من تماسك اجتماعي ورقي للأمة باجتماع الكلمة ونبذ الفرقة المذهبية.

- العودة إلى القرآن والسنة في كل ما يتعلق بأمور الدين وخصوصا ما يتعلق بالله عز وجل، وما في ذلك من تربية النشأ على مصادر الدين، وترك الاختلاف.

- ربط الأمة بعلمائها الكبار وأئمتها العظام مما يوحد الرؤية والصف، ويحقق الأمن الفكري ويحفظ أصالة الأمة وهوية أفرادها، من شبهات التغريبين والملحدين والعقلانيين ومن شابههم من أعداء الدين.
- حفظ العقيدة ومقاصدها في قواعد كلية لها امتداد في تاريخ الأمة وجذور عند أعلامها وأئمتها مما يقويها ويجعلها صامدة في وجه كل التيارات العلمانية اللادينية التي تحاول زعزعت أمن الأمة الفكري ودينها إذ تحاول التشكيك في عقيدتها رأس سنام الدين كله.

خاتمة فصل الالهيات:

لقد تبين لنا من خلال القواعد التي جمعنا في هذا الفصل أن اهتمام المالكية بمبحث الالهيات كان واسعا جدا، وكانت جهودهم كبيرة وعظيمة أَجَلَّ من أن نحيط بها جمعاً، حيث لم يتركوا لنا مسألة من مسائل العقيدة إلا وكانت لهم فيها الكلمة الواضحة، وكان لهم السبق والريادة في خدمة العقيدة والأمة، وكان لهم فيها توضيحا وتبريرا وشرحا وتيسيرا وتأليفا، أو إشارة وتلميحا، ولو بجملة أو عبارة مختصرة؛ كما اتضح لنا مدى أهمية الاهتمام بقواعد العقائد في هذا الباب خصوصا لأنه موطن الخلاف، بل موضع الدعوة الإسلامية فقد رأينا أن التوحيد هو أول دعوة الرسل، وهو أول مشكلة خلاف بين الأنبياء وأقوامهم، وأنه سبب قَبُول الأعمال وسبب دخول الجنان، وأن من فقده ليس بمؤمن، ولا يُقبل منه عمل ظنه عبادة ولو كثر، وفي الآخرة يكن من الخاسرين المخذولين، وعليه فتقريرات المالكية لقواعد الالهيات واسعة ولا يمكن اختصاره، لأن الاختصار هنا يُخل بالعمل، ويجعله غير نافع ولا مكتمل.

الفصل الثالث: قواعد العقائد التي قررها الأئمة المالكية في باب النبوات.

المبحث الأول: القاعدة الأولى.

مقدمة الفصل

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

خاتمة الفصل.

الفصل الثالث: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب بالنبوات:

مقدمة الفصل:

خلق الله الخلائق وميز بينهم في الطبائع وفي القدرات، وجعل منهم الجمادات والبهائم والملائكة والجن والحشرات والانسان، وخصَّ الإنسان والجان بالعقل، ولما خصهم بذلك لحقهم لزوما التكليف، والذي كان مناطه العقل السليم والقادر على التمييز، ولما كان العقل في ذاته عاجز على معرفة كل الأمور، وغير قادر على الإجابة على كل فضول الإنسان وتساؤلاته العديدة والمختلفة، بل ولم يستطع حتى معرفة حقيقة الغاية من وجوده، ويظهر ذلك من كثير تساؤلات الأمم التي لم تتعرف على الديانات، كيف غلبها التفلسف وقادها إلى تخيلات وتخمينات لا يمكن حصرها من الاختلاف في الآراء والتضارب في المواقف والفلسفات، وبرحمة من الله عز وجل بعث في الناس رسلا، وأنزل عليهم كتبا، لتبصرهم بالحق، وتحذرهم من أسباب الزلل والضلال، وترسم لهم طريق السعادة، وتميز لهم الحق من الباطل، والنور من الضلال، وبمنٍ منه وتفضل سبحانه وتعالى جعل رسله بشرا يعيشون بين الناس ويشاركونهم البشرية بكل معانيها الكونية، ليكونا أقرب أليهم في الشعور والإحساس بالطبائع البشرية المشتركة، وليكونوا أنسب للقبول من الناس، وأقرب إليهم، ولما كانت النبوة هي الرابطة العلمية بين العباد وربهم عز وجل، يبلغونهم بما أمرهم، ويميزون لهم ما نهاهم عنه وحرمه، اهتم العلماء من القديم بموضوع النبوات وجعلوه من أهم أصول وأساسيات علم العقيدة، وقد صنفت في موضوعه المصنفات الطويلة والمختصرة، المنظومة والمنثورة، ومما يميز موضوع النبوات أنه عرف اتفاق كبير بين علماء الشريعة في الأمة، إلا بعض الاختلافات مع بعض الأفكار الفلسفية الدخيلة، وفي بعض المسائل الجزئية التي سيتم التطرق إليه، حيث سأتطرق في هذا الفصل بحول الله إلى عقيدة النبوات وحاولا الإجابة على أهم الاشكالات العلمية فيها وهي:

-ما هي أهم قضايا النبوات؟

- ما علاقة موضوع النبوات بالعقيدة وما قيمتها في التوحيد؟

- ما طبيعة النبوة وحي هي أم اكتساب؟

- ما هي وظيفة الأنبياء وما الغاية من بعثة النبيين والرسل؟

أولاً: تعريف النبي والرسول لغةً:

النبي لغةً مشتق من النبأ؛ وهو الخبر، كما في القرآن الكريم: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ [1]

وقيل: إن النبي مأخوذ من النبوة، والنباوة؛ وهي الارتفاع؛ لارتفاع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق. فأصله غير مهموز. وقيل: النبي: الطريق. والأنبياء طرق الهدى[2].

الرسول لغةً: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قولهم: جاءت الإبل رسلاً، أي متتابعة.

والرسول: اسم من أرسلت. وأصل الرِسل: الانبعاث على التؤدة[3].

ثانيا: تعريف النبي والرسول شرعاً:

تعددت الآراء في تعريف النبي والرسول إلى أقوال كثيرة[4]، وأشهرها:

أن الرسول مَنْ أُوحِي إليه بشرع، وأُمِرَ بتبليغه. والنبي من أُوحِي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه[5].

وعرفه ابن تيمية –رحمه الله– تعريف قريب من هذا التعريف؛ يقول فيه –رحمه الله–: "فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول. إلى أن قال: فقوله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ ۝٥٢ ﴾[6]،دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء.

---

[1] – سورة النبأ؛ الآية: 1، 2.

[2] – الجوهري؛ الصحاح، المصدر السابق، ج1/ ص 74، يُنظر: تهذيب اللغة، المصدر السابق، ج15/ ص486، والمفردات للأصفهاني، ص481، 482، ولسان العرب، ج1/ ص162.

[3] – الأصفهاني؛ المفردات، المصدر السابق، ص195، ويُنظر: تهذيب اللغة، ج12/ ص391، ولسان العرب، ج11/ ص282.

[4] – الماوردي؛ أعلام النبوة، ط1، دار الرسالة، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ص37، 38، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن، ج12/ ص54.

[5] – ابن أبي العز الحنفي؛ شرح العقيدة الطحاوية، المصدر السابق، ص167، ويُنظر: اللوامع البهية، المصدر السابق، ج1/ ص49.

[6] – سورة الحج؛ الآية: 52.

المبحث الأول: القاعدة الأولى: [تحقيق التوحيد يستلزم الايمان بالنبوات].

المطلب الأول: تصور القاعدة:

الله عز وجل خلق العباد ولم يتركهم هملا، لا يعملون لهدف ولا يعيشون لغاية، بل بعث لهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من أجل أن يعلموهم ما يجب عليهم ويبينون لهم ما هو محرم عليهم، ويدلونهم على سبب وجودهم وعلى الحكمة من خلقهم، فالأنبياء هم الواسطة في تبليغ شرع الله عز وجل بين العباد وربهم سبحانه وتعالى[1]، فمام من شيء علمناه من أمور ديننا ومن أمور الغيب إلا وكان دليلنا فيه هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعليهم جعل الله عز وجل الإيمان بهم فرع من فروع الإيمان بالله، وفي ذلك حكمة عظيمة كما سيتم بيانها في المباحث اللاحقة -بحول الله-وتتجلى هذه الحكمة في كونهم من البشر، يوحى إليهم فجمعة بين الاشتراك مع أدعيائهم في البشرية والفطرة والطبيعة، وبين الاختصاص بالوحي من الله ليتميزوا بذلك بحق الاتباع والإيمان بهم، كما أن الايمان بالأنبياء باب للإيمان بكل باقي الأركان فهم المخبرون عن الله عز وجل، وهم من تنزل عليهم الكتب فيعلمونها للناس، وهم من جاء بأخبار الملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر، وعليهم كان الإيمان بهم شرط تحقيق التوحيد، وقد جمعة كلمة التوحيد في ديننا وفي كل الأديان الإيمان بالله مقترنا بالإيمان بالنبي، ومنها في الإسلام لا إيمان لمن لم يقل ويؤمن ويقر أنه لا إله إلا الله محمدا رسول الله، وعليه فإن مضمون القاعدة في هذا المعنى، والذي هو الايمان بالله -عز وجل- يستلزم الإيمان برسله -عليهم الصلاة والسلام-.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

1-حكم الإيمان بالرسل وأدلته: الإيمان برسل الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ

[1] - ابن حزم أحمد أبي محمد الأندلسي؛ الدرة فيما يجب اعتقاده؛ تحقيق: عبد الحق التركماني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2009م، ص87-97، ويُنظر: ابن عثيمين؛ شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ص191، و ابن جزي الغرناطي؛ فتح الحق المبين، ص64.

ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[1]. فذكر الله تعالى الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، من أركان الإيمان. وبين أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنوا ببعضهم دون بعض، بل يصدقون بهم جميعًا، وأن الإيمان بهم واجب في كمال التوحيد.

وقد بين الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾[2]؛ فأطلق الله عز وجل الكفر على من كذب بالرسل أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم؛ ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًّا أي الذين تحقق كفرهم وتقرر صراحة.

كما بين الله في مقابل ذلك في السياق نفسه ما عليه أهل الإيمان من ذلكقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾[3]؛ فوصفهم بالإيمان بالله ورسله كلهم من غير تفريق بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى وذلك واجب في كمال إيمانه وفي أصل تحققه.

وأما السنة فدلت كذلك على ما دل عليه الكتاب من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان وقد دَلّ على ذلك حديث جبريل المتقدم بنصه في مبحث " الإيمان بالملائكة " وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال:" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر» . . ."[4] الحديث. فذكر الإيمان بالرسل مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم

---

[1] – سورة البقرة؛ الآية: 285.

[2] – سورة النساء؛ الآية: 150، 151.

[3] – سورة النساء الآية: 152.

[4] – أخرجه البخاري؛ رقم:50.

تحقيقها واعتقادها وهذا دليل قاطع على وجوب الإيمان بهم جميعا، والأحاديث في هذا السياق كثيرة متواترة.

الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى أمر به سبحانه وتعالى، والتسليم بأنهم صادقون فيما أخبروا به، ومن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع[1]. كما قال الله تعالى وأخبر بتكذيب الأممُ رسُلَهم ومحاربتهم لدعوتهم فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا-محمدا صلى الله عليه وسلم-ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضا، لاسيما وأنه قد بشرهم-بمحمد صلى الله عليه وسلم-ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم وهذا الايمان المجمل بهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح (عليهم الصلاة والسلام) وهؤلاء-الخمسة-هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في (سورة الأحزاب) في قوله: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم). وفي (سورة الشورى) في قوله: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم، وموسى، وعيسى، أن أقيموا الدين ولا – تتفرقوا فيه)، وهذا من الإيمان المفصل[2].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالا قال الله تعالى: (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك)

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبار والتسليم لما جاؤوا به من الأحكام.

---

[1] – القاضي عياض؛ الشفا، المرجع السابق، ج1/ ص191- 194، وينظر: تحفة الأحوذي، ج7/ ص289، شرح السيوطي، 8/ ص97.

[2] – القاضي عياض؛ المرجع السابق، ص192، وينظر، سليمان الأشقر؛ الرسل والرسالات، ص14، واالاسفريني؛ لوامع الأنوار البهية، ج1/ ص49، 50.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم-محمد صلى الله عليه وسلم-المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

القرآن الكريم يتضمن آيات كثيرة تدل على القاعدة وقد جاءت بصور مختلفة منها الصريحة ومنها ما فيها التحذير من مخالفة مقتضى القاعدة ومنها ما فيه بيان فضل من ألتزم بالقاعدة، وليس المقام مقام عرض كل هذه الأنواع لذا سأقتصر على ذكر الآيات الصريحة بوجوب الإيمان بالرسل، لكي يكتمل الإيمان والتوحيد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[1]

وجه الاستدلال بالآية: الآية صريحة في الأمر بوجوب الإيمان بالنبوات وبكل الأنبياء، أن جميع الرسل يجب الإيمان بهم والاعتقاد أنهم رسل الله جاؤوا بالحق وأمروا الناس بما أمرهم الله به أن يبلغوه.

ففي الآية افترض الله على المؤمنين به الإيمان بجميع الرسل والأنبياء ، وسمى منهم إسماعيل وإسحاق والأسباط ، وأخبر عز وجل أن المؤمنين لا يفرقون بين أحد من الأنبياء والرسل، بل يعتقدون بكفر من أنكر نبوة من أثبت الله نبوته، لأن الكفر برسول أو نبي واحد كفر بجميع المرسلين.

[1] – سورة البقرة؛ الآية: 136.

وتعليقا على الآية قال ابن تيمية:" والمسلمون آمنوا بالأنبياء كلهم ، ولم يفرقوا بين أحد منهم ، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب ، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم ، ومن سب نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء "[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [2] الآية.

وجه الاستدلال بالآية: الآية صريحة في وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل، وأن البر والعبادة التي أرادها الله من عبادة لا تكتمل إلا إذا كان فيه الإيمان أمور ومنها النبيين كما هو صريح في الآية الكريمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [4]

وجه الاستدلال بالآيتين:

في كلتا الآيتين جعل الله الإيمان به وبالرسل مقترانان ومتلازمان، وذلك يعني أنهما شرطان في الايمان لا يصح الايمان بفقدان واحد منهما قال الآجري في هذا الصدد وتعليقا على الآيتين:" إن من لم يؤمن بالله

[1] – احمد بن عبد الحليم بن تيمية، كتاب الصفدية، ط2، دار الهدي النبوي، المنصورة، مصر، ودار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/ 2011م، ج2/ ص311.

[2] – سورة البقرة؛ الآية: 177.

[3] – سورة النور؛ الآية: 62.

[4] – سورة الحجرات؛ الآية: 15.

ورسله لم يصح له الإيمان"[1]. فبين لنا أن الايمان بالرسل شرط صحة الإيمان وأنه من لم يؤمن بالرسل فهو كافر وإيمانه غير صحيح عند الله بل لا إيمان له بالله إلا باستكمال شطر الإيمان بالأنبياء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [2].

وجه الاستدلال بالآية:

في الآية تصريح أن عدم اقران الإيمان بالله بالإيمان بالرسل لا يحقق لصاحبه الإيمان المطلوب بل من فقد الإيمان بالله أو الإيمان بالرسل فقد كفر بالله وكان جزاؤه جهنم يلقى فيها سعيرا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [3].

وجه الاستدلال بالآيات: الآيات صريحة وواضحة الدلالة وفيها أمر واضح بوجوب الايمان بالله ورسوله وكل ما جاء به الرسول من النور والبينات، وأن من كفر بذلك فقد كفر وضل ضلالا بعيدا، إذ لم يحقق الإيمان وهو من الكافرين، وأما من آمن بالله وصدق بالرسل وبما جاؤوا به من البينات وعملوا بمقتضى ما أمروهم به فقد استكملوا شروط إيمانهم وسوف يكون لهم أجرا عظيما.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

السنة النبوية الشريفة في ذاتها وما تحمله من الحق والبيان لما جاء في القرآن دليل على وجوب اتباع الأنبياء والايمان بهم ونذكر منها بعض الأحاديث التي تدل أن صحة الاعتقاد تستلزم الإيمان بالرسل ومنها:

– عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله

[1] – أبو بكر محمد بن الحسن الآجري؛ الشريعة، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م.ص328.

[2] – سورة الفتح؛ الآية: 13.

[3] – سورة التغابن؛ الآية: 8.

وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

الحديث دلالة صريحة على وجوب الأيمان بالرسل، إذ تبين منه أن الايمان أركان ومنها ركل الإيمان بالرسل والايمان بالرسل هو الذي يكون به الإيمان بالكتب لأن الكتب أنزلها الله عز وجل على رسله صلى الله عليهم وسلم أجمعين، ومن الكتب جاء العلم باليوم الآخر وأن الله موجود يجب أن يعبده جميع خلقه، وهم من أخبروا الناس عما يحدث في الغيب من أمور يستحيل معرفتها إلا من طريق الرسل، فالإيمان بالرسل هو مفتاح الإيمان بكل باقي الأركان، وأنه يقتضي التسليم أن الله جعل بينهم تفاضل[2]. والله أعلم.

– عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: " الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان ". قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: متى الساعة؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: {إن الله عنده علم الساعة} الآية، ثم أدبر فقال: «ردوه» فلم يروا شيئا، فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»

[1] – أخرجه مسلم؛ رقم:8.

[2] – النووي؛ شرح صحيح مسلم، المرجع السابق، ج5/ ص38، وينظر: الديباج، ج5/ ص309، شرح سنن ابن ماجة، ص320.

قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان[1]؛ وفيه أن الايمان بالرسل من أركان الإسلام، والايمان بهم واجب والكفبر بواحد منهم كفر بهم جميعا،

وجه الاستدلال من الأحاديث: هذه الأحاديث العظيمة فيها تصريح بالقاعدة، حيث اكد النبي صلى الله عليهم وسلم أن الايمان بالله يستوجب الإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام، وأن الكفر بهم يعني الكفر بالله، لأنه –عز وجل– هو الذي بعثهم أمر بالإيمان بهم وهو الذي أنزل عليهم الكتب، بيانا للناس ورحمة بهم، وأمر أن نؤمن بما فيها من أوامر ومنهيات، وعليه تتقرر القاعدة وأن الإيمان بالأنبياء فرع من الإيمان بالله، والكفر بهم فرع من الكفر بالله، ولا يستقيم التوحيد، إلا بالإيمان بهم عليهم الصلاة والسلام.

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى "، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟، قال: " **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى** "[2]، فطاعة الأنبياء من طاعة الله، والكفر بهم من الكفر بالله، ولا يستقيم توحيد إلا بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي طاعته دخول إلى الجنة ومعصيته دخول إلى النار، فالواجب سرعة الانقياد للسنن، والاستسلام للحق، وهو مذهب الإمام مالك وأتباعه[3].

وجه الاستدلال من الحديث:

الحديث الشريف في تحذير عظيم وهو في خطر مخالفة الرسل والأنبياء، لأن ذلك مجلبة للذل وللصغار، ويحقق فساد أمور الدنيا والآخرة، فهو ذل لأنه مخالفة لأمر الله، وصغار لأنه ارتماء في الهوى ووساوس الشيطان، وبمفهوم المخالفة، تكون العزة والرفعة في الإيمان بهم وعدم مخالفة أمرهم –عليهم الصلاة والسلام– وهذا يؤكد القاعدة ويبرر صحتها ووجوب تقريرها.

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم:50.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 7280.

[3] – إبن عبد البر؛ جامع العلم وفضله، المرجع السابق، 2/ 91، ينظر: ترتيب المدارك، ج3/ ص492، وينظر: الداني؛ الرسالة الوافية، ص189.

ج/الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

العقل السليم كما رأينا من قبل لا يتعارض من النصوص الشرعية بل يوافقها ويطابق مقتضياتها، ومن تلك القضايا قضية الإيمان بالأنبياء وبأنه واجب وضرورة لا مفك منها، إذ العقل يبرر ضرورة بعثة الأنبياء وتكم تلك الضرورة أولا في حاجة البشر إلى من يدلهم على ربهم، ويعرفهم بما يجب عليهم، ويوضح لهم الغاية من وجودهم، ويدلهم على سبل السعادة، فالعقول البشرية لا يمكنها إدراك الكثير من الأمور المهمة في حياتهم، إلا بالأنبياء كتمييز الخير من الشر، والحق من الواجب، ويستحيل عليه الاطلاع على مسائل الغيب أو معرفتها، لذا فالنبوة ضرورية للبشرية، وهي رحمة الله ومنة بهم، وعليه فالإيمان بها ضرورة يتطلبها العقل وتستوجبها، وذلك لأسباب عقلية وواقعية تؤكد ذلك ومنها:

-العقل عاجز على إدراك كل الأمور التي تتحقق بها سعادته، إلا إذا نال ذلك من معلم تأتيه أساليب السعادة من رب خبير علم رحيم، وهم الأنبياء.

- العقل لا يملك القدرة للاطلاع على الماضي الذي مر به ولا إلى أصل وجوده، ولا أن يتخيل مصيره الذي هو ملاقيه لا محالة، إلا بوحي من رب الزمان والمكان إلى من يختاره من عباده وهم الأنبياء.

- عقول الناس مختلفة، وطرائقهم متعددة، وغاياتهم مبعثرة لا يمكن حصرها، ولا يمكن ضبطها إلا بوحي من خالقها رب العالمين، مما يؤكد وجوب وجود أنبياء يتلقون الوحي ويعلمونه الناس.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

تمسك علماء المالكية بالسنة والتزامهم بها معلوم مستفيض أمره لا يشك فيه شاك ولا يجادل فيه معاند وقد علم من تقريرات الأئمة المالكية في وجوب اتباع الأنبياء والايمان بهم ما لا يمكن حصره ولا جمعه وسوف نستأنس ببعض تقريرات الأئمة للقاعدة ومنها:

وفي تقرير القاعدة ذكر لنا القاضي عياض القاعدة صريحة واضحة في كتابه الشفا فقال: **من سب سائر أنبياء الله تعالى واستخف بهم، أو كذبهم فيما أتوا به، وأنكرهم، وجحدهم، كَفَرَ وهو حكمُ نبيِّنَا صلى الله عليه وسلم"**[1]؛ فكلام عياض هنا واضح جلي في تقرير القاعدة وأن الايمان بالأنبياء

[1] - القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص1097، ينظر: الداني؛ الرسالة الوافية، ص179، وينظر: أحكام القرآن، 2/ 707.

والرسل يجب أن يكون بمقتضى الشرع لا الأهواء وأن يكون بهم جميعا، وأن من كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم، ومن أنكر النبوة ولم يؤمن بها فقد أبطل توحيده وكفر بالله ومن صور الكفر بهم تكذيبهم وسبهم وجحدهم وانكار ما جاؤوا به.

وقال أيضا في موضع آخر :" **جعل الله طاعة رسوله طاعته، وقرن طاعته بطاعته،** ووعد على ذلك بجزيل الثواب، ووعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه..."[1]

وقال الخازن في نقله عن الأئمة ومنهم مالك بن أنس ما يُقرر القاعدة وأن الايمان بجميع الرسل واجب وضرورة في العقيدة وكمال الإيمان:" **وأما الإيمان بالرسل فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه، وأنهم معصومون وأنهم أفضل الخلق،** وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى؛ لا نفرق بين أحد من رسله. وأجيب عنه بأن المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الأنبياء على بعض بقوله: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ومعنى قوله: لا نفرق بين أحد من رسله فتؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله... **وهذا قول الأئمة مالك والشافعي وغيرهما...**"[2].

ومما يؤكد أن المالكية يقرون بالقاعدة ما ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز حيث قال:" **نزل في اليهود والنصارى، لأنهم في كفرهم بمحمد عليه السلام كأنهم قد كفروا بجميع الرسل. وكفرهم بالرسل كفر بالله، وفرقوا بين الله ورسله** في أنهم قالوا: نحن نؤمن بالله ولا نؤمن بفلان وفلان من الأنبياء، وقولهم نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ قيل: معناه من الأنبياء، وقيل: هو تصديق بعضهم لمحمد في أنه نبي، لكن ليس إلى بني إسرائيل، ونحو هذا من تفريقاتهم التي كانت تعنتا وروغانا. وقوله بَيْنَ ذلِكَ أي بين الإيمان والإسلام والكفر الصريح المجلج، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم الكافرون حقا، لئلا يظن أحد أن ذلك

[1] – القاضي عياض؛ الشفا، المصدر السابق، ج2/ ص263.

[2] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج1/ ص219.

القدر الذي عندهم من الإيمان ينفعهم، وباقي الآية وعيد"[1]، وقد بين أن الكفر بنبي واحد يعني الكفر بجميع الأنبياء كما أن الكفر بالأنبياء كفر بالله عز وجل.

وذكر القرطبي في التفسير ما يؤكد أنه من العقائد الضرورية في التوحيد وكماله الإيمان بالأنبياء وتصديقهم فقال:" **يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرق بينهم** كما فرقت اليهود والنصارى"[2]، وقال في موضع آخر:" كفروا برسوله فقد كفروا به عز وجل، وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول، فلذلك صاروا الكافرين حقا. و (للكافرين) يقوم مقام المفعول الثاني لاعتدنا، أي أعتدنا لجميع أصنافهم (عذابا مهينا) أي مذلا"[3]

ومن المالكية من أقر بقاعدة وجوب الإيمان بكل الرسل وعدم التفريق بينهم في أصل الايمان بأنهم رسل الله جاؤوا بالحق الزجاج حيث قال في تأويل الآية من سورة البقرة:" ومعنى: (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)؛ **أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب قبلنا. الذين آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعض، نحو كفْر اليهود بعيسى، وكفْر النصارى بغيره فأخبر عن، المؤمنين أنهم يقولون** (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)"[4]، فالإيمان بهم إيمان، والتفريق بينهم بالكفر بالبعض والايمان ببعض، كفرٌ بهم جميعاً ونقضا للإيمان وإفساد له.

والثعالبي من أئمة المالكية المقررين للقاعدة وما يؤكد ذلك قوله في تفسير لقول الله عز وجل :(**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم** أجورهم وكان الله غفورا رحيما) :" لما ذكر سبحانه أن المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا، عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعا، وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد أولئك، فبين الفرق بين المنزلتين"[5]، فتبين من كلامه أن الإيمان بالرسل شرط ضروري في تحقيق الإيمان بالله وأنه لا توحيد صحيح إلا بتحقيق شرط الإيمان بالرسل.

---

[1] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج2/ ص130.

[2] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج3/ ص425.

[3] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج6/ ص6.

[4] – إبراهيم أبو اسحاق الزجّاج؛ معاني القرآن واعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت لبنان، 1408هـ/ 1988م، ج1/ ص369.

[5] – الثعالبي؛ الجواهر الحسان، المصدر السابق، ج2/ ص324.

ومن المالكية الأعلام المقررين للقاعدة تاج الدين السلمي الدمياطي، حيث قال وهو في صدد التعريف بالردة:" **الردة كفر مسلم صَرَّحَ به كنفي الربوبية أو الوحدانية أو رسالته عليه السلام إلى غير ذلك** ..."[1]؛ فيظهر من كلامه أن الكفر بالنبوة كفر بالله وردة على الدين، ومن مفهوم المخالفة يكون أن الايمان هو التسليم بالوحدانية والربوبية، وبرسالته صلى الله عليه وسلم.

ومنهم محمد السنوسي كما في العقيدة السنوسية ذكر ما يؤكد تقرر العقيدة عنده وبأن الإيمان بالرسل واجب لكمال الإيمان بالله ولتمام عقيدة التوحيد فقال:" **وأما قولنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيدخل فيه الإيمان بسائر الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر لأنه عليه الصلاة والسلام جاء بتصديق جميع ذلك كله**، ويؤخذ منه وجوب صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة الكذب عليهم، وإلا لم يكونوا رسلا أمناء لمولانا العالم بالخفيات جل وعز، واستحالة فعل المنهيات كلهم لأنهم أرسلوا ليُعلموا الناس بأقوالهم وأفعالهم وسكوتهم...**فقد بان لك تضمن كلمتي الشهادة مع قلة حروفها لجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الإيمان في حقه تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام**"[2]؛ فتبين بجلاء من كلامه وجوب الإيمان بالرسل وبالنبوات وكل ما تقتضيه من شروط وأحكام ليتحقق الإيمان الواجب على العبد، بل تبين من كلامه أن الايمان بالرسل هو باب لإيمان بأركان الإيمان كلها وشطر من أشطر الإيمان بالله من جهة كون الإيمان بالنبوة الشطر الثاني من كلمة التوحيد التي يصير بها الإنسان مؤمنا.

ومما هو مذكور في قواعد كتاب أم القواعد لابن عاشر ما تتقرر به القاعدة وما يؤكد تقريرها عند علماء المالكية الذين شاع علمهم بين الناس فأتموا بهم ومما قاله:

يجب للرسل الكرام الصدق ** أمانة تبليغـــــــــــهم بحـــق**

لو لم يكونوا صادقين للــزم ** أن يكذب الإلهُ في تصديقهـــم.**

وقــول لا الـــه إلا اللـــــه **** محمـد أرســـلـــــه الإلـــــه.

---

[1] – بهرام بن عبد الله الدمياطي؛ الشامل في فقه مالك، ط1، مركز النخب العلمية، 1429هـ/ 2008م، ج2/ ص915.

[2] – محمد بن يوسف السنوسي؛ العقيدة السنوسية، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص11، 12.

يجمـــع كل هذه المعـــــاني **** كانت لذا علامـــة الإيمـــــان[1].

فتبين من كلامه أن الإيمان بالأنبياء دليل على الإيمان بالله، كما أن الكفر بواحد منهم فو كفر وعلامة فساد الإيمان، وأن من مستلزمات الإيمان بهم هو التسليم بأنهم صادقون في تبلغيهم منزهون عن الكذب والتزوير والافتراء على الله من أنفسهم.

وقال أحمد المقري المغاربي[2] في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، ما تتأكد به القاعدة حيث بين أن الإيمان بالنبوة شرط لا مفك منه في تحقيق الايمان الصحيح بالله عز وجل وأن الكفر بالنبوة سقوط في هوة الكفر وفساد الدين والمعتقد فقال:

وبعثة الرسل إلينا جـائزه ** في حقه وكل خير حائزه**

كي يبلغونا أمره ونهيـــه **** **فمن أجابهم غدا ذا نهيه**

ومن أبى فساقط في هـوه **** وما بكسب تُدرك النبوة[3].

كما ذكر صاحب متن الخريدة ما مفاده وجوب الإيمان بالأنبياء بأنهم أمناء صادقون في تبليغهم الرسالة وأن ذلك يجب التسليم به لجميع رسل الله دون استثناء ولا تمييز بينهم فقال:

وصف جميع الرسل بالأمانة ** والصدق والتبليغ والفطانة.**

ويستحيل ضدها عليهـــم **** وجائز كالأكل في حقهـــم.

إرسالهم تفضل ورحمـــــة ** للعالمين جل مولى النعمـــة.**[4]

---

[1] – ابن عاشر، متون العقيدة والتوحيد، جمع وضبط: محمد بزواوي، ط1، دار مدني، 1385هـ/ 2003م، ص51.

[2] – أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني، المؤرخ الأديب الحافظ، من كتبه: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب:، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، توفي: 1041 هـ. ينظر: فهرس الفهارس ج 1/ص 337 وخلاصة الأثر ج 1/ص 302.

[3] – احمد المقري؛ اضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص93.

[4] – أحمد بن محمد الدريدر؛ متن الخريدة البهية في العقائد التوحيدية، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص43.

وهذه الأوصاف التي يجب أن نسلم بها في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم هي أوصاف تقتضي الإيمان بهم أولا بل هي من مستلزمات الإيمان بهم لأن الإيمان بهم هو التصديق بكل ما قرروا وجاؤوا به من الأحكام الشرعية والأخبار العقدية والغيبية.

وقرر قاعدة وجوب الايمان بالنبوات لاكتمال التوحيد، أحمد بن علي الأحسائي، وأن ذلك واجب لا يكتمل ايمان المرء إلا بتحقيقه، فقال:

وكل ما جاء به الرســـــول ** حق له يلزمنا القبـــول**

وهو على قسمين ما قد علما **** مجيئـــــه به ضرورة ومـــا

سواه فالأول من له جحـــد ** فإنه يقتل كفرا دون حد.**

فتبين من كلامه وجوب التصديق بالنبوات وبكل ما يبلغونه عن ربهم، ومن كلامه أن تكذيبهم كفر يؤدي بمن فعل ذلك إلى القتل كفرا، وهذا يؤكد القاعدة ويثبتها.

وقال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ما يؤكد القاعدة وأن من كفر رسول واحد كمن كفر بجميع الرسل ومن كفر بالرسل فقد أشرك بالله عز وجل فقال:" فالمراد من الذين يكفرون بالله ورسله هنا هم اليهود والنصارى، قاله أهل التفسير. والأظهر أن المراد به اليهود خاصة لأنهم المختلطون بالمسلمين والمنافقين، وكان كثير من المنافقين يهودا وعبر عنهم بطريق الموصول دون الاسم لما في الصلة من الإيماء إلى وجه الخير، ومن شناعة صنيعهم ليناسب الإخبار عنهم باسم الإشارة بعد ذلك؛ وجمع الرسل لأن اليهود كفروا بعيسى ومحمد-عليهما السلام-، والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فجمع الرسل باعتبار مجموع الكفار، أو أراد بالجمع الاثنين، أو أراد بالإضافة معنى الجنس فاستوى فيه صيغة الإفراد والجمع"[1]

[1] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج6/ ص8.

وذكر الشنقيطي في الضواء ما يقرر القاعدة وأن الايمان بالنبيين واجب بنص القرآن فقال في تفسيره:" أمر الله النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين في هذه الآية أن يؤمنوا بما أوتيه جميع النبيين، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم"[1].

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

هذه القاعدة جليلة عظيمة وفوائدها متعددة ومتنوعة بعضها يتعلق بسلامة وصحة التدين والاعتقاد، وبعضها يتعلق بواقع الحياة الإنسانية والعالمية ونذكر من فوائدها وأثرها ما يلي:

أ/ فوائد تتعلق بصحة الاعتقاد:– الثابت من صريح الآيات القرآنية كما رأينا من قبل والأحاديث النبوية الصحيحة، ومن أقوال السلف وعلماء الأمة، وأئمة المالكية منهم على وجه ما خصصنا ذكره في بحثنا هذا أن الإيمان بالرسل والنبوات شرط من شروط التوحيد وتحقيقه مطلوب في تحقيق كمال التوحيد.

– الكفر بنبي واحد يعني الكفر بجميع أنبياء الله ورسله وهذا يفسد الدين ويمنع كمال التوحيد وتحقيق الإيمان المطلوب، الذي يصير به المؤمن مؤمنا.

– من كفر بالأنبياء فقد كفر بالله ومنه يلزم من رد شيء من أقوال وأفعال الأنبياء الثابتة كمن رد أو رفض وكفر بقول الله عز وجل ورد شريعته، ومن سب أو انتقص احد منهم فقد كفر وكمن سب الله عز وجل.

– النبوة واحدة وأصلها واحد والدين عند الله الإسلام وان اختلفت شخوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب وبعض الشرائع فالإيمان الصحيح يستلزم الايمان بهم جميعا بسبب أمر الله عز وجل بذلك أولا، وبسبب كون الرسالة من رب واحد رب العالمين فهي واحدة في أصلها.

– دين الأنبياء هو الإسلام والإسلام هو الاستسلام لله بفعل ما أمر وترك ما نهي عنه وزجر، وقد أمر بالإيمان بكل الأنبياء ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم بل كفر وأبل دينه وأفسد توحيده.

[1] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج1/ ص45.

ب/ فوائد تتعلق بواقع الحياة الإنسانية:

– الإنسانية منذ أن عرفت الجهل ووقعت فيما يفسد سلامة حياتها تحتاج إلى الرسل وإلى الأنبياء فهم من يحمل لهم مشاعل النور التي تضيء دروبهم وتنير مسالكهم بين غياهب الجهل وغواسق الشرك.

– النبوة من الله رب العالمين وهو الله وحده شريك له يعلم الحق ويعدل بين عباده فالحق واحد والله واحد والنبوة واحدة وإن اختلفت الشرائع وأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلا حجة للفرقة على أساس الدين والجنس ولا أساس للصراع والتناحر بين البشرية الذي نراه ونعيشه اليوم.

– النبوة واحدة في محتواها والدعوة التي سعى إليها الأنبياء واحدة وعالمية، فالالتفاف من البشرية حول النبوة ودعوة الرسل هو الأساس الوحيد والأصلح لعولمة شرعية وعادلة وصحيحة ومنصورة وإنسانية.

– النبوة واحدة والأنبياء جميعهم يأمرون أقوامهم بالإيمان بكل الأنبياء، الذين قبلهم ويبشرون بمن يأتي بعدهم –إذا كان بعده نبي–وذلك تصريح منهم لأقوامهم أن النبوة واحدة والدعوة إنسانية موحدة، فلا حجة لمن يؤمن بنبي ويكفر بني آخر عليهم الصلاة والسلام.

– الإسلام خاتم الرسالات ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو ختام لكتاب مفتوح من ازمان بعيدة، والكتاب ليس خاتمته تخالف مقدمته وفحواه فمن كان يؤمن حقا بنبوة أي نبي فيجب أن يعترف.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية: [النبوة وحي من الله لا اكتساب بشري]:

المطلب الأول: تصور القاعدة:

القاعدة فيها تقرير مهم لمسألة حاول فيها بعض المخالفين –لمقتضي القرآن والسنة وإجماع الأمة– الانكار والتغليط من كون النبوة وحي من الله وأرادوا التقرير أنها مكتسبة؛ فالقاعدة تعني أن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلم وما جاؤوا به من الكتب والأخبار والشرائع ليس من قرارة أنفسهم ولا من اجتهاد عقولهم بل هو وحي من الله، وأن النبوة ليست قدرة عقلية أو اجتهاد ذهني يصل إليه الإنسان بفكر التفكر والتخيل، بل هي إلهام ووحي رباني اختص به الله بعض عبادة ممن خلقهم بعلمه وأودع فيهم الخصائل المناسبة والقدرات الكافية والقوة المتحملة لذلك وأردفهم بالنصر والتأييد بملائكته ومعجزاته.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

هذه القاعدة تحتوي على قضية مهمة جدا وهي الكلام على الطريقة التي يصل بها دين الله إلى عباده وهي ما تسمى بالوحي فما هو الوحي؟ وما هي أنواعه؟ وكيف يصل الوحي إلى الأنبياء؟

1–تعريف الوحي في اللّغة: الوَحي والوحاء: السرعة، ومنه قَوْلهم: الوحاء الوحاء: أي السرعة السرعة، وَالوَحي من الله عز وَجل ثَنَاؤُهُ: نبأ وإلهام، وَمن النَّاس إِشَارَة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾** ﴾[1] وَقَالَ فِي قصَّة زَكَرِيَّا عليه السلام: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾** ﴾[2]؛ ولكلمة حي استعمالات مختلفة المقصد وَيُقَال: وحى وَحيا إِذا كتب ووحى فِي الحجر إِذا كتب فِيهِ. وأصل الْوَحْي: الْكِتَابَة فِي الْحِجَارَة[3].

[1] – سورة النحل؛ الآية: 68.

[2] – سورة مريم؛ الآية: 11.

[3] – أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987، ج1/ ص 231.

2-تعريف الوحي في الشرع:

الوحي اصطلاحاً: هو الإعلام بسرعةٍ وخفاء، وينقسم الوحي إلى نوعين هما: وحي الإلهام ووحي الإرسال، فوحي الإلهام هو: إلهام الله لبعض المخلوقات ببعض الأمور، ومثال ذلك **قَالَ تَعَالَى**:﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1]؛ أي: ألهمها أن تصنع من الجبال بيوتاً تأوي إليها وتجمع فيها العسل، وقوله تعالى أيضاً:**قَالَ تَعَالَى**:﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [2]؛ فقد ألهم الله سبحانه وتعالى أم موسى أن تعمل بولدها ما عملت حين ولدته لتنجيه من فرعون وجنوده حيث سبق أمر الله بذلك، فألهمها حسن التنفيذ لينفذ قدر الله، وقد كان فرعون يقتّل الذكور من قومه؛ خشية أن ينزعوا منه سلطانه، وكان ذلك سبباً لنجاة موسى من فرعون وجنوده، إذ وقع بعد ذلك في يد زوجة فرعون التي طلبت أن تربيه عوضاً عن فقدها للأولاد، وأما وحي الإرسال فالمراد به: أن ينزل جبريل عليه السلام إلى الرسل والأنبياء لينقل إليهم ما كلّفهم الله به من شرائع .

وقيل إنّ معنى الوحي اصطلاحاً هو: الوسيلة والصلة بين الله تعالى وبين رسله وأنبيائه التي يوصل الله تعالى بها إليهم ما يريد إيصاله من علم وحكم وأمر ونهي وإرشاد وتشريع وغير ذلك[3]، ومما يشير إلى هذا المعنى الذي ذكرناه هنا من القرآن: **قَالَ تَعَالَى**:﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [4].

---

[1] – سورة النحل؛ الآية: 68.

[2] – سورة القصص؛ الآية: 7.

[3] – حسن محمد أيوب؛ تبسيط العقائد الإسلامية، ط5، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، ص17، (بتصرف).

[4] – سورة النساء؛ الآية: 163.

3-أنواع الوحي وصوره:

ينقسم الوحي إلى ثلاثة أنواع وله ثلاث صور حسب الآية: **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾** [1] ؛ قال الطبري في تفسير هذه الآية:" قول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهاما وإما غيره (أو من وراء حجاب) يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم (أو يرسل رسولا) يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل، وإما غيره (فيوحي بإذنه ما يشاء) يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل؛ حدثنا محمد، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي، في قوله عز وجل: **(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا)** يوحي إليه **(أو من وراء حجاب)** موسى كلمه الله من وراء حجاب، **(أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء)** قال: جبرائيل يأتي بالوحي"[2].

1/ **وحيا كما أراده الله**: الإلهام والقذف في الصدر والرؤية؛ كقوله تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام:"**قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾** [3]؛ قال ابن جزي:" لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب فلما أسلما إي استسلما وانقادا لأمر الله"[4].

---

[1] – سورة الشورى؛ الآية: 51.

[2] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المرجع السابق، ج4/ ص43، محمد بن جرير الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 2000م، ج21/ ص558.

[3] – سورة الصافات؛ الآية: 102.

[4] – ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، المرجع السابق، ج2/ ص196.

2/ **أن يكلمه الله وراء حجاب**: كما كلم اللهُ موسى، حيث سمع نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم وكلام الله عز وجل ولكن لم يرى ربه كما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج**قَالَ تَعَالَىٰ:**أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [1]

3/ **أن يرسل رسولا**: وهو أن يبعث الله للنبي من الأنبياء رسولا من الملائكة، ما كان بوساطة إرسال ملك تُرى صورته المعينة ويُسمع كلامه كجبريل عليه الصلاة والسلام فيوحي إلى النبي ما أمره الله أن يوحي إليه، وهذا النوع هو الغالب من أنواع الوحي بالنسبة إلى الأنبياء، فغالب أحوال الأنبياء عليهم السلام أن يكون الوحي إليهم بوساطة رسلٍ من الملائكة، فقد ثبت ذلك في كثير من النصوص القرآنية والأحاديث، كحديث إنه جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤ ﴾[2]؛ ذكر في المحرر الوجيز:" والغيب ما غاب عن مدارك الإنسان، ونوحيه معناه نلقيه في نفسك في خفاء، وحد الوحي إلقاء المعنى في النفس في خفاء، ثم تختلف أنواعه، فمنه بالملك، ومنه بالإلهام، ومنه بالإشارة، ومنه بالكتاب"[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾ [4]

---

[1] – سورة النساء؛ الآية: 164.

[2] – سورة آل عمران؛ الآية: 44.

[3] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز؛ المرجع السابق، ج1/ ص435، وينظر: الثعالبي؛ الجواهر الحسان، ج2/ ص44، 45.

[4] – سورة النعام؛ الآية: 50.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾ [1]؛ قال في فتوح الغيب :" الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا، فقيل: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) على ألسنة الملائكة (فسئلوا أهل الذكر) وهم أهل الكتاب، ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشرا"[2].

وجه الاستدلال من الآيات:

في الآيات الكريمة التي استدللنا بها هنا بيان صريح، ودليل واضح ظاهر، أخبر الله فيه كل من يؤمن بالقرآن الكريم أن الأنبياء يوحي إليهم ربهم كل شيء متعلق بالعبادة وبالدين، وأنهم لا يقررون شيئا من تلقاء أنفسهم، بل وظيفتهم هي التبليغ بما أوحي إليهم ربهم عز وجل ومن دون زيادة ولا إنقاص، ومن كفر بهم فقد كفر بالوحي، ومن كذَّبهم فقد كذَّب الله، ومن أنكر الوحي فقد كفر بالله.

وقد تبين هذا الوجه من الاستدلال في بعض التفاسير ومنها تأويل الخازن في للآية: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ [3] فقال:" وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي يوحي إليه في المنام أو بالإلهام كما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده وهو وحي وكما ألهمت أم موسى أن تقذفه في البحر أو من وراء حجاب أي يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام أو يرسل رسولا يعني من الملائكة إما جبريل أو غيره فيوحي بإذنه ما يشاء يعني يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشرا إلا من وراء حجاب في الدنيا ويأتي بيان هذه المسألة إن شاء الله تعالى في سورة النجم إنه علي أي

---

[1] – سورة يوسف؛ الآية: 109.

[2] – الحسين بن عبد الله الطيبي؛ فتوح الغيب، المرجع السابق، ج9/ ص124، ينظر: المحرر الوجيز، ج3/ ص394، والجواهر الحسان، ج3/ ص355.

[3] – سورة الشورى؛ الآية: 52.

عن صفات المخلوقين حكيم أي في جميع أفعاله، وقال في موضع أخر :"كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك وقيل معناه كذلك نوحي إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى الذين من قبلك"[1]

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

– قال صلى الله عليه وسلم :"ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان ما أوتيته وحيا أوحاه الله، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"[2]؛

– حدثنا أبو مصعب، قال: حدثنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.
قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد، فينفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا"[3]؛ وعليه النبوة وحي رباني على من اختار من عباده، وهم الأنبياء والرسل، لا اجتهاد أو اكتساب كما يدعي بعض الطوائف، وإنما مرجع النبوة إلى اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه، فالنبوة عندنا هي اختصاص بسماع وحي من الله...[4].

– عن يعلى قال لعمر رضي الله عنه: أرني النبي صلى الله عليه وسلم حين يوحى إليه، قال: " فبينما النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، ومعه نفر من أصحابه، جاءه رجل فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة، وهو متضمخ بطيب، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة، فجاءه الوحي، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى، فجاء يعلى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب قد أظل به، فأدخل رأسه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمر الوجه، وهو يغط، ثم سري عنه، فقال: «أين الذي سأل عن العمرة؟» فأتي برجل، فقال: «اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات، وانزع عنك الجبة،

---

[1] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج4/ ص93.

[2] – متفق عليه: أخرجه البخاري، رقم: 9، ومسلم؛ رقم: 152..

[3] – أخرجه مالك بن أنس؛ موطأ الإمام مالك برواية أبو مصعب الزهري، ط1، تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل، ط1، مؤسسة الرسالة، 1412هـ، ج1/ ص 104/ رقم: 270، والبخاري، رقم: 2.

[4] – السنوسي التلمساني؛ شرح السنوسية الكبرى، تحقيق: أبو أحمد بلكرد بوعكبر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 1431هـ/ 2011م، ص528.

واصنع في عمرتك كما تصنع في حجتك» قلت لعطاء: أراد الإنقاء حين أمره أن يغسل ثلاث مرات؟ قال: «نعم»[1].

– عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن الله تعالى تابع على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي قبل وفاته، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد»[2]

وجه الاستدلال بالأحاديث:

مجمل ما جاءت به الأحاديث الشريفة التي استدللنا بها أن النبي قد خصه الله عز وجل بالوحي، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعهم لا يأمرون الناس من تلقاء ارادتهم، كما لا يحللون ولا يحرمون على الناس أمرا من الأمور، ولا يأمرونهم بعبادة ولا وبترك عبادة أو فعل إلا بوحي من الله، ففقد اختصهم الله بالوحي، فمن كفر بقولهم فقد كفر بالوحي ومن كذبهم عليهم الصلاة والسلام فقد كذب بالوحي.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجة العقلية:

النظر العقلي المحصن بالنصوص الشرعية في مثل مسائل الغيب، والذي يمتاز بالموضوعية والسلامة في الفطرة والادراك يعتبر الوحي ممكنا بتوفر شرطين أساسين وهما:

مبنى الوحي ومداره على أمرين: الأول: وجود موح وهو الله سبحانه وتعالى أو الملك الذي يبلّغ الوحي وينقله من الله إلى الرسل، والملك: جسم نوراني لا يرى، ولكنه قادر على التشكل بالأشكال المختلفة.

الثاني: وجود نفس بشرية صافية معصومة ولها جاهزية وصالحة لتلقي الوحي من الله أو الملك.

أما الأول: فالله سبحانه قد قام على وجوده وكماله الدليل العقلي وتواترت عليه الأدلة الآفاقية، والأنفسية، والتنزيلية.

وأما الملائكة، فقد أخبر بهم الأنبياء وجاءت بوجودهم الشرائع والكتب السماوية، وقد استفاض القرآن والسنة بالإخبار عنهم بما لا يدع مجالا للشك في وجودهم، والفلاسفة، والعلماء قديما وحديثا–إلا الشرذمة

[1] أخرجه البخاري؛ رقم: 1536

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 4982. ومسلم؛ رقم: 3016.

المادية–يقرون: بوجود عالم غير محسوس، وراء هذا العالم المحسوس، وأن الإنسان ليس هو هذا الجسم المحسوس فحسب، وإنما هو جسم وروح.

وذلك لأن الوحي هو علم ودين يوحيه الله إلى عباده الذين اختارهم بعلمه وحكمته وخلقهم لذلك فهيء لهم في عقولهم وأجسادهم وفطرهم ما يناسب عملية الإيحاء بمختلف صورها وأنواعها، ومنه فإن العقل السليم يقبل أن الله عز وجل الذي خلق العباد في أحسن تقويم، وبين لهم الغاية من خلقهم وهي العبادة والتوحيد، ونحن نعيش ونعلم ونؤمن بما في نصوص الوحي ونقر أنه لا يوحى إلينا، فنستنتج أن كل هذا الدين الذي علمنا من أحكامه وأخباره جاء إلى الأنبياء وفيه من الغيبيات ما يستحيل أن يكون من عقول البشر فهو وحي أوحاه الله إلى الأنبياء والرسل

أما الثاني: وهو استعداد النبي للتلقي عن الله أو الملك، فلا بعد فيه، إذ الأنبياء لهم من سمو فطرتهم، وصفاء أرواحهم، وإعداء الله سبحانه لهم إعدادا خاصّا: جسمانيّا وروحيّا ما يؤهلهم لتلقي الوحي من الله، أو الملائكة، والفهم منهم، والتجاوب معهم، وليس لنا في هذا الأمر أن نقيس الغائب على الشاهد، أو عالم الروح على عالم المادة.

وإذا ثبت هذان الأمران، فقد ثبت–لا محالة–إمكان الوحي، وأنه لا استحالة فيه لمن استقام استدلاله وسلمت فطرته ووازن بما يقتضيه النص الشرعي الصريح والصحيح.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

ذكر صاحب الكشف والبيان في تفسيره ما يؤكد القاعدة ويعزز قول المالكية في تقررها فقال:" **يوحي إليه كيف يشاء إما بالإلهام أو في المنام. أو من وراء حجاب بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى (عليه السلام) أو يرسل رسولا. إليه من ملائكة،** إما جبريل وإما غيره. فيوحي بإذنه ما يشاء؛ وقرأ شيبة ونافع وهشام (أو يرسل) برفع اللام على الابتداء (فيوحي) بإسكان الياء، وقرأ الباقون بنصب اللام والياء عطفا بهما على محل الوحي لأن معناه **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي**

أو يرسل"[1]؛ فالوحي من الله كما في قوله في كل صوره من الله ولا يكون أبدا اكتسابا عقليا ولا تفيرا ابداعيا إنسانيا، بل يستحيل ذلك.

ومن أئمة التفسير المالكية ابن جزي أيضا قرر القاعدة وبين أن الوحي خاص بالأنبياء وأنه من الله لا يمكن أبدا اكتساب النبوة فقال:" بين الله تعالى فيها كلامه لعباده، وجعله على ثلاثة أوجه أحدها الوحي المذكور أولا وهو الذي يكون بإلهام أو منام والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب الثالث الوحي بواسطة الملك وهو قوله: أو يرسل رسولا يعني ملكا، فيوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي، وهذا خاص بالأنبياء والثاني خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء، **وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا، وقد يكون لسائر الخلق ومنه، وأوحى ربك إلى النحل ومنه منامات الناس أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا قرأ نافع يرسل ويوحي بالرفع، على تقدير أو هو يرسل والباقون**"[2]؛ فالنبوة وحي رباني يتفضل به الله عز وجل على من يشاء من عباده وخص الأنبياء بذلك، لأنهم فقط يحملون للناس أحكام دينه ويعلمونهم ما يجب اعتقاده وما يجب الحذر منه وتركه، ومن أنباء الغيب التي لا مدخل للعقل إليها أبدا إلا بوحي من الله.

وقال أيضا في النور المبين ما تقتضيه القاعدة:" **اعلم أن الله بعث الأنبياء وأرسل الرسل إلى الخلق، وأنزل عليهم الكتب، وفضلهم على سائر الناس... وأعلم أن في بعث الأنبياء وجوها وحكمة:**

الوجه الأول: **أن عقول الناس تختلف، فبعث الله الأنبياء عليهم السلام ليبنوا للناس ما اختلفوا فيه.**

الوجه الثاني: **أن الله خلق الخلق ليعبدوه، وشرع لهم الشرائع، وجعل الأنبياء واسطة بينه وبين عباده، ليبلغوهم عنه ما شرع لهم، فلو لم يبعث الله الأنبياء لضل الخلق ولم يعرفوا كيف يعبدون الله.**

الوجه الثالث: أنَّ الله بعث الأنبياء ليقيم الحجة على الخلق، ويقطع أعذارهم"[3].

---

[1] – الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج8/ ص326.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، المصدر السابق، ج2/ ص252.

[3] – ابن جزي الغرناطي؛ النور المبين، المصدر السابق، ص63، 64.

والشأن نفسه بالنسبة لابن عاشر في كتاب أم القواعد ما تتقرر به القاعدة وما يؤكد تقريرها عند علماء المالكية الذين شاع علمهم بين الناس فأتموا بهم ومما قاله في بيان أنها وحي من الله تفضل به عليهم ليبلغوه لعباده:

يجب للرسل الكرام الصدق ** أمانة تبليغـــــــــــهم بحـــق**

لو لم يكونوا صادقين للــزم ** أن يكذب الإلهُ في تصديقهـــم.**

وقــول لا الـــه إلا اللـــــه **** محمـد أرســـلـــــه الإلـــــه.

يجمـــع كل هذه المعـــــاني **** كانت لذا علامـــة الإيمـــان[1].

وقوله أن الوجب في حقهم الصدق والأمانة في التبليغ يعني أنهم يبلغون وينبؤون الناس بما أوحاه الله لهم من العلم والدين، ولم يقل ليختاروا لهم من أنفسهم واجتهادهم وذكائهم واكتسابهم.

ومن المالكية أيضا نجد محمد السنوسي قد قرر القاعدة واعتبر النبوة وحي يجب الإيمان به بأنه من الله على رسله، وأن الوحي هو العلم الذي أوحى به ربنا عليهم لا اكتساب منهم وادراك فقال:" وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصدق والأمانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه —من الوحي– للخلق، ويستحيل في حقهم أضداد هذه الصفات وهي الكذب والخيانة ...وكتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق...لأنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: **صدق عبدي في كل ما يبلغ عني؛ أي: من الوحي**".[2]؛ فتبين من كلام السنوسي أن الإيمان بالرسل يستلزم أن الايمان بأن النبوة وحي من الله وبلاغ للناس على مراد الله وتوجيه منه ووحي.

وقال أيضا شارح السنوسية الكبرى السنوسي التلمساني، ما يوضح فيه استحالة كون النبوة اكتساب بشري ولا اجتهاد انساني بل فضل وفيض من الله على من اجتبى من عباده فقال في شرحه:" وليست النبوة صفة ذاتية للنبي كما إليه الكرامية ولا مكتسبة كما صار إليه الفلاسفة فإنهم يرون التزكية والتحلية

[1] – ابن عاشر، متون العقيدة والتوحيد، جمع وضبط: محمد بزواوي، ط1، دار مدني، 1385هـ/ 2003م، ص51.

[2] – السنوسي؛ العقيدة السنوسية، المصدر السابق، ص9.

صقلا فيه مرآة النفس إلى أن تهيأ لما لا يتهيأ إدراكه غيره... وإنما مرجع النبوة إلى اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه، فالنبوة عندنا هي اختصاص بسماع وحي من الله...[1]

وذكر صاحب جوهرة التوحيد القاعدة صريحة وبينة وأكد أن النبوة وحي من الله يتفضل به الله عز وجل على من يشاء من عباده فقال:

ومنه إرسال جميع الرسـل **** فلا وجوب بل بمحض الفضل

لكن بذا إيماننا قد وجبـا **** فدع هوى قوم بهم قـد لعبا

ومثل ذا تبليغهم لما أتـوا ** ويستحيل ضدها كمـا رووا**

ولم تكن نبـوة مكتسبة ** ولو رقى في الخير أعلى عقبة**

بل ذاك فضل الله يؤته لمن ** يشاء جل الله واهب المنـن.[2]**

فالأبيات واضحة فيها القاعدة وصريحة وبالخصوص قوله:(ولم تكن نبوة مكتسبة **** ولو رقى في الخير أعلى عقبة)، وقوله:(بل ذاك فضل الله يؤته لمن **** يشاء جل الله واهب المنن)؛ أي: النبوة ليس اكتساب واجتهاد يدركه العقل البشري مهما بلغ من القوة والقدرة والذكاء والشرف؛ لا هي منة من الله يتفضل بها الله على من يشاء من عباده.

وذكر صاحب الخريدة في صدد تقريره لعقيدة الايمان بالرسل ما يشير إلى القاعدة، وإلى كونها تبليغ لمراد الله ووحي منه على رسله فقال:

وصف جميع الرسل بالأمانة ** والصدق والتبليغ والفطانة.**

ويستحيل ضدها عليهـم ** وجائز كالأكل في حقهـم.**

إرسالهم تفضل ورحمـة ** للعالمين جل مولى النعمـة.[3]**

---

[1] – السنوسي التلمساني؛ شرح السنوسية الكبرى، تحقيق: أبو أحمد بلكرد بوعكبر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 1431هـ/ 2011م، ص528.

[2] – اللقاني؛ جوهرة التوحيد، المصدر السابق، ص35.

[3] – أحمد بن محمد الدريدر؛ متن الخريدة البهية في العقائد التوحيدية، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص43.

فهم صادقون أمناء في تبليغ ما يوحيه الله إليهم، فلما تفضل الله على عباده بإرسال الرسل فهو تفضل عليهم بالوحي، وإنزال الكتب التي بمقتضاها ما يريده من أخبار وأحكام يجب الإيمان بها والتسليم بصدقها لصدق مبلغيها ولكمال الايمان بصدق من أخبر أنهم صادقون سبحانه عز وجل.

وقال أحمد المقري المغاربي في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، ما تتأكد به القاعدة وأن: النبوة وحي من الله ليبلغوه لعباده، حيث بين أن الإيمان بالنبوة شرط لا مفك منه وأن الغاية من ارسالهم هي تبليغ ما يوحيه الله إليهم من أخبار وأحكام، وأن الكفر بالنبوة سقوط في هوة الكفر وفساد الدين والمعتقد فقال:

وبعثة الرسل إلينا جـائزه ** في حقه وكل خير حائزه**

كي يبلغونا أمره ونهيـــه **** **فمن أجابهم غدا ذا نهيه**

ومن أبى فساقط في هـوه **** وما بكسب تُدرك النبوة[1].

فيفهم من كلامه أن أصل بعثة الأنبياء هو لغاية تبليغ ما يوحى إليهم، فلما هم أنبيا ورسل من الله فما يقولونه من أمر بالعبادات ونهي عن المحرمات هو وحي من الله.

ومن المالكية أيضا الطاهر بن عاشور حيث قال في تفسيره:" هذا الوحي يوحي الله إليك، فالمشار إليه: الإيحاء المأخوذ من فعل يوحي.

وأما في قوله: وإلى الذين من قبلك فإدماج. والتشبيه بالنسبة إليه على أصله، أي مثل وحيه إليك وحيه إلى الذين من قبلك، فالتشبيه مستعمل في كلتا طريقتيه كما يستعمل المشترك في معنييه. والغرض من التشبيه إثبات التسوية، أي ليس وحي الله إليك إلا على سنة وحيه إلى الرسل من قبلك، فليس وحيه إلى الرسل من قبلك بأوضح من وحيه إليك.

وهذا كقوله تعالى: إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده (الآية)، أي **ما جاء به من الوحي إن هو إلا مثل ما جاءت به الرسل السابقون، فما إعراض قومه عنه إلا كإعراض الأمم السالفة عما جاءت به**"[2]، كم ذكر ما يقرر القاعدة وقال في موضوع آخر:" **أهم غرض هذه السورة**

---

[1] – احمد المقري؛ اضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص93.

[2] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج25/ ص26.

إثبات كون القرآن وحيا من الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحي من قبله للرسل كان العود إلى ذلك من قبيل رد العجز على الصدر. فبين الله للمكذبين أن سنة الله في خطاب رسله لا تعدو ثلاثة أنحاء من الخطاب، منها ما جاء به القرآن فلم يكن ذلك بدعا مما جاءت به الرسل الأولون وما كان الله ليخاطب رسله على الأنحاء التي اقترحها المشركون على النبيء صلى الله عليه وسلم فجيء بصيغة حصر مفتتحة بصيغة الجحود المفيدة مبالغة النفي وهي وما كان لبشر أن يكلمه الله أي لم يتهيأ لأحد من الرسل أن يأتيه خطاب من الله بنوع من هذه الثلاثة، **ودل ذلك على انتفاء أن يكون إبلاغ مراد الله تعالى لأمم الرسل بغير أحد هذه الأنواع الثلاثة أعني خصوص نوع إرسال رسول** بدلالة فحوى الخطاب فإنه إذا كان الرسل لا يخاطبهم الله إلا بأحد هذه الأنحاء الثلاثة فالأمم أولى بأن لا يخاطبوا بغير ذلك من نحو ما سأله المشركون من رؤية الله يخاطبهم، أو مجيء الملائكة إليهم بل لا يتوجه إليهم خطاب الله إلا بواسطة رسول منهم يتلقى كلام الله بنحو من الأنحاء الثلاثة وهو مما يدخل في قوله: أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فإن الرسول يكون ملكا وهو الذي يبلغ الوحي إلى الرسل والأنبياء"[1]؛ النبوة أحكام يوحي بها الله إلى أنبيائه وهم يبلغونها بمقتضى ذلك الوحي وكما جاء من السماء وحيا، لا من عند أنفسهم ولا من اكتساب علومهم.

ومن أئمة المالكية الشنقيطي في أضواء البيان بين مفهوم القاعدة وأن الرسالة وحي من الله ولا يمكن أبدا أن تكون إلا وحيا منه فقال:" قد **أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك إلى رسله، على معنى أن الله** – تعالى – كرر هذه المعاني في القرآن، وفي جميع الكتب السماوية، لما فيها من التنبيه البليغ، واللطف العظيم، لعباده من الأولين والآخرين"[2]؛ فكل الأنبياء يوحى إليهم من ربهم باختلاف أنواع وصور الوحي، فالوحي في جنس ممعناه من الله ولا يمكن أبدا أن يكون من الانسان اكتساب أو ادراك وتفكير.

وتقررت القاعدة في كلام ابن باديس الذي اعتبر البنوة منة من الله، واختار منه لمن يوحيها اليه من عبادة، لينشروها بين الناس ويعلمونهم دينهم الذي ارتضاه لهم فقال:" إنَّ الرب الحكيم جل جلاله، خلقنا لعبادته وفي عبادته كمالنا وسعادتنا، وعبادته بطاعته فيما أمرنا ونهانا واباح لنا، ولا يمكننا أن

---

[1] – المصدر نفسه، ج25/ ص141.

[2] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج7/ ص37.

نعرف ذلك إلا إذا بينه لنا؛ فاختار مناً وتفضلا منه ورحمة، **قوما فطرهم الله على الفضائل والكمالات، وعصمهم من الرذائل والنقائص، وهيأهم لملاقاة الملائكة الأطهار، ليتلقوا منهم وحي الله وبيانه لعباده**؛ فيبلغوا إليهم، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به، وهؤلاء هم الأنبياء والمرسلون"[1]، وقال الشارح محمد علي فركوس تعليقا على كلام عبد الحميد بن باديس:" فالرسالة أو النبوة –إذن– منحة إلهية وهبة خاصة لا تنال بمجرد التشهي والرغبة، ولا بالكسب والمجاهدة والمعاناة، وإنما هي لله وحده يهبها من أهَّله لها من عباده المؤمنين"[2]؛ فالعاقدة هنا صريحة وواضحة في كون النبوة هبة ربانية لا تكتسب بالمجاهدة والاجتهاد مهما بلغت عقول البشر من القوة والذكاء.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة:

- كون النبوة وحي من الله عز وجل فهي تحقق لنا يقنا بكل ما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن ذلك يستلزم صدق ما أخبروا به من جهة ووجوبه علينا من جهة ثانية.
- كون النبوة وحي يستلزم أنها واحدة وقد أخبرنا ربنا أن الدين واحد وهو الإسلام عند الله، وهذا من شأنه يقطع بذور التناحر والتنافر البشري إذا هم اجتمعوا على الوحي الذي مصدره واحد وهو الله رب العالمين –سبحانه وتعالى–
- تقرير القاعدة يمكن المؤمنين المسلمين اليوم من تقرير عقائدهم في جمل مختصرة وجامعة مانعة لا تتعب الحافظ تختصر له الوقت في تعلم دينه.
- تقرير القاعدة يجعلها جدار صد في قلوب الشباب المسلم وتمكنه من مواجهة التحديات المعاصرة وتمكنه من الثبات على عقيدته ودينه.
- تقرير القاعدة عامل عظيم في الحفاظ على الهوية للفرد وللأمة كذلك، ويمكنها من مواجهة الموجات المعادية التي تثيرها أطراف ملحدة ومعادية للدين، خصوصا من الانفتاح التقني والتكنلوجي على العالم، الذي ملأ الدنيا بأفكاره الملحدة والمادية الكافرة والخطيرة من خلال مواقع الانترنيت والمحطات السمعية والسمعية البصرية.

---

[1] – محمد على فركوس، تنوير التأسيس شرح أركان الإيمان العظام للإمام ابن باديس، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1438هـ/ 2017م، ص137.

[2] – المصدر نفسه، ص141.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: [الأنبياء بشر خصهم الله بالعصمة]:

المطلب الأول: تصور القاعدة:

هذه القاعدة تحتوي على معاني مهمة جدا فيها تقرير لمسألة ضروري جدا وهي بشرية الأنبياء من جهة واختصاصهم بالعصمة من جهة أخرى، فكونهم بشر يعني أنهم من بني آدم يقع لهم ما يقع لجميع البشر من الألم والجوع والمرض والرغبة والمحبة والخوف والحذر والأكل والشرب والنوم والتعب، والحاجة إلى الزواج والولد والمعين والناصر، وهذه الخصائص البشرية مهم جدا ذكرها وبيان السبب في الحاقها بالأنبياء وما في ذلك من الحكمة وهو: أن التسليم بهذه الخصائص، ينفي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خصائص الألوهية والربوبية، وهذا يسد ذريعة الشرك بالله بعبادتهم من جهة، كما يبطل فرية من يدعي أن الأنبياء أبناء الله أو خص البعض منهم بذلك، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1]؛ قال ابن جزي في بيان أنهم عباد وبشر وليسوا آلهة :" وقالوا اتخذ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن قولهم بل له الآية رد عليهم لأن الكل ملكه، والعبودية تنافي النبوة قانتون أي طائعون منقادون:"[2]

كما في القاعدة قضية العصمة وهي مهمة جدا لأنه يجب اعتقاد نزاهة الأنبياء والرسل من الكذب والتزوير والخيانة من أكبر أسباب قبول ما يقولنه وتصديقه والإيمان بكل ما جاؤوا به من ربهم، وأنه وحي من الله أن الذي ينقلونه لهم وحي يوحي من رب العالمين[3]، إذ من شروط قبول الأخبار النزاهة من الكذب وكل صفات وخوارم العدالة في المخبر، وعليه تكون عصمتهم ضرورة عقلية موافقة لما أخبرت به النصوص الشرعية.

---

[1] – سورة التوبة؛ الآية: 30.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، المرجع السابق، ج1/ ص95

[3] – القرطبي؛ التفسير، المرجع السابق، ج1/ ص308، 309، وينظر: عبد الرحمان الفاسي في خصائص الأنبياء، وما لا يجوز في حقهم مثل: كالضعف والجنون، قليله وكثيره، وما يخل بالمروءة كالحجامة، وكل ما يخل بحكمة البعثة من الخيانة والخور والبخل والضعف والمهانة، في، فتاوى علماء المالكية، ص340، وينظر: الدر الثمين، ص34، 35.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

القاعدة تتضمن قضيتان أساسيتان وهما: **أولا: بشرية الأنبياء:** الأنبياء خلقهم الله من طين كحال خلق العباد جميعا، وهم من ذرية آدم يصيبهم مثل ما يصيب جميع البشر فهم، يأكلون، ويشربون، وينسون، وينامون، ويمرضون، ويموتون؛ فهم كغيرهم من البشر لا يملكون شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من الأمر شيء؛ لا يملكون النفع والضر لأحد إلا ما شاء الله، ولا يملكون شيئاً من خزائن الله جل جلاله، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه؛ لكنهم قدوة البشر في الإيمان، والطاعة، والعبادة، والعمل الصالح، والخلق الحسن، **قَالَ تَعَالَى:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾** [1]، فتبين من الاية أن الله أمره أنه يخبر قومه أنه من البشر وأن ما طلبوه منه من شأن الله عز وجل، قل إنما علمها عند الله تأكيدا لكونه حصرا حقيقيا، وإبطالا لظن الذين يحسبون أن شأن الرسل أن يكونوا عالمين بكل مجهول، ومن ذلك وقت الساعة بالنسبة إلى أوقاتهم يستطيعون إعلام الناس فيستدلون بعدم علم الساعة على عدم صدق مدعي الرسالة، وهذا الاعتقاد ضلالة ملازمة للعقول الأفنة، فإنها تتوهم الحقائق على غير ما هي عليه، وتوقن بما يخيل إليها[2].

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما كان إلا بشرا من البشر يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه"[3]، ومن الأحاديث تظهر الطبيعة البشرية في الأنبياء فهم عليهم الصلاة والسلام ينسون، ويعيشون كالبشر في شؤون حياتهم اليومية.

ثانيا: عصمة الأنبياء: اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، وفي التبليغ عن رب العزة سبحانه وتعالى، ومعصومون من الوقوع في الكبائر.

قال ابن تيمية: وذكر الآيات الدالة على صدقهم وعصمتهم كثيرة ومتنوعة، وأن النبي الصادق خير الناس...والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام

---

[1] – سورة الأعراف؛ الآية: 188.

[2] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج9/ ص106.

[3] – أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم: 420.

وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول.[1] والدليل على وقوع الصغائر منهم مع عدم إقرارهم عليها :

قوله تعالى عن آدم :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2]،وهذا دليل على وقوع المعصية من آدم عليه الصلاة والسلام، وعدم إقراره عليها، مع توبته إلى الله منها، ومثل هذا معلوم مذكور في القرآن الكريم وفي مواضع عديدة.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

ا/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

1-آيات بشرية الأنبياء:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾[3]؛ قال ابن عطية في تفسيره :" هذه الآية تتضمن الرد على مستغربي إرسال الرسل من البشر كالطائفة التي قالت: أبعث الله بشرا رسولا، وكالطائفة التي اقترحت ملكا وغيرهما"[4].

قَالَ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[5].

---

[1] – تقي الدين أحمد بن تيمية؛ النبوات، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، ص124.

[2] – سورة طه؛ الآية: 121، 122.

[3] – سورة الأنبياء؛ الآية: 7، 8.

[4] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المرجع السابق، ج3/ ص286، ينظر: الطيبي؛ فتوح الغيب، ج9/ ص124، 125.والثعالبي؛ الجواهر الحسان، ج3/ ص419، 420.

[5] – سورة إبراهيم؛ الآية: 11.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [1]

وجه الاستدلال بالآيات:

كل الآيات فيها تصريح واضح وبلغة جلية لا تحتاج إلى تأويل ولا زيادة شرح، فيه أن الأنبياء من البشر، وأن ذلك ليس بدعة بل عين الحكمة الربانية، وذكر الله عز وجل فيها بعض الخصائص والصفات التي تؤكد بشريتهم، عدم الامتلاك للنفس نفعا ولا ضرا، وعدم القدر على اسماع الموتى، ولا حتى الصم، ولا هداية العمي، وأنهم أجساد يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، فكل هذا يثبت أن الأنبياء من البشر ويؤكد القاعدة، فلما كان عمار الأرض من البشر كان الأنسب ان يكون الرسل والأنبياء من البشر.

2-آيات تتعلق بعصمة الأنباء: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[2].

وجه الاستدلال بالآيات:

في هذه الآيات تنزيه للأنبياء من الافتراء على الله، وفيه بيان من الله وتقرير على أنهم معصومين من الكذب ومن اختلاق الأخبار والأحكام من قرارات أنفسهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

---

[1] – سورة الكهف؛ الآية: 110.

[2] – سورة يونس؛ الآية: 16، 17.

[3] – سورة يونس؛ الآية: 15.

وجه الاستدلال من الآية:

أخبر الله عز وجل في هذه الآية أن الدين من عنده وذكر على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، أنه من الله وأنه لا يمكن أن يغيره ولا يمكن أن يكون من عند نفسه، بل كل ما جاء به الأنبياء لأقوامهم وحي من الله بلغوه كما نزل عليهم من الله دون كذب أو تحريف أو خيانة أو تغير، وقد أقرهم الله عز وجل على ذلك وهذ دليل أنهم معصومون من الوقوع في مخالفة ما أمرهم به ومن الكذب والخيانة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[1].

وجه الاستدلال بالآية:

في الآية الكريمة تقرير صريح لعصمة الأنبياء، وأنها فضل من الله عز وجل على أنبيائه، وقد أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وأنه لولا فضله عليه بالعصمة والتثبيت لهمت طائفة من الناس ليضلوك عن سواء السبيل، فثبتت بها العصمة للأنبياء –عليهم الصلاة والسلام–

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

– عن أم سلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "**إنما أنا بشر مثلكم**، وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذ منه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار"[2]، وفي أن بشرية الأنبياء أمر قطعي صريح في القرآن والسنة، قال أحمد بن محمد بن عجيبة، وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ في الأمم السالفة إِلَّا رِجالًا بشرًا من جنس القوم الذين أُرسلوا إليهم لأن مقتضى الحكمة أن يُرسل البشر إلى البشر، والمَلَك إلى المَلَك"[3]

---

[1] – سورة النساء؛ الآية: 113.

[2] – أخرجه مالك بن أنس؛ رقم: 572. و البخاري، رقم: 2458، مسلم، رقم: 1713.

[3] – أحمد بن محمد بن عجيبة؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق، أحمد عبد الله القرشي، ط1، دون دار الطبع، القاهرة، 1419هـ، ج3/ ص445.

– عن أبي مسعود، قال: أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له: "هون عليك، فإني لست بملك، **إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد**"[1].

– عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-:" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما **أنا عبد الله ورسوله**"[2]

– حدثنا عثمان، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قال عبد الله صلى النبي صلى الله عليه وسلم – قال إبراهيم: لا أدري زاد أو نقص – فلما سلم قيل له: يا رسول الله، أحدث في الصلاة شيء؟ قال: «وما ذاك»، قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجليه، واستقبل القبلة، وسجد سجدتين، ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه، قال: «إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، **ولكن إنما أنا بشر مثلكم**، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته، فليتحر الصواب فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم يسجد سجدتين»[3]. فالأنبياء بشر، خصهم الله بالحي كما خصهم بالعصمة[4].

– عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**إنما أنا بشر**، وإني اشترطت على ربي عز وجل، أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته، أن يكون ذلك له زكاة وأجرا»[5].

وجه الاستدلال من الأحاديث:

كل الاحاديث التي رأينها تصب في مصب واحد، ويقصد من الاستدلال بها تقرير مسألة صريحة وواضحة قال بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها فيها، وهي كونه عليه الصلاة والسلام بشرا، وقد صرح بقوله عليه الصلاة والسلام بأنه بشر فكلها وقال: (إنما أنا بشر)، وقال: (إنما أنا أبن امرأة تأكل القديد)، وفي هذا أثبت بصريح قوله أنه من البشر، وأنه يمسه من الطبائع البشرية مثل جميع الناس.

---

[1] – أخرجه ابن ماجة؛ رقم: 3312. وهو حديث صحيح، ينظر: صحيح الجامع: 7052، والصحيحة: 1876

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 3445.

[3] – أخرجه البخاري؛ رقم 401. وأخرجه مسلم؛ رقم: 572.

[4] – محمد بن براهيم الملالي، شرح الملالي التلمساني على أم البراهين، تحقيق: محمد بسكر، ط1، دار كردادة للنشر والتوزيع، 1434هـ/ 2013م، ص149-151.

[5] – أخرجه مسلم؛ رقم: 2602.

2/ أحاديث عصمة الأنبياء:

–عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، **فالمعصوم من عصم الله تعالى** "[1].

وجه الاستدلال بالحديث: في الحديث تأكيد للقاعدة من وجهيها من وجه كون الأنبياء من البشر إذ جاء الحديث بصيغة العموم، ثم بين الخصوصية التي ميز الله بها الأنبياء وهي العصمة وهو الوجه الثاني في الحديث، فقال:(فالمعصوم من عصمه الله) وفي هذا إثبات للعصمة للأنبياء وللبشرية في نفس الوقت.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

بشرية الأنبياء حقيقة واقعية لا ينكرها عقل سليم ولا يجادل فيها عاقل، وقد توترت الأخبار على أنهم يشتركون مع البشر في خصائص كثيرة ومختلفة، فهم مثلهم يأكلون ويشربون وينامون ويجوعون ويعطشون ويمرضون ويتألمون ويخافون ويتزوجون ولهم أمهات ولهم أولاد أو لهم أموال ولهم زوجات وأصدقاء وأعداء فهم كالبشر في كل شيء، فليس فيهم من خصائص الطيور ولا الملائكة ولا الجن ولا الله – سبحانه وتعال–فلا يطرأ على عقل عاقل أي شك أو ريب في بشريتهم وأحسن دليل أنهم الآن أموات مثل البشر ولم يكونوا من الخالدين عليهم الصلاة والسلام، ومن الحكمة التي يؤكدها العقل ويقر بها، أن كون الأنبياء من البشر رحمة من الله تبعث للتآلف بين النبي وأقوامهم، ولما كان عمار الأرض من البشر، ينبغي أن يكون الأنبياء من جنسهم، ليمكنهم مخاطبتهم وفهم كلامهم وطبائعهم[2].

كما يؤكد العقل ضرورة عصمتهم، وذلك من أوجه مختلفة، لأن العصمة في حقهم ورحمة الله بهم، لثقل الدعوة أولا إذ لا يتحملها البشر العادي إلا أذا فضله الله وميزه بما يناسب ثقل الرسالة، فلا يحمل الله نفسا إلا طاقتها، كما أن العصمة فسحة للأنبياء من جهة ولأقوامهم من جهة أخرى، فبثبوت عصمتهم يستسلم الناس لهم بالقبول وعدم الشك أو الخوف منهم، وأنت ترى الناس يقبلون الخبر ممن

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 7198.

[2] – القرطبي؛ الشفا، ج2/ ص109، وينظر: رسلان أبو عبد الله محمد بن سعيد؛ شرح مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي، ط1، دار أضواء السلف ودار الفرقان، القاهرة، مصر، 1431هـ/ 2010م، ص296، 297.

ثبت أمانته وصدقه، ويتقبلونها برحب الصدور وفسحة النفوس، فكيف بالأنبياء فالواجب في حقهم العصمة من كل ما قد يقود إلى الشك في ما يأتون به من ربهم لأقوامهم، فهم أمناء صادقون منزهون، لا يخونون ولا يكذبون ولا يخدعون، بل يبلغون ما أمرهم الله به بصدق وأمانة، كما أنهم أول الناس التزاما بما يأمرون الناس وبما يعلمونهم من احكام دينهم، فتك>يبهم كفر كما فعل أعداء الأنبياء من قبل كذبوا الرسل وحاربوهم، . وقال علاء الدين الخازن ما يفيد تقرر القاعدة وثبوتها عن المالكية:" فقال تعالى مخبرا عنهم هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يعني أنهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر لأن الإنسان إلى القبول من أشكاله أقرب"[1].

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

ومن أعلام المالكية الذين نجد في كلامهما تقريرا لقاعدة عصمة الأنبياء من الكبائر وسلامتهم مما يخل في عدالة تبليغهم ابن عبد البر حيث نقل عنه ذلك في مواضع كثيرة ومنها قوله:" ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكفر عنه إلا الصغائر من الذنب؛ لأنه لم يأت قط كبيرة لا هو ولا أحد من أنبياء الله جل جلاله، **لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم**"[2].

قال ابن عطية: "وقوله وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا رد على فرقة منهم **كانوا يستبعدون أن يبعث الله من البشر رسولا يشف على نوعه من البشر بهذا القدر من الفضل، فمثل الله تعالى في الرد عليهم بمن سبق من الرسل من البشر**"[3]

وقال ابن جزي ما يفيد القاعدة ويقررها في تفسيره :" وما أرسلنا قبلك إلا رجالا رد على قولهم: هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى أن الرسل المتقدمين [كانوا] رجالا من البشر، فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا أهل الذكر يعني: **أحبار أهل الكتاب وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، ولا يأكلون الطعام صفة لجسد**، وفي الآية رد على قولهم: مال هذا الرسول يأكل الطعام"[4].

---

[1] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج3/ ص220.

[2] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج3/ ص266.

[3] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج4/ ص75.

[4] – ابن جزي؛ التسهيل؛ المصدر السابق، ج2/ ص19.

قال ابن أبي زمنين في تقرير القاعدة وبيان أن الأنبياء من البشر، ولهم صفات البشر فهم يأكلون ويشربون ويفعلون كل ما فطر الله به البشر من السنن الكونية:" {وما جعلناهم جسدا} يعني: النبيين {لا يأكلون الطعام} أي: ولكن **جعلناهم جسدا يأكلون الطعام**؛ قال هذا لقول المشركين {ما لهذا الرسول يأكل الطعام}. {وما كانوا خالدين} في الدنيا لا يموتون؛ قال محمد: قوله: {جسدا} هو واحد ينبئ عن جماعة؛ المعنى: **وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي أجساد لا تأكل الطعام ولا تموت؛ فنجعله كذلك**"[1].

وفي بيان بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام قال ابن عرفة ما يفيد ذلك ويؤكده:" من شرط الرسالة نفي المانع منها ووجوب المقتضي لها؛ فقال: الكفار ادعوا وجود المانع من الرسالة، وهو وصف البشرية بقولهم: (هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)؟ فطلبوا إثبات المقتضي لها بقولهم: (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) فرد عليهم في دعواهم وجود المانع؛ بقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ) **إشارة إلى أن الرسل المتقدمة من البشر، فهم من جنسها**"[2]

وقال القرطبي في تفسير (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) هذا رد عليهم في قولهم:" هل هذا إلا بشر مثلكم" وتأنيس لنبيه صلى الله عليه وسلم، **أي لم يرسل قبلك إلا رجالا**... لما نزلت هذه الآية قال علي رضي الله عنه نحن أهل الذكر: **وقد ثبت بالتواتر أن الرسل كانوا من البشر**، فالمعنى لا تبدؤوا بالإنكار وبقولكم ينبغي أن يكون الرسول من الملائكة، بل ناظروا المؤمنين ليبينوا لكم جواز أن يكون الرسول من البشر: والملك لا يسمى رجلا"[3].

وذكر المالكي أحمد بن محمد بن عجيبة، في تفسيره البحر المديد ما تقتضيه **القاعدة وتتضمنه من معاني بشرية الأنبياء فقال:" وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ في الأمم السالفة إِلَّا رِجالًا بشرًا من جنس القوم الذين أُرسلوا إليهم لأن مقتضى الحكمة أن يُرسل البشر إلى البشر، والملَك إلى الملَك**"[4]

---

[1] – ابن أبي زمنين؛ تفسير القرآن العزيز، المصدر السابق، ج3/ ص141.

[2] – ابن عرفة؛ تفسير ابن عرفة، المصدر السابق، ج3/ ص160.

[3] – القرطبي؛ التفسير الجامع ، المصدر السابق، ج11/ ص271، 272.

[4] – أحمد بن محمد بن عجيبة؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق، أحمد عبد الله القرشي، ط1، دون دار الطبع، القاهرة، 1419هـ، ج3/ ص445.

ونقل لنا الشوكاني ما ينص على القاعدة ويقرره ما فيها من مسائل عقدية في كون الرسل من البشر ولو كانوا من الملائكة لأرسلهم الله إلى الملائكة فقال:" وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم أي: **لم نرسل قبلك إلى الأمم السابقة إلا رجالا من البشر، ولم نرسل إليهم ملائكة**، كما قال سبحانه: قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وجملة «نوحي إليهم» مستأنفة لبيان كيفية الإرسال... ثم لما فرغ سبحانه من الجواب عن شبهتهم **أكد كون الرسل من جنس البشر** فقال: وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أي: أن الرسل أسوة لسائر أفراد بني آدم في حكم الطبيعة، يأكلون كما يأكلون، ويشربون كما يشربون، والجسد جسم الإنسان. "[1]

وقال الزجاج في بيان الطبيعة البشرية للأنبياء:" هو واحد، يعني الجسد ينبئ عن جماعة، أي: وما جعلناهم ذوي أجساد لا يأكلون الطعام، فجملة «لا يأكلون الطعام» صفة ل «جسدا»، أي: **وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل، بل هو محتاج إلى ذلك وما كانوا خالدين بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر**، وقد كانوا يعتقدون أن الرسل لا يموتون، فأجاب الله عليهم بهذا"[2].

ومن المالكية الذين جاء التصريح منهم جلي بالقاعدة محمد بن براهيم الملالي[3]، في شرحه على أم البراهين، المعروفة بالسنوسية الصغرى، فأكد أن الأنبياء بشر وتجوز فيهم كل الصفات البشرية الكونية التي لا تنقص قدر نبوتهم، وانهم مع ذلك نالوا العصمة من الله فقال:" **كل صفة بشرية ليس فيها نقص عند الله، فإنها لا تستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام، بل هي جائزة** كالنوم، والمرض، والجوع، والقتل، والأكل والشرب، والبيع والشراء، وغير ذلك من الأعراض التي تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية...كل ذلك دليل جوازها من غير استحالة، لأنها لا تقدح مراتبهم العلية، ولا يُتركوا الطاعة

[1] – الشوكاني؛ فتح القدير، المصدر السابق، ج3/ ص471.

[2] – الشوكاني؛ فتح القدير، المصدر السابق، ج3/ ص 472.

[3] – محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي، أبو عبد الله الملالي: فاضل نسبته إلى بني ملال بالمغرب، كان من تلاميذ محمد ابن يوسف السنوسي التلمساني من كتبه:" المواهب القدوسية في المناقب السنوسية " " شرح العقيدة الصغرى للسنوسي "، توفي: 898 هـ. ينظر: الأعلام ج5/ص 301.

بسببها..."[1]؛ فالصافات البشرية في الأنبياء ثابتة وأكيدة ولا يعني وجودها فيهم النقص في الهيئة ولا القدح في النبوة.

وقال الطاهر بن عاشور مقررا لقاعدة بشرية الأنبياء:" والمقصود من هذا إبطال مقصودهم من قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم " إذا أرادوا أنه ليس بأهل للامتياز عنهم بالرسالة عن الله تعالى، فبين خطأهم في استدلالهم بأن **الرسل الأولين الذين اعترفوا برسالتهم ما كانوا إلا بشرا وأن الرسالة ليست إلا وحيا من الله لمن اختاره من البشر**"[2].

أكد القاعدة محمد القاسمي[3] في محاسن التأويل أن حكمة الله عز وجل في أن يكون الرسل والأنبياء من البشر لا من الملائكة فقال:" وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم أي لا ملائكة. وقرئ بالياء وفتح الحاء فسئلوا أهل الذكر أي العلماء بالتوراة والإنجيل **إن كنتم لا تعلمون أي أن الرسل بشر، فيعلموكم إن المرسلين لم يكونوا ملائكة**"[4].

وقال في موضع آخر من تفسيره للآية الحدية عشر من سورة إبراهيم:" **قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم** ولكن الله يمن على من يشاء من عباده"[5]؛ فاعتراف الأنبياء ببشريتهم فيه أنس لهم ومؤانسة لأن الاشتراك في الطبيعة البشرية يجعل النبوة أقرب للقبول، ويمنع حجة عدم القدرة على الالتزام بما يقوله الأنبياء بحجة الاختلاف في الطبيعة.

---

[1] – محمد بن براهيم الملالي، شرح الملالي التلمساني على أم البراهين، تحقيق: محمد بسكر، ط1، دار كردادة للنشر والتوزيع، 1434هـ/ 2013م، ص149-151.

[2] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج17/ ص18.

[3] – جمال الدين "أو محمد جمال الدين " بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. من كتبه: "صلاح المساجد من البدع والعوائد " و "تعطير المشام في مآثر دمشق الشام "و"قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث " و "محاسن التأويل "، توفي: 1332 هـ، ينظر: جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح، شيخ الشام جمال الدين القاسمي.

[4] – محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، ج7/ ص178.

[5] – المصدر نفسه، ج6/ ص305.

وقال أبي زهرة[1] في زهرة التفاسير ما يفيد ثبوت القاعدة مبينا أن حكمة الله عز وجل في الأنبياء أن جعلهم من البشر ولو كان على الأرض ملائكة يمشون لجعلهم من الملائكة فقال:" فسنة الله تعالى أن يرسل رسله من البشر، ليأنس بهم المدعون، وليأتلفوا...معهم، ولأن الملك لَا يمكن أن يخاطب البشر إلا إذا صار كالرجل"[2].

ومما يؤكد قاعدة بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام ما في متن السنوسية حيث قال معرضا للأدلة التي تثبت الأعراض البشرية في الأنبياء وأنهم من البشر وأن الله قد عصمهم من الكذب والخيانة في التبليغ وتعليم الناس ما أمرهم به من الدين:" وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصدق والأمانة وتبليغ ما أُمروا بتبليغه... ويستحيل في حقهم أضداد هذه الصفات وهي الكذب والخيانة... وأما دليل جواز الأعراض البشرية عليهم فمشاهدة وقوعها بهم إما لتعظيم أجورهم أو للتشريع أو للتسلي عن الدنيا أو للتنبيه لخسة قدرها عند الله تعالى وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه باعتبار أحوالهم فيها عليهم الصلاة والسلام[3]؛ يفهم من كلامه أن النبوة لما هي سبب وصول ما أراده الله من الدين إلى عباده فيجب أن نعلم أن حكمة الله تقتضي أن يكون النبي معصوم من الكذب والخطأ في تبليغها للناس ولو كان من البشر وتمسه الطبائع البشرية التي فطر اللهُ الناسَ عليها.

وقرر برهان الدين اللقاني في جوهرة التوحيد ما يفيد ثبوت القاعدة عن المالكية، وصرح بأن الأنبياء تجب فيهم العصمة عن الكذب والتزوير والخيانة، رغم كونهم من البشر يتزوجون ويأكلون ويشربون فقال:

وواجب في حقهم الأمانة ** وصدقهم وضف له الفطانة**

ومثل ما تبليغهم لما أتـوا ** ويستحيل ضدها كمـا رووا**

وجائز في حقهم كالأكـل ** وكالجماع للنساء والحـــل[4].**

---

[1] – محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره.من كتبه: "الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية" و "مذكرات في الوقف"، توفي: 1394 هـ. ينظر: الأعلام ج6/ص 26..

[2] – محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، ط1، دار الفكر العربي، دون سنة الطبع، ج9/ ص4833.

[3] – السنوسي؛ متن السنوسية، سلسلة العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص9.

[4] – اللقاني؛ الجوهرة في التوحيد، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص35.

فمن البيت الأول والثاني هنا يقرر أن الأنبياء ثابتة في حقهم العصمة في تبليغ ما أمرهم الله به من الدين للناس، لامتيازهم بالصدق والأمانة والفطانة ولاستحالة الخيانة والكذب والغباوة؛ أما في البيت الثالث فقرر أنهم من البشر وتصيبهم نفس الأعراض التي يعيشها جميع البشر.

وذكر صاحب الخريدة في قصيدته ما يؤكد ثبوت العصمة للأنبياء في نقل الدين والحي للناس كما جاء إليهم من الله دون كذب أو خيانة أو تزوير فقال:

وإنَّ الأنبياء لفي أمان ** عن العصيان عمدا وانعزال**[1].

كما قرر القاعدة المقري المغربي في اضاءة الدجنة وذكر أن النبوة تستلزم عصمة الأنبياء وصدقهم ومجانبتهم للمعاصي، وهم في نفس الوقت بشر تتخللهم الأعراض البشرية فقال:

وواجب أمانة أي عصمـــــة ** للرسل جل قدرهم عن وصمـه**

ويستحيل منهم ارتكــاب ذي **** نهي وقول ذي الضلالة انبـــذي

فتقرر هنا أن الأنبياء تجب لهم العصمة ويستحيل ما يخرمها من الأقوال والأفعال.

ثم قال أيضا:

وغير قادح من الأعراض ** في حقهم يجوز كـالأمراض**

للأجر والتشريع والتخلي ** عن زهرة الدنيا أو التسلي**[2].

فتقرر هنا أن الأعراض البشرية واردة في حق الأنبياء وليس في ذلك قدح أو تنقص في قدرهم بل حكمة من الله عز وجل من أجل مضاعفة أجورهم، ومن أجل التشريع للناس، ومن أجل ان يعلموا ويعلم أتباعهم حقارة الدنيا.

وقال شارح أم البراهين في تقرير عصمة الأنبياء في تبليغ الرسالة ومن الوقوع في ما يخالف ما أمروا الناس به من أحكام شرعية أو مقضى الأخبار الغيبية:" **دليل حفظ الرسل عليهم الصلاة والسلام من**

[1] – محمد الدردير؛ الخريدة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص46.

[2] – أحمد المقري، إضاءة الدجنة، متون العقيدة والتوحيد، ص93، 94.

فعل ما نهى الله عنه أنهم لو وقعت منهم خيانة في فعل محرم أو مكروه، لزم أن كون ذلك الفعل طاعة، لأنه تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم، ولا يأمر الله بمحرم ولا مكروه... **وأمرنا الله باتباعهم، وما ذلك إلا من عصمتهم من المحرمات والمكروهات**، ولا يقع منهم إلا ما هو واجب أو سنة أو مباح"[1].

يفهم من كلامه أن عصمة الأنبياء ضرورة يجب الإيمان بها لأن الله أمرنا بطاعتهم والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم، وذلك لأنه يعلم أنهم لا يفعلون إلى ما أمرهم به ولا يخالفونه أبدا، ولا يكون ذلك لهم —وهم بشر– إلا إذا عصمهم من الوقوع في خلاف ما أمرهم به ونهاهم عنه

وقال ابن باديس مقررا القاعدة، ومبينا أن الأنبياء هم أكمل صور الكمال البشري وأفضل الخلق، وهم مع ذلك لا يملكون خصائص الألوهية، ولا هم من الملائكة فقال:" **والرسل وهم حجة الله وشهوده من خلقه، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه...وهم العدول الأمناء الصادقون** ..."[2]؛ وقال الشارح لقول عبد الحميد بن باديس موضحا لكلامه ومشخصا للقاعدة:" فالأنبياء والرسل —إذن–هم **النموذج المثالي للكمال البشر في الطهر والنزاعة والقداسة**، وهم الأمناء والعدول الصادقون..."[3]، فهذا الكلام يؤكد أن الأنبياء من البشر لكنهم أفضل وارقى البشر خلقا وخلقة وعلما وصدقا وبالغا وشرفا.

وقرر أيضا ابن باديس في موضع آخر ما يفيد عصمة الأنبياء رغم بشريتهم فقال في وصفهم:"... **قوما فطرهم الله على الفضائل والكمالات، وعصمهم من الرذائل والنقائص**..."[4]؛ فعلق الشارح على كلام الشيخ فقال:" فقد بين المصنف –رحمه الله– معتقد أهل السنة والجماعة تجاه الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم —في باب العصمة– بأنه يجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر، وأما الصغائر فقد تقع منهم بمقتضى بشريّتهم...وهذه العصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة للأنبياء والرسل، وهي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة، فلا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق..."[5].

---

[1] – الملالي محمد بن إبراهيم بن عمر؛ شرح أم البراهين،ط1، دار كردادة، الجزائر، 1434هـ/2013م.، ص149.

[2] – محمد علي فركوس؛ تنوير التأسيس، المصدر السابق، ص154.

[3] – المصدر نفسه، ص159.

[4] – المصدر نفسه، ص 138.

[5] – محمد علي فركوس؛ تنوير التأسيس، المصدر السابق، ص 199، 200.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

قاعدة بشرية الأنبياء وأن الله خصهم بالعصمة قاعدة لها فوائد عظيمة في عقيدة المؤمن من جهة وفي استقرار حالته الإيمانية باعتبار ما فيها من بيان لبعض الأمور المشتركة بين الأنبياء وأدعيائهم كالطبيعة البشرية، وبيان لبعض الخصائص التي ميز بها الله أنبيائه ليكونوا بها مستحقين للنبوة وهي العصمة من مخالفة ما جاؤوا به من أمور الدين ومن الوقوع في الفحش وكبائر الذنوب ونذكر منها:

1-**فوائد الالتزام بالقاعدة على نفس المؤمنين:** والمقصود هنا أثرها الإيجابي على الحياة النفسية واستقرارها على قبول الإيمان والاذعان لكل أومر الدين بما لها من تأثير في استقرار الأنفس واستقرارها وطمأنينتها ومنها:

- بشرية الأنبياء تسبب الإحساس بالقرب بين الأنبياء وأدعيائهم من جهة كونهم من جنس واحد، فهو مدعاة للشعور المتبادل، ومجلبة للألفة والقبول والتجاذب بينهم.
- كون الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-من البشر يحقق فيهم الشعور بالضعف الذي يتملك الإنسان ويتحكم فيه، وذلك يؤكد في نفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورة اللطف والرحمة بأدعيائهم واعتبار ضعفهم عذرا يجب الأخذ به في الدعوة.
- كون الأنبياء من البشر يؤكد وجوب قبول دعوتهم، وذلك لكون ما جاؤوا به من الوحي يستحيل على العقل البشري أن يصل إليه، كأخبار الغيب ودقائق العلوم، وقوة الصبر والأخلاق وغيرها، فيكون ذلك تأكيد على أنهم مبعوثون من الله عز وجل-إذ لا يمكن أن يكون ما يقولونه من تلقاء أنفسهم.
- كون الأنبياء —عليهم الصلاة والسلام-من البشر يُمَكِّن من قبول دعوتهم بصورة أسرع وأشد لأن الكتب التي جاء بها الأنبياء تؤكد أنها مستحيل أن تكون من البشر، بل من الله العليم الحكيم، كما أن المعجزة تكون معجزة إذا كانت خارقة للطبيعة العامة والبشرية، فإذا كانت في غير الأنبياء قد يجد المعاندون لها تأويلا على أنها من قدرات غير البشر، ولما كانوا من البشر عليهم الصلاة والسلام، كان للمعجزة أثر إيماني عظيم في نفوس الناس.

- كون الأنبياء من البشر يمكن الوحدة الاجتماعية والإنسانية لأنهم من نفس جنس جميع الناس، وذلك يجعل للبشرية شبابا في التقارب والتجاذب وتجنب التنافر والعداء، إذا هم اجتمعوا على دعوة الأنبياء الواحدة والموحدة، من أول رسول، إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليهم وسلم جميعا.
- كون الأنبياء معصومين من مخالفة أمر الله ومن الخيانة والكذب وكل الكبائر يتحقق من هذا الطمأنينة في قلوب المؤمنين تجاههم، فيتقبلوا ما جاؤوا به من النور ومن العلم المبين، ويؤمنون بهم.
- كون الأنبياء معصومين يجعل كل أفعالهم وأقوالهم تشريع رباني –إلا ما ثبت تخصيصهم به–وهذا من أعظم أساليب الدعوة والتي تقوم على القدوة الحسنة.

أثر القاعدة في حفظ العقيدة:

للقاعد آثار عظيمة على العقيدة، إذ الالتزام بها من شأنه تقوية ساعد المؤمن جهة في عقيدته، ويحفظ العقيدة من جهة أخرى فتقرير القاعدة علميا يحفظ القاعدة وعمليا يمكنها من الاستمرار والثبات في وجه التحديات التي تفرضها الشبهات المعاصرة في وجه العقيدة الإسلامية ونذكر من الفوائد بعضها:

- تقرير العقيدة بأن الأنبياء من البشر يبطل شبهات عظيمة وخطيرة منها كون الأنبياء دعاة أيدولوجية خاصة وكتبهم كتب بشرية.
- تقرير القاعدة يثبت في المؤمنين هويتهم الدينية ويمنع سهام الشبهات والفلسفات الالحادية من إصابة مقاتلهم بما يبثونه من شبهات حول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقولهم وأن دعوتهم دعوة ميثافيزيقية لا نحتاجها الآن في عصر العلوم.
- تقرير القاعدة وأن الأنبياء معصومون، يثبت العقيدة في قلوب المؤمنين ويغلق عليهم أبواب الشك الريب الذي يغذيه الشك العقلي المغرض، وشبهات الملحدين والماديين وأعداء الدين، ويجعلهم في حصن من رياحها العاتية التي لا تعرف الهدوء.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: [الأنبياء رحمة من الله بعباده في الدنيا وحجة عليهم يوم القيامة]:

المطلب الأول: تصور القاعدة:

رأينا في القواعد السابقة أنَّ النبوة منة من الله ووحي يختص به من يشاء من عباده الذين خصهم بالمؤهلات والقدرات النفسية والعقلية والجسدية القابلة لأداء وظيفة النبوة وايصال الرسالة على أحسن وجه باعتبارهم أحسن نموذج على الكمال الإنساني، وعلمنا أنهم بشر من الناس يتشاركون معه في الصفات الإنسانية فهم يأكلون ويشربون وينامون ويمرضون ويموتون ويتزوجون ويفرحون ويتألمون وغيرها من الصفات الإنسانية التي تدل على الحاجة والافتقار والنقص والضعف والخضوع لله المختص بصفات الكمال كم رأينا أيضا في قواعد الالهيات، ومن الله عليهم بالعصمة في تبليغ الرسالة وبالأمانة والصدق وعدم الخيانة والكذب والغلط فيها، كما عصمهم من الوقوع في كبائر المعاصي، إذ عظيم الأمانة تستوجب من الناس أكملهم صفات من جهة وزيادة على ذلك العصمة والنصر والتوفيق من الله بالكتب والمعجزات والخوارق الدالة على نبوتهم والمثبتة لهم في طريق الدعوة الشاق والذي لا تتحمله القوى والقدرات البشرية العادية.

وكل هذا الذي ذكرناه الآن يدل على رحمة الله بعباده ويدل أيضا على مدي عظيم عنايته بعباده، فالله عز وجل خلقنا ولم يتركنا هملا كالبهائم بل بين لنا الغاية من خلقنا، ومن اجل ذلك بعث الرسل وأنزل الكتب بيانا للناس ورحمة بهم، فلولا بعثت الرسل لكنا كالبهائم يقتل بعضنا بعضا، ولما عرفت البشرية لجنسها استقرارا ولا لأخلاقها قرارا، فبرحمة من الله جاء الأنبياء للناس بالبينات والأدلة الساطعات على أصل الغاية من خلقتهم وهي العبادة وتوحيد الله عز وجل، وبينت لهم أفضل الطرق وأحسن المناهج التي يتحقق بها الاستخلاف الناجح والسعيد لبني آدم في الأرض، ورسمت لهم طريق السعادة في الدنيا والآخرة والفوز بجنات النعيم والفضل العميم المقيم، تفضلا منه عز وجل على عباده ورحمة.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

القاعدة في ظاهرها واضحة المعنى وهي تجمع لنا قضية قيمة النبوة ووظيفتها وأثرها في حياة الانسان العقدية في الدنيا والآخرة فهي من جهة رحمة من الله بالعباد من باب كون بعثة الأنبياء غايتها البيان للناس والترغيب في الخير والترهيب من مغبة الشر والوقوع فيه، وهي من جهة أخرى تدل على أن

ذلك البيان بقدر ما هو دليل على رحمة الله بعباده ومنه وفضله عليهم فهي حجة له عليهم يوم القيامة، إذ الأنبياء في الدنيا مخلصين للناس ومعلمين، وهم في الآخر شهود لله على الناس وحجة عليهم.

والرحمة، صفة من صفات الله تعالى وخلق لا يستغنى الناس عنه في حياتهم وتعاملاتهم، ولولا هذه الصفة في الله تعالى ما ترك على ظهر الأرض من دابة ولن تسكن الأرض من غير تراحم من يعيش عليها من الإنس. فالرحمة خلق تحتاجه النفس وتحتاجه الحياة. الرحمة في الله تعالى مِنَّة مِنْه تعالى وتفضل وإحسان وتعطف وتلطف بالخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1] ؛ فمن مظاهر رحمة الله تعالى أن أخر لهم العذاب وجعل لهم فرصة للتوبة، وجمع بين الغنى والرحمة، ومن ثم فجمال غنى الإنسان هو في كونه رحيماً.

وإرسال الرسل من أعظم مظاهر رحمة الله بعباده[2]؛ فقد وسعت رحمة الله تعالى كلّ شيءٍ وقد كانت أوّلها إرسال الرسل والأنبياء لدعوة الناس إلى طريق الحقّ وتوضيحه لهم ليفوزوا بالجنة، فالله تعالى لا يريد أن يعذّب عباده، ولو أراد إدخالهم جميعاً إلى نار جهنم فلن يمنعه شيء، وإنّما يعطيهم الكثير من الفرص والإرشادات التي تعينهم في كسب الحسنات، ففتَح لهم باب التوبة لتكون فرصةً لكلّ مسيءٍ، كما وضّح النبي صلى الله عليه وسلّم بأنّه لولا رحمة الله تعالى بعباده لما دخل أحدهم الجنة على الرغم من أعمالهم الصالحة؛ لأنّه أراد عزّ وجلّ مكافأة النِعم التي أنعمها عليهم لما ساوت جميع أعماله نعمة البصر وحدها، ولم تقتصر رحمة الله تعالى بعباده بما منحه إياهم وما أعطاهم وإنّما بما حرّم عليهم أيضاً، فلم يحرّم الله تعالى عليهم إلّا وبهذا التحريم الكثير من الفوائد التي تحمي العباد، فكلّما تقدّم العِلم أثبت أنّ ما هو ممنوعٌ عن المسلمين فيه خيرٌ لهم ومنفعةً وفائدةً[3].

---

[1] – سورة الكهف؛ الآية: 58.

[2] – أبو عمر الداني؛ الراسلة الوافية، المرجع السابق، ص236، وينظر: سعيد رسلان؛ شرح مذكرة التوحيد، المصدر السابق، ص298.

[3] – https://mawdoo3.com/

2/ النبوة حجة لله على الناس، وأنهم شهود عليهم:

الحجة تقوم على غير المسلم إذا بلغته دعوة الإسلام بطريقة يتمكن من فهمها، لا يحول بينه وبينها حائل، قال ابن حزم في (الإحكام): كل ما قلنا فيه إنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة عليه، فهو ما لم تقم عليه الحجة معذور مأجور وإن كان مخطئا، وصفة قيام الحجة عليه هو أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها.

شروط تحقق الحجة:

لا تقوم الحجة إلا بتحقق شروطه وقد تكلم عن ذلك العلماء وطال كلامهم وتفصيلهم في؛ وأصل كل ذلك ومبدؤه الإسلام، فلا بد من التمكن من العلم برسالة الإسلام ليتحقق قيام الحجة

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (طريق الهجرتين) بعد كلامه عن الطبقة السابعة عشر من مراتب المكلفين في الدار الآخرة يوم القيامة، وهي طبقة المقلدين وجهال الكفرة وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبعا لهم، قال:" الله يقضى بين عباده يوم القيامة بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، فهذا مقطوع به في جملة الخلق. وأما كون زيد بعينه وعمرو بعينه قامت عليه الحجة أم لا، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول. هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله عز وجل وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب. وأما في أحكام الدنيا فهي جارية مع ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا، لهم حكم أوليائهم. وبهذا التفصيل يزول الإشكال في المسألة. وهو مبني على أربعة أُصول:

أحدها: أن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ...

الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها. الثاني العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد. وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.

الأصل الثالث: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أُخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له...

الأصل الرابع: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل بها سبحانه، وأنها مقصودة لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة"[1].

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

أولاً–في كون الأنبياء رحمة من الله بعباده:

لقد بعث الله بالأنبياء والرسل رحمة منه بعباده ومنة وتفضل عليهم، لأن الناس في جهل وعناد، وتغلبهم الطبائع البشرية من الجزع والطمع وحب المال والبنين وقد أخبر ربنا عن طبائع الإنسان وخصاله في آيات كثيرة من القرآن الكريم، ولما كان ذلك سببا في تعكر حياته وفساد أحوالها بعث فيهم الله أنبياء ورسل رجل منهم يعلمونهم الخير ويدلونهم على سبل الصلاح ويحذرونهم من مسالك الشيطان والطلاح، وهذا من أعظم أدلة كل غاية بعثة الأنبياء والرسل رحمة من الله بعباده، حيث جاؤوهم بالبينات والأدلة واستعملوا معهم كل أساليب الهداية وسلكوا معهم كل طرق الدعوة من أجل انقاذهم من غضب الله، والأخذ بهم إلى رضاه ورحمته ومن الآيات الدالة على ذلك أذكر البعض منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2]

[1] – ابن القيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر؛ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.

[2] – سورة آل عمران؛ الآية: 164.

وجه الاستدلال من الآية:

في الآية تصريح بأن بعثة الأنبياء منة من الله ، أي ليست واجبة عليه سبحانه وتعالى ولا يجب عليه شيء إلا بما أوجب هو على نفسه كما هو مقرر في نصوص كثيرة، بل هي منة أي رحمة منه وتفضل على عباده، ويظهر ذلك التفضل وتلك الرحمة في كونه بعث الأنبياء ليبشروا الناس وينذروهم، فقد بشر الأنبياء الناس بالجنة وبالنعيم إذا هم أطاعوهم فيما جاؤوا به من ربهم عز وجل، وأن\روهم من النار وحذروهم من كل ما يؤدي بهم إلى النار وعذابها، فبينوا لهم كل شيء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1]؛

وجه الاستدلال من الآية: بين ابن جزي وجه الاستدلال هنا فقال :" أي من جنسكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم عزيز عليه ما عنتم أي يشق عليه عنتكم، والعنت: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم وعزيز صفة للرسول، وما عنتم فاعل بعزيز، وما مصدرية أو ما عنتم مصدر، وعزيز خبر مقدم والجملة في موضع الصفة حريص عليكم أي حريص على إيمانكم وسعادتكم بالمؤمنين رؤف رحيم سماه الله هنا باسمين من أسمائه"[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [3]

وجه الاستدلال بالآية: الآية تؤكد تقرر القاعدة وذلك أنها خبر عن جدال الأقوال، لأن الله علم أنهم لو عذبهم بذنوبهم قالوا ما علمنا وما حذرتنا، فبرحمة منه بعث فيهم الأنبياء ليتبوا ويستقيموا على الطريقة ويتجنبوا الهلاك.

---

[1] – سورة التوبة؛ الآية: 128.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل ، المرجع السابق، ج1/ ص351، وينظر: ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المرجع السابق، ج3/ 99، وفتوح الغيب، ج7/ ص409،

[3] – سورة الأنعام؛ الآية: 48.

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1]؛

وجه الاستدلال من الآية: الآية الكريمة جاء في من الله الخبر بأنه سبحانه وتعالى بعث الرسل بالبينات وبالأدلة الواضحات والحجج الناصعات، وأنزل عليهم الكتب ليسعدوا الناس بهما فيها من العدل[2] والقسط، وكل ذلك رحمة من الله يمنها على عباده.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [3]؛ والآيات في هذا السياق كثيرة لا يسمح المقام بجمعها.

وجه الاستدلال من الآيات:

الآيات في مجملها تدل على تأكيد القاعدة وتفيد، بأن الله عز وجل بعث في كل أمة من الأمم وفي كل زمن من الأزمان الرسل والأنبياء وأنزل عليهم الكتب وكل ذلك لغاية أساسية وهي الرحمة بعابده من خلال ارشادهم وتعليمهم كل ما يؤدي بهم إلى خيري الدنيا والآخرة، والنهي عن كل ما يجلب لهم التعاسة في الدنيا والعذاب في الآخرة وهذه من أعظم صور رحمة الله بعباده إذ لم يعذبهم بذنوبهم حتر بعث فيهم البينات، وأرسل إليهم الرسل يسترشدون بهم ولم يتركهم هملا كالبهائم.

ثانيا–الآيات الدالة على كونهم شهود لله وحجة على الناس:

بعث الله الأنبياء والرسل لعباده وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالقوة والمعجزات عصمهم من الخطأ ومن الوقوع في كبائر الذنوب وجعلهم من البشر ورحمة بالبشر، وهذا كله يمكن الناس من أداء الواجب الذي خلقهم الله من أجله وهو عبادة الله، ووبين لهم سبيل السعادة بالجنة والنعيم كما بين لهم مسالك جهنم والجحيم، وقد أدى الأنبياء رسالتهم فمن أطاعهم واتبعهم كانوا له شهودا، ومن عصا واستكبر

[1] – سورة الحديد؛ الآية: 25.

[2] – ابن عطية؛ المحرر، المرجع السابق، ج5/ ص269.

[3] – سورة الأنعام؛ الآية: 48.

كان عليه شهودا يوم القيامة وحجة عليهم، ومن أجل بيان ذلك نذكر بعض الآيات التي تؤكد صحة هذا الكلام ومنها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾[1]؛ قال ابن عرفة :" تشريف الرسل وقومهم بالكتاب الشريف المنزل من أشرف الجهات وهي جهة فوق، ويفيد معنى البعث أن الكتاب مبعوث مع الرسل لقومهم اعتناء بهم وتأكيدا على امتثال أوامره ونواهيه"[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[3].

وجه الاستدلال بالآيتين:

في الآيتين العظيمتين توضيح وبيان للناس وتحذير في نفس الوقت، البيان في أن الله بعث فيهم الرسل وأنزل عليهم الكتب من أجل ارشادهم وتبيان سبيل الرضى من سبيل السخط، ثم حذرهم من أن النبوة التي في أصلها رحمة في الدنيا، سوف تكون حجة على كل من لم يسلم لها ولم يؤمن بما جاء به الرسل؛ لأن الرسل سوف يكونون شهداء على أقوامهم يوم القيامة وحجة عليهم بأن الله قد حذرهم وبين لهم كل شيء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[4]

وجه الاستدلال من الآيات:

---

[1] – سورة النساء؛ الآية: 165.

[2] – محمد ابن عرفة؛ تفسير ابن عرفة، المرجع السابق، ج2/ ص608، وينظر: الشيخ علوان؛ الفواتح الإلهية، ج1/ ص200، وطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، ج6/ ص30-36.

[3] – سورة النساء؛ الآية: 41، 42.

[4] – سورة الإسراء؛ الآية: 15.

في هذه الآيات خبر بأن الله قد أقام الحجة على كل قوم من الأقوام وذلك ببعثة الأنبياء لهم وتبليغهم الدين كما ارتضاه الله لهم، فالأنبياء يوم القيامة حجة لله على أقوامهم وشهود على أن الله انبأهم فمن آمن بهم شهدوا له بالإيمان ومن كفر بهم فهم شهود أنهم قد بلغوا الأمانة ونصحوا الأمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]

وجه الاستدلال بالآية:

مثل الآيات السابقة تؤكد الآية تقرر القاعدة، وأن الأنبياء قد بعثهم الله رحمة بعباده فبينوا لهم الحق وأمروهم باتباعهم، وبينوا لهم الباطل وحذروهم منه، فهم بذلك قد أدوا الأمانة ونصحوا الأمم بما أمرهم الله، وأبلغوهم النذر وما حذر الله من، فهم يوم القيامة حجة الله عليهم وشهود على أقوامهم.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مثلي كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفَرَاشُ يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون"[2]، فالرسل والأنبياء بعثهم الله رحمة بعباده يعلمونهم طريق الخير، ويحذرونهم من النار وطريق العذاب، وفي هذا المعنى قال أبو البركات أحمد الدريدر في متن الخريدة ما يقرر القاعدة، وبعد أن أكد أن النبوة صفات الرسل بالأمانة والصدق وعدم الخيانة والكذب صرح بالقاعدة فقال:

إرسالهم تفضل ورحمة ** للعالمين جلَّ مولي النعمة"**[3].

وجه الاستدلال من الحديث:

في هذا الحديث الشريف تمثيل دقيق لوظيفة الأنبياء، وبيان لمدى رحمة الله بعبادة إذ بعث فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ودليل تلك الرحمة يكمن في أنهم الحصن المنيع لهم من دخول النار، وفي كونهم

---

[1] – سورة الأعراف؛ الآية: 79.

[2] – أخرجه مسلم؛ رقم: 18.

[3] – الدريدر؛ الخريدة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص43.

صمام أمان أقوامهم، فطبائع الناس تقودهم على سب الشيطان ودركات النيران، وأما الأنبياء فإنهم يجاهدون أهواء الناس من أجل الناس ويمنعونهم من الوقوع في النار رغم اصرارهم –الناس– على العناد في ارتكاب الغلط من الفعل والخطأ في الاعتقاد، فلو ترك الله الناس بلا رسل لهلكوا جميعا ولكنه رحمهم ورأف فيهم ببعثة الأنبياء وانزال الكتب لكي ينقضهم من الجهيم الذي يسعون حثيثا لأن يلقوا أنفسهم فيه، وهذا من أعظم الأدلة أن الغاية من بعثة الأنبياء هي الرحمة بالعبادة والتفضل عليهم لإنقاذهم من العذاب.

وفى الحديث عنه–عليه الصلاة والسلام–: «مَا أحدٌ أغيرَ مِنَ الله، ولذلكَ حرَّم الفواحِشَ ما ظهر منها وما بَطَنَ، وما أحدٌ أحبَّ إليهِ المدحُ من الله، ولذلكَ مدَحَ نفسَهُ، وما أحَدٌ أحبَّ إليهِ العذرُ مِنَ الله تعالى، ولذلِكَ أرسَلَ الرَّسلِ وأنزَلَ الكُتبَ»"[1].

وجه الاستدلال من الحديث الشريف: في الشطر الأخير من الحديث بيان صريح للغاية من بعث الرسل في الآخرة ليعلموا الناس الدين في الدنيا، وهذه الغاية هي إقامة الحجة عليهم، فببعة الأنبياء، بالبيانات والمعجزات والكتب تكون قد قامت الحجة التامة التي لا مهرب منها ولا عذر بعده لكل من كفر ولم يستجب لنداء الله ولصوت الإيمان بما تقتضيه عقيدة الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

إن العقول القويمة والفطر السليمة كما تقرر عندنا من قبل لا تتعارض أبدا مع النصوص والأدلة الصحيحة، ومنه فإن مقتضى القاعدة يقبله العقل ولا يتعارض معه؛ لأنه تحقق واقع وعرفا وشرعا أن قد أنذر من أعذر، والله عز وجل أقام كل الحجج على عباده، فهو بعث فيهم الرسل، وأنزل على الرسل الكتب، وجعل الرسل من جنس مبعوثيهم، يأكلون معهم ويعيشون مثلهم ويصيبهم ما يصيبهم ويتكلمون بلغتهم ولو شاء لبعث لهم رسلا ليس من جنسهم ولا يتكلمون لغتهم وأوجب عليهم تعلم اللغة والايمان بهم، لكنه رحمهم بما أرسل لهم عز وجل ومن عليهم وهذا كله يؤكد أنهم يوم القيامة حجة على كل الناس، نحن الآن نشهد على أنفسنا أن الرسل قد أدت الأمانة، ويوم القيامة الرسل هم الشهود على أقوامهم، وبذلك تقطع كل الأعذار وتقوم الحجة.

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 5221.

فالله عز وجل برحمته بعث إلى عباده الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليبين لهم ما يجب عليهم وما لا ينبغي لهم، فجعل الرسل من جنسهم يتكلمون بلغاتهم ولسانهم، ويشعرون بما يشعرون به من الألم والمرض والجوع وما يصيب البشر، فالمؤمنون ينتفعون بما جاءت به الرسل، من الأحكام والأخبار، والكفار يعاندون ويكفرون فتكون الرسل بذلك حجج عليهم وشهادة عليهم عند الله يوم القيامة، وفي هذا دليل قوي بأن الرسل رحمة من الله بالعباد، وحجة عليهم.

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

قضية وظيفة الأنبياء التي تلخصت في هذه القاعدة قررها أئمة الأمة ككل وفي الغالب ولم تعرف خلافا بينهم، ولا مع سائر الإمة فالقضية محل إجماع؛ فمن العلماء الذين ذكروا القاعدة وقرروها من أئمة المالكية والذين سوف نذكر البعض من أقوالهم فيها ومنهم:

بَيَّن ابن أبي زمنين أن رحمة الله بعباده اقتضت منه ألاَّ يعذبهم إلاَّ بعد أن يعلمهم وينذرهم ويبين لهم فبعث فيهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وكانت هي وظيفتهم البيان والإرشاد برحمة من الله فقال:" **{وما نرسل المرسلين إلا مبشرين} يعني: بالجنة {ومنذرين} من النار**"[1]؛ فكونهم منذرين ومبشرين فهم قد بينوا للناس ما يجب لهم وما لا ينبغي أن يفعلوه، وهذه من أعظم الرحمات الربانية فلو تركهم هملا بغير بيان ولا رسل لأهلكتهم الأهواء والطبائع البشرية.

وقال ابن أبي زيد القيرواني مقررا القاعدة:" **الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم، ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا**"[2]؛ فقال الشارح موضحا للمعنى:" من رحمة الله بعباده أنه لم يكلهم في دينهم لأنفسهم يختارون ما يرون أنه خير، وإنما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليبين للناس العبادة التي يريدها منهم"[3]، وهنا تصريح بالقاعدة واضح وجلي.

---

[1] – ابن أبي زمنين؛ تفسير القرآن، المصدر السابق، ج2/ ص69.

[2] – صالح الفوزان؛ بيان المعني فشرح مقدمة القيرواني، المصدر السابق، ص51، 52.

[3] – المرجع نفسه، ص51.

وقال القرطبي ما يفيد تقرر قاعدة وظيفة الرسل البيان والإرشاد وهي رحم من الله:" قوله تعالى: (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) **أي بالترغيب والترهيب. قال الحسن: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة،** يدل على ذلك قوله تعالى:" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض". ومعنى (منذرين) مخوفين عقاب الله، فالمعنى: إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم"[1].

كما ذكر صاحب الجوهرة أن النبوة تفضل من الله ورحمة بعباده تقريرا للقاعدة وترسخا لها فقال:"

ومنه إرسال جميع الرسل ** فلا وجوب بل بمحض الفضل**

ثم قال أيضا:

بل ذك فضل الله يؤته لمن ** يشاء جل الله واهب المنن**"[2].

فهي فضل من الله على من يشاء أولا من عباده فيختار منهم الأنبياء والرسل ويخصهم بالنبوة والتبليغ ويزودهم بما يمكنهم ذلك من القدرات والمعجزات، كما هي منة وفضل من الله ورحمة بعباده إذ بعث فيهم الرسل والأنبياء ليعلموا الناس الدين ويتعرفوا على سبل الجنة والنعيم.

وقال الثعالبي في تفسير الآية السالفة الذكر ما تتقرر به القاعدة:": تطول وتفضل سبحانه، وقد يقال: «من» بمعنى كدر معروفه بالذكر، فهي لفظة مشتركة، وقوله: من أنفسهم، أي: في الجنس، واللسان، والمجاورة، فكونه من الجنس يوجب الأنس به، وكونه بلسانهم يوجب حسن التفهيم، وكونه جارا وربيا **يوجب التصديق والطمأنينة إذ قد خبروه وعرفوا صدقه وأمانته**"[3].

وذكر أبو البركات أحمد الدريدر في متن الخريدة ما يقرر القاعدة، وبعد أن أكد أن النبوة صفات الرسل بالأمانة والصدق وعدم الخيانة والكذب صرح بالقاعدة فقال:

---

[1] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج6/ ص496.

[2] – اللقاني؛ جوهرة التوحيد، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص35.

[3] – الثعالبي؛ الجواهر الحسان، المصدر السابق، ج2/ ص 136.

إرسالهم تفضل ورحمة ** للعالمين جلَّ مولي النعمة"**[1].

فالنبوة تفضل من الله على من يشاء من عباده الصالحين كما رأينا في القاعدة السابقة لا اكتساب وهي رحمة بالعباد إذ بعثهم الله للناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

ومن المالكية أيضا الذين قرروا القاعدة واعتبروا النبوة وبعثت الرسل منة من الله لغاية ارشاد الناس ورحمهم بدخولهم السعادتين الدنيوية والأخروية الشيخ علوان[2] فقال:" والله لَقَدْ **مَنَّ اللَّهُ المتفضل المنان منة عظيمة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ المخلصين وقت إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ لهدايتهم وإرشادهم رَسُولًا هاديا لهم** ناشئا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأشياعهم يرشدهم ويهديهم الى طريق التوحيد بأنواع اللطف والكرم حيث يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ويسمعهم أولا آياتِهِ الدالة على وحدة ذاته وَيُزَكِّيهِمْ أي: يطهرهم ثانيا عن وسوسة شياطين الأهواء المضلة عن الطريق المستبين وَيُعَلِّمُهُمُ ثالثا الْكِتابَ المبين لهم طريق تصفية الظاهر وما يتعلق بعالم الشهادة وَيكشف لهم رابعا الْحِكْمَةَ المصفية لبواطنهم عن الميل الى الغير والسوى الموصلة إياهم الى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ أي: قبل نكشافهم بالمراتب الاربعة العلية لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ وخذلان عظيم. نبهنا بفضلك وجودك عن نومة الغافلين"[3]؛

ومن المالكية الذين تقررت القاعدة عندهم بأن النبوة رحمة من جهة وحجة على الناس يوم القيامة لله على عبادة الثعلبي قال في تفسيره ما نصه:" **يوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا بأنه قد بلغهم رسالة من ربه وأقر له بالعبودية على نفسه، نظير قوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وهو نبي شاهد على أمته،** قال الله تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية، وقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا"[4]؛ أي أنَّ الرسل اذا كانوا في الدنيا يبلغون الناس الدين الذي أمرهم الله به، فهم يوم

---

[1] – الدريدر؛ الخريدة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص43.

[2] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان: متصوف، من أهل " آقشهر " بولاية " قرمان " نسبته إلى " نخجوان " من بلاد القفقاس. رحل إلى الأناضول، واشتهر وتوفي بآقشهر من كتبه: " الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية "، توفي: 920 هـ. ينظر: الأعلام ج8/ص14. معجم المؤلفين ج13/ص111.

[3] – نعمة الله بن محمود النخجواني الشيخ علوان؛ الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ط1، دار الركابي للنشر، الغورية، مصر، 1419هـ/ 1999م، ج1/ ص133.

[4] – الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج3/ ص314.

القيامة حجة وشهود على من ينكر العبودية ويدعي الجهل بذلك فيشهدون عليهم ويكونون حجة لله عليهم.

وممن قرر القاعدة من المالكية نجد ابن أبي عجيبة فقال في تفسيره ما يفيد ذلك وهو:" **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حيث بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ أي: من جنسهم، أو من نسبهم، عربيّاً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة، ويفتخروا به على غيرهم**. وتخصيص المؤمنين بالمنة، وإن كانت نعمته عامة لزيادة انتفاعهم على غيرهم لشرفهم وذكرهم به، حال كونه يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ القرآن، بعد أن كانوا جاهلية لا يعرفون الوحي ولا سمعوا به، وَيُزَكِّيهِمْ أي: يطهرهم من دنس الذنوب ودرن العيوب، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ أي: القرآن، وَالْحِكْمَةَ أي: السنة، وَإِنْ كانُوا أي: وإنه، أي: الأمر والشأن كانوا مِنْ قَبْلُ بعثته لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ أي: ظاهر بيّن"[1].

والقرطبي من أئمة المالكية الذين قرروا القاعدة وصرحوا بها في تفسيره فقال:" قوله تعالى: (رسلا مبشرين ومنذرين) هو نصب على البدل من" ورسلا قد قصصناهم" ويجوز أن يكون على إضمار فعل، ويجوز نصبه على الحال، أي كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده رسلا. (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) **فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولا، وما أنزلت علينا كتابا، وفي التنزيل:" وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**"[2]

وصرح لنا ابن عطية في تفسيره بقادة كون الأنبياء حجة لله على خلقه يوم القيامة وشهود على أن الله قد بين لعباده سبل كل شيء فقال:" رُسُلًا بدل من الأول قبل. ومُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ حالان أي يبشرون بالجنة من آمن وأطاع، وينذرون بالنار من كفر وعصى، **وأراد الله تعالى أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول: لو بعث إليّ الرسول لآمنت، والله تعالى عزيز لا يغالبه شيء ولا حجة لأحد عليه**، وهو مع ذلك حكيم تصدر أفعاله عن حكمة، **فكذلك قطع الحجة بالرسل حكمة منه تعالى**"[3].

---

[1] – ابن أبي عجيبة؛ البحر المديد، المصدر السابق، ج1، ص134.

[2] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج6/ ص18.

[3] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج2/ ص137.

ومنهم ابن جزي الغرناطي في النور المبين ما تقتضيه القاعدة فقال:" **اعام أن الله بعث الأنبياء وأرسل الرسل إلى الخلق، وأنزل عليهم الكتب، وفضلهم على سائر الناس... وأعلم أن في بعث الأنبياء وجوها** وحكمة:

الوجه الأول: **أن عقول الناس تختلف، فبعث الله الأنبياء عليهم السلام ليبنوا للناس ما اختلفوا فيه.**

الوجه الثاني: **أن الله خلق الخلق ليعبدوه، وشرع لهم الشرائع، وجعل الأنبياء واسطة بينه وبين عباده، ليبلغوهم عنه ما شرع لهم، فلو لم يبعث الله الأنبياء لضل الخلق ولم يعرفوا كيف يعبدون الله.**

الوجه الثالث: **أنَّ الله بعث الأنبياء ليقيم الحجة على الخلق، ويقطع أعذارهم**"[1]. ففي الوجه الأول والثاني، يظهر أن بعثة الأنبياء رحمة من الله بعباده، وفي الوجه الثالث، ظهر أنهم حجة على الناس قاطعة يوم القامة.

وقال الشوكاني ما يفيد القاعدة وأن بعثة الرسل منة من الله ورحمة بعباده وتفضل عليهم منه وقال في ذلك:" **لقد من الله على المؤمنين جواب قسم محذوف، وخص المؤمنين لكونهم المنتفعين ببعثته؛** ومعنى: من أنفسهم أنه عربي مثلهم وقيل: بشر مثلهم، ووجه المنة على الأول: أنهم يفقهون عنه، ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان. ومعناها على الثاني: أنهم يأنسون به بجامع البشرية، ولو كان ملكا لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنسية، وقرئ: من أنفسهم بفتح الفاء، أي: من أشرفهم لأنه من بني هاشم، وبنو هاشم أفضل قريش، وقريش أفضل العرب، والعرب أفضل من غيرهم، ولعل وجه **الامتنان على هذه القراءة: أنه لما كان من أشرفهم كانوا أطوع له وأقرب إلى تصديقه**"[2]

وذكر لنا صاحب إضاءة الدجنة ما يفيد تقرر القاعدة في مواطن كثيرة منها ومما قاله:

وبعثة الرسل إلينا جـائزة ** في حقه وكل خير حائزة**

كي يبلغونا أمـره ونهيـه ** فمن أجابهم غدا ذو نهيه**

ومن أبى فساقط في هـوه **** ما بكسب تـدرك النبـوة[3].

---

[1] – ابن جزي الغرناطي؛ النور المبين، المصدر السابق، ص63، 64.

[2] – الشوكاني؛ فتح القدير، المصدر السابق، ج1/ ص452.

[3] المقري؛ إضاءة الدجنة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص93.

ويفهم من كلامه أن النبوة فضل من الله ورحمة تفضل بها على عباده، لا واجبة عليه ولا هي اكتساب منهم فقط بل فضل من الله قصد تبليغ الناس ما أمرهم به الله من شرائع وأحكام، فمن اطاعهم نال الفوز والجنة ومن عصاهم باء الخسران وسقط في النيران.

ومن المالكية المقررين للقاعدة السنوسي التلمساني، الذي ذكر لنا القاعدة بصراحة وبين أنها تفضل ورحمة من الله بعبادة، وشهادة عليهم يوم القيامة فقال:" **مذهب أهل الحق أن الرسالة ممكنة تفضل من مولانا –جل وعلا–بها**، وأوجبتها المعتزلة عقلا على أصلهم في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح، ومنعتها البراهمة عقلا ..."[1]؛ فبين هنا العقيدة الصحيحة وأشار إلى غلط من خالفها، وأكد أن المقرر أنها رحمة من الله تفضلا منه ورحمة بعباده.

وقال القاسمي في محاسن التأويل ما يؤكد القاعدة ويقررها:" لقد من الله أي أنعم على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم، عربيا مثلهم، ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته، والانتفاع به؛ **ولما لم ينتفع بهذا الإنعام إلا أهل الإسلام خصوا بالذكر، وإلا فبعثته صلى الله عليه وسلم إحسان إلى العالمين، كما قال تعالى: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**"[2]، ثم قال في نفس المعنى المؤكد لتقرر القاعدة وأن الرسل رحمة من الله بعباده ورأفة ومنة بهم:" ثم ذكر تعالى ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه شاق، لكونه بعضا منكم، عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب حريص عليكم أي على هدايتكم، كي لا يخرج أحد منكم عن اتباعه، والاستسعاد بدين الحق الذي **جاء به بالمؤمنين رؤف إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي**، لفرط رأفته رحيم إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة **بالتعليم والترغيب فيها، برحمته**"[3]؛ ونفهم من كلامه

وفي سياق القاعدة التي تقرر أن بعثة الأنبياء رحمة بالعباد في الدنيا وحجة لله عليهم يوم القيامة تكلم ابن جزي فقال:" رد على اليهود الذين سألوا النبي صلى الله عليه واله وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به وحي: كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحي من غير

[1] – التلمساني؛ شرح السنوسية الكبرى، المصدر السابق، ص528، 529.

[2] – القاسمي؛ محاسن التأويل، المصدر السابق، ج2/ ص452.

[3] القاسمي؛ محاسن التأويل، المصدر السابق، ج5/ ص538.

إنزال الكتاب من السماء، **ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة**"[1]؛ فلما كانت بعثة الأنبياء رحمة بالعباد في الدنيا، ولما علم على الناس كثرة الجدل والانكار جعلهم الله على عباده حجة، يوم القيامة وهو العالم بالحق المنزه عن الظلم ليقيم الحجة على عباده بحكمة أرادها هو وحدة سبحانه وتعالى العزيز الحكيم.

وذكر ابن ابي عجيبة ما يقرر حجية الأنبياء على العباد يوم القيامة فقال:" ذكر حكمة إرسال الرسل فقال: أرسلنا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ بعث الرُّسُلِ فيقولون: **لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ينبهنا ويعلمنا ما جهلنا من أمر توحيدك والقيام بعبوديتك، فقطع عذر العباد ببعث الرسل، وقامت الحجة عليهم**"[2]؛ أي: يوم القيامة عندما يجادل المجادلون الله بأنهم لم يعلموا أن التوحيد واجب عليهم وأن الشرك حرام يورث الخلود في النار، يأتيهم الله بالأنبياء فيشهدوا عليهم أنهم قد بلغوا وقد حذروهم من مغبة الشرك، بل التحذير من الشرك أول ما دعت إليه الرسل جميعا.

وممن قرر قاعدة أن الرسل والأنبياء رحمة الله من جهة وحجة عليهم يوم القيامة صاحب الجواهر الحسان، المعروف بالثعالبي حيث ذكر ذلك وقال:" وقوله سبحانه: رسلا مبشرين ومنذرين ... الآية: رسلا: بدل من الأول، **وأراد سبحانه أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول: لو بعث إلي رسول، لآمنت**، والله سبحانه «عزيز» لا يغالبه شيء، ولا حجة لأحد عليه، حكيم في أفعاله، **فقطع الحجة بالرسل حكمة منه سبحانه**"[3]؛ فنفهم من كلامه هنا أن الغاية من بعثة الأنبياء غايتان أساسيتان وهما:

– الرحمة بالعباد في الدنيا وتعليمهم الدين وما خلقهم الله من أجله ببيان الحلال والحرام وسبل الجنة وسبل النار بتعليمهم ما يجب عليهم وما لا يحق لهم من الأقوال والأفعال والاعتقادات.

– الحجة عليهم يوم القيامة إذ يكون الأنبياء على الناس شهودا عند ربهم لما يخاصموا ويقولوا لم يعرفوا الدين ولم يعلموا ما يجب ولو علموا لأطاعوا وما عصوا؛ فيشهد عليهم الأنبياء بأنهم قد أعلموهم وحذروهم وما من أمر إلا وقد بينوه وأخبروهم به.

وقال الطاهر بن عاشور مقررا هذه القاعدة العظيمة:" **فأنبأهم الله بأن إرسال الرسل للتبليغ والتبشير والنذارة** لا للتلهي بهم باقتراح الآيات؛ وعبر بـ: (نرسل) دون أرسلنا للدلالة على تجدد الإرسال

---

[1] – ابن جزي؛ التسهيل، المصدر السابق، ج1/ ص218.

[2] –ابن أبي عجيبة؛ البحر المديد، المصدر السابق، ج1/ ص591.

[3] – الثعالبي؛ الجواهر الحسان، المصدر السابق، ج2/ ص329.

مقارنا لهذين الحالين، أي ما أرسلنا وما نرسل، فقوله: مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان باعتبار المستقبل ومحققتان باعتبار الماضي"[1].

وقال ابن باديس مقررا القاعدة، ومبينا أن الأنبياء شهداء على أقوامهم يوم القيامة وأنهم حجة لله على الناس يوم القيامة بأنهم دلوا الناس لكل خير وحذروهم من كل شر فقال:" **والرسل وهم حجة الله وشهوده**، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه...وهم العدول الأمناء الصادقون ..."[2]؛ وقال الشارح لقول عبد الحميد بن باديس موضحا لكلامه ومشخصا للقاعدة:" فالأنبياء والرسل –إذن–هم **النموذج المثالي للكمال البشري في الطهر والنزاهة والقداسة**، وهم الأمناء والعدول الصادقون..."[3]، فهذا الكلام يؤكد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من البشر لكنهم أفضل وارقى البشر خلقا وخلقة وعلما وصدقا وبالغا وشرفا.

وقد أثبت الطاهر بن عاشور في التحرير، القعدة وبين أن الله عز وجل جعل بعثة الرسل دليل في الدنيا لهم؛ لأنهم يدلونهم على سبل الخير، ويدلونهم على طرق اجتناب العذاب، كما هم دليل عليهم يوم القيامة إذ ببعثتهم قامت الحجة وبشهادتهم تقوم الحجة على الناس يوم القيامة فقال:" **فإرسال الرسل لقطع عذر البشر** إذا سئلوا عن جرائم أعمالهم، واستحقوا غضب الله وعقابه. فعلم من هذا أن للناس قبل إرسال الرسل حجة إلى الله أن يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين... **فلما بعث الله الرسل لقطع الحجة** علمنا أن الله حين بعث الرسل كان بصدد أن يؤاخذ المبعوث إليهم، **فاقتضت رحمته أن يقطع حجتهم ببعثة الرسل وإرشادهم وإنذارهم، ولذلك جعل قطع الحجة علة غائية للتبشير والإنذار**: إذ التبشير والإنذار إنما يبينان عواقب الأعمال، ولذلك لم يعلل بعثة الرسل بالتنبيه إلى ما يرضي الله وما يسخطه"[4].

وإلى القاعدة نوَّه الشنقيطي في الأضواء وأكد أنَّ النبوة رحمة ربانية من جهة الارشاد والبلاغ في الدنيا، وهي حجة على العباد من جهة أخرى يوم القيامة فقال:" في قول الله عز وجل: ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)) –الآية– **لم يبين هنا ما هذه الحجة التي كانت**

---

[1] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج7/ ص238.

[2] – محمد علي فركوس؛ تنوير التأسيس، المصدر السابق، ص154.

[3] – المصدر نفسه، ص159.

[4] – الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج6/ ص39.

تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل، ولكنه بينها في سورة «طه» بقوله: ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى"[1]؛ فأخبر أن الله قد بعثهم في الدنيا للبيان والتبشير وانذار الناس، وذلك كله حجة على الناس يوم القيامة إذا أرادوا الانكار أو العناد أو الهروب من العذاب.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

هذه القاعدة العظيمة التي بين أيدينا تحمل في مضمونها الغاية والوظيفة العملية للنبوة حيث تَبَيَّنَ من خلالها الوظيفة الأساسية للنبوة في الدنيا وهي البيان للناس ما يجب لهم وتحذيرهم مما يهلكهم فهي بذلك رحمة بهم من الله، كما تبين منها الوظيفة الأساسية لها في الآخرة، وهي أن يكون الأنبياء شهودا على الناس، وحجة لله عليهم بأنه قد أنذرهم وبعث لهم من جنسهم بشرا يعلمونهم ويحذرونهم، وعليه يمكن اجمال فوائدها وأثرها فيما يأتي:

د/فوائد القاعدة وأثرها على الاعتقاد في الدنيا:

المقصود من هذا العنوان أثر تحقيق هذه القاعدة في حياة المسلم العقدية في الدنيا وما هو الدور الذي تلعبه في تثبيتها والحفاظ عليها وهو ما سنحدده في نقاط مختصرة ومنها:

- القاعدة تُبين للمسلم وجوب الإيمان بالأنبياء وبكل مقتضيات النبوة لأنها سبب سعادته، وهذا يجعل المسلم متكامل في تحقيق العقيدة الصحيحة.
- القاعدة تغرس في قلوب الناس التفاؤل والرحمة لمّا يعلموا أنَّ ربهم عز وجل قد بعث لهم الأنبياء رحمة بهم ورأفة ومنة منه عليهم وتفضلا.
- الإيمان بأن النبوة رحمة من الله، وأنَّ كل ما جاؤوا به من الأوامر والزواجر هو في صالح العباد يزيد في تقوية عقيدتهم وفي حبهم للرسل والأنبياء ويسهل عليهم قبولها والإيمان بها.
- الإيمان كون الزواجر والممنوعات التي قررها الأنبياء بما يوحى إليهم من ربهم، رحمة بهم لا لمجرد المنع والحرمان وإنما لسلامة معيشتهم في الدنيا ولاجتناب عذاب الآخرة يزيد في قوة الاعتقاد ويرسخ الإيمان بعقيدة الإيمان بالرسل ويحفظها.

[1] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج1/ ص312.

- كون الأنبياء وظيفتهم واحدة ويسعون لغاية واحدة وهي سعادة الإنسان فإن تحقيق هذه الغاية يحقق التواؤم والحوار والتآخي بين جميع البشرية باتباع منهج الرسل وما جاؤوا به من أحكام، وهذا يكون في المجتمع الواحد، وفي الأمة الواحدة في العالم ككل، لأن رحمة الله ببعثة الرسل لكل البشر، فالله أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم–أنه قد أرسله رحمة للعالمين.

فوائد القاعدة في وأثرها على العبد الآخرة:

المقصود من فوائد القاعدة هنا يكمن في أثر الايمان بمقتضياتها على سلامة ونجاح مصير الانسان الأخروي ومدى اسهامها في تقوية عقيدته وترسيخها وتأسيسها على يقين يحقق له الفوز بالجنة في اليوم الآخر ومن تلكم الفوائد:

- تحقيق القاعدة عمليا، يؤدي إلى خلق الثقة في قلب المؤمن والتفاؤل إلى مصير سعيد، لأنه يؤمن أن وعد الله حق والله قد وعد من آمن بالرسل وصدقهم فيما يدعون إليهم كان من المفلحين.
- الخوف والحذر من وساوس النفس والشيطان، وحرس النفس والذات من الزلل ومن المبالغة في الخطأ، فبمعرفة أن الأنبياء يكونون يوم القيامة شهودا على أنهم قد بلغوا للناس ما أمرهم به الله يزداد خوفه الذي يقوده إلى الإيمان التسليم بكل ما جاء به الرسل والأنبياء.
- الإيمان بمقتضى هذه القاعدة يؤدي إلى الايمان بكل أمور الغيبيات فمن صدق أنَّ الله برحمته بعث الأنبياء لعبادة لبشروهم بالجنة ويدلوهم على سبيل بلوغها، ويحذرونهم من النار ويكشفون لهم على أساب الوقوع فيها، ويعطونهم يد النجاة منها بما يوحيه الله إليهم، كل ذلك يقودهم إلى الإيمان بكل ما أخبروا به من أمور الغيابيات ومن أخبار الموت والقبر والجنة والنار وغيرها من أخبار الغيب التي جاؤوا بها عليهم الصلاة والسلام.

خاتمة الفصل ونتائجه:

وفي ختام هذا الفصل العظيم المتعلق بالنبوات نستنتج أن مسألة الإيمان بالنبوات وما يستوجبه من أمور علمية وعملية تتعلق بمعرفة شروط تحقق عقيدة الأنبياء بالرسل والأنبياء، مسألة في غاية الأهمية والضرورة بل من اكبر أبواب اركان الإيمان لأنها مفتاح الإيمان بباقي الأركان وذلك لأن الإيمان بالنبوات يعني الإيمان بكل ما جاؤوا به من أخبار وشرائع، والكل يقر ويعلم أم شريعة الله وأخباره التي وصلتنا بحي منه وصلتنا بالوحي إلى الأنبياء، وعليه فإن كل مسائل الدين وصلت إلينا وإلى الأمم من قبلنا عبر الرسل وعبر الأنبياء، فالأيمان بالأنبياء يعني الايمان بما جاء به من الكتاب والأخبار والأحكام، وفي أخبارهم وكتبهم عليهم الصلاة والسلام يكون الخبر بحق الله عز وجل بالتوحيد، وبأنه الرب الخالق، وفيها نجد الخبار عن صفاته وأفعاله، وبأخبارهم وما جاءهم من الكتب نعرف الحلال والحرام، الواجب والممنوع، الحق من الواجب، الجنة والنار الموت وما بعد الموت، ومنه يكون الإيمان بالنبوات ضرورة يجب الاهتمام بها كل الاهتمام وهذه القواعد هي التي يمكن أن تجمه لنا الشتاة الكبير المتعلق بالنبوات في جمل مختصرة تتضمن علما واسعا بهذه القضية الأساسية من قضايا العقيدة الكبرى التي تتحقق بها ثمرات عظيمة وفوائد جليلة كما ذكرنا فيما سبق من القواعد والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي.

وتبين لنا من خلال قواعد هذا الفصل مدى مساهمة أئمة المالكية في التأسيس وجمع العقائد الكلية في باب النبوات، بل وسَبقِهِم في هذا الباب، واتضح فضلهم وجهودهم العظيمة في تقرير عقائد النبوات، وبيان أهم ما يجب اعتقاده فيها من مسائل وضوابط ليكتمل التوحيد، كم تبين لنا أهمية تحقيق عقائد النبوات في كمال الإيمان وتمام الديانة، فظهر أن تحقيق الايمان بالنبوات هو الباب للدخول في الإيمان بباقي أبواب العقيدة الأخرى، وذلك باعتبار الأنبياء هم الذين جاؤوا للدعوة إلى الالهيات والغيبيات، فإذا لم يتحقق الإيمان بالأنبياء والرسل، فلا سبيل للناس لكي يدخلوا صرح الإيمان بباقي العقائد؛ فهم عليهم الصلاة والسلام، المبلغون عن أخبار الإلهيات وعن شروط تحقيقها، وهم المخبرون عن مسائل الغيبيات، بالوحي من الله عز وجل، كما تبين من خلال هذا أن التقعيد لعقائد النبوات من أعظم الجهود التي قام بها أئمة المالكية، والتي يجب الاهتمام بها في كل عصر ومصر لما لها من ثمرات عظيمة، ونتائج كبيرة ومنها:

الفصل الرابع: قواعد العقائد التي قررها الأئمة المالكية في باب الغيبيات (السمعيات).

المبحث الأول: القاعدة الأولى.

مقدمة الفصل

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثاني: القاعدة الثانية.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

المبحث الثالث: القاعدة الثالثة.

المطلب الأول: تصور القاعدة

المطلب الثاني: فقه القاعدة

المطلب الثالث: أدلة القاعدة

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة.

خاتمة الفصل.

الفصل الثالث: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب الغيبيات (السمعيات):

مقدمة الفصل:

لقد رأينا من قبل في باب الالهيات أنَّ أساس العقيدة هو التوحيد الذي خلقنا الله من أجل تحقيقه، ويكون بالتصديق بما يقتضيه ذلك الباب من قواعد وأسس عقدية ضرورية، وجعلت لكل قاعدة وأساس الأدلة الشرعية والعقلية المؤكدة لها وعززت ذلك بأقوال العلماء، ثم خصصتها بأقوال أئمة المالكية، ثم علمنا أن الله –عز وجل– قد أقام الحجة ببيان ذلك ببعثة الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام جميعا– مبشرين ومنذرين ومعلمين الناسَ بما أوحى الله إليهم من علم وحكمة، وبما أنزل عليهم من الكتب والصحف، ومما جاء الأمر بالإيمان به والتسليم بأنه حق وعقيدة –يكتمل بها الإيمان ويتحقق لصاحبه، وينتفي بعدم الايمان بها وتحقيقها– ما جاء من أخبار عن أمور غيبية[1]، لا يعلمها إلا الله، كأحوال آخر الزمان، وعلامات قيام الساعة، والدجال ويأجوج ومأجوج، والمهدي المنتظر، ونزول عيسى –عليه الصلاة والسلام– وشروق الشمس من مغربها، والنفخ في السور وأخبار الروح والموت، الموتى والحياة بعد الموت من القبر وما فيه من نعيم وعذاب، وكل أخبار البرزخ إلى الحياة ما بعد الموت، والحشر، والصراط والميزان والبعث والعرش والجنة والنار وما جاء من أوصاف وأخبار عنهما وعما أعد الله فيهما من درجات ونعيم ودركات وجحيم

ومن حقيقة الإيمان التصديق التام بما أخبرت به الرسل وليس الشأن في التمييز بين المؤمن والكافر الايمان بالحسيات وانما الشأن في الايمان بالغيب، وبينها النبي –صلى الله عليه وسلم– في مواطن مختلفة أنها من الأحاديث أنها من أركان الإيمان، كما سيأتي ذكر ذلك، فقد اهتم لها علماء الأمة وجعلوا لها الأبواب والأجزاء الكثيرة في كتبهم وتقريراتهم، بل أفردوا لها التصانيف الكثيرة والمختلفة، خصوصا لما حاول بعض المخالفين أن يشككوا فيها وأن يزلزلوا عقيدة المسلمين فيها بزرع الشبهات، والمغالطات في

[1] – والغيب يقابل الشهادة ولا يقابل المحسوس أو الواقع، فالفرق بين الشهادة والغيب ليس هو الفرقَ بين المحسوس والمعقول، فالغيب ليس مجرد تصورات عقلية، وإنما هو أمور شاخصة موجودة؛ ولكنها مغيبة عنا، فالجنة والنار والملائكة ليست أمورًا معنوية، بل هي حقائق موجودة، وتُعد طبيعة الخَلْقِ البشرية أكبر دليل على وجود الغيب وتأثيره في حياة الناس، فالإنسان مركب من جسد وروح، فبالجسد تكون الحركة والحس، وبالروح يكون الوعي والإدراك، والروح أمر غيبي لا يعرف الإنسان حقيقتها ولا كنهها، سوى أنها نفخة من الله، وأي بحث يزيد على هذا يقف عاجزًا أمام مئات الأسرار المحجوبة بأستار الغيب، والروح حقيقة تؤكد على الإيمان بالغيب واعتباره ميدانا معرفيًا، ونحن سوف ندرس بعض النصوص المؤكدة على الإيمان بالغيب، كما نذكر الأدلة العقلية الشاهدة بذلك.

هذا الباب، قديما وحديثا، وعلى منهجهم في تقرير العقائد أدرجت هذا الباب والذي يتضمن بعض القواعد العامة والرئيسية الجامعة التي قررها علماء الأمة وخصوصا منهم أئمة المالكية عليهم رحمة الله جميعا، ومحاولا التطرق لتوضيح ما يأتي من الأسئلة:

- ما هي مضامين عقيدة الغيبيات وما الذي يجب تحققه فيها لكي يكون إيمانا كاملاً؟
- ما علاقة الغيبيات بعقيدة التوحيد وما هي أهم شروط تحققه؟
- ما هي القيمة العقدية على الفرد في تحقيقه، وما هي آثاره على العقيدة بصفة عامة؟
- ما هي أهم العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب الغيبيات؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: القاعدة الأولى: [الإيمان بالغيبيات ركن واجب في كمال التوحيد وتحقيق الإيمان بالله]:

المطلب الأول: تصور القاعدة:

لقد أمر الله عز وجل في كثير من الآيات بوجوب الإيمان بالغيبيات (السمعيات)، وبين أنه شرط ومن شروط تحقق الإيمان وكمال التوحيد، وبين نبيه –عليه الصلاة والسلام– أنه ركن من أركان الإيمان بالله، واعتبر علماء الأمة أنه باب عظيم من أبواب الإيمان، من كفر به فقد فسد لإيمانه وتوحيده[1] ومن حققه فقد تحقق عنده التوحيد والإيمان، ولما كان موضوع علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة يدور على أمور معلومة فيها بيان حقيقة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يجب له تعالى من صفات الجلال والكمال، مع إفراده وحده بالعبادة دون شريك، والإيمان بالملائكة الأبرار والرسل الأطهار، وما يتعلق باليوم الآخر والقضاء والقدر، كما يدور على ضد التوحيد وهو الشرك وهو الكفر وبيان حقيقتهما وأنواعهما، وقد يقال إن موضوع علم التوحيد يدور على محاور ثلاثة، وذلك على النحو التالي:

1–ذات الله تعالى أو الإلهيات، والبحث في ذات الله تعالى من شروط واحكام وقواعد تكلمنا عليها.

2–ذوات الرسل الكرام أو النبوات وما يتعلق بذلك من شروط وأركان وقواعد أشرنا إليها سابقا

3–السمعيات أو الغيبيات: وهو ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل كأشراط الساعة وتفاصيل البعث... والبحث في السمعيات أو مسائل الغيب يكون من حيث اعتقادها وهو يقوم على دعامتين: الإقرار بها مع التصديق ويقابله الجحود والإنكار لها، الإمرار لها مع إثبات معناها ويقابله الخوض في الكنه والحقيقة، ومحاولة التصور والتوهم بالعقل بعيدا عن النقل.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

مما يجب فقهه معرفة المصطلح غيبيات وما يتضمنه من المعاني اللغوية والشرعية، قبل الدخول في فقه بعض ما يتعلق بالقاعدة من مسائل جزئية:

[1] – حسن خان محمد الصديق؛ الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح، تحقيق: أبي عبد الرحمن سعيد معشاشة، ط1، دار ابن حزم للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م، ص183، 139، ويُنظر: محمد بن صالح العثيمين؛ شرح عقيدة أهل السنة، ص221.

الغيبيات في اللغة: من الغيب، مصدر من غاب، ومعانيه تدور حول الخفاء والاستتار وما بطن من الأمر بحيث لا تدركه الحواس[1]، يقال: غابت الشمس وغيرها، وإذا استتر عن العيون، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2]، وأيضا في آية أخرى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [3]، أي: ما يغيب عنكم وما تشاهدونه، فيشمل معنى الغيب في اللغة كل ما غاب عن الحواس، سواء كان محصلا في القلوب تدركه وتعيه، أم غير محصل[4]، ويقال للشيء: غيب وغائب باعتبار الناس، لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء، كما أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات وفي الأرض[5].

والغيب في الاصطلاح الشرعي استعمل استعمالات عديدة حسب ورود مادته في الكتاب والسنة؛ فمن العلماء من استعمله على عموم أصله اللغوي في الدلالة على كل ما غاب عن الحاسة[6]، فشمل بذلك ما تعبدنا الله بالإيمان به أمورا دنيوية كثيرة غائبة عن حواس الإنسان، لا يتناولها معنى الإيمان بالغيب الممتدَح شرعا[7]، كما شمل الغيب المتعبد به والمطلوب فمنا الإيمان به.

ومن أهل العلم من حدد المراد من مصطلح الغيب بما ثبت بالنقل فقط مما تعبدنا الله بالإيمان به فترادف مع مصطلح السمعيات الدال على الأمور التي يتوقف عليها السمع كالنبوة، أو تتوقف هي على

---

[1] – ابن منظور؛ لسان العرب، ج1/ ص654، وينظر: الجوهري؛ الصحاح، ج1/ ص196، والزبيدي؛ تاج العروس، ج3/ ص501.

[2] – سورة النمل؛ الآية: 20.

[3] – سورة الأنعام؛ الآية: 73.

[4] – ابن الأثير؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج3/ ص399، وتنظر: ابن منظور؛ لسان العرب، ج1/ ص654.

[5] – عثمان ضميرية؛ عالم الغيب والشهادة، في التصور الإسلامي، ط1، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، 14.8هـ/ 1988م، ص13.

[6] – ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج13/ ص323، وتنظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص616.

[7] – كالعلم بالكواكب البعدية، وما في جسم الإنسان من مغيبات عن الحس البشرية، ومما في الفضاء من أجسام ومكروبات وما تنطوي على الأرض من معادن وطبقات.

السمع كالمعاد وأسباب السعادة والشقاوة من الإيمان والطاعة والكفر والمعصية[1]، وبعض أهل العلم من المفسرين عرفوه ببعض مفرداته من المسائل الغيبية[2].

وعرفه الرازي، فقال:" الغيب ما غاب عن الحواس، وقال: هو رأي جمهور المفسرين[3]؛ وهو تعريف عام للغيب واسع الدلول لا يحدد الغيب الذي تعبدنا الله به فقط.

وبتعريف أوسع منه عرفه الغيبَ الباجي، فقال: هو المعدوم وما غاب عن الناس[4]، فزاد هن الباجي عن الغائب عن المحسوس والعلم الإنساني المعدومات.

فهذه التعاريف عامة؛ تشمل ما أمرنا الله بالإيمان به وما لم نؤمر به، ولا تحدد الغيب الذي امتدح الله المؤمنين به، وتعريف الباجي يدخل الغيب المطلق الذي علمه من صفات عز وجل وجده، فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون ومالم يكن لوكان كيف يكون، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[5].

أ–الغيبيات ودليل الغيب بمعنى السمعيات:

لقد استفاضت تسمية الغيب وما فيه من قضايا ومسائل عقدية خاصة، بمصطلحين أساسين وهما الغيبيات والسمعيات، فهل كل ما نعبر عنه بمصطلح الغيبيات مطابق لما نقصده بمصطلح السمعيات دوما؟ ومما يبين أنهما مترادفان بعض ما ورد لنا من الآثار والتقريرات نذكر البعض منها: 1–روى ابن مسعود رضي الله عنه، عن أناس من أصاحب النبي صلى الله عليه وسلم: الغيب ما غاب عن أعين اعباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن[6]؛ فتبين هنا أن الغيبيات هي ما جاء في القرآن من الأخبار وهي السمعيات.

---

[1] – الإيجي؛ المواقف، المصدر السابق، ص545.

[2] – فوز بنت عبد اللطيف؛ أصول الإيمان بالغيب وآثاره، رسالة دكتوراه، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، 1426هـ/ 1427هـ، ص18.

[3] – الرازي؛ التفسير الكبير، الصدر السابق، ج2/ ص27.

[4] – الباجي؛ المنتقى، المصدر السابق، ج1/ ص334.

[5] – فوز بنت عبد اللطيف، أصول الإيمان بالغيب، المصدر السابق، ص19.

[6] – الطبري؛ جامع البيان، المصدر السابق، ج1/ ص101.

1- قال ابن عباس –رضي الله عنهما–مفسرا معنى الغيب: هو ما جاء منه، أي: من الله جل ثناؤه[1]، وروي عنه: كل ما أمرت بالإيمان به، فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان[2].

2- قال الزجاج[3]:" معنى قول الله: (بالغيب) ما غاب عنهم مما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم، من أمر الغيب والنشور والقيامة، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب"[4]؛ فالغيب هنا متعلق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الآخرة وما يعرف بالسمعيات.

3- قال ابن العربي الأندلسي المالكي:" الغيب: حقيقته ما غاب عن الحواس مما يوصل إليه بالخبر دون النظر"[5]؛ فتبين من قوله :مما يوص لإليه بالخبر، أنه ما جاء خبره في القرآن والسنة وهي معنى السمعيات.

4- وفي تفسير ابن تيمية استعمالٌ لمصطلح الغيب في معنى السمعيات فقال:" الغيب الذي نؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، يدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار..."[6]؛ وقد جاء في هذا المعنى كلام كثير يؤكد ان الغيبيات في العقيدة يقصد به ما جاء من أخبار السمعيات وما أمرنا الله بالإيمان به وجعله الله ركن من أركان الإيمان وأخبر بذلك نبيه عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن للقاعدة:

جاءت أخبار الغيب في القرآن الكريم مجملة ومفصلة، والمجمل منها ما جاء عن الغيب بصفة عامة وذكره بلفظه، وما جاء مفصلا هو ما جاء في ذكر الغيب ببعض أنواعه ومسائله، كالجنة والنار صفات أهلهما والموت والملائكة وغيرها وعليه سوف تتنوع أنوا الآيات حسب هذا التفصيل المشار إليه

---

[1] – الطبري؛ المصدر نفسه، ج1/ ص236.

[2] – البغوي؛ معالم التنزيل، المصدر السابق، ج1/ ص62.

[3] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري سهل الزجاج، توفي: 311هـ، ينظر: الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج14/ ص360، والفيروز آبادي؛ البلغة، ص45.

[4] – الزجاج؛ تفسير أسماء الله الحسنى، المصدر السابق، ج1/ ص72.

[5] – ابن العربي؛ أحكام القرآن، المصدر السابق، ج1/ ص8.

[6] – ابن تيمية؛ مجموع الفتاوي، المصدر السابق، ج13/ ص233.

مع الاكتفاء ببعض الآيات فقط، والتي فيها إشارة واضحة في الأمر بالإيمان بالغيب واقترانه بالإيمان بالله ومنها:

1-آيات ذكر الغيب عموماً

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [1]؛ قال ابن جزي :" ؤمنون بالأمور المغيبات كالآخرة وغيرها"[2]، وقال ابن تيمية:" والغيب الذي يُؤْمَنُ به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامة، ويدخل في ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار، فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الإيمان بالغيب"[3]؛ ولذا جنح المفسرون إلى أن تفسير الإيمان بالغيب هو التصديق بالغيب أو الخشية بالغيب[4].

وجه الاستدلال بالآية:

الآية صريحة وواضحة فيها ببيان من الله عز وجل لصفات المؤمنين المفلحين، والذين حققوا حقيقة التقوى وآمنوا بكل ما امرهم الله أن يؤمنون به واستهل ذلك بالغيب فقال: (ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ) لشرف هذه العقيدة وأهميتها في القلوب، وزادهم درجة من الإيمان والتصديق فقال(وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ)، والآخرة مسألة من مسائل الغيب، قال أبو بكر الجزائري :" يصدقون تصديقا جازماً بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس كالرب تبارك وتعالى ذاتاً وصفاتٍ، والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها"[5].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ۝٤٩ ﴾ [6].

---

[1] – سورة البقرة؛ الآية: 1-5.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، المرجع السابق، ج1/ ص69، وينظر: ابن عطية؛ ج1/ ص84، والثعالبي؛ الجواهر الحسان، ج1/ ص183.

[3] – ابن تيمية؛ مجموع الفتاوي، المصدر السابق، ج13/ ص233.

[4] – ابن كثير؛ تفسير لقرآن، ج1/ ص111.

[5] – أبو بكر الجزائري؛ أيسر التفاسير، المرجع السابق، ج1/ ص20.

[6] – سورة الأنبياء؛ الآية: 49.

وجه الاستدلال بالآيتين:

أخبر الله عز وجل هنا أن من تمام الإيمان به الخشية منه، والخشية كما قرر ذلك أهل العلم من أفراد التوحيد ومن صوره التي يجب أن تتحقق في قلب المؤمن، ليكون مكتمل الإيمان وهو افراده بالخشية والخوف والخضوع، وهنا ذكر أن من تمام توحيده والإيمان به خشيته بالغيب.

2-ذكر بعض الآيات جاء فيها ذكر الغيب ببعض أفراده:

من الغيبيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه والتي يجب الإيمان بها والتسليم بأخبارها ما جاء في ذكر الإيمان بالميعاد[1]، واليوم الآخر، وقد أخبر الله به في آيات كثيرة من كتابه العظيم ومنها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [2]؛ وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به، إيمانا يورث التقوى والخوف مما أخبرنا الله عز وجل عنه من أصناف العذاب الأليم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [3]؛ قال الشيخ علوان :" فلا يصدنك عنها ولا يصرفنك عن الأمر بالانكشاف التام أعراض من لا يؤمن بها تقليدا حتى يطلبها تحقيقا بل قد أنكرها واعرض عنها واتبع هواه المضل إياه في تيه البعد والحرمان فتردى أنت وتهلك بمتابعته في بيداء الجهل والخذلان"[4].

وجه الاستدلال من الآيات: الآيات السالفة الذكر جميعها تؤكد أن اليوم الآخر أمر يقيني لا شك في قدومه، بل يجب الإيمان به ويجب التسليم به وتصديق كل الأخبار التي جاءت عنه، ومما يستفاد من ذكر كل هذه الآيات هو أن الايمان بالغيب وبكل أفراده أمر مهم جدا وضروري من اجل تحقيق الإيمان بالله،

---

[1] – وهو المرد إلى الله عز وجل والإياب إليه، وهو مما يجب اليقين به يقينا جازما بلا تردد، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان، تنظر: حافظ بن أحمد حكمي؛ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، ط1، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1436هـ/ 2015م، ص432.

[2] – سورة البقرة؛ الآية: 264.

[3] – سورة طه؛ الآية: 15، 16.

[4] - الشيخ علوان؛ الفواتح الإلهية، المرجع السابق، ج1/ ص511، وينظر: الثعالبي؛ الجواهر الحسان، ج4/ ص48، وابن عاشور التحرير والتنوير، ج16/ ص202، 203.

وقد بينا في قواعد النبوات أن الله عز وجل قد أقام الحجة ببعثة الأنبياء وانزال الكتب عليهم والتي بين لهم فيها ما يجب وما هو حرام عليهم وما كان قبل خلقهم وكيف خلقهم وما هو مصيره ومآله، ونهايته وكل ما يعرف اليوم عندنا بالغيبيات أو السمعيات.

ومما ورد من أخبار الغيبيات أيضا الكلام عن القبر وبع أحواله قول الله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1]، وفي تفسير الآية، قال حماد بن سلمة بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة —رضي الله عنه– قال:" ذلك إذا قيل له في القبر: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟..."[2]

-**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [3].

وجه الاستدلال من الآية:

في الآية تصريح ببعث من في القبور، وأن القبر مرحلة من المراحل التي يمر بها كل إنسان فيما يأتي من حية بعد الموت وهي من الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا بوحي من الله وبخبر من القرآن والسنة وقد ورد فيه أحاديث كثيرة كما سيأتي كره بحو الله في المطلب التالي.

كما في القرآن الكريم من ذكر أفراد الغيبيات، ما جاء فيه من اخبار عن أمارات الساعة وأشراطها، والتي هي العلامات لمجيء الساعة وقربها ودنوها واشراط لها لاقترابها[4]، ومما جاء في القرآن من ذكرها ما يأتي من الآيات: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ

---

[1] – سورة إبراهيم؛ الآية: 27.

[2] – ابن مردويه؛ الدر المنثور، المصدر السابق، ج5/ ص32، بسند حسن، وتنظر: ابن جرير، ج13/ ص215.

[3] – سورة الحج؛ الآية: 7.

[4] – حافظ حكمي؛ معارج القبول، المصدر السابق، ص437.

ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [1].

وجه الاستدلال من الآية: في الآية خبر عن مسألة غيبية وهي ذكر لبعض أمارات الساعة وأشراطه، ومما ذكرته الآية من غيبيات هنا مجيء الملائكة بعض آيات ربنا، والآيات هنا يقصد بها العلامات والأشراط .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً ۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ ﴾ [2]

وجه الاستدلال بالاية:

الآتين فيهما تأكيد على مسألة غيبية وعلى حدوثها وقد أخبر الله بقروب وقتها لكنه تركها عز وجل غير معلومة اليوم بالضبط وهي مسألة قيام الساعة التي هي من الغيب المعلوم وقوعه والمجهول زمانه الغائب عن إدراكنا، ثم أخبر أنها سوف تكون بغتة، وأنها مسبوقة بأشراط وعلامات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[3]، وانشقاق القمر من المعجزات، ومن أشراط الساعة، وقد ذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجل وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخرج دابة الأرض وغيرها[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [5].

وجه الاستدلال بالآية: الآية الكريمة فيها ذكر صريح لمسألة غيبية وهي علامة من علامات قيام الساعة وهو الدخان، والذي وإن علمنا جزما بوقوعه وكنا على يقين بذلك ينتفي عنه كل شك إلا أنه يبقى

---

[1] – سورة الأنعام؛ الآية: 158.

[2] – سورة محمد الاية: 18.

[3] – سورة القمر؛ الآية: 1.

[4] – حافظ حكمي؛ معارج القبول، المصدر السابق، ص437.

[5] – سورة الدخان الاية: 10.

غائب عن ادراكنا من جهة الكيفية والزمن واليوم المحدد الذي أراده الله عز وجل وأن أي ادعاء لمعرفة ذلك كذب وافتراء كحال من يستدل بالنجوم والحروف في معرفة وقراءة الغيب[1].

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

وفي السنة مثل ما في القرآن من ذكر من أخبار الغيب مجملا ومفصلا فجاء فيها وجوب الإيمان بالغيب مجملا مع إثباته، كما جاء فيها ذكر للغيبيات على وجه التفصيل وتخصيص بعض أفراده من الساعة والموت والقبر والبعث والجنة والنار وكل ما جاء عنهما من الأخبار وعن الجن والملائكة وأشراط الساعة وغيرها مما سوف نكتفي بذكر البعض منها من باب الاستدلال لا الجمع ولا الحصر ومنها:

-عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث**». قال: ما الإسلام؟ قال: " الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان ". قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: متى الساعة؟ قال: " ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: {إن الله عنده علم الساعة} الآية، ثم أدبر فقال: «ردوه» فلم يروا شيئا، فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» قال أبو عبد الله: **جعل ذلك كله من الإيمان**[2].

وجه الاستدلال من الحديث: في الحديث جمع جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم، مما أوحى الله له به، مسائل وأركان وجعلها أركان الإيمان، ومنها ذكر الغيبيات والمتمثلة في الملائكة واللقاء والبعث، وهي من

---

[1] – أربابُ هذه الطريقة يزعمون أن لهذه الحروف علاقةً ورابطةً قويَّةً بحياة الإنسان ومستقبله، وبالكون وما يحدث فيه من الحوادث؛ ويزعمون أنهم يعرفون حوادث هذا العالم من هذه الحروف، وطريقتهم في ذلك أنهم يكتبون حروف أبي جاد، ويجعلون لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا عندهم، ويُجرون على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها، ثم يُجرون على هذه الأعداد عملية حسابية من جمع وطرح بطريقة ما، وينسب العدد الباقي من هذه العملية إلى الأبراج الاثني عشر، ثم يقضون بالسعود والنحوس، وبأوقات الحوادث والملاحم، وبمدد الملك وأعمار الناس، إلى آخر ذلك من أمور الغيب، على وفق ما أصَّله لهم أسلافُهم، وأملاه عليهم شيطانُهم، ومن ذلك ما فعله يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي عمل تسييرًا لهذه الأمة، وزعم أنها تنقضي عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة، وزعم بعض أتباعه أنه استخرج ذلك من حساب الجُمَّل الذي للحروف التي في أوائل السور. تنظر: محمد المقدم، فقه اشراط الساعة، المصدر السابق، ص208.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 50، و أخرجه مسلم؛ رقم: 8.

مفردات الغيب وكذلك جعل من أعظم مراتب الايمان وهو الإحسان أن تؤمن بالله وهو غائب عنك إلى درجة كأنك تراه، وهذا من أعظم درجات التسليم بالغيب، والربط بين الإيمان بالله والإيمان بالغيب.

-عن عبد الله بن عمر، أنه قال: "**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله**، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"[1]؛ فهذ تدل على ما يجب اعتقاده في أمور الآخرة، وفي هذا الصدد قال ابن أبي زمنين :" ذكر أيضا عن أمور الغيب التي تقع في الدنيا في آخر الزمان وعلامات الساعة فقال:" وأهل السنة يؤمنون بطلوع الشمس من مغربها، ...ثم قال في موضع آخر: وأهل السنة يؤمنون بخروج الدجال... ثم في نفس السياق قال عن نزول عيس عليه السلام: وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى وقتله الدجال"[2].

وجه الاستلال من الأحاديث:

في هذه الأحاديث ذكر لبعض أفراد الغيب التي يجب الإيمان بها وبما تقتضيه من علم اختص الله به وحجبه عن عباده، وأن المطلوب منهم هو التسليم بها والإيمان بها كما هي مع اليقين أنه من علم الله وحده.

- عن عمرو بن أخطب، قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، **فأخبرنا بما كان وبما هو كائن**»[3]، وفيه من ذكر الغيب الماضي والغيب المستقبل، فدل هذا أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الصحابة من أمور الغيب ويأمرهم ان يؤمنوا بها.

---

[1] - أخرجه مالك بن أنس؛ الموطأ برواية أبي مصعب الزهري، ج2/ ص180/ رقم: 2120، وتنظر: الموطأ برواية الأعظمي، ج1/ ص106،

[2] - ابن أبي زمنين؛ أصول السنة، المصدر السابق، ص221-236.

[3] - أخرجه مسلم: رقم: 2892.

– عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[1]؛ وفي من مسائل الغيب خروج ذو السويقة الحبشي، وتخريب الكعبة.

– عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**»، تابعه أبان، وعمران عن قتادة، وقال عبد الرحمن، عن شعبة قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**»[2]؛ وفي الحديث من أمور الغيب ما يجب التسليم بها أنه يكون حج وعمرة بعد خروج يأجوج ومأجوج، وفيه أنه يأتي زمان يترك الناس حج بيت الحرام، وكل هذا من الغيب الذي يجب الإيمان به،

– عن سعيد بن المسيب، سمع أبا هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد**»[3]، والحديث من أوله إلى آخره ذكرٌ لمسائل غيبية أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستحدث في المستقبل بحول الله، وهو مما لا مجال للمسلم فيها إلا الإيمان والتسليم.

– قال سعيد بن المسيب، أخبرني أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**» وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية "[4].

– عن أبي سلمة، سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ألا أحدثكم حديثا عن الدجال، ما حدث به نبي قومه: إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار،**

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1591، وأخرجه مسلم، رقم: 2909.

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1593.

[3] – أخرجه البخاري؛ رقم: 2476.

[4] – أخرجه البخاري؛ رقم: 7116، وأخرجه مسلم؛ رقم: 2906.

فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه "[1]؛ قال القباب الفاسي[2] في كتابه شرح الاعلام بحدود قواعد الإسلام، وجعل للإيمان بالغيبيات قاعدة خاصة فقال:" والعشر المتيقن ورودها: أن تعتقد أن الدنيا فانية، وأن الخلق يفنون في قبورهم وينعمون ويعذبون، وأن الله تعالى يحشرهم يوم القيامة، كما بدأهم يعودون، وأن الحساب حق، والميزان حق، وأن الصراط حق، وأن الحوض حق، وأن الأبرار في الجنة في النعيم، واكفار في النار في الجحيم، وأن المؤمنين يرون الله عز وجل بأبصارهم في الآخرة، وأن الله تعالى يعذب بالنار من يشاء من أهل الكبائر من المؤمنين، ويغفر لمن يشاء، ويخرجهم من النار إلى الجنة بفضل رحمته، وشفاعة الأنبياء والصالحين من عباده، حتى لا يبقى في جهنم إلا الكافرون"[3].

– عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه، ألا إن المدينة كالكير، تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكير خبث الحديد** "[4].

وجه الاستدلال بالأحاديث:

كل هذه الأحاديث جاء فيه أخبار عن الغيب، ومنها ما جاء مفصلا ومنها ما كان مجملا، ومنها ما كان غيبا على الصحابة أو التابعين، وصار اليوم من المعلوم الذي تدرك العقول حقيقته، ومنها ما هو غيب إلى يومنا المشهود هذا، ولا مناص لعقل المسلم إلا الإيمان والتسليم بالغيب حتر يكتمل توحيده لله رب العالمين.

---

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 3338، وأخرجه مسلم؛ رقم: 2936.

[2] – القباب الفاسي وهو: الامام أبو العباس أحمد بن محمد بن القاسم الجذامي، ولد بفاس 724هـ، القاضي الخطيب المفتي المحقق، أحد فقهاء وعلماء عصره في المغرب، من كتبه شرح قواعد عياض، واختصار إحكام النظر لابن قطان، وله فتاوي كثيرة، مات سنة 778هـ، ينظر: الديباج المهب، ج1/ ص162، 163، والجذوة، ج1/ ص123، 124.، نيل الابتهاج، ص102، 103.1

[3] – القباب الفاسي أبي العباس أحمد بن محمد الجذامي؛ شرح الاعلام بحدود وقواعد الإسلام، ط1، الرابطة المحمدية للعلماء، ومركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 1435هـ/ 2014م، ج1/ ص297-324.

[4] – أخرجه مسلم؛ رقم: 1381.

– عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا،** وقال يونس بن محمد: حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أبو المتوكل"[1].

وجه الاستدلال من الأحاديث:

الأحاديث الذي أدرجناها الآن تتضمن أخبار عن الغيب الأخروي الذي لم ينكشف لأحد من البشر على حقيقته وكيفيته الدقيقة وإنما جاءت عنه الأخبار الصحيحة عن رسول الهه صلى الله عليه وسلم، والواجب علينا تصديقها والإيمان بها وبما تتضمنه من أخبار الغيب الأخروي.

والأخبار في ذكر أحوال صفات الجنة والنار وفي ذكر أحوال أهليهما كثيرة وليس المقام مقام جمعها لكن ذكرنا هذه الأحاديث من باب الاستشهاد لا من باب الجمع والحصر.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

الكلام عن العقل وعلاقته بالغيب، فإننا نتكلم عنه كأداة معرفية تفرض وجود الغيب، ولا نتكلم عنه كوسيلة لمعرفته أو الاطلاع عليه، فنحن في حياتنا اليومية نرى أمورًا تفيد بالقطع وجود الغيب، فحياتنا لا نعرف نهايتها وأرزاقنا لا نعرف حَدَّهَا، ولا ندرى ما حالنا بعد يومنا، أنحن أغنياء أم فقراء؟ أصحاء أم مرضى؟ هل سيكون لنا أولاد أم لا؟ وإذا كانوا كم سيعيشون؟

فهذه أمور نعيشها في حياتنا وتمثل اهتمامًا بالنسبة لنا، ومع ذلك لا نستطيع بجميع ما نملك من الحواس، وما يظهر لنا من العلوم أن نكتشف مسارها، وإلى أين تتجه، **كما يعتبر دليل العناية من أعظم الأدلة على وجود الغيب**؛ ويراد بالعناية ما نشهده ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عمومًا، وبالإنسان على وجه الخصوص، ودليل العناية مركب على أصلين:

الأول :العلم بهذه الموافقات.

[1] – أخرجه البخاري؛ رقم: 2440.

الثاني :أن هذه الموافقة من قبل فاعل قاصد مريد[1].

فتبن أن الغيب الذي ينكشف بالتزامن وعبر الأيام والأعوام يثبت لكل أمة أن الغيب وكل ما يستره الله لحكمة هو أرادها ولما يأذن بكشفها للناس ويشاء يفعل سبحانه وتعالى، وقد كشف للخدر عليه الصلاة والسلام ما لم يكشفه لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك لحكمة من الله أرادها، كما أن انكشاف أمور لنا اليوم كانت غيب على من كان قبلنا دليل على أن الغيب حقيقة تدل على إرادة الله وقدرته كما تدل على اعجاز القرآن الكريم من جهة وتدل على اعجاز السنة النبوية الشريفة، كل ذلك يجعل العقل يؤمن ويصدق؛ ويفسر القرآن هذا الانكشاف للمعلومات مع الزمن أنه دليل الغيب **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾[2].

إن العقول السليمة والقلوب التقية توقن أن الغيب حقيقة وسر الله، والمؤمن الحقَّ هو من يؤمن بالغيب، ولا يتكلَّف البحث فيه؛ لعلمه أنه من أسرار الله تعالى وأنه لن يدركه ما لم يطلعْه الله على شيء منه، ويجعلُ همّه ومهمته في العمل على تحقيق ما يرضي الله تعالى من الإيمان به، وإقامة دينه، والدعوة إليه. ولو نظرنا إلى طريقة العلماء الراسخين في العلم لما وجدناهم إلا على هذا المنهج السديد

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

ذكر لنا ابن أبي زيد القيرواني، في تنوير السالك، وفي مواطن مختلفة مفصلة ومجملة عقيدة مالك بن أنس أمام المذهب، في الغيبيات ومما قاله في الايمان بالجنة والنار:" **والجنة والنار قد خلقتا، أعدت الجنة للمتقين، والنار للكافرين، لا تفنيان ولا تبيدان**"[3]، وفي الكتاب نفسه ذكر ما تتقرر به القاعدة، فقال:" **وأنَّ الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم، لا يضامون في رؤيته...وأنه سبحانه يُكلم العبد يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان**"[4]، وفي كلامه هذا اثبات لغيبيات كثيرة ومنها، تكليم

---

[1] – ابن رشد؛ الكف عن مناهج الأدلة، ص60.

[2] – سورة البقرة الآية: 33.

[3] – ابن أبي زيد؛ تنوير السالك، المصدر السابق، ص75.

[4] – المصدر نفسه، ص73، 74.

الله عز وجل يوم القيامة، ورؤية الله سبحانه في الجنة، والمعاد، والجنة والنار، وكل هذه المسائل غيب ومن السمعيات التي يجب الإيمان بها.

ومما أثبته أيضا لمالك في كتابه تنوير السالك غيبيات كثيرة تؤكد أنها قضية عقدية ضرورية وواجبة لكمال التوحيد وثبوت الايمان بالله أثبت أيضا مسألة القضاء والقدر، وهي مسألة غيبية عظيمة فقال:" **والإيمان بالقدر خيره وشره، وكل ذلك قد قدره ربنا وأحصاه علمه، وأن مقادير الأمور بيده،** ومصدرها عن قضائه..."[1]؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الإيمان بالقضاء والقدر واجب وركن من أركان الإيمان، كما علم أن القدر سر الله اختص به لنفسه.

وقال أيضا مسندا قولَه إلى الامام مالك بن أنس في مسائل الغيب الكثير ومنه:" ...وأنه **يُنفخ في الصور** فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم **ينفخ فيه أخرى** فإذا هم قيام ينظرون، كما بدأهم يعودون، حفاةً عراةً، غرلا...ثم قال عن الموازين: **وتنصب الموازين** لوزن أعمال العباد... **ويُؤتون صحائفهم**... ثم قال في ذكر الصراط فقال: **وأن الصراط جسرٌ مورود** يجوزه العباد بقدر أعمالهم... ثم عن الشفاعة فقال: **وأنَّ الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين**... ثم تكلم عن الحوض فقال: و**الإيمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم**، ترده أمته...ثم أخبر بوجوب الايمان بأشراط الساعة فقال:" **والإيمان بما ثبت من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام**، وقتله إياه، بالآيات التي بين يدي الساعة: **من طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة**، وغير ذلك مما صحت به الروايات"[2]؛ فيفهم من نقول ابن أبي زيد عن مالك في بيان عقيدته أن إمام المالكية أنس بن مالك يثبت وجوب الإيمان بكل السمعيات التي ثبت في الخبر وأن ذلك ركن ركين في العقيدة بالله، ومنه تكون القاعدة مقررة بالشواهد والتطبيقات هذه عن مالك رحمه الله.

كما تقررت القاعدة عند شيخ المالكية ابن عبد البر، تصريحا وتطبيقا في مواطن كثيرة ومختلفة وقد نقل في المسألة الاجماع فقال مصرحا:" **وقد أجمع المسلمون على أنَّ من أنكر البعث؛ فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما يغني ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا**

[1] – المصدر نفسه، ص77– 80.

[2] – ابن أبي زيد القيرواني، تنوير السالك، المصدر السابق، ص87–92.

وجه للإنكار في ذلك"[1]؛ فتبين لنا من كلام ابن عبد البر هذا أن الإيمان بالغيبيات واجب على المؤمن وانكاره كفر بمعلوم من الدين بالضرورة.

كما ذكر في مواضع كثيرة أخرى تتعلق بمسائل الغيب وأخبار السمعيات فيها وهو يؤكد وجوب الإيمان بها وتصديق أخبارها فقال عن فتنة القبر:" وأمَّا قوله صلى الله عليه وسلم:" أوحي إلي أنكم تُفتنون في قبوركم" فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والآثار متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ولا ينكره إلا أهل البدع..."[2]

ومن المالكية الأئمة الذين قرروا القاعدة وذكروا ما يفيد وجوب الإيمان بها بل ونقل لنا السند في تقريرها عن أئمة الأمة من العلماء والحفاظ قال ابن أبي زمنين بإسناده عن زهير بن عباد:"كل من أدركت من المشايخ: مالك، وسفيان، فضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، **كانوا يقولون: الميزان حق**"[3]، وقد ذكر في كتابه أصول السنة مقررا لكل أفراد الغيبيات من الجنة والنار والعرش والكرسي والصراط واللوح والشفاعة من أمور الآخرة[4]

كما ذكر أيضا عن أمور الغيب التي تقع في الدنيا في آخر الزمان وعلامات الساعة فقال:" **وأهل السنة يؤمنون بطلوع الشمس من مغربها**، ...ثم قال في موضع آخر: **وأهل السنة يؤمنون بخروج الدجال**... ثم في نفس السياق قال عن نزول عيس عليه السلام: **وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى وقتله الدجال**"[5]؛ فجعل لكل مسألة باب وذكر فيه الأدلة من القرآن والسنة ولتأكيد أنها عقيدة واجبة على كل مؤمن بالله وأنها من شروط التوحيد الضرورية.

وذكر كذلك في تفسير القرآن العزيز وفي تفسيره للآية الثالثة من سورة البقرة وبيان المقصود من الغيب فيها ما يؤكد القاعدة فقال:" **يصدقون بالبعث والحساب، والجنة والنار**"[6].

---

[1] – ابن عبد البر؛ التمهيد، المصدر السابق، ج9/ ص116.

[2] – المصدر نفسه، ج22/ ص247-254. وتنظر: اشرف حسين العيسري؛ عقيدة أهل السنة والجماعة بين ابن عبد البر وابن تيمية، ط1، دار العلوم والحكمة للنشر والتوزيع، العمرانية، 1431هـ/ 2010م، ص216.

[3] – ابن أبي زمنين؛ أصول السنة، المصدر السابق، ص200.

[4] – المصدر نفسه، ص99-224.

[5] – ابن أبي زمنين؛ أصول السنة، المصدر السابق، ص221-236.

[6] – ابن ابي زمنين؛ تفسير القرآن العزيز، المصدر السابق، ج1/ ص120.

ونُقل لنا في مواضع أخرى عنه أن الروح من الغيب الذي لا يعلمه أحد بل حتى ملك الموت لا يعلم كنهه ولا وقت خروجه ولا دخوله الجسد إلا بإذن الله فقال:" أنه يقبض روح كل شيء في البر والبحر وبلغني أن لملك الموت أعوانا من الملائكة هم الذين يسلبون الروح من الجسد، حتى إذا كان عند خروجه قبضه ملك الموت **وهم لا يعلمون آجال العباد، حتى يأتيهم على ذلك من قبل الله**"[1].

ومن أئمة المالكية ابن أبي زيد القيرواني، حيث ذكر في المقدمة من المسائل الغيبية وقرر أنها من العقائد الواجب الإيمان بها فقال:" وأن الله قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم بالنظر إلى وجهه الكريم... وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر... وأن الله تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا... وتوضع الموازين... ويؤتون الصحف...وأن الصراط حق...والايمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدَّل وغيَّر"[2].

ونقل عن أبي إسحاق الزجاج ما يؤكد قاعدة وجوب الايمان بالغيبيات فقال:" أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال"[3]، وكل ذلك من الغيب.

وسُئل القاضي عياض، عما جاء في الخبر عن القبر وما يحدث فيه فقال مجيبا:" **إنَّ عذاب القبر وسؤال الملكين للميت صحيح مجمع من أهل السنة في ذلك...** "[4]؛ فالقاضي عياض هنا نقل الاجماع في هذه المسالة، وأن الإيمان بها من عقيدة أهل السنة التي لا شك في ثبوتها.

ومن المالكية الذين تقررت عندهم القاعدة واستدلوا لها وأثبتوا كل ما جاء عنها من الأخبار عبد الحق الإشبيلي[5] في كتابه العاقبة في ذكر الموت والآخرة فمما قاله في بين مغبة من كفر بالغيبيات أو

---

[1] – ابن أبي زمنين؛ أصول السنة، المصدر السابق، ص 149.

[2] – صالح آل الشيخ؛ بيان المعاني، المصدر السابق، ص60-70.

[3] – ابن حجر؛ فتح الباري؛ المصدر السابق، 13/ 538، وتنظر: عون المعبود، ج13/ ص69.

[4] – أحمد بن يحي الونشريسي؛ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: د، محمد حجي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/ 1981م، ج11/ ص253.

[5] – عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأَزْدي الإشبيلي، أبو محمد، المعروف بابن الخراط. من علماء الأندلس. كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله، مشاركا في الأدب وقول الشعر. من كتبه:" المعتلّ من الحديث" و "الأحكام الشرعية" ثلاثة كتب، كبرى وصغرى ووسطى. توفي: 581 هـ. ينظر" تهذيب الأسماء واللغات ج1/ص 292 وفوات الوفيات ج1/ص 248.

تغافل عن ذكرها والاستعداد لها ولما سوف يلقونه في مستقبلهم:" **وأعظم الغفلة عن الموت الإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه، وترك العمل له، وأن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر...**"[1]؛ فيفهم من كلامه أن الغفلة عن ذكر الغيبيات نقص في التوحيد وقد يؤدي بمن يفعل ذلك إلى مفاسد، وأن الواجب هو الإيمان والتفكر فيه دوما تثبيتا للإيمان في القلوب.

وذكر لنا صاحب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن احمد القرطبي، كلاما كثيرا جدا تتقرر به القاعد وتتأكد وبين فيه أن الوجب على المسلم هو التسليم بما جاء من أخبار السمعيات والايمان بكل ما يتعلق بها من أخبار وأوصاف ومما قاله عن الموت:" **اعلم أن الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وأنه الحارث الأهدم للذات والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات... وأن يومه لهو اليوم العظيم...**"[2]؛ وكل ما ذكره هنا من الغيب الذي يجب الإيمان به والتصديق بأخباره.

ومما قاله أيضا:" **الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق به لازم**، حسب ما أخبر به الصادق، وأن **الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه، ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما أتاه من ربه وما أعد له في قبره من كرامة وهوان**"[3]؛ فكل ما ذكره من أمور الغيب التي لا مصدر لمعرفتها إلا التسليم بما جاء في القرآن والسنة ومن عقائد السمعيات واليقين بها.

ومما يؤكد تقرير المالكية لهذه القاعدة وشدتهم في ذلك، وأنهم يرون أن من أنكر شيء من ذلك فقد يكفر بالله ويفسد دينه وتبطل عقيدته ما نُقل عن ابن رشد، وهو يجب عن سؤال مفاده، ماحكم الشك في خبر أن الله يتكلم فقال:" كلام الله تعالى، وإن كان ليس من جنس كلام المخلوقين، فإنه يسمعه منه من أكرمه من ملائكته، ورسله، بأن كلمه بدون واسطة، **قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن**

---

[1] – عبد الحق ابن الخراط الإشبيلي؛ العاقبة في ذكر الموت والآخرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م، ج1/ ص43.

[2] – أحمد بن محمد بن فرح القرطبي؛ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م، ص32.

[3] – المصدر نفسه، ص137.

يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [1]، ...قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [2]، **فمن أنكر هذا وجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل...**"[3]، فلما كان الإيمان بهذه المسألة الغيبية واجب لتحقق الحقيدة في قلب المؤمن كان إنكار ذلك انكارا للتوحيد وكفرا بالله.

وقال ابن عطية في تفسير قول الله عز وجل **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4]:" «**الغيب في هذه الآية هو الله عز وجل**» وقال آخرون: «**القضاء والقدر**» وقال آخرون: «**القرآن وما فيه من الغيوب**» وقال آخرون: «**الحشر والصراط والميزان والجنة والنار**» .

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأقوال لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها، والغيب في اللغة: ما غاب عنك من أمر، ومن مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله"[5].

ومما ذكره لنا أبو عبد الله محمد القرطبي أيضا في تفسير هذه الآية يؤكد أن المقود هو مقتضى ما ذكرناه في القاعدة وأن الإيمان بالغيب من الإيمان بالله والتسليم بكل ما أخبر من عيوب لا تدركها العقول، وجمع لنا مجموعة من أقوال المفسرين تبين ذلك فقال:" الغيب، لأنه غاب عن البصر. الثالثة واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا، فقالت فرقة: **الغيب في هذه الآية: الله سبحانه**. وضعفه ابن العربي. وقال آخرون: **القضاء والقدر**. وقال آخرون: **القرآن وما فيه من الغيوب**. وقال آخرون: **الغيب كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار**. قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها. قلت: **وهذا هو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم: فأخبرني عن الإيمان. قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**

---

[1] – سورة الشورى؛ الآية: 51.

[2] – سورة النساء؛ الاية: 164.

[3] – ابن رشد؛ الفتاوى، المصدر السابق، ج1/ ص533، 534، وتنظر: فاضل الامام، فتاوى علماء المالكية، المصدر السابق، ص414.

[4] – سورة البقرة؛ الآية: 3.

[5] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج1/ ص84.

واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره (. قال: صدقت. وذكر الحديث. وقال عبد الله بن مسعود: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ:" الذين يؤمنون بالغيب" قلت: وفي التنزيل:" وما كنا غائبين " وقال:" الذين يخشون ربهم بالغيب «4» ". فهو سبحانه غائب عن الأبصار، غير مرئي في هذه الدار، غير غائب بالنظر والاستدلال.

وجاء في كتاب رسالة إلى أهل الثغر ما يؤكد القاعدة وأن الإيمان بالسمعيات واجب وشرط من شروط كمال التوحيد وتحقق الايمان المطلوب شرعا فقال:" إذا ثبت بالآيات صدقه، فقد علم صحة كل ما أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم عنه، **وصارت أخباره عليه السلام أدلة على صحة سائر ما دعانا إليه من الأمور الغائبة عن حواسنا وصفات فعله، وصار خبره عن ذلك سبيلاً إلى إدراكه، وطريقاً إلى العلم بحقيقته**"[1]؛ فيجب تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر به من أمور الغيب كأشراط الساعة وغيرها من أمور الآخرة، ومن ذلك أسماء الله وصفاته دون إعمال العقل بنظر في ذلك.

وفي تفسير الآية نفسها أكد الثعالبي المالكي أن المراد هو الايمان بكل ما أخبرت به الشرائع من مسائل الغيب وأخبار الغيبيات فقال:" معناه يصدقون، وقوله: بالغيب قالت طائفة: معناه: يصدقون، إذا غابوا وخلوا، لا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا حضروا، ويكفرون إذا غابوا، وقال آخرون: معناه: يصدقون بما غاب عنهم مما أخبرت به الشرائع"[2].

ومن المالكية الذين أكدوا هذه القاعدة القباب الفاسي في كتابه شرح الاعلام بحدود قواعد الإسلام، وجعل للإيمان بالغيبيات قاعدة خاصة فقال:" **والعشر المتيقن ورودها: أن تعتقد أن الدنيا فانية، وأن الخلق يفنون في قبورهم وينعمون ويعذبون، وأن الله تعالى يحشرهم يوم القيامة، كما بدأهم يعودون، وأن الحساب حق، والميزان حق، وأن الصراط حق، وأن الحوض حق، وأن الأبرار في الجنة في النعيم، واكفار في النار في الجحيم، وأن المؤمنين يرون الله عز وجل بأبصارهم في الآخرة، وأن الله تعالى يعذب بالنار من يشاء من أهل الكبائر من المؤمنين، ويغفر لمن يشاء، ويخرجهم من النار إلى**

---

[1] – أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري؛ رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجندي، ط1، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ص105.

[2] – الثعالبي؛ الجواهر الحسان، المصدر السابق، ج1/ ص183.

الجنة بفضل رحمته، وشفاعة الأنبياء والصالحين من عباده، حتى لا يبقى في جهنم إلا الكافرون"[1]؛ فصرح في أول كلامه أنها من المسائل التي يجب التيقن بها، وجزم الإيمان بها، ثم جعل لكل مسألة أدلة من القرآن والسنة وبين مقتضى الإيمان بها.

ومن المالكية الذي قرروا القاعدة أيضا وجعلوا لها فصلا السكوني في كتابه النور المبين، حيث أدرج بابا للغيبيات وأسماه القاعدة الثالثة في الكلام في الدار الآخرة، قال:" **وأعلم أن الله تعالى يحي الموتى، ويحشر الخلق يوم القيامة للحساب والثواب والعقاب، وقد نطقت بذلك كتب الله وأخبرت به رسله، فوجب الإيمان به...**"[2]؛ ثم أدرج في كتابه يذكر كل مسائل الغيب التي صحت بها الأخبار في القرآن والسنة.

ومما يؤكد تقرير أئمة المالكية للقاعدة ما جاء في الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني، الذي قال فيها مقررا لوجوب الإيمان بكل الغيبيات الثابت فيها النص الشرعي:" **إن الإيمان واجب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت به النقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذِكرِ وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة... من خروج الكذاب الأعور الدجال، وفتنته...**"[3]، وفي كلامه تصريح للقاعدة وأن عقيدة أهل السنة والجماعة قائمة على وجوب الايمان بالسمعيات التي ثبت لنا خبرها.

وجاء في مواضع أخرى من الرسالة الوافية ما يقرر عقيدة وجوب الايمان بكل ما ثبت في السمعيات فقال:" **ومن الإيمان تصديق نزول عيسى عليه السلام، وكسره الصليب، وقتله الخنزير، والدجال،** وتقع الأَمَنَة في الأرض، وتكون الدعوة لله رب العالمين... ثم قال عن يأجوج ومأجوج: **ومنه يأجوج ومأجوج، وهما ذرء جهنم،** فيخرجون فينشغون المياه، وتتحصن الناس منهم... ثم ذكر خبر الدابة فقال: **ومنه خروج الدابة...** ثم ذكر طلوع الشمس من مغربها فقال: **ومنه طلوع الشمس من مغربها فإذا طلعت أُغلق باب التوبة...** ثم ذكر خروج النار فقال: ومنه-يقصد الإيمان-**خروج النار**

---

[1] – القباب الفاسي أبي العباس أحمد بن محمد الجذامي؛ شرح الاعلام بحدود وقواعد الإسلام، ط1، الرابطة المحمدية للعلماء، ومركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 1435هـ/ 2014م، ج1/ ص297-324.

[2] – السكوني، النور المبين؛ المصدر السابق، ص89.

[3] – أبو عمرو الداني؛ الرسالة الوافية، المصدر السابق، ص243.

من أرض الحجاز، فتسوق الناس إلى محشرهم قبل يوم القيامة..."[1]؛ وكل هذه من أفراد أخبار الغيب التي ثبتت في السنة وتقررت عن أئمة المالكية.

ومما ثبت عنه أنه في تقرير وجوب التسليم بالسمعيات والإيمان بها من الإيمان بالله ما ذكره عن مسألة القبر والحياة البرزخية حيث قال:" ومن قولهم في الإيمان-عقيدة أهل السنة والجماعة-إن **المؤمنين والكافرين يحيون في قبورهم، ويفتنون ويُسألون**، وإنَّ فتاني القبر: أسودان أزرقان، وهما منكر ونكير، يسألان المؤمن والكافر كما صح الخبر وثبت النقل، بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وأن أرواح المؤمنين منعمة إلى يوم الدين، وأنَّ أرواح الكافرين في عذاب أليم، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون...**"[2].

ومنهم أيضا القحطاني المالكي في نونيته الشهيرة ما يؤكد تقرر القاعدة عند المالكية بوجوب الإيمان بالغيبيات لكل من أراد أن يكون مؤمنا كامل التوحيد فقال:

وحياتنا في القبر بعد مماتنا ** حقا ويسألنا به الملكان**

والقبر صح نعيمه وعذابه **** وكلاهما للناس مدخـران[3].

وممن قرر وجوب الإيمان بالغيبيات وأنها من شروط التوحيد والإيمان بالله عز وجل صاحب متن جوهر التوحيد الذي ذكر في مجموعة من الأبيات ذلك ومما قاله:

وواجب إيماننا المـــــــوت ** ويقبض روح رسول المـوت**

وميت بعمره من يقتـــــــل **** وغير هذا باطل لا يقبـــــل

وكل شيء هالك قد خصصوا **** عمومه فاطلب لما قد لخصوا.

---

[1] – أبو عمر الداني؛ الرسالة الوافية، المصدر السابق، ص243-245.

[2] – المصدر نفسه، ص197.

[3] – المعافري أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، الأندلسي المالكي؛ نونية القحطاني، تحقيق، عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع، ط1، دار الذكرى، دون سنة الطبع، ص16.

سؤالنا ثم عذاب القبـــــــر ** نعيمه واجب كبعث الحشر**[1]

ومن المالكية أيضا المقررين لقاعدة وجوب الإيمان بالسمعيات والتسليم بكل ما صح عنها من الأخبار محمد عليش[2]، في جوابه عن سؤال يتعلق بمدى صحة ما يقوله البعض من الحياة في القبور ومدى صحة اعتقاد من يقول ذلك؟ فقال مجيبا:" **نعم: اعتقادهم صحيح واجب على كل مكلف** لقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، ولأحاديث بلغت جملتها التواتر، ولا يمتنع عقلا ذلك..."[4].

ومن المالكية المقررين للقاعدة أحمد الدردير[5] صاحب الخريدة والذي أكد وجوب الإيمان بالغيبيات والتسليم بكل الأخبار التي جاءت عنها فقال:

ويلزم الإيمان بالحســـاب ** والحشر والعقــاب والثـــواب**

والنشر والصراط والميزان ** والحوض والنيــران والجينـــان**

والجن والملائكة ثم الأنبياء ** والحور والولدان ثم الأوليـــاء**

وكل ما جاء من البشـــير ** من كل حكم صار كالضروري**[6].

فذكر هنا في هذه القصيدة مجموعة من أفراد الغيبيات واستهل ذلك بالتصريح بوجوب الإيمان بها التسليم لصدق أخبار الوحي عنها وأن ذلك من الإيمان الضروري على المسلم.

---

[1] – اللقاني؛ جوهرة التوحيد، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص37.

[2] – محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله: فقيه، من أعيان المالكية. من تصانيفه "فتح العليّ المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك "، و "منح الجليل على مختصر خليل " توفي: 1299 هـ. ينظر: إيضاح المكنون ج 1/ ص 271.، شجرة النور ص 385 ومعجم المطبوعات ص 1372.

[3] – سورة غافر؛ الاية: 46.

[4] – محمد عليش؛ فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، [د.س]، ج1/ ص9، 10.

[5] – أحمد بن محمد بن أحمد العَدَوي، أبو البركات الشهير بالدردير: فاضل، من فقهاء المالكية، من كتبه: "أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك" و "منح التقدير "، في شرح مختصر خليل، فقه، و "تحفة الإخوان في علم البيان"، توفي: 1201 هـ. ينظر: شجرة النور 359، الأعلام ج1/ ص244.

[6] – أحمد الدريدر؛ الخريدة، متون العقيدة والتوحيد، المصدر السابق، ص43، 44.

وذكر في كتاب الاعتقاد من متن ابن عاشر القاعدة وتقرر عنه وجوب الإيمان بالغيب على اعتبار أنه ركن ركين من أركان الإيمان به يتحقق كمال التوحيد والايمان بالله فقال:

الإيمان جزم بالإله والكتب ** والرسل والأملاك مع بعث قرب**

وقد وكذا الصراط ميـــزان ** حوض النـــبي جنـــــة ونيـــران.**

فتبين من البيتين الأول والثاني أن الإيمان يجمع كل ما ذكره من اركان الايمان بالله والكتب والرسل والأملاك، ثم البعث وخص الغيب بذكر بعض أفراده من الصراط والميزان والحوض والجنة والنار.

ومن المالكية الذين قرروا القاعدة واعتبروا أن الإيمان بالسمعيات واجب معلوم من الدين بالضرورة ما نقل لنا من كلام محمد حبيب الله االجنكي[1]، عن المهدي المنتظر حيث قال:" اعلم أنه قد تواترت عند المحدثين، وكافة العلماء المجتهدين **أن المهدي غير عيسى... وقد استفاضت الأخبار بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سنين، على أكثر الروايات**... ثم أتى إلى ذكر مسألة نزول عيسى عليه السلام فقال: وقد ورد في نزوله ومدة مكثه في الأرض بعد الدجال كثير من الأحاديث، تركنا بعضها اختصارا، للقطع بأمره؛ لأنه نص القرآن العظيم..."[2]؛ فتبين من كلامه أن التسليم بما جاء من أخبار السمعيات واجب، وأنها مسائل قطعية لا شك فيها والوجب هو الإيمان بها.

وقد تقررت عقيدة التوحيد عند عبد الحميد بن باديس وقد ذكر أن الايمان بالغيب واجب، ثم ادرج يذكر بعض أفراد الغيب ومحطاته مبينا أن الايمان بها من تماما الإيمان بالله عز وجل فقال:" **ونؤمن بانتهاء وجود هذا العالم الدنيوي** عند انتهاء أجل وجوده في الله فينحل نظام الكون، فيخرب الكون العلوي كما يخرب الكون السفلي، **ليكون وجود العالم الأخروي في كون آخر ونظام آخر... ونؤمن بأن الله تعالى يحيينا بعد الموت**، ويعيدنا بأرواحنا وأجسادنا فيبعثنا إلى الموقف الأعظم للمحاسبة...**ونؤمن أن الله تعالى ينصب الميزان... ونؤمن بأن الله تعالى يضرب الصراط** على ظهر جهنم... **ونؤمن أن**

---

[1] – هو: محمد حبيب الله بن سيدي عبد الله بن مايأبى، الجنكي اليوسفي نسبا، المالكي مذهبا، الشنقيطي اقليما، له مؤلفات متعددة: منها: رسالة الجواب المقنع، توفي 1363، تنظر: رسالة الجواب المقنع؛ ص5، 6.

[2] – محمد حبيب الله الجنكي؛ رسالة الجواب المقنع المحرر في الرد على من طغى وتجبر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر، ط6، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، 1401هـ/ 1981م، ص 30-52.

الله خلق النار دار عذاب وخلود لمن كفر، ودار عذاب إلى أجل لمن رجحت سيئاتهم على حسناتهم فاستحقوا العذاب، وأن العذاب فيها للأرواح والأجساد... **ونؤمن بأن الله خلق الجنة دار نعيم** وخلود للمؤمنين وأنها محرمة على الكافرين، وأن النعيم فيها للأرواح والأجساد، **وأن أعظم نعيمها هو رضوان الله**"[1].

ومن المالكية أيضا تقي الدين الهلالي في مختصر هدي الخليل بين أن من مقتضيات الايمان وكمال التوحيد الواجب على المؤمن الايمان بما جاء من الأخبار عن الغيب فقال:" **ونؤمن أنَّ ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله متى شاء، وأن الخلق ميتون بآجالهم؛ فأرواح أهل السعادة باقية منعمة إلى يوم القيامة، وأرواح أهل الشقاء في سجين معذبة إلى يوم القيامة، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنون يقتنون في قبورهم ويُضغطون ويُسألون، ويثبت الله منطق من أحب تثبيته، وأنه ينفخ في الصور...وبما ثبت من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، حكما عدلا، يقتل الدجال، وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة، وغير ذلك مما صحت به الروايات**"[2]؛ فذكر هنا ما يجب الايمان به من أخبار الغيب، ولم يحصرها فيما ذكر بل بين القاعدة في ذلك وهي أن نؤمن بكل ما صحت به الأخبار من أخبار الغيب.

ومن علماء المالكية الذين تقررت عندهم القاعدة وصرحوا بها طاهر الجزائري[3]، الذي صرح بجوب الإيمان بالغيب وصرح بكيفيته الواجبة فقال:" **وأما عن كيفية الاعتقاد في هذا اليوم وما يتعلق به فيكون بالإيمان أولا بسؤال القبر، ثم بنعيمه أو عذابه، ثم بحشر الأجساد، وأنَّ الخلق كما بدأ يعاد، ثم الحساب والميزان، ثم بإعطاء الكتب إما باليمين وإما بالشمال، ثم الصراط، ثم بدخول المؤمنين**

---

[1] – أبو عبد المعز محمد علي فركوس؛ تنوير التأسيس شرح أركان الإيمان العظام للإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1438هـ/ 2017م، 253-362.

[2] – تقي الدين الهلالي؛ مختصر هدي الخليل، المصدر السابق، ص14، 15.

[3] – طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقيّ: بحاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره، من كتبه: "الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية " و "بديع التلخيص " في البديع، وتوفي: 1338 هـ. ينظر: "تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر" لمحمد سعيد الباني الدمشقيّ، الأعلام ج3/ ص222.

الجنة، ودخول الكافرين النار"[1]؛ فذكر لنا كل أفراد الغيب وبين أن حقيقة الإيمان بالغيب وباليوم الآخر هو التصديق بكل ما جاء عنه من الأخبار المختلفة.

وله كلام كثير في ذكر وتقرير وجوب الإيمان بالغيب وخصص الكلام في كل أفراده وأحداثه من أخبار الروح، والقبر، والصراط، والجنة والنار كل ما جاء عنهما من الأخبار والمحطات ومن ذلك قوله في شأن القبر:" **إن الميت إذا دُفن ترجع روحه إلى جسده بقدر ما يفهم الخطاب ويرد الجواب على الملكين اللذين يسألانه عن ربه ونبيه وعن دينه الذي كان عليه...**"[2]؛ فكل ما ذكره هنا من الغيب الذي لا حيلة للإنسان به إلا التسليم والايمان بما جاء من أخبار الوحي في ذكر وبيان الغيبيات.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

قاعدة وجوب الإيمان بأخبار الغيبيات وأنها شرط ومن شروط كمال التوحيد قاعدة مهمة جدا وذلك لاعتبارين أساسيين أحدهما باعتبارها ركن صريح من أركان الإيمان وثانيهما باعتبار أنها رد وتحصين للعقيدة من الشبهات الحديث التي تثار حول أمور الغيب وللتفصيل نقول:

أولا: فوائدها باعتبارها ركن من أركان الإيمان تتقوى به العقيدة في القلوب وفيه فوائد عظيمة ومنها:

- الإيمان بالغيب ركن صريح في القرآن والسنة وتحقيقه من أسباب كمال التوحيد وعدمه بطلان التوحيد وفساد عقيدة المسلم فهي من أخطر ما قد يصاب به دين المسلم.
- تعظيم الله عز وجل والخضوع له بعد معرفة أنه العليم العظيم، مع العلم أن ما كشفه الله تعالى لرسله من الغيب من قصة بداية الخلق، وعمارة الأرض، وأخبار الأمم الماضية، وما جرى لهم، أو ما كان منه في المستقبل من أنباء آخر الزمان، وعلامات الساعة، وأخبار البعث، والقيامة والمصير، فكل ذلك ما هو إلا جزء يسير من الغيب الذي أطلع الله عليه بعض خلقه.
- تقرر عقيدة كون الإيمان بالغَيْبِ هو مفتاح الإيمان بالله تعالى وبما أخبرت به الرسل عليهم السلام ومن أنكر الغيبَ فليس لديه قابليةٌ لأن يُصَدِّق بما أخبرت به الرسل، وما أنزل من الكتب؛ لأن

[1] – طاهر الجزائري؛ شرح خطب ابن نباتة، ص235، 236، تنظر: طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، المصدر السابق، ص86، 87، وطاهر الجزائري؛ الجواهر الكلامية، ص80.

[2] – طاهر الجزائري؛ الجواهر الكلامية، ط1، دار الامام مالك، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، 80، 81.

أساس الإيمان بذلك هو الإيمان بالغيب وكلما كان الإيمان بالغيب أقوى؛ كان الإيمان بالله تعالى وبما جاء من عنده أقوى وأمكنَ في قلْبِ العَبْدِ، مما يهذب قلوب الناس لقبول عقيدة الغيبيات.

- اشعار القلب بالخوف من التفريط بعقيدة التسليم بالسمعيات بمعرفة أنه كُلَّما ضعُف الإيمانُ بِالغيب؛ ضعف الإيمان بالله تعالى وهكذا. بل إن من أنكر الغيب فهو خارج من الإيمان كله، وليس في قلبه إيمان ألبتة، وكان حاله كحال الدّهرية الملاحدة.
- اقناع كل مسلم بحقيقة عقيدة مهمة جد وهي كون المؤمن الحقَّ هو من يؤمن بالغيب، ولا يتكلَّف البحث فيه؛ لعلمه أنه من أسرار الله تعالى وأنه لن يدركه ما لم يطلعْه الله على شيء منه، ويجعلُ همّه ومهمته في العمل على تحقيق ما يرضي الله تعالى من الإيمان به، وإقامة دينه، والدعوة إليه. ولو نظرنا إلى طريقة العلماء الراسخين في العلم لما وجدناهم إلا على هذا المنهج السديد.
- الطمأنينة في قلوب الموحدين وسلامة القلوب من القلق والأنفس من التضجر واليأس بعد اليقين والتسليم بما في أخبار الغيب من نعيم في الجنة بل يبدأ من القبر، مع الخوف من مغبة الكفر والمعاصي بعد علمه مصير من يقع في ذلك فيكون الإيمان بالغيب سعادةٌ في الدنيا قبل الآخرة.

ثانيا: باعتبار أنها قاعدة تتحصن بها العقيدة وتحفظ الدين من التحريف والشبهات وفيها من الفوائد:

- تحصين الشباب من الشبهات المثارة اليوم حول العقيدة الإسلامية واعتبار ما فيها من أخبار من الخيال والميتافيزيقا، وأنها أخبار لا يقبلها العقل كما لا يثبتها العلم الحديث القائم على التجربة والواقعية، وقد ظهرت في ذلك تأويلات خطيرة فيها تزوير لحقائق الغيب بحجة العلم.
- تمكين العقيدة من مواجهة التحديات الحديثة والتي أصبحت تستند إلى جمعيات علمية وجامعات عالمية تدعوا لإنكار الغيبيات والاهتمام بالمنفعة المادية الحالية وأن الجنة في الأرض كما تفعل ذلك الفلسفات الغربية المعاصرة الملحدة كالوجودية والبراغماتية والمادية الملحدة.
- الوقوف في وجه حملات الإلحاد التي تعصف بأصلٍ عظيمٍ من أصول العقيدة الإسلامية وهو السمعيات، والذي عرف منحا خطيرا في الآونة الأخيرة، والذي غايته الخفية هي الضرب في مصداقية القرآن الكريم والسنة الشريفة، وذلك لأن القرآن الكريم والسنة النبوية يحملان من أخبار الغيب الكثير جدا.

- اكتمال الرؤية الكونية التوحيدية من خلال ربط الدنيا بالآخرة ومن خلال ربك عالم الشهادة بعالم الغيب، وهذا خاصية امتازت بها الأمة الإسلامية.
- تحصين الناس من الشك في أصل من أصول العقيدة وذلك لكون النفسُ البشرية بحكم جهلها وعجزها.
- تحصين العقيدة الإسلامية والهوية من الاختراقات التي تخطط لها أيادي الأعداء بكل أنواع السلاح والاستراتيجيات بألوانها كالعولمة والاعلام وحتى المدارس والأكاديميات المتخصصة، في زرع الشبهات والتأسيس لها، كحال ما تفعله مدارس الاستشراق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: القاعدة الثانية: [الغيب سر الله وعلمه يكشفه لمن يشاء من عباده].

المطلب الأول: تصور القاعدة.

لما كان الغيب علم الله وسره الذي لا يمكن للبشر الاطلاع عليه ولا معرفته، إلا بما شاء الله منه، وكان الإيمان به ضرورة عقدية واجبة لتمام التوحيد وكمال الإيمان بالله، ولما كان بعض الناس[1] يدعون معرفة الغيوب وأسرار الكون[2]، وكان خطر ذلك عظيم في دين الفرد وفي استقرار وأمن المجتمعات من البدع والخرافات والأفكار الهدامة، جاءت صياغة هذه القاعدة لتجمع مقصودا عقديا وإيمانيا عظيما وهو ما تتضمنه القاعدة من قضيتين رئيسيتين الأولى جاء ذكرها في القاعدة السالفة الذكر وهي أن الغيب واجب الإيمان به والثانية أن الغيب سر من أسرار الله وعلم اختص به لنفسه، وأن بعض الغيب علمه بعض عباد الله وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أختصهم به وأن ذلك من وحي الله لهم به، لا من تلقاء علمهم ولا من بحوثهم واكتشافاتهم العقلية، ولا من فطرهم أو عقولهم، فالغيب كما سوف يأتي أنواع منه ما اختص به الله لنفسه ولم يطلع على سره أحدا من خلقه، ومنه ما أوحى به إلى عباده وأعلمهم به.

---

[1] – ومنهم صنوف كثيرة، كالسحرة والكهنة والمشعوذين، بل أُلفت الكتب والمصنفات في التنجيم والشعوذة ومعرفة المستقبل ومحاولة الاطلاع عليه وحتى التحكم فيه، وقد شابه ذلك بعض العلوم في العصر الحديث التي حاول بعض افرادها من ايهام العالم بمعرفة الغيب والتشكيك حتى في النصوص الثابتة في القرآن والسنة وتأويلها تأويلا فاسدا بذريعة التفسير العلمي للظواهر وللقرآن والسنة.

[2] – ومنه: التنجيم:

وهو كما عرَّفه بعض المحققين: بأنه الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، أو حدوث الأمراض أو الوفيات، أو السعود والنحوس، وهذا ما يسمى بعلم التأثير.

وهو على نوعين:

النوع الأول: أن يدَّعي المنجم أن الكواكب فاعلة مختارة، وأن الحوادث تجري بتأثيرها. وهذا كفر بإجماع المسلمين، لأنه اعتقاد أن هناك خالقًا غير الله، وأن أحدًا يتصرف في ملكه بغير مشيئته وتقديره سبحانه وتعالى.

والنوع الثاني: الاستدلال بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها على حدوث الحوادث، وهذا لا شك في تحريمه، لأنه من ادعاء علم الغيب وهو، تنظر: أبو يوسف مدحت المصري؛ المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ط1، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، ص248.

المطلب الثاني: فقه القاعدة:

التعريف بالغيب وبكثير من المسائل التي يجب فقهها عن الغيب في القاعدة الأولى، ومما يجب معرفته في هذه القاعدة ما يأتي من مسائل.

1-أقسام[1] الغيب باعتبار ماهية الأمر الغيبي:

وقد قسمه بعض العلماء بهذا الاعتبار[2] إلى غيب مطلق وغيب نسبي، وإن كانت بعض الاختلافات في التسمية لكن من جهة أصل التقسيم فقد قسموه بهذا الاعتبار إلى قسمين وتفصيلهما فيما يأتي:

أولا: الغيب المطلق: وهو ما يطلق عليه أيضا الغيب الحقيقي، وهو ما يغيب عن الحواس والشهادة والعقول معاً، ولا يعلمه إلا الله عز وجل أو من أطلعه عليه بإذنه[3]، فهو في الأصل محجوب عن الخلق أجمعين، لا يمكن لأحد أن يطلع عليه، ولا الوصول إليه بقواهم الخاصة، وقد جاء ذكره والإشارة إليه في آيات وأحاديث كثيرة ومنها: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ** ﴿٦٥﴾ ﴾ [4] ؛ هذا وسيأتي ذكر الآيات في هذا الموضوع في المطلب الموالي الذي يكون فيه الاستدلال للقاعدة من القرآن والسنة والعقل، ومن الأحاديث التي جاء فيها ذكر الغيب المطلق، عن عبد الله بن عمر، أنه قال: "**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله**، لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"[5]؛ ومن الغيب المطلق ما أخبر به الله عز وجل من اختص وارتضى من عباده، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ**

---

[1] – أصل هذا التقسيم ومبناه هو التقسيم العلمي المبني على الاستقراء والتتبع للنصوص من جهة والعلم من جهة أخرى،

[2] – ممن أقر هذا التقسيم علماء كثر ومنهم: ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل؛ ج5/ ص73، وذكره الرازي، في التفسير الكبير، ج2/ ص31، وذكره البيضاوي، في أنوار التنزيل، ج1/ ص16، وقال ابن القيم في النونية ما يدل على التقسيم: وكذلك يعلم ما يكون غدا وما قد كان والوجود في ذا الآن.

[3] – عثمان ضميرية؛ عالم الغيب والشهادة، مصدر سابق، ص78.

[4] – سورة النمل؛ الآية: 65.

[5] – مالك بن أنس؛ الموطأ برواية أبي مصعب الزهري، ج2/ ص180/ رقم: 2120، وتنظر: الموطأ برواية الأعظمي، ج1/ ص106،

يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾ [1]؛ ومن هنا الغيب المطلق مرتبتان:

- مرتبة اختص الله به نفسه ولم يطلعه على أي أحد من خلقه.
- مرتبة نص فيه عز وجل بأنه كشفه أو كشف منه لبعض خلقه ممن شاء سبحانه، قال القرطبي في تعريف الغيب:" هو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله"[2]، وذكر نحوه في كتبابه التذكر في صدد الكلام عن الروح [3]، فتبين أن الغيب من علم الله ومن خصائصه التي لم يطلعه على أي احد وإن كان بعض الغيب قد كشفه لمن اختار من عباده.

ثانيا: الغيب النسبي: وهو ما غاب علمه أو جسمه عن بعض المخلوقين دون بعض، أو غاب عنهم في حال دون حال، فالغياب هنا نسبي باعتبارات كالزمان والمكان القدرة والحال وغيرها وهو ما يمكن الاطلاع عليه في الدنيا إما تفصيلا وإما إجمالاً لوجود أسباب مؤدية[4] إلى ذلك وممكنة له، وفي هذا القسم أنواع وأصناف ومنها ما تعبدنا الله به مثل الأركان الستة وما تتضمنه من مسائل من أركان الإيمان فهي كلها غيب بالنسبة جميعا والرسل عند أقوامهم ليسوا بغيب، وهي المعنى الاصطلاحي الشرعي للغيب، ومن الأمور ما يدخل في الغيب من جهة العموم الاصطلاحي لغيابه عن الحاسة والادراك والشهادة في حالة من الحالات وعند البعض دون البعض، كأمور الطب والفلك وعلوم الأحياء وعلوم البحار، وكل ما هو غيب على البعض وشهادة وتجربة عند آخرين، ومن امثلة ذلك ارصاد الجو فهو غائب عن الحواس وعن علم الكثير من الناس لكنه ممكن ومعلوم عند المتخصصين، وذلك بعد تمكنهم من معرفة أسبابه وعلاقاتها واستعمال الآلات والأجهزة التقنية والتكنولوجية الحديثة التي تساعد على ذلك، وهي من الغيوب التي لم يتعبدنا الله بمعرفتها ولا بالتصديق بها وانما من فوائده انها تورث التعظيم لله عز وجل، كما هي تحقق التصديق بالوحي خصوصا لما تثبت النظريات العلمية صدق ما جاء في القرآن والسنة وما يعرف اليوم بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

---

[1] – سورة الجن؛ الآية: 26-28.

[2] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج10/ ص320، وانظر: ابن جزي؛ التسهيل، مصدر سابق، ج10/ ص340، 341.

[3] – القرطبي؛ التذكر، المصدر السابق، ص69، وتنظر السيوطي، الشرح، ج4/ ص107-111.

[4] – ابن تيمية؛ درء التعارض، المصدر السابق، ج5/ ص73.

المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة:

أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1]؛

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2]؛ قال في المحرر الوجيز :" هذه آية تعظم وانفراد بما لا حظ لمخلوق فيه، وهو علم الغيب، وتبيين أن الخير والشر، وجليل الأشياء وحقيرها- مصروف إلى أحكام مالكه، ثم أمر البشر بالعبادة والتوكل على الله تعالى، وفيها زوال همه وصلاحه ووصوله إلى رضوان الله"[3].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [4]،

بين الخازن في تفسيره أن الغيب من علم الله الذي حجبه على خلقه إلا من شاء منهم فأوحى إليهم، وكشف لهم منه بحكمته ورحمته بهم الخازن فقال:" ذلك من أنباء الغيب يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من **أخبار الغيب نوحيه إليك أي نلقيه إليك يا محمد لأنه لا يمكنك أن تعلم أخبار الأمم الماضين إلا بوحي منا إليك**"[5].

---

[1] – سورة الأنعام؛ الآية: 59.

[2] – سورة النحل؛ الآية: 77.

[3] - ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المرجع السابق، ج3/ ص217، وينظر: الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، ج14/ ص229، تفسير ابن عرفة، ج2/ ص371.

[4] – سورة آل عمران؛ الآية: 179.

[5] – الخازن؛ لباب التأويل، المصدر السابق، ج1/ ص245.

آيات تدل على أن الله كشف من غيبه لمن شاء من خلقه:

في القرآن الكريم آيات كثيرة فيها تصريح من الله عز وجل أنه أطلع فيها ما يشاء من الغيب على من اختار من عباده، وجعل ذلك دليلا على نبوتهم وعلى كرامة من يشاء من أوليائه الصالحين ومنها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ ﴾[1]، وقد حدث ذلك بعدما كان خبرا غيبيا، فوقوعه دليل على صدق أخبار القرآن الكريم وعلى نبوته صلى الله عليه وسلم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝٢٧ ﴾[2]؛ وقد حدث ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كان غيبا في حين نزوله على النبي وعلى الصحابة عليهم الرضوان.

وجه الاستدلال من الآيات: قال ابن جزي :" الرؤيا بالحق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروي أنه أتاه ملك في النوم فقال له: لتدخلن المسجد الحرام الآية: فأخبر الناس برؤياه: ذلك، فظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا، ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أي تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك"[3]؛ وهو دليل صحة القاعدة وثبوتها عند المالكية.

---

[1] – سورة الروم؛ الآيات: 1-4.

[2] – سورة الفتح؛ الآية: 27.

[3] - ابن جزي؛ التسهيل، المرجع السابق، ج2/ ص291، وينظر: التحرير والتنوير، ج26/ ص201-203.

ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة:

السنة النبوية الشريفة جاءت شرحا للقرآن وبيانا لما فيه من غوامض، وتفسير لما فيه من مجمل وتفصيل له، ومما في السنة أيضا، اخبار عن الغيبيات وأنباء عنها منها ما تحقق وقوعه ومنها ما ليس بعد كأخبار الساعة والجنة والنار وغيرها كما بينت السنة أن الغيب سر الله الذي اختص به لنفسه عز وجل واختص به من يشاء من عباده كنبينا صلى الله عليه وسلم، فعن حذيفة بن اليمان قال:" **قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون بين يدي الساعة إلا ذكره في مقام ذلك، فحفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قال حذيفة فإني لأرى أشياءً كنت نسيتها فأعرفها كما يعرف الرجل الرجل قد كان غائبا فيراه فيعرفه**"[1]؛ ومن الأحاديث التي يتأكد بها أن الغيب سر الله وعلمه وحده وأنه اختص به من يشاء من عباده نكر بعضها:

– عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله:** لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر "[2]، قال ابن ابي زيد القيرواني الذي ذكر في موطن مختلفة القاعدة وأن الغيب لا يعلمه إلا الله ومما قاله:" **علم كل شيء قبل كونه، فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به**"[3]؛

1–الأحاديث المخبرة على الغيبيات:

في السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة جدا تدل على إِطْلاع الله عز وجل وكشفه الغيبَ لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومنها ما تحقق وقوعه، ومنها ليس بعد؛ فما علمناه من أخبار عن الموت وأشراط الساعة والموت والحياة القبر والبعث والصراط والجنة والنار، ومن أخبار الأمم السالفة وقصصهم مع الأنبياء وعن الجن والملائكة وغيرها من السمعيات التي لا طريق لمعرفتها إلا بالوحي من الله ونذكر البعض منها من باب الاستدلال لا الجمع والإحاطة:

---

[1] – أخرج البخاري؛ رقم:6604 ، ومسلم رقم: 23

[2] – أخرجه البخاري؛ رقم: 1039.

[3] – ابن أبي زيد القيرواني؛ بيان المعاني في شرح المقدمة، المصدر السابق،ص47.

2-أحاديث مخبرة بالغيبيات تحقق وقوعها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[1]؛

- عن سعد بن معاذ أنه قال: كان صديقا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انطلق سعد معتمرا، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنا، وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما، فقال له سعد ورفع صوته عليه أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم، سيد أهل الوادي، فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنهم قاتلوك»، قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففزع لذلك أمية فزعا شديدا، فلما رجع أمية إلى أهله، قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدا أخبرهم أنهم قاتلي، فقلت له: بمكة، قال: لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم؟ فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي، تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر "[2].

---

[1] - أخرجه البخاري؛ رقم: 3120، ومسلم؛ رقم: 2919، واللفظ للبخاري.

[2] - أخرجه البخاري؛ رقم: 3950، وتنظر: فتح الباري، المصدر السابق، ج7/ ص282.

3-أحاديث عن غيوب لم يتحقق وقوعها بعدُ:

في السنة أخبار عن غيوب مستقبلية كأشراط الساعة الكبرى، كأحوال الموتى وأحوال القبر وأحداث الآخرة وقد جاء ذكر البعض منها قبلا ومنها أيضا:

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا»[1].

- عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود "[2]؛ وفي بيان أن بعض الغيوب انكشفت وبعضها بقيت لله وحده قال:" أنه لا نزاع في أنا نؤمن بالأشياء الغائبة عنا، فكان ذلك التخصيص لازما على الوجهين جميعا. فإن قيل أفتقولون: العبد يعلم الغيب أم لا؟ قلنا قد بينا أن الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما لا دليل عليه أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره، وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن تقول: نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل، ويفيد الكلام فلا يلتبس، وعلى هذا الوجه قال العلماء: الاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة"[3].

- عن أنس رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»[4]؛ قال ابن فورك في بيان أن الغيب اختص به الله لنفسه اما مطلقا وإما لزمن ثم ينجلي فقال:" خمس خصال من علم الغيب لا يعلمه إلا الله علم الساعة، وعلم وقت إنزال الغيث بعينه، وعلم ما في الأرحام، وعلم مستأنف الاكتساب، وعلم موت الإنسان؛ في أي موضع من البلاد في خبر مرفوع..."[5].

---

[1] - أخرجه البخاري؛ رقم: 7119، وأخرجه مسلم؛ رقم: 2894.

[2] - أخرجه مسلم؛ رقم: 2922.

[3] - الفخر الرازي؛ المصدر السابق، ج2/ ص274.

[4] - أخرجه البخاري؛ رقم: 7131، وأخرجه مسلم؛ رقم: 2933.

[5] - محمد بن الحسن بن فورك؛ تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبد القادر بندوش، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/ 2009م، ص462.

وفي كل هذه الأحاديث والتي يتلخص منها أن سول الله صلى الله عليه وسلم، قد أخبره الله بالغيبيات، وأن منها ما تحقق وما منها ما لم يقع بعد، وفي هذا تأكيد لشطر القاعدة وأن من الغيب ما كشفه وأخبر به بعض عباده وهم الأنبياء خصوصا، وفي كشف الغيبيات للنبي من قوة التحدي ما يدل على النبوة، إذ لا يتحدى بوقوع هذا إلا من هو على ثقة واطمئنان إلى ربه فيما أطلعه عليه من الأمور المستقبلية، فالرسول صلى الله عليه وسلم أُخبر عن غيبيات ورأى من الغيبيات كرؤيته لجبريل ورؤيته الجن والشياطين[1].

وجه الاستدلال بالأحاديث:

في الأحاديث السالفة الذكر بيان قاطع أن في السنة ما يتمم القرآن وأن الله عز وجل أخبر عن غيوب لبعض عباده، وهي غيب علينا إلى اليوم وليس لنا منها إلا الخبر الصادق بوقوعها، وفيه إثبات للشطر الأول من القاعدة من جهة كون الغيب سر الله، وللشطر الثاني من القاعدة وهو أن الله أخبر البعض به وكشفه لمن شاء من عباده.

ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية:

قولنا الاستدلال العقلي لا يعني تدخل العقل في فهم الغيب وإنما إثبات العقل يقر بوجود أمور غائبة عن إدراكه وحدود فهمه واستيعابه وأنَّ مسألة الإيمان بالغيب مسألة عظيمة وقد دل على وجوب الإيمان بها، وعلى إمكانها العقل والفطرة، بل حتى السياسة والمجتمع والعلم والطبيعة، ونذكر من ذلك أمثلة للاستدلال والإثبات ومنها:

والإيمان بالغيب ضرورة عقلية وذلك لأن العقل ادرك وجود غيبيات بل ورأس الغيبيات وهو وجود الله عز وجل، ثم أن العقل أدرك أن الحواس عاجزة وقاصرة على إدراك أمور كثيرة جدا وأنها محدودة[2]، وناقصة ومتفاوتة بين الناس من حيث القوة والنصيب والعتبة.

فالعقل يدرك حقيقة ما في الواقع والتفاوت بين الناس في القدرات الادراكية المتعلقة بالحواس، فبين الانسان والحيوان فوارق، فسمع الانسان ليس كسمع الفيل مثلا، كما أن قوة السمع عنده ليس

[1] – بسام العموش؛ الإيمان بالغيب، ط1، المصدر السابق، ص30.

[2] – المصدر نفسه، ص110.

كقوة بعض الحيوانات، وكذلك البصر، فما يسمع كائن قد يكون غائبا على كائن آخر، وما يراه كائن قد يستحيل ويمتنع على كائن آخر، فعدم رؤيتنا للحشرات لا يعني أنها ليست موجودة، بل وجودها حقيقة أثبتها العقل بعد التطور العلمي والتكنلوجي لوسائل الكشف ومخابر البحث.

بل مما يثبت وجود الغيب بالضرورة عجر العقول البشرية في فهم وتفسير الكثير من المسائل والظواهر الطبيعية والبشرية والكونية، وحتى العلمية والرياضية، مع وضوح أمرها للعقول أنها ليست صدفة ولا طفرة ولا عبثية بل تنبني على انتظام وعناية وسببية دقيقة جدا وفائقة الاحكام والارتباط والعلاقة والغاية والقصدية، يعجز العقل على مثلها وان اجتمعت وتعاضدت كل العقول البشرية.

بل القدرات العقلية المختلفة تؤكد وجود الغيب وذلك يظهر في اختلاف قوة الذكاء وسعة الخيال، وشدة التذكر المختلفة بين العقول، فالمسألة الواضحة الجلية عند بعض العقول تظهر مستحيلة أو ممتنعة عند عقول أخرى ويظهر ذلك في القدرات الإبداعية والاكتشافية المختلفة بين النا

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة:

ثبتت النقول عن مالك بن أنس أنه قال ما تتقرر به القاعدة، حيث بين أن التسليم بكل ما ثبت من أخبار الغيب من مقتضيات الايمان ومما قاله:" **بلغني أنه تُبعث نار من أرض اليمن، تسوق الناس إلى أرض المحشر**"[1]، مقرا لما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه ذكر النار التي تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[2].

من أئمة المالكية الأعلام الذين نُقل لنا تقريرهم للقاعدة ابن عبد البر حيث قال:" القول بأن ما ينزل من المطر هو ماء السماء من غير ماء البحر هو **قول أهل العلم، والذي أقول به أن تصحيح شيء من هذا والقطع به من الخوض في علم الغيب؛ إذ ليس في القرآن ولا شيء من السنة، والآثار**

[1] – ابن عبد البر؛ البيان والتحصيل، المصدر السابق، ج17/ ص360.

[2] – أخرجه مسلم؛ رقم: 2901.

نص جلي يوقف عنده، والذي نشاهده ونعلمه بالمعاينة نزول من السحاب، ولا ندري ..."[1]؛ وفيه التسليم لأخبار الغيبيات وعدم الخوض بمحض العقول.

ذكر ابن أبي زمنين في تفسير القرآن ما يؤكد القاعدة ويثبت صدقها وأن الغيب سر الله الذي اختص به أنبيائه وكشف لهم البعض منه فقال:" قال المنافقون: ما شأن محمد؛ إن كان صادقا لا يخبرنا بمن يؤمن به قبل أن يؤمن؟ **فقال الله: {وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي} أي: يستخلص من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء (من الغيب)."**[2]، وذكر في موضع آخر ما يؤكد أن الغيب سر الله الذي لا يعلمه أحد ولم يطلع عليه أي مخلوق من مخلوقاته كالقيامة فقال في التفسير:" ((قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله)) **والغيب هاهنا: القيامة؛ لا يعلم مجيئها إلا الله** وما يشعرون وما يشعر جميع الخلق متى يبعثون"[3].

ومن المالكية ابن ابي زيد القيرواني الذي ذكر في موطن مختلفة القاعدة وأن الغيب لا يعلمه إلا الله ومما قاله:" **علم كل شيء قبل كونه، فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به**"[4]؛ فتبين من كلامه تقرر القاعدة وأن الغيب من علم الله الذي يدل على سعة وودقة علم الله عز جل.

وذكر في تفسيره، محمدٌ القرطبي مقررا للقاعدة:" (إني أعلم غيب السماوات والأرض) **دليل على أن أحدا لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله كالأنبياء أو من أعلمه من أعلمه الله تعالى**، فالمنجمون والكهان وغيرهم كذبة. وسيأتي بيان هذا في" الأنعام «1» " إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى:" وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو"[5]، فتبين من كلامه أن الغيب سر الله، وأن من الغيب من كشفه الله للأنبياء وهذا مقتضى القاعدة.

---

[1] – عبد المنعم بن عبد الرحيم ابن الفرس؛ أحكام القرآن، تحقيق: طه بن علي، ومنجية بنت الهادي، صلاح الدين بن عفيف، ط1، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2006م، ج2/ ص520.

[2] – ابن أبي زمين، تفسير القرآن، المصدر السابق، ج1/ ص337.

[3] – ابن أبي زمنين؛ تفسير القرآن، المصدر السابق، ج3/ ص308.

[4] – ابن أبي زيد القيرواني؛ بيان المعاني في شرح المقدمة، المصدر السابق،ص47.

[5] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج1/ ص290.

وقال أيضا في نفس السياق الذي يؤكد القاعدة:" **فالله تعالى عنده علم الغيب، وبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، فمن شاء اطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه. ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله،** بدليل قوله تعالى:"[1]؛ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء"؛ فتبينت القاعدة بشطريها وأن الغيب سر الله، وأنه يطلع منه على من يشاء من عباده.

وفي رسالته الرد على من ذهب إلى تصحيح علم الغيب من جهة الحظ:" **فجعل ذلك من دليل النبوة وما لا يطلع عليه إلا من أوحي به إليه فادعاء معرفة ما يستسر الناس به من أسرارهم وما ينطوون عليه من أخبارهم أو ما يحدثه الله من غلاء الأسعار ورخصها ونزول المطر ووقوع القتل وحلول الفتن وارتفاعها وغير**..."؛ فأكد أن التنجيم والخطوط وما إلى ذلك من الطرق التي يدعي أربابها امكان الاطلاع والتحكم في بعض الغيب!!! وأن الغيب سر الله الذي يُطلعه الله عز وجل على بعض عباده ليكون دليلا على صدق نبوتهم عليهم الصلاة والسلام.

ومن علماء المالكية أيضا الذين قرروا القاعدة ابن الفرس[2]، حيث بين ان الله عز وجل يتحدى الكفار ويعجزهم بالغيب ويؤكد لهم أنهم لا يملكون منه شيء فقال:" في هذه الآية عندي رد على المنجمين والكهان، ومن يدعي معرفة شيء من الغيب؛ لأن الملائكة إذا لم تعلم إلا ما علمها الله تعالى فالآدميون أحرى..."[3].

ومن المالكية المقرين للقاعدة والذين أكدوا ثبوتها شرف الدين الطيبي، واستدل من القرآن الكريم ما قاله في تفسيره فقال:" أي: **وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيوب**، فلا تتوهموا عند إخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها **ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا**، وأن فلانا في قلبه النفاق، وفلانا في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات.

---

[1] – القرطبي؛ الجامع، المصدر السابق، ج7/ ص2.

[2] – عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي، أبو عبد الله المعروف بابن الفرس: قاض أندلسي، من علماء غرناطة، من كتبه: أحكام القرآن"، توفي: 599هـ. ينظر: الديباج المذهب ص 218وبغية الوعاة ص 315 وفي قضاة الأندلس ص110.

[3] – ابن الفرس، أحكام القرآن، المصدر السابق، ج1/ ص53.

ويجوز أن يراد: لا يترككم مختلطين (حتى يميز الخبيث من الطيب)؛ بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم ـ كبذل الأرواح في الجهاد، وإنفاق الأموال في سبيل الله، فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم، وشاهدا بضمائركم، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها، فإن ذلك مما استأثر الله به، **وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها** (**ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء**) **فيخبره ببعض المغيبات**، (فآمنوا بالله ورسله) بأن تقدروه حق قدره، وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب، وأن تنزلوهم منازلهم؛ بأن تعلموهم عبادا مجتبين، لا يعلمون إلا ما علمهم الله، **ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء**[1]؛ وقوله في موضع آخر:" لله سبحانه وتعالى اختصاص في عدم محبته ليس لأحد غيره ذلك، وكذا قوله: **لا يعلم الغيب أحد إلا الله**"[2]، وقال أيضا في موضع آخر:" **علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوم** وقال: (لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله)"[3]؛ فتبين من كلامه القاعدة وأن الغيب على اختص به الله وحده وهو علام الغيوب سبحانه وتعالى.

وقال في موضع آخر يبين فيه أن الغيب خاص بالله ولم يطلع منه إلا ما شاء لمن يشاء، بل الأنبياء وليس لهم من علم الغيب فقال:" كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره، يعنى أنك تكره السؤال عنها –يقصد الساعة–، **لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به، ولم يؤته أحدا من خلقه**"[4].

وقال صاحب النوازل الكبرى، ما تتقرر به القاعدة وما يؤكد أن الغيب من أسرار الله، وخصص في جواب عن سؤال على الروح:" وأمَّا مسألة أرواح ما ذكر، فليس عندي فيها ما أقول، لذا لم نقف فيها على منقول، وإن كان ظاهر كلامهم أنها تعدم جملة أجسادا وأرواحا، أولاً، وثانيا، والله أعلم بحقيقة الحال..."[5]

---

[1] – شرف الدين الطيبي؛ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: اياد محمد الغوج، وجميل بن عطا، ط1، جائزة دبي للقرآن الكريم، 1434هـ/ 20132م، ج4/ ص362.

[2] – الطيبي؛ فتوح الغيب، المصدر السابق، ج5/ ص210.

[3] – المصدر نفسه، ج5/ ص271.

[4] – المصدر نفسه، ج6/ ص695.

[5] – الوزاني؛ النوازل الكبرى، المصدر السابق، ج2/ 66.

وفي بيان شطر القاعدة الثاني، وأن الله قد يكشف بعض الغيب لعباده الذين اختارهم وفضلهم بذلك وهم الأنبياء فقال في اللباب:" [(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين)]أي: (تلك) إشارة إلى قصة نوح عليه السلام. ومحلها الرفع على الابتداء، والجمل بعدها أخبار، أي: **تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك، مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها.** أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي. أو من قبل هذا الوقت"[1]، وقال في نفس المعنى من تفسيره لسورة يوسف:" أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم، وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر، كقوله: (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب)؛ وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه"[2].

ومن المالكية الذين قرروا قاعدة أن الغيب يختص بها ما قرره محمد بن عمر الرازي، في المسائل العقلية المستنبطة وفي تفسيره لآية وفي مسألة هل الجن يعلمون الغيب فقال:" اختلفوا في أن الجن هل يعلمون الغيب؟ وقد بين الله تعالى في كتابه أنهم بقوا في قيد سليمان عليه السلام وفي حبسه بعد موته مدة وهم ما كانوا يعلمون موته، **وذلك يدل على أنهم لا يعلمون الغيب...**"[3].

وقال في موضع ثاني ما يؤكد به شطري القاعدة:" عن الثاني: أنه لا نزاع في أنا نؤمن بالأشياء الغائبة عنا، فكان ذلك التخصيص لازما على الوجهين جميعا. فإن قيل أفتقولون: العبد يعلم الغيب أم لا؟ قلنا قد بينا أن **الغيب ينقسم إلى ما عليه دليل وإلى ما لا دليل عليه أما الذي لا دليل عليه فهو سبحانه وتعالى العالم به لا غيره، وأما الذي عليه دليل فلا يمتنع أن تقول: نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل، ويفيد الكلام فلا يلتبس**، وعلى هذا الوجه قال العلماء: الاستدلال بالشاهد على الغائب أحد أقسام الأدلة"[4]، فالوجه الأول يدل على أن الغيب هو سر الله وعلمه الخاص به الذي لا يمكن لأي أحد أن يطلع عليه، والقسم الثاني فهو الغيب الذي لنا عليه دليل من القرآن والسنة فنعلمه ونقر به جزما لا شك فيه.

---

[1] – الطيبي؛ فتوح الغيب، المصدر السابق، ج8/ ص100.

[2] – المصدر نفسه، ج8/ ص443.

[3] – محمد بن عمر الفخر الرازي؛ مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1420هـ، ج1/ ص90.

[4] – المصدر نفسه، ج2/ ص274.

ومن الدلة على أن المالكية يقررون القاعدة ويقولون بها ما ذكره في تفسيره فقال:" **خمس خصال من علم الغيب لا يعلمه إلا الله** علم الساعة، وعلم وقت إنزال الغيث بعينه، وعلم ما في الأرحام، وعلم مستأنف الاكتساب، وعلم موت الإنسان؛ في أي موضع من البلاد في خبر مرفوع..."[1].

وقال ابن عرفة مقررا القاعدة أن الغيب من علم الله وحده وفي كلامه إسناد إلى الامام مالك:" **لأن الغيب هو ما لم ينصب عليه دليل وهم يسندون فيها أحكامهم إلى الدليل، وقال ابن رشد في المقدمات: إن معرفة الكشوفات لا يستثنى منها، وكذلك معرفة الأهلة وليست من الغيب في شيء، يؤخذ من الآية أن الولي لَا يطلع على الغيب**، وما يخبر به إنما هو ظن كما أخبر أويس القرني ابن عمران، أو كان نقلا عن مالك كما يخبر كثير ممن رأى الخضر"[2]؛ فبين أن علم الغيب بالنسبة إلى البشر هو ما كان بالدليل والحي من الله أما غير ذلك فليس من الغيب أصلا.

وقال في موضع آخر بين فيه القاعدة وأكد ان الغيب قسمان، قسم أخبرنا الله به وقسم سره الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه، فقال:" الألف واللام في الغيب للعهد، أي الغيب المسئول عنه، أو هو عام المراد به الخصوص، **فهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلم المغيبات، ولا يخفى عليه منها شيء فأخبر الله تعالى أنه لَا يعلم إلا ما علمه الله**، وإن هذا من الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحد فيكون فيه حجة لأحد القولين، بأن الكرامة لَا تتعلق بعلم ذلك، ولا يطلع عليه ولي، ويحتمل أن يقال **الغيب على نوعين: غيب ينصب عليه دليل وإمارة، وغيب لم ينصب عليه دليل**..."[3]؛ وفيه دليل على تقرر القاعدة.

وقد ذكر الثعالبي في الكشف والبيان من الكلام ما يؤكد تقرر القاعدة وثبوتها عندهم وهو ما جمع فيه أن الغيب سر الله وحده، ثم أنه عز وجل يوحي منه على من يشاء من عباده فقل:" **وما كان الله ليطلعكم على الغيب لأنه لا يعلم الغيب أحد غيره ولكن الله يجتبي يختار من رسله من يشاء**

---

[1] – محمد بن الحسن بن فورك؛ تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبد القادر بندوش، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/ 2009م، ص462.

[2] – ابن عرفة؛ تفسير ابن عرفة، المصدر السابق، ج2/ ص371.

[3] – المصدر نفسه، ج3/ ص258.

بالغيب فيطلعه على بعض علم الغيب، نظيره قوله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول"[1]، فجمع كلامه شطري القاعدة.

وقال في موضع آخر:" **فلا يظهر يطلع على غيبه أحدا إلا من ارتضى اصطفى من رسول فإنه يصطفيه ويطلعه على ما يشاء من الغيب**ذن فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين واستماع الجن ليلا يسترقوه فيلقوه إلى كهنتهم."[2].

وقال عبد الملك بن حبيب[3]، كنا عند زياد، إذ جاءه كتاب من بعض الملوك، فكتب فيه وختمه، ثم قال لنا: إنه سأل عن كفتي الميزان أمن ذهب أم من فضة؟

فكتبت إليه: **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**[4]، **وفي جوابه هذا تصريح بأن الغيب من الأمور التي لا مجال لإنسان أن يعلم منه إلا ما أخبر به الله عز وجل وأنه سر الله الخاص به.**

وفي تفسير ابن عطية، من الآية خمسين إلى الآية اثنتان وخمسين، بين أن النبي صلى الله عليه وسلم كما في خبر القرآن قد حاجَّ قومه بأنه لا يملك من صفات الله التي طالبوه بها، وأنه لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الله فقال:" لست بهذه الصفات فيلزمني أن أجيبكم باقتراحاتكم، وقوله لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب يحتمل معنيين أظهرهما أن **يريد أنه بشر لا شيء عنده من خزائن الله ولا من قدرته ولا يعلم شيئا مما غيب عنه، والآخر أنه ليس بإله فكأنه قال لا أقول لكم إني أتصف بأوصاف إله في أن عندي خزائنه وأني أعلم الغيب**"[5].

وذكر في موضع آخر ما يؤكد أيضا شطري القاعدة وأن الغيب لله وحده وأنه عز وجل أوحى ببعض الغيب إلى أنبيائه لحكمة أراده عز وجل فقال:" **تلك من أنباء الغيب الآية إشارة إلى القصة،**

---

[1] – أحمد الثعلبي؛ الكشف والبيان، المصدر السابق، ج3/ ص219.

[2] – المصدر نفسه، ج10/ ص56.

[3] – أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون الإمام، العلامة، فقيه الأندلس، من كتبه: "الواضحة"، "الجامع" ، "فضائل الصحابة"، توفي238هـ: ينظر: تهذيب التهذيب ج6 / ص390، ،شذرات الذهب ح 2 / ص90، ترتيب المدرك ج3 / ص30، سير أعلام النبلاء ج 12/ص102.

[4] – ابن حبيب؛ السير، المصدر السابق، ج9/ ص311، 312.

[5] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج2/ ص294.

أي هذه من الغيوب التي تقادم عهدها ولم يبق علمها إلا عند الله تعالى، ولم يكن علمها أو علم أشباهها عندك ولا عند قومك، ونحن نوحيها إليك لتكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء، وتكون لقومك مثالا وتحذيرا، لئلا يصيبهم إذا كذبوك مثل ما أصاب هؤلاء وغيرهم من الأمور المعذبة"[1].

وقد قرر القاعدة ابن جزي في التسهيل وأكد أنه من صريح القرآن والسنة أن الغيب سر الله وعلمه وحده عز وجل فقال:" قل **لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وأنه لا يعلمه سواه،** ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمدا يعلم الغيب فقد أعظم الفرية على الله، ثم قرأت هذه الآية، فإن قيل: فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم"[2].

وفي موطن آخر ذكر ما يتقرر به الشطر الثاني من القاعدة وهو أن الغيب سر الله لكن قد يطلعه على بعض عباده وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال:" **لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أي لا يطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى، وهم الرسل فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك،** ومن في قوله: من رسول لبيان الجنس لا للتبعيض، والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية، أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري. واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات، **فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم**"[3].

ومن المالكية أيضا نعمة الله النخجواني علوان، في الفواتح الإلهية قال:"كيف لا يعلم ولا يطلع سبحانه على سرائر الأمور ومخفياتها **إذ عنده وتحته قدرته وارادته مفاتح مطلق الغيب ومقاليد عموم السرائر والخفيات لا يعلمها ولا يعلم اوقات ظهورها من الغيب الى الشهادة إلا هو إذ هو المحيط بجميع ما كان وما يكون ازلا وابدا حيث لا يعزب عن حيطة حضرة علمه شيء**"[4].

---

[1] – ابن عطية؛ المحرر الوجيز، المصدر السابق، ج3/ ص179.

[2] – ابن جزي؛ التسهيل، المصدر السابق، ج2/ ص105.

[3] – المصدر نفسه، ج2/ ص421.

[4] – نعمة الله علوان؛ الفواتح الالهية، المصدر السابق، ج1/ ص221.

وقال في عرض تفسير الآية الحادية عشر من سورة هود ما يبين الشطر الثاني من القاعدة وأن بعض الغيب أخبر به الله عز وجل بعض خلقه فقال:" **تلك أي قصة نبينا نوح عليه السلام من أنباء الغيب أي من بعض اخباره نوحيها إليك يا أكمل الرسل تعليما لك وتذكيرا لأمتك** إذ ما كنت تعلمها لا أنت ولا قومك لا بالدراسة ولا بالتعليم من قبل هذا الوحى والإنزال"[1]

ومن المالكية أيضا الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير قال:" **والمعنى لا أقول أعلم الغيب، أي علما مستمرا ملازما لصفة الرسالة. فأما إخباره عن بعض المغيبات فذلك عند إرادة الله اطلاعه عليه بوحي خاص**، كما قال تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول"[2]؛ ففي كلامه تأكيد للقاعدة بشطريها الأول والثاني، وقال في موضع آخر اكد فيه أن من الغيب ما لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب بل هو خاص بالله عز وجل فقط:" **هذا ارتقاء في التبرؤ من معرفة الغيب ومن التصرف في العالم، وزيادة من التعليم للأمة بشيء من حقيقة الرسالة والنبوة، وتمييز ما هو من خصائصها عما ليس منها**"[3]، ومثل هذا كثير جدا في تفسيره.

وذكر لنا الشنقيطي في أضواء البيان كلاما يؤكد القاعدة وأن الغيب سر الله الذي تفرد بعلمه فقال:" **بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو المختص بعلم الغيب** في السماوات والأرض، وذكر هذا المعنى في آيات"[4]، ثم سرد بعض الآيات من القرآن الكريم التي تؤكد القاعد وتقررها، وقال في موضع آخر يبين فيه الشطر الثاني من القاعدة وأنَّ بعض الغيب يكشفه الله على من ارتضى من عباده فقال:" **إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وبين في مواضع أخر: أنه يطلع من شاء من خلقه على ما شاء من وحيه، كقوله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**"[5]، وفي تفسيره في مثل هذا الكلام كثير فيه تأكيد للقاعدة بشطريها شطر أن الغيب علم الله

---

[1] – المصدر نفسه، ج1/ ص355.

[2] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج7/ ص241.

[3] – المصدر نفسه، ج9/ ص206.

[4] – الشنقيطي؛ أضواء البيان، المصدر السابق، ج3/ ص256.

[5] – الشنقيطي؛ أضواء البين، المصدر السابق، ج3/ ص257.

الخاص به وحده لا شريك له، وأن بعض الغيب قد اطلعه الله عز وجل على بعض عباده وخصهم بذلك رحمة بهم وبأممهم ودلالة لهم على صدق نبوتهم.

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها:

للإيمان بالغيب فوائد عظيمة وجليلة، وقد ذكرنا منها في القاعدة السالف، ومن الفوائد التي ستذكرها الآن فهي تبع لها وإن كان فيها بعض التخصيص ومنها:

أولا: فوائد تقريرها على الفرد: للإيمان بأن الغيب سر الله أثر عظيم على الأفراد في دينهم ومعاشهم خصوصا باعتبار الفرد هو الكائن الأول الذي اهتم به الإسلام وأكرمه وجعله خليفة في الأرض فبعث فيه ما يتحقق به السعادة والطمأنينة والخلافة السعيدة وهي العقيدة بالله ومن ذلك ومن جهة هذه القاعدة:

- الإيمان بأن الغيب سر الله يزيد من تعظيم العبد لربه في نفسه ويجعله موقناً بأن الله يطلع على كل أفعاله، وأن الله يعلم كل ما يفعل وكل ما في نفسه من أمل وتمني ورغبة وإن لم ينطق بها لسان ولا عملت به جارحة.
- الإيمان بالغيب وأنه سر الله يجعل العبد يحس بالأمن وبالطمأنينة من جهة كون الله لا يفضح عباده، ويعلم ما في الصدور.
- تحقق هذه العقيدة في قلب الفرد سوف تنعكس على نفسه بالراحة والانسجام مع كل الأحداث وعدم التضجر، والسخط مما يلقاه من مصائب في الدنيا، وهو بدوره يؤثر في أخلاقه وسلوكه.
- تحقق هذه العقيدة في قلب الفرد تجعله في ثقة بالله وفي النفس بعده، وعدم الخوف ممن يدعون العلم بالغيب، أو التحكم فيه كالمنجمين والسحرة وغيرهم.
- اليقين بأن الغيب سر الله يجعل العاقل يكف عن الخوض والبحث في أمور ومسائل، قد علم يقينا عقديا أنه لن يصل إليها ولن يكتشفها أبدا.
- التصديق بعقيدة أن الله أخبر أنبياءه ببعض الغيب يجب إيمان الفرد قوي ويمكنه من تحقيق قوة المتابعة والتأسي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، في كل ما أخبروا به أممهم من أمور الشرع والعقيدة والغيب.

- الايمان بالغيب وبأن الله عز وجل أخبر به بعض عباده يجعل القلب في طمأنينة وراحة من جهة أن أخبار الآخرة حق، كما يزرع في القلب الشجاعة والثقة ويقوي في المؤمن عقيدة التحدي والجهاد في سبيل والثقة والعمل إلى ترقية دار الآخرة وما بعد الموت.

ثانيا: فوائد تقريرها على المجتمع: لقد أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنه مرسل للمجتمع وأنه يجب عليه كما كان واجب على الأنبياء من قبله أن ينبؤوا أقوامهم بكل شيء ومنه العقيدة التي تحقق لهم الحياة الاجتماعية الطيبة ومنها:

- الإيمان بالغيب بأنه سر من أسرار الله يجعل المجتمع في ثقة من أن الناس وبعض المدعين والمشعوذين لا يمكنهم تغيير حياتهم الاجتماعية ولا تغيير ما قدر لهم الله في الغيب عنده.
- الطمأنينة الاجتماعية والأمن والسلامة، لأن التسليم بالقاعدة يؤدي إلى الخوف من الله ومن الظلم ومن التعدي على حقوق الآخرين ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان التصديق بأن الله قد أخبر انبياءه ببعض الغيب وأن ما جاؤوا به هو الحق من ربهم الذي لا شك فيه ولا ريب في صحته.
- فيه اصلاح للحياة الاجتماعية والإنسانية بصفة عامة وذلك اذا تحقق الإيمان بالغيب وبما أخبر به الأنبياء من مغبة التحدي على حقوق الاخرين، والاضرار بهم، بالقتل أو النهب أو السب وانتهاك الاعراض والحقوق، فينتج في قلبه الخوف من كل ذلك والابتعاد عنه وتركه خوفا من العذاب الذي علمه من أخبار الأنبياء بما أخبرهم الله من الغيبيات.
- التصدي لكل الحركات المشككة في الهوية وفي الإسلام وذلك من بيان أن الغيبيات التي حدث عنها النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن منها ما أثبت العلم أنه حق لا ريب فيه، كما أنَّ كل شبهات الملحدين والذين أنكروا الغيب ضعيفة ولا تتأهل للرد ومواجهة أدلة القرآن والسنة، الذين أكد صدقهما العلم والواقع والعقل.
- التصدي للكثير من الدعايات المغرضة ومن الاشاعات الكاذبة عن قروب قيام الساعة ونهاية العالم وعدم الحياة بعد الموت، وما إلى ذلك من تجارة إعلامية وكفر وتنجيم لا دليل على صحته علما وواقعا وشرعا.

ثالثا: أثر القاعدة في حفظ العقيدة:

للقاعدة آثار عظيمة في حفظ العقيدة وثمار كبيرة في قلب المؤمن وفي عقيدته وإيمانه ومنها:

- الإيمان بهذا الركن طريق الإيمان بكل أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وبما اخفى من صفاته، وبالرسل فمنهم من علمنا ومنهم من لم نعلم، والملائكة فهم غيب علينا لا نعلم هيئتهم ولا تفاصيل حياته إلا بما جاء من الوحي، وبالكتب وما فيها من غيب مستور وباليوم الآخر.
- الإيمان بالقاعدة فيه تقوية للقلب في التصديق بالغيب وأنه سر الله ومنه تقوية عقيدة الايمان بالقضاء والقدر خيره وشره الذي هو سر الله وعلمه.
- تقرر العقيدة فيه فسحة في نفس المؤمن تجاه الآخرة وتراخ مطمئنا ومرتاحا، وعاملا لما بعد الموت لا كحال من أنكر ذلك فتراه عائش في نكد العيش وضنك الحال وضيق النفس وشدة اليأس والقلق.
- تقرير العقيدة فيه استجابة لله ولرسوله إذ أمر الله بالإيمان بكل الغيب الذي كشفه لنا عبر أنبيائه والذي احتفظ به سر عنده عز وجل.
- الإيمان بالغيب فيه استدلال على صدق النبوة، وفيه يقين بما أخبروا عن الغيبيات، المتعلقة بالآخرة واشراط الساعة وحتى على صفات الله وأفعاله، فهي مهمة جدا في تحقيق الإيمان بالله.
- الإيمان بها وبما تقتضيه من مسائل دليل على الإيمان بالله وبالرسل.
- تقرير القاعدة حفظ للعقيدة من التحريف الذي سعى ويسع له الكثير من المغرضين والمشككين في صدق هذا الدين ممن يزرع شبهة الغيب لا يمكن ان تثبته التجربة العلمية الحديثة.
- تقرير القاعدة يحفظ العقيدة من انتشار الدجل والسحر في القلوب ومن انتشار الشبهات التي تبثها الأقمار الصناعية والكتب والمجلات والأكاديميات المعادية للإسلام والتي لم تجد عليه سبيلا إلا استغلال القوة الإعلامية والاقتصادية لفرض ثقافتها وهيمنتها الفكرية والاقتصادية بدعوى العولمة والعالمية.

خاتمة الفصل:

في ختام هذا الفصل نقول أن عقيد الإيمان بالغيبيات عقيدة عظيمة جدا يجب الاعتناء بها وبكل ما يساعد على تعلمه وتعليمها للناس، فهي من باب أول تعبر على جل أركان الإيمان، فتحقيقها هو طريق تحقيق الايمان بكل الأركان، ففي الايمان بالله أمور غيبية كصفاته وافعاله وذاته وغيرها، وفي الايمان بالملائكة غيب من كل النواحي إلا ما اخبرنا به أنبياؤه من الأخبار الصحيحة أو ما جاء في كتابه عز وجل القرآن، كما أن الإيمان بالكتب في من الغيب، والايمان بالآخرة غيب والإيمان بالقضاء والقدر غيب فهو سر الله، ومما رأيناه في بحثنا هذا أن علماء المالكية وأئمتها لم يبخلوا بجهد في تقريرها والتأكيد عليه، كما لم يخافوا في تقريرها لومة لائمة ولا غضبة مخالف، فالحق أحق أن يتبع، ومما يميز تقريرات المالكية انها جميعا مستندة للقرآن الكريم ومستنبطة من تفاسيرهم مما يزيد من مزيتها وقيمتها العقدية والعلمية، ويؤكد سبقهم في هذا المجال، وأثر اجتهادهم على الأمة ودورهم في حفظ العقيدة وحمايته من التحريف أو النسيان أو التشكيك، وكتبهم تدل على ذلك وما ذكرته إلا نزر قليل من بحر عميق بسيط.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة الجامعة:

الحمد لله على توفيقه وتيسيره والشكر له على فضله عليا بإكمال الرسالة والوصول إلى خاتمتها وبناءً على ما سبق بيانه، وبالاعتماد على نتائج فصول الرسالة السابقة، ومن خلال ما تم بيانه وشرحه في مطالبها، نستنتج أن قواعد العقائد، قضية شديدة الأهمية، وبالغة الضرورة، من جهة، ونستنتج أيضا أن للأئمة المالكية الجهد العظيم في خدمة القواعد العقدية خصوصا، وخدمة العقيدة الإسلامية عموما، وعليه فإن نتيجتنا فيها شطرين أساسيين وهما:

الأول: يتعلق بالتقعيد العقدي وبأهميته وبأثره في خدمة العقيدة، حيث بدت لنا من خلال هذه الرسالة فوائد عظيمة ومتنوعة ترجى من التقعيد العقدي، وتنتج عنه ومنها:

– التقعيد العقدي يجمع المسائل العقدية الكثيرة والمواضيع المتشعبة والمنقسمة في جملة جامعة كلية وشاملة تنضبط تحتها في نسق يربطه الاشتراك في العلة أو الموضوع.

– التقعيد العقدية يسهل على المؤمن حفظ المسائل العلمية العقدية الكلية والتي يتمكن من خلالها من فهم المسائل الجزئية التي تحتها والتي هي من فروعها.

التقعيد العقدي، يحفظ العقيدة ويسهل على طلبة العلم ضبط المسائل العقدية من خلالها، وجمعها بسهولة، وبجهد قليل، وفي وقت ضئيل.

–قواعد العقائد الغاية منها بناء الأصول الأساسية والكلية العامة التي تستنبط منها المسائل الفرعية المشتقة منها أو المشتركة بها في العلة أو في الحكم أو الموضوع المتعلقة به.

– قواعد العقائد وسيلة مهمة جدا في حفظ العقيدة والحفاظ على أصالتها وعلى قدسيتها لارتباطها بالقرآن والسنة كمصدر أساسي في استنباط القواعد، لا يُتجاوز إلى غيره.

– مصدر تقعيد القواعد هما القرآن والسنة، وكل ما عداهما يقاس عليهما.

– لا تقبل القاعدة العقدية إذا افتقرت إلى دليلها الشرعي السماعي من القرآن والسنة.

– أي قاعدة تخالف ظاهر القرآن والسنة، تُرد ولا تُقبل وإن بدت للعقل منطقية، أو للعلوم التجريبية الحديثة علمية، لأن العقول السليمة، والمناهج العلمية القويمة، لا تخالف القواعد الصحيحة الصريحة.

– القواعد العقدية من أقوى الأسلحة العلمية في تصحيح العقائد، وترسيخها في القلوب، والتي تتمكن بها القلوب من الثبات على الحق، كم تمكن الأمة من الثبات على هويتها.

– القواعد العقدية، أفضل ما يكون ذخيرة علمية للأمة تجمع فيها الأمة شتاتها، وتتمكن من خلالها مواجهة التحديات المعاصرة المختلفة.

الثاني: ويتعلق بجهود علماء المالكية في تقعيد العقائد، وفي تأسيس هذا العلم والسبق إليه، وقوة مساهمتهم فيه في مختلف الأَعصار، وعديد الأمصار ويمكن تلخيص ذلك في نقاط هي:

–لقد كان علماء المالكية سبَّاقين إلى التقعيد العقدي، وكانت لهم جهودا عظيمة في ذلك، ابتداء من مالك بن انس شيخ المذهب الى علماء عصرنا هذا.

– معظم التآليف في مجال العقيدة، أو التقعيد العقدي، التي خطها العلماء هي عالة على المالكية وعلى الإمام مالك خصوصا، منهم من صرح بذلك كأحمد بن حنبل والشافعي وكابن تيمية وابن القيم وغيرهما، ومنهم من لم يصرح بذلك.

– لقد كان أئمة المالكية من أشد الناس تشبثا بالقرآن والسنة، وكانت كل تقريراتهم العقدية مستنبطة من القرآن والسنة، بل الواضح الجلي، أنهم لا يقبلون أي تقعيد ليس مستنبط منهما، إلا شذوذ بعض التأويلات التي عرفها بعض المالكية المتأخرين، والتي خالفوا فيها مذهب المتقدمين وشيخ المذهب.

– يمتاز التقعيد العقدي عند أئمة المالكية بارتباطه على وجه الخصوص بالقرآن الكريم، بل معظم تقريراتهم العقدية مبثوثة في كتب التفاسير، وقَلَّ التخصيص لكتب العقيدة المستقلة، الا عند بعض المتأخرين والتي لم تزل مخطوطات في أغلبها.

– اهتمام أئمة المالكية بكل قضايا العقيدة فقد بَيّنَّا أنهم قَعَّدوا لكل أبواب العقيدة، الالهيات والنبوات والغيبيات، ولم يُهملوا شاردة ولا واردة مما يتعلق بها إلا وتكلموا عنه وأصلوا له منفردا، أو قصدا في القواعد الكلية التي تم تقريرها.

– سلامة منهج أئمة المالكية في تقرير القواعد العقدية، والذي رأينا أنه يربط الأمة في تقرير عقائدها بالأصول الشرعية الصحيحة المتفق عليها، وهي القرآن والسنة، ثم فهم سلف الأمة، مع شرط موافقته للقرآن والسنة، وعدم استقلاله عنهم، وعدم الاستسلام للرأي والرجال في مسائل العقيدة خلاف الفقه.

– قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية، والتي ذكرنا بعضها، قواعد اشتملت العقيدة الإسلامية الصافية التي يجب أن يعتقدها كل مسلم ويعلمها لأهله، ومن أمكنه تعليمه.

التوصيات:

أثناء بحثنا هذا المتواضع صادفتنا بعض الأفكار والملاحظات الهامة، وواجهنا صعوبات ومشكلات متنوعة، وقد اتضح لنا بعض ما يجب فعله وينبغي أن يكون من جهود مضاعفة واجتهادات متظافرة، حتى يُتمكن من اقتحام صرحها المنيع، وتجاوز عقباتها المستعصية، ومن أجل ذلك من جهة، ومن أجل خدمة التراث المالكي وبيان جهودهم في خدمة العقيدة وخدمتها من جهة أخرى، وتوضيح أهمية القواعد العقدية في خدمة الأمة، خلصت إلى هذه التوصيات وهي:

–مضاعفة جهود المخابر العلمية في خدمة التراث العقدي المالكي وبالخصوص تحقيق المخطوطات الكثيرة التي لم يعتنى بها بعد في مشارق الأرض ومغاربها.

– دراسة التراث المالكي في خدمة العقيدة وذلك بتظافر المعاهد الشرعية والمدارس، والجامعات، والتخصصات، وبالخصوص التركيز على استخراج المسائل العقدية وكل ما يتعلق بها من كتب التفاسير، فقد تبين لي أن معظم التقريرات العقدية عن الأئمة المالكية مبثوثة في كتب التفاسير، وفي بعض كتب شروح الحديث أيضا.

– التخطيط للمدرسة المالكية المتكاملة العلوم الشرعية، لا التركيز فقط على الفقه وأصوله، وهذا مشروع من شأنه أن يؤكد أن المدارس الإسلامية المختلفة المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية، مدرسة واحدة من جهة الأصول، ومسائل العقيدة وهو ما يجعل الاختلافات الفقهية اجتهادات مقبولة.

– انشاء مخابر بطاكم قوي من الباحثين، ليتمكنوا من جمع المسائل العقدية المالكية في موسوعة خاصة تشمل تقريراهم العقدية وتقعيداتهم لها.

– تحسيس الطلبة بقيمة البحث في القواعد العقدية وأهميته، وبقيمة وجهود علماء المالكية، وتحفيزهم إلى البحث والتأليف في هذا المجال.

– التركيز على جهود العلماء في التقعيدات العقدية بصفة عامة، وعلى المالكية بصفة خاصة، لطلبة العقيدة في المعاهد والجامعات مع تخطيط التدرج المناسب لذلك.

اقتراحات بحثية:

اكمالا للتوصيات، ومن أجل خدمة الموضوع والتوجيه للبحث في مجال قواعد العقائد، أو جهود المالكية فيه، لاحظت أثناء البحث أنه يجب التطرق لبعض القضايا والمسائل العقدية والمالكية بالبحوث الجامعية العلمية المحكمة، خصوصا في مستوي الماستر أو الماجستير والدكتوراه ومنها:

–جهود علماء المالكية في تقرير قواعد عقائد الالهيات.

– جهود علماء المالكية في تقرير قواعد عقائد النبوات.

– جهود علماء المالكية في تقرير قواعد عقائد السمعيات.

هذه البحوث الثلاثة أجزاء من هذا البحث العام: ويجب أن تكون أكثر تخصصا ويكون فيها ذكر القواعد الكلية والقواعد الجزئية التابعة لها، وبعض الضوابط المعلقة بكل قاعدة.

– قواعد منهج تقرير القواعد عند علماء المالكية؛ أو يختار الطالب أي مذهب أو علم من أعلام الأمة.

–قواعد العقائد من خلال كتب التفسير، ثم يختار الطالب تفسيرا من التفاسير المالكية أو غيرهم.

– قواعد العقائد التي قررها علماء السنة والشيعة دراسة مقارنة؛ أو يختار الطالب أي دراسة تقبل المقارنة العلمية الموضوعية.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام
- فهرس الكتب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ	255	141
وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا	153	344–117–17
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ	22–21	170–162–114–106
وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ	163	364–162–152–142
لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ	256	186
وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ	217	26
ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ	285	240
قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا	136	243
لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ	177	244
الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ	5–1	312
آل عمران		
هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ	7	51
ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ	44	258
لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	164	288
مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	179	365
النساء		
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ	82	266
وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ	36	325

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ	48	197
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ	150	241
لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ	165	338
وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ	164	258
إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ	163	256
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ	113	273
فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ	42–41	138
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ	87	143
المائدة		
ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ	2	57
وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ	64	243–223
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ	15	277
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ	94	168
الأنعام		
مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ	160	26
وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ	99	71
قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ	56	165–142–114
قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ	162	195–175–134
قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا	71	168
بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ	101	197

أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ	157	286
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ	147	452
وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ	48	290–289–230
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ	73	309–169
وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ	116	340
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ	158	314
وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ	59	339
سورة الأعراف		
أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	85	271
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ	180	250–217–216
قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ	29	163
قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا	188	270
سورة التوبة		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ	119	71
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ	100	71
لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ	128	289
سورة يونس		
فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ	32	169–113
قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ	17–16	272
سورة هود		
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى	44	

سورة يوسف		
وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ	109	259
قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ	64	351
سورة إبراهيم		
يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ	27	314
قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ	10	88
قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ	11	271
سورة النحل		
وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا	36	125–129
أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ	17	115
وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ	51	118
وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ	68	256–255
وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ	77	339
سورة الإسراء		
وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ	23	143–120
لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ	22	155–97
وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ	30	241–168–142
وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ	110	312–258
وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ	36	277
سورة الكهف		

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ	56	186
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ	110	272
وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ	58	286–198
سورة مريم		
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ	11	255
سورة طه		
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ	5	272–255
سورة الأنبياء		
وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ	32	291
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا	25	174–127–124–5
إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً	92	171
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ	8–7	271
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ	49	312
سورة الحج		
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ	52	239
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	15	244
وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا	7	314
سورة المؤمنون		
قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ	89–86	90
فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ	28	227
سورة النور		

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	62	244
سورة الفرقان		
وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا	21	189
سورة الشعراء		
فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ	213	251
سورة النمل		
قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ	59	68
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ	26	144
لَا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ	65	337
سورة القصص		
وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	88	171
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ	7	256
سورة الروم		
ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ	28	226–165
الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ	4–1	340
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ	30	103–100–98–93
سورة لقمان		
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ	25	89
لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	26–25	89
سورة السجدة		
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ	4	225

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ	6–4	225
سورة الأحزاب		
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ	22	326
سورة سبأ		
وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ	23	26
قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ	27	196
سورة يس		
وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى	25–22	145–112–110
سورة الصافات		
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ	4	145
إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ	35	152
سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ	180	216
سورة ص		
كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ	29	217
يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ	75	230
سورة الزمر		
أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ	3–2	172
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ	6	189
وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ	66	199
سورة الشورى		
وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟	28	169

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا	51	257
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ	52	259
سورة الزخرف		
وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ	87-86	71
وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ	84	168-163
وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ	45	154
وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ	15	310
لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ	13	227
سورة الدخان		
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ	8	118
فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ	10	315
سورة محمد		
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ	18	315
سورة الفتح		
وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	13	244
لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ	27	340
سورة الحجرات		
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	15	244
سورة الذاريات		
وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	56	160-158-94-25
سورة الطور		

أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ	37–35	165–90
سورة القمر		
فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ	55	20
إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ	49	26
ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ	1	315
أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ	45–44	558
سورة الرحمن		
وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ	27	230
سورة الحديد		
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ	25	290
سورة التغابن		
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ	8	245
سورة الجن		
وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا	18	95
رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ	6	207
﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ	28	338
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا	28–26	337
سورة الغاشية		
أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	20–17	99–92
سورة الاخلاص		
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ	3	197

فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	رقم الصفحة
إنما الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	26
إياكم والغلو في الدين	ابن عباس	27
فإنَّ خير الحديث كتاب الله	جابر	54
قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا	أبو الدرداء	53
كل بدعة ضلالة	عرباض بن سارية	26
كل مولود يولد على الفطرة	سمرة	91
لن يعجل شيء قبل حله	أم حبيبة	27
هذا سبيلُ الله	عبد الله بن مَسعودٍ	62
وقد تركت فيكم ما لن تضلوا	جابر بن عبد الله	54
بعثت من خير قرون بني آدم، قرنا فقرنا	أبو هريرة	72
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا	ثوبان	77
خَلَقتُ عبادي حنفاء	عياض بن حمار	95
الله أعلم بما كانوا عاملين	ابن عباس	94
خَمسٌ من الفطرة	أبو هريرة	95
ما من مولود إلاَّ وهو على الملة	أبو هريرة	100
أن تجعل لله ندا وهو خلقك	ابن مسعود	112
إنك تأتي قوما من أهل الكتاب	عن ابن عباس	131
أُمِرتُ أن أقاتل الناس	ابن عمر	131
اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا	أبو سعيد الخدري	132
حق الله على العباد أن يعبدوه	معاذ بن جبل	140
ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله	أنس بن مالك	146
اللهم فاطر السماوات والأرض	عبد الله بن عمرو بن العاص	147
أمرت أن أقاتل الناس	أبو هريرة	131
من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده	أنس بن مالك	163
أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة	أبو هريرة	164

إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا	عثمان بن عفان	164
شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا	أبو هريرة	164
الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى	عائشة	180
أنا أغنى الشركاء عن الشرك	أبو هريرة	200
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	أنس بن مالك	200
أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ	عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ	183
إن أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ	عبادةُ بن الصَّامت	183
أجعلتني والله عدلا	ابن عباس،	184
لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى	عَبْد اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ	185
اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ	أبو هُرَيْرَةَ	185
إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات	الحارث الأشعري	194
أنا أغنى الشركاء عن الشرك	أبو هريرة	200
لا تشرك بالله شيئًا وإن قُطّعت وحُرِّقت	معاذ بن جبل	200
ألاَ إنَّ الله ينهاكم أن تحلِفوا بآبائكم	ابن عمرَ	200
مَن حلَف بالأمانة فليس منَّا	بريدة بن الحصيب	200
مَن علَّق تميمةً فقد أشرك	عقبة بن عامر الجهني	201
لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها	أبو مرثد الغنوي	205
أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ	حذيفة	220
إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ	حذيفة	221
يمين الله ملأى لا يغيضها شيء	يمين الله	223
من أطاعني فقد أطاع الله	أبو هريرة	247
من أطاعني دخل الجنة	أبو هريرة	247
ما من نبي من الأنبياء	أَبو هُرَيْرَةَ	260
أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس	عائشة	260
اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات	يعلى بن أمية	260
ما كان إلا بشرا من البشر	عائشة	270
إنما أنا بشر مثلكم، وإنكم تختصمون إلي	أم سلمة	273

هون عليك، فإني لست بملك	أبو مسعود	274
لا تطروني كما أطرت النصارى	عمر بن الخطاب	274
إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به	عبد الله	274
إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي عز وجل	جابر بن عبد الله	274
ما بعث الله من نبي	أبو سعيد الخدري	275
مثلي كمثل رجل استوقد نارًا	أبو هريرة	292
مَا أحدٌ أغيرَ مِنَ الله	عبد الله بن مسعود	293
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	عبد الله بن عمر	317
يخرب الكعبة ذو السويقتين	أبو هريرة	318
ليحجن البيت وليعتمرن	أبو سعيد الخدري	318
لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم	أبا هريرة	318
إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده	جابر بن سمرة	342
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس	أبو هريرة	342
لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء	أبو هريرة	319
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان	أبو هريرة	319
ألا أحدثكم حديثا عن الدجال	أبو هريرة	319
يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه	أبو هريرة	319
إذا خلص المؤمنون من النار	أبو سعيد الخدري	320
إذا صار أهل الجنة إلى الجنة	ابن عمر	320
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما	حذيفة بن اليمان	341
يوشك الفرات أن يحسر	أبو هريرة	343
ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب	أنس	343

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
إبراهم النخعي	75
إبراهيم أبو اسحاق الزجَّاج	250
ابن أبي زيد القيرواني	49
ابن القصار أبو الحسن علي بن عمر	95
ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف	113
ابن جزي	61
ابن حجر العسقلاني	98
ابن رشد أبو الوليد محمد بأحمد القرطبي	70
ابن زمنين	88
ابن عبد البر	99-91
ابن عرفة أبو عبد الله محمد بن محمد	193
ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق	113
ابن فارس أحمد بن زكرياء الرازي	19
ابن فرحون	74
ابن وضاح	212
أبو الحسن ابن القابسي	234
أبو العالية الرياحى	87
أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي	98
أبو الوليد الباجي	74
أبو بكر ابن العربي الاندلسي	63
أبو حنيفة	166
أبو داود سليمان بن الأشعث	328-290
أبو عبد الله القرطبي	172
أبو عمر الداني	31

بن موهب التيجي	223
أبي الوليد الفرضي	223
أبي عمر الطلمنكي	223
أحمد الدردير أبو البركات	337
أحمد المقري التلمساني	253
أحمد بن أحمد أبو العباس زروق	174
أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية	25
أحمد بن علي الأحسائي المالكي	81
أحمد بن محمد بن عجيبة	144
برهان الدين اللقاني	81
تاج الدين السلمي الدمياطي	251
الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف	83
الجرجاني علي بن محمد	21
الخازن علاء الدين بن علي	83
الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة	193
الزرقاني محمد بن عبد الباقي	101
الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد الله	70
زهير بن عباد	324
السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين	31
سحنون	96
سفيان ابن عيينة	41
سفيان الثوري	40
الشاطبي إبراهيم بن موسى	22
الشافعي	39
شرف الدين الطيبي	82
شهاب الدين النفراوي	175
الطرطوشي	62

عبد الحق الإشبيلي	327
عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية	113
عبد الحميد بن باديس	121
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي	180
عبد الرحمن بن هارون القنازعي	233
عبد العزيز بن الماجشون	223
عبد الله بن نافع	204
عبد الملك بن حبيب	353
عبد المنعم بن محمد الخزرجي ابن الفرس	349
عبدالعزيز بن يحيى الكناني	223
عبدالله بن خلف المقري	234
عبدالله بن وهب	223
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي	75
عيسى بن يونس	212
الغزالي أبو حامد محمد بن محمد	10
كعبد الرحمن بن القاسم	223
مالك بن أنس	39
مبارك الميلي	138
محمد ابن جرير الطبري	94
محمد الطاهر بن عاشور	118
محمد المكي	103
محمد أمين الشنقيطي	83
محمد بن إبراهيم التتائي	171
محمد بن أحمد أبو زهرة	282
محمد بن الحسن بن فورك	354
محمد بن الطيب الباقلاني	49
محمد بن براهيم الملالي	279

محمد بن عبد الرحمن التلمساني	70
محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري	77
محمد بن يوسف السنوسي	252
محمد جمال الدين بن محمد القاسمي	281
محمد حبيب الله االجنكي	335
محمد عليش	332
المروزي المالكي	210
مقاتل بن سليمان	131
نعمة الله بن محمود النخجواني الشيخ علوان	298
الكناني	223
الهروي أبو منصور	33
الوليد بن مسلم	43
الغساني خالد بن نزار الإيلي	57
عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري	95
عبد الرحمن بن مهدي	58
عثمان بن عمر بن فارس العبيدي	223
أصبغ	223
مكي القيسي	223
الأصيلي	223
القباب الفاسي	321

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن ابي العز علي بن علي الحنفي؛ شرح عقيدة الطحاوي، تحقيق: جماعة من العلماء، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2006م.
2. ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمان، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، م ع س، 1419هـ/ 1999م.
3. ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس؛ الجرح والتعديل، ط1، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ودار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، 1271/ 1952م.
4. ابن ابي حاتم الرازي أبو محمد عبد الرحمن التميمي الحنظلي؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ج9/ ص2869.
5. ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله؛ أصول السنة، ط2، دار أضواء السلف، القاهرة، مصر، 1434هـ/2013م.
6. ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله؛ تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، ط1، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، 1423هـ/2002م.
7. ابن أبي زيد القيرواني؛ تنوير طريق السالك بالتعليق على عقيدة الإمام مالك، ط1، دار الميراث النبوي، الصنوبر البحري، الجزائر، 1439هـ/ 2018م، ص97.
8. ابن الأثير مجد الدين المبارك الجزري؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطنجي، طاهر أحمد الزاوي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1383هـ/ 1963م.
9. ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق: د. قلعجي، ط1، دار المعرفة، 1416/ 1986م.
10. ابن العربي أبو بكر بن محمد؛ القواصم من العواصم، ط1، مكتبة الأنصار، السد العالي، مصر، 1427هـ/2006،
11. ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله؛ القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، ط1، دار الغرب الإسلامي،1422هـ/ 1992م.

12. ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله؛ قَانون التَّأويْل، تحقيق: محمّد السّليماني، ط1، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، 1406هـ/ 1986م.
13. ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي؛ دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان.
14. ابن الفرس عبد المنعم بن عبد الرحيم؛ أحكام القرآن، تحقيق: طه بن علي، ومنجية بنت الهادي، صلاح الدين بن عفيف، ط1، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1427هـ/ 2006م.
15. ابن القصار أبو الحسن علي بن عمر؛ المقدمة في أصول الفقه، تحقيق: مصطفى مخدوم، ط1، دار المعلمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 1999م.
16. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
17. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ التفسير، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1410هـ/1991.
18. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ الصلاة وحكم تاركها، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
19. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ الصواعق المرسلة، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
20. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
21. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
22. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ مدراج السالكين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
23. ابن القيم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر؛ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
24. ابن القيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر؛ اجتماع الجيوش الإسلامية، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.
25. ابن القيم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر؛ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1431هـ/ 2010م.

26. ابن النجار تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد؛ شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط2، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1418/ 1997م.
27. ابن باديس؛ مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط2، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2002.
28. ابن باديس؛ مجموع الاثار، ط1، جمع وطبع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
29. ابن باز عبد العزيز بن عبد الله؛ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط2، 1411هـ/ 1991م.
30. -ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك؛ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1374هـ/ 1955م.
31. ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، دار مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1423هـ/ 2003م.
32. ابن بطة عبد الله العبكري؛ الشرح الابانة على أصول السنة والديانة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/ 2002.
33. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، مكتبة دار البيان، دمشق، 1405 هـ/ 1985م.
34. ابن تيمية احمد بن عبد الحليم، كتاب الصفدية، ط2، دار الهدي النبوي، المنصورة، مصر، ودار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/ 2011م.
35. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ النبوات، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.
36. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ/ 2005م.
37. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط1، دار الكنوز الأدبية، 1433هـ/ 2003م.
38. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ شرح حديث النزول، ط2، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1418هـ/ 1993م.
39. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة، تحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البُصيري، ط1، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1418هـ/1997م.

40. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
41. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم؛ نقض تأسيس الجهمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصي وولده، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ/ 2005م.
42. ابن جزي محمد بن أحمد؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1995م.
43. ابن جزي محمد بن احمد؛ النور المبين في قواعد عقائد الدين، ط1، دار الضياء، الكويت، دار الامام ابن عرفة، تونس، 1436هـ/2015م، ص21.
44. ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني؛ الأمالي المطلقة، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفي، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1995.
45. ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر آباد، الهند، 1392هـ/ 1972م.
46. ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني؛ لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 1421هـ/ 2002م.
47. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد؛ تهذيب التهذيب، ط1، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، 1326هـ/ 1996م.
48. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط1، دار المعرفة بيروت، لبنان، 1379هـ.
49. ابن حجر العسقلاني؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.
50. ابن حزم أحمد أبي محمد الأندلسي؛ الدرة فيما يجب اعتقاده؛ تحقيق: عبد الحق التركماني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2009م.
51. ابن حزم الأندلسي محمد علي بن أحمد؛ الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،
52. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، دون سنة الطبع.

53. ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد؛ القواعد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
54. ابن رجب زين الدين عبد الرحمن بن أحمد؛ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2001م.
55. ابن رشد أبو الوليد محمد بأحمد القرطبي؛ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تحقيق: محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988.
56. ابن رشد أبو الوليد محمد بأحمد القرطبي؛ المقدمات والممهدات، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
57. ابن رشد أبو الوليد محمد بأحمد القرطبي؛ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر.
58. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي؛ فتاوى ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، دار الآفاق الجديدة، 1414 هـ / 1993م.
59. ابن عاشر، متون العقيدة والتوحيد، جمع وضبط: محمد بزواوي، ط1، دار مدني، 1385هـ/ 2003م.
60. ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد؛ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.
61. ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م.
62. ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ التمهيد، ط1، المملكة المغربية، 1407هـ،
63. ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ التمهيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م
64. ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله؛ جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/ 1994م.
65. ابن عبد البر؛ الكافي في فقه أهل المدينة، ط1، مكتبة الرياض الحديث، الرياض، السعودية، 1398هـ.
66. ابن عثيمين محمد بن صالح؛ شرح العقيدة السفارينية، ط1، دار البصيرة، 1423هـ/ 2003م.

67. ابن عجيبة أحمد بن محمد؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق، أحمد عبد الله القرشي، ط1، [د. ط]، القاهرة، 1419هـ.
68. ابن عجيبة الفاسي أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي؛ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد رسلان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.
69. ابن عرفة أبو عبد الله محمد بن محمد التونسي المالكي؛ تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1430هـ/2008م
70. ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2002م.
71. ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م.
72. ابن فرحون إبراهيم بن علي؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد خان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1972م، ص73.
73. ابن فهد محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين؛ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م.
74. –ابن فورك محمد بن الحسن؛ تفسير ابن فورك، تحقيق: علال عبد القادر بندوش، ط1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/ 2009م.
75. ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم؛ تأويل مختلف الحديث تأويل مختلف الحديث، ط2، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، 1419هـ/ 1999م.
76. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل عماد الدين الدمشقي؛ تفسير القرآن العظيم، ط2، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1430هـ/2009م.
77. ابن كثير أبو الفدا إسماعيل عماد الدين الدمشقي؛ قصص الأنبياء، ط1، دار الكتاب الحديث، الجزائر.
78. –ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م.
79. ابن ماجة؛ سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ/ 2009م.

80. ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1993م.
81. الأبهري محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح المالكي، من الفوائد الغرائب الحسان، تحقيق: حسام محمد بوقريص، ط1، دار إيلاف الدولية، الكويت، 1420هـ/1999 م.
82. أبو البقاء موسى الكوفي؛ الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1998م.
83. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى؛ تفسير ابن مسعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
84. -أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ حققه: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986م.
85. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي؛ سنن أبي داوود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ط1، دار الرسالة العلمية، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2009م.
86. أبو زهرة محمد بن أحمد؛ زهرة التفاسير، ط1، دار النشر: دار الفكر العربي، 1415هـ/ 1994م.
87. أبو محمد جلال الدين عبد الله المالكي؛ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: حميد بن محمد لحمر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1423هـ/ 2003م.
88. الآجري أبو بكر محمد بن الحسن؛ الشريعة، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م.
89. الأحسائي أحمد بن علي بن مشرف المالكي؛ جوهرة التوحيد، ط1، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 1438هـ/ 2018م.
90. أحمد أمين؛ زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
91. الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987.
92. الإسطنبولي محمود مهدي؛ شيخ الشام جمال الدين القاسمي، ط1، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1985م.
93. الاشبيلي أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني؛ شرح مرشدة ابن تومرت، تحقيق: يوسف أحنانا، ط1، دار الغرب الإسلامي، ببيروت، لبنان، 1993م.

94. الإشبيلي عبد الحق ابن الخراط؛ العاقبة في ذكر الموت والآخرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م.
95. الأشعري أبو الحسن على بن إسماعيل؛ رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجندي، ط1، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.
96. الأشعري أبو الحسن؛ الابانة عن أصول الديانة، تحقيق: بشير محمد عيون، دار البيان، ط4، دار البيان، 1431هـ/ 2010م.
97. الأشقر عمر سليمان عبد الله؛ القيامة الصغرى، ط14، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1427هـ/ 2007م، ص13.
98. الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط1، دار السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ/ 1974م.
99. الأصفهاني أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد؛ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب؛ تحقيق: محمد مظهر بقا، ط1، دار المدني، السعودية، 1406هـ/ 1986م.
100. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد؛ المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، لبنان، 1412هـ/1990م.
101. الأصفهاني الراغب؛ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، ط1، دار الرسالة، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
102. آل الشيخ صالح بن عبد العزيز؛ التمهيد في شرح كتاب التوحيد، ط1، دار التوحيد، الرياض، السعودية، 1423هـ/ 2002م.
103. آل الشيخ صالح بن عبد العزيز؛ التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ط1، دار التوحيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2002/1423م.
104. آل الشيخ صالح بن عبد العزيز؛ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية، ط1، دار اعلام السنة، الرياض، م ع س، 1431هـ/2005م.
105. الألباني محمد بن ناصر الدين، السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير الحافظ جلال الدين السيوطي، ط1، دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان، 1430/ 2009م.
106. الألباني محمد بن ناصر؛ ارواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1985م.
107. –البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2002م.

108. -الحسين بن الحسن الحليمي؛ المناهج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، ط1، دار الفكر، 1399هـ.
109. الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.
110. الأندلسي محمد الراعي؛ انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الامام مالك، تحقيق: أبو الأجفان، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
111. الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي؛ إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق: عبد الله الجبوري، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، 1409هـ//1989م.
112. الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي؛ الحدود، ط1، دار الآفاق الجديدة، القاهرة، مصر، 1420هـ.
113. الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي؛ المنتقى شرح الموطأ، ط1، طبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1332هـ..
114. الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي؛ الإشارة في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.
115. الباحسين يعقوب بن عبد الوهاب؛ القواعد الفقهية، ط1، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، السعودية، 1418هـ/ 1998م.
116. البخاري محمد ابن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ/ 2003م.
117. البركتي محمد عميم الاحسان المجددي؛ قواعد الفقه، ط1، دار الرسالة، بيروت، لبنان، 1430هـ/ 2009م.
118. البريكان إبراهيم بن محمد؛ المدخل لدراسة العقيدة، ط3، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/ 2015م.
119. البريكان إبراهيم بن محمد؛ تعريف الخلف بمنهج السلف، ط1، دار ابن الأرقم، الرياض، السعودية، دار ابن عفان، القاهرة، مصر، 1426هـ/ 2005م.
120. البزَّارُ عمرُ بنُ عليِّ بنِ موسى بنِ خليلٍ؛ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1400هـ/ 1990م.

121. بسام علي سلامة العموش؛ الإيمان بالغيب، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1431هـ/ 2010م.
122. البطليوسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد؛ الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط2، دار الفكر – بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م.
123. البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله؛ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1977م.
124. البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود؛ معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ -1997 م
125. البلخي أبو الحسن مقاتل بن سليمان؛ تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1423هـ.
126. البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1999م.
127. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين؛ شعب الإيمان، تحقيق: محمد سعيد زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م.
128. البيهقي أبو بكر بن الحسين بن علي؛ الأسماء والصفات، تحقيق ناصر بن النجار الدمياطي، ط1، دار ابن رجب، المنصورة، مصر، 1425هـ/2004م.
129. التبريزي محمد بن عبد الله؛ أبو عبد الله؛ مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي – بيروت، لبنان، 1985م.
130. التتائي محمد بن إبراهيم؛ تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، تحقيق: محمد عاش عبد العال، ط1، 1409هـ/ 1990م.
131. الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك؛ سنن الترمذي تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ/ 1975م.
132. التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر؛ شرح التلويح على التوضيح، ط1، مكتبة صبيح بمصر.

133. التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر؛ شرح العقائد النسفية، ط1، مكتبة دار البيروتي، 1428هـ/2007م.
134. التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر؛ شرح المقاصد، ط1، المكتبة الازهرية للتراث، مصر، 1427هـ/2016م.
135. التفتازاني مسعود بن عمر؛ التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/ 1996م.
136. التلمساني أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، ط1، مكتبة الرشاد.
137. التنبكتي أحمد بن بابا؛ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1398هـ/ 1989م.
138. الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1418هـ.
139. الثعالبي أحمد بن محمد بن براهيم؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
140. الثعلبي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي؛ المعونة على مذهب أهل المدينة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ.
141. الجاحظ أبو عثمان بن بحر، مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخاجي، القاهرة، مصر، 1384هـ/ 1964م.
142. الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف؛ كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، 1403هـ /1983م.
143. الجلال محمد عبد الحميد موسى؛ منهج البحث عند العرب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1972م.
144. الجوهري أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، مسند الموطأ، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997 م.
145. الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله؛ الارشاد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1992م.
146. الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله؛ البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1992م.

147. الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله؛ العقيدة النظامية باب السمعيات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1992م.
148. الحاكم أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1990م.
149. حبنكة عبد الرحمن حسن؛ العقيدة الإسلامية وأسسها، ط8، دار القلم، دمشق لبنان، 1418هـ/1997م.
150. حسن خان محمد الصديق؛ الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح، تحقيق: أبي عبد الرحمن سعيد معشاشة، ط1، دار ابن حزم للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م.
151. الحقيل سليمان بن عبد الرحمن؛ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، ط1، 1999/1419م.
152. الحكمي حافظ بن أحمد بن علي؛ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق: حازم القاضي، ط2، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/ 2002م.
153. الحكمي حافظ بن أحمد؛ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، ط1، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، 1436هـ/ 2015م.
154. حماد الأنصاري أبو عبد اللطيف؛ رسائل في العقيدة، ط1، مكتبة الفرقان، المملكة العربية السعودية.
155. الحمد محمد بن براهيم؛ مصطلحات في كتب العقائد، ط1، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، 1426هـ/ 2006م.
156. الحنفي ابن أبي العز؛ شرح الطحاوية، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، الرياض، السعودية، 1412هـ/ 2002م.
157. الحنفي ابن أبي العز؛ شرح عقيدة الطحاوي، ط1، دار المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، 1427هـ/2006م.
158. الحنفي محمد ابن أبي العز؛ شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أبو العباس العدني ط4، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ومكتبة الإمام الوادعي، صنعاء، اليمن، 1435هـ/2014م.
159. الحنفي محمد ابن أبي العز؛ شرح العقيدة الطحاوية، ط10، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.

160. الحنيني ناصر بن يحي؛ منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة حتى نهاية القرن الثالث، ط2، مركز الفكر المعاصر، المملكة العربية السعودية، 1434هـ/ 2012م.
161. الخازن علاء الدين بن علي؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1997م.
162. خالد بن عثمان السبت؛ قواعد التفسير جمعاً ودراسة، ط1، دار ابن عثمان، المملكة العربية السعودية.
163. الخرشي محمد أبي عبد الله؛ شرح سيدي مختصر خليل، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان.
164. الخزرجي موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، أبو العباس ابن أبي؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: الدكتور نزار رضا، ط1، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
165. الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ط3، دار الثقافة العربية، 1412هـ/ 1992م.
166. الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داودط1، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، 1351هـ/ 1932م.
167. الخلال ابي بكر أحمد بن محمد؛ السنة، تحقيق: عطية الزهراني، ط1، دار الراية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410هـ/ 1979م.
168. -خليل هراس محمد بن خليل حسن؛ شرح العقيدة الواسطية، ط3، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1995م.
169. -خليل هراس محمد بن خليل حسن؛ شرح النونية، ط1، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1995م.
170. خليل هراس محمود؛ شرح نونية ابن القيم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لنان، 1415هـ/1995م.
171. الدارمي أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد السجستاني؛ الرد على الجهمية، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ط2، دار ابن الأثير – الكويت، 1416هـ/ 1995م.
172. الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي؛ مسند الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط1، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/ 2000.
173. الداني أبو عمر عثمان بن سعيد، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق، دغش بن شبيب العجمي، ط1، دار الإمام أحمد، الكويت، 1421 هـ/2000 م.

174. الدبوسي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى؛ تأسيس النظر، ط2، دار الخانجي، 1415هـ/ 1994م.
175. الدردير أحمد بن محمد؛ متن الخريدة البهية في العقائد التوحيدية، متون العقيدة والتوحيد، ط1، دار مدني، الجزائر، 1385هـ/ 2003م.
176. الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة المالكي؛ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ط1، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.
177. الدهلوي إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله العُمري؛ رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان؛ ط1، دار وحي القلم، دمشق، سورية، 1423هـ/ 2003م.
178. الدهلوي محمود بن محمد؛ إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار، تحقيق: حنفي خلد محمد عبد الواحد، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، 1426هـ/ 2005م.
179. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ كتاب العرش، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1420هـ/ 1999م.
180. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان؛ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1416هـ/ 1995م.
181. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1419هـ/ 1998م.
182. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ سير أعلام النبلاء، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ/ 2006م.
183. الراجحي عبد العزيز بن عبد الله؛ التعليقات الايضاحية على القاعدة المراكشية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط1، دار المنهج، قالمة، الجزائر، 1434هـ/ 2014م.
184. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن؛ أساس التقديس، ط2، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420هـ/ 2000م.
185. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن؛ مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 2001م.
186. رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين؛ ط2، البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، 1407هـ/ 2007م.

187. رسلان أبو عبد الله محمد بن سعيد؛ شرح مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي، ط1، دار أضواء السلف ودار الفرقان، القاهرة، مصر، 1431هـ/ 2010م.
188. الرشوان حسين عبد الحميد، العلم والبحث العلمي –دراسة في مناهج العلوم–ط1، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر، دون سنة الطبع.
189. الزجَّاج إبراهيم أبو اسحاق؛ معاني القرآن واعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت لبنان، 1408هـ/ 1988م.
190. الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري؛ تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط1، دار الفكر، 1395هـ/ 1975م،
191. الزحيلي محمد مصطفى؛ الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1427هـ/ 2006م.
192. الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري؛ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م.
193. الزُّرْقاني محمد عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دون سنة الطبع.
194. الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، المنثور في القواعد الفقهية، ط2، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، 1405هـ/ 1985م.
195. الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر؛ البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، دار الكتبي، 1414هـ/ 1994م.
196. الزكلي خير الدين بن محمود؛ الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 1422هـ/ 200م.
197. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد؛ أطواق الذهب في المواعظ والخطب، ط1، مطبعة نخبة الأخبار، 1404هـ/ 1984م.
198. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، 1407هـ/ 1988م.
199. الزهري أبو مصعب؛ مسند الموطأ، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.
200. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين؛ الأشباه والنظائر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1991م.

201. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين؛ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط3، هجر للطباعة والنشر والتوزيع؛ 1413هـ/ 1993م.
202. السعدي عبد الرحمان بن ناصر؛ طريق الوصول إلى علم الأصول، ط2، دار ابن حزم، الرياض، م ع س، 1426هـ/ 2005م.
203. السعدي عبد الرحمن بن ناصر؛ أصول عظيمة من قواعد الإسلام، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1432هـ/ 2011م.
204. السعدي عبد الرحمن بن ناصر؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 2000م.
205. السعدي عبد الرحمن بن ناصر؛ قصص الأنبياء، فصول في ذكر ما قص الله عاينا في كتابه من أمر أخبار الأنبياء مع أقوامهم، ط2، دار ابن حزم، الرياض، م ع س، 1426هـ/ 2005م،
206. السعدي عبد لرحمن بن ناصر؛ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ط1، دار المنهج، قالمة، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص.
207. سعيداني أبو أحمد أرزقي بن محمد؛ النفي في باب صفات الله عز وجل بين أهل السنة والجماعة والمعطلة، ط2، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 1431، 2012م.
208. السقاف علوي بن عبد القادر؛ صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، ط4، مؤسسة الدرر السنية، الظهران، السعودية، 1432هـ/ 2011م.
209. السكوني أبو علي عمر بن محمد بن خليل؛ المختار من كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، ط1، دار المشاريع، دون سنة الطبع، 1426هـ/2005م.
210. سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1407هـ/ 1987م.
211. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب؛ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.
212. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب؛ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير الشاويش، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، 1423هـ/ 2002م.
213. السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم؛ بحر العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

214. السمعاني أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي؛ تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض – السعودية، 1418هـ/ 1997م.
215. السنوسي التلمساني؛ شرح السنوسية الكبرى، تحقيق: أبو أحمد بلكرد بوعكبر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، 1431هـ/ 2011م.
216. السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله؛ الروض الأنف، ط1، مكتبة ابن تيمية، مصر، القاهرة، 1410هـ.
217. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن؛ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م.
218. السيوطي جلال الدين؛ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، ط1، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دون سنة الطبع.
219. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1387 هـ /1967م.
220. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين؛ الأشباه والنظائر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 1991م.
221. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين؛ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ط1، مكتبة ابن تيمية، السعودية، 2016/1437.
222. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد؛ الموافقات، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1415هـ/1996م.
223. –شرف الدين الطيبي؛ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تحقيق: اياد محمد الغوج، وجميل بن عطا، ط1، جائزة دبي للقرآن الكريم، 1434هـ/ 20132م، ج4/ ص362.
224. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.
225. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي؛ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، ط2، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، م ع س، 1426هـ/ 2006م.
226. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي؛ معراج الصعود، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ/ 1995م.

227. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان 1416هـ/ 1997م.

228. الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني؛ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق، الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، ط1، دار الكتاب العربي، 1419هـ/ 1999م.

229. الشوكاني محمد بن محمد بن علي؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1427هـ/2007م.

230. الشيباني أبو بكر بن أبي عاصم؛ السنة، ط1، المكتب الإسلامي، 1400هـ/ 1980م.

231. الشيباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد؛ المسند، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م.

232. الشيرازي أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف؛ اللمع في أصول الفقه، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م.

233. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ؛ شرح الفتوى الحموي الكبرى، تحقيق: عادل بن محمد الرفاعي، ط1، مكتبة دار الحجاز، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2013م.

234. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

235. الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني؛ المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط2، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م.

236. الصنعاني عبد الرزاق بن همام؛ تفسير عبد الرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1419هـ.

237. الضبي أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة؛ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967 م.

238. الضبي؛ بغية الملتمس، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1419هـ/ 1999م

239. ضميرية عثمان جمعة؛ مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2، مكتبة السوادي للتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1471هـ/ 1996م.

240. طاهر الجزائري، منية الأذكياء في قصص الأنبياء، ط1، دار الامام مالك، الجزائر، 1433هـ/ 2012م.

241. طاهر الجزائري؛ الجواهر الكلامية، ط1، دار الامام مالك، الجزائر، 1433هـ/ 2012م.
242. طاهر الجزائري؛ شرح خطب ابن نباتة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2007م.
243. الطبري محمد بن جرير؛ جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م.
244. الطرطوشي أبو بكر؛ كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد تركي، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ/2008م.
245. الطوسي محمد بن حسن؛ تجريد المنطق، ط1، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1436هـ/ 2015م.
246. الطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود، المسند، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، مصر1419 هـ/ 1999 م.
247. عادل بن عبد القادر بن محمد؛ القواعد والضوابط الفقهية القرافية، تحقيق: أبو الأجفان وآخرون، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1425هـ/2004.
248. عبد الجبار ابن أحمد؛ شرح الأصول الخمسة، ت حقيق: عبد الكريم عثمان، ط2، مكتبة وهبة، 1430هـ/2010م.
249. عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله؛ مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط1، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1392هـ/ 1972م.
250. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر؛ فقه الأدعية والأذكار، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 1429هـ/ 2008م.
251. عبد القاهر البغدادي؛ أصول الدين، ط1، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1411هـ/ 2001م.
252. عبد الله بن عبد الحميد الأثري؛ الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/ 2002.
253. عثمان بن علي حسن؛ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، ط8، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، السعودية، 1434هـ/ 2013م.
254. عثمان ضميرية؛ عالم الغيب والشهادة، في التصور الإسلامي، ط1، مكتبة السوادي، جدة، المملكة العربية السعودية، 14.8هـ/ 1988م.
255. عثمان علي حسن؛ قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ط1، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.

256. العثيمين محمد بن صالح؛ شرح الأصول الثلاثة، ط1، دار ابن الهيثم و دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1433هـ/2012م، ص26.
257. العثيمين محمد بن صالح؛ شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط1، دار الآثار، القاهرة، مصر، 1423هـ/2002م.
258. العثيمين محمد بن صالح؛ شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط1، دار الآثار، القاهرة، مصر، 1423هـ/ 2002م.
259. العراقي أبو معاذ حسن؛ الفوائد العقدية والقواعد المنهجية المستنبطة من تأصيلات أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل السلفية، ط1، دار الإمام أحمد، القاهرة، مصر، 1432هـ/ 2011م.
260. العرفج عبد الله بن فهد بن عبد الرحمن؛ جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة، رسالة جامعية مطبوعة، ط1، دار التوحيد للنشر، المملكة العربية السعودية، 1428هـ/2007م.
261. العز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين بن أبي القاسم الدمشقي؛ تفسير القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط1، دار ابن حزم – بيروت، لبنان، 1416هـ/ 1996م.
262. العسقلاني أبو الحسين محمد؛ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق، محمد زاهد الكوثري، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ص84.
263. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل؛ الفروق اللغوي، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط1، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
264. العطار حسن بن محمد بن محمود؛ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
265. عطية محمد سالم؛ فتح البر بالترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، ط1، مجموعة النفائس الدولية، مكتبة الرياض الحديثة، 1416هـ/ 2005م.
266. العظيم آبادي شرف الحق محمد أشرف بن أمير بن علي بن؛ عون المعبود شرح سنن أبي داود تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/ 1996م.
267. عفيفي عبد الرزاق؛ مذكرة التوحيد، ط1، دار أضواء السلف، ودار الفرقان، القاهرة، مصر، 1431هـ/ 2010م.
268. العلمي أبو الحسن؛ النوازل، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1409.
269. علي زكي؛ فكرة العلية في فلسفة الغزالي أبي حامد، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

270. عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي؛ ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، عبد القادر الصحراوي، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
271. العيسري أشرف حسين؛ عقيدة أهل السنة والجماعة بين ابن عبد البر وابن تيمية، ط1، دار العلوم والحكمة للنشر والتوزيع، العمرانية، 1431هـ/ 2010م.
272. عيسى بال الله فرج؛ الحلية في شرح القضايا الكلية في الاعتقاد في الكتاب والسنة، دار غراس، الكويت، 1428هـ/ 2007م.
273. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي؛ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسن، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ط1، الجفان والجابي، قبرص، 1407هـ/ 1987م.
274. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي؛ معيار العلم في فن المنطق، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، ط1، دار المعارف، مصر، 1961م.
275. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد؛ الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م.
276. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد؛ الرسالة اللدنية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م.
277. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد؛ المستصفى في أصول الفقه، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ/ 1993م.
278. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد؛ قانون التأويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م.
279. الغزي محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو؛ الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1416 هـ/1996م.
280. الغنيمان عبد الله بن محمد؛ شرح العقيدة الطحاوية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
281. فاضل بن نور الدين الإمام؛ فتاوى علماء المالكية في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1437هـ/ 2016م.
282. الفخر الرازي؛ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
283. الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين؛ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق: محمد أحمد الحمود النجدي، ط1، دار ايلاف الدولية، الكويت، 1431هـ/ 2010م

284. فركوس أبو عبد المعز محمد علي، تنوير التأسيس شرح أركان الإيمان العظام للإمام ابن باديس، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1438هـ/ 2017م.
285. فركوس أبو عبد المعز محمد علي؛ تحفة الأنيس شرح عقيدة التوحيد للإمام ابن باديس، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الجزائر، 1435هـ/ 2014م،
286. فركوس أبو عبد المعز محمد علي؛ تنوير التأسيس شرح أركان الإيمان العظام للإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1438هـ/ 2017م.
287. فوز بنت عبد اللطيف؛ أصول الإيمان بالغيب وآثاره، رسالة دكتوراه، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، 1426هـ/ 1427هـ.
288. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط1، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1429هـ/ 2008م.
289. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط4، دار ابن الجوزي، 1420هـ/ 1999م.
290. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ التعليقات التوضيحية على المقدمة الحموية، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ط1، دار الميراث النبوي، الجزائر، 1432هـ/2011م.
291. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ بيان المعاني في شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، 1435هـ/ 2016م.
292. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ سبيل الرشاد في شرح تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، والدرة الأثرية، عنابة، الجزائر، 1438هـ/ 2017م.
293. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو يناقضها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، ط1، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1434هـ/2014م.
294. الفوزان صالح بن عبد الله الفوزان؛ فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، والدرة الأثرية، عنابة، الجزائر، 1438هـ/ 2017م.
295. الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب؛ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط1، دار سعد الدين، 1421هـ/ 2000م.

296. الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416 هـ/ 1996 م.

297. الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب؛ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس؛ ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

298. الفيروزآبادي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني؛ تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

299. الفيومي أحمد بن محمد بن علي الحموي؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط1، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

300. قاسم علي سعد؛ جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية، 1412هـ/ 2002م.

301. القاسمي محمد جمال الدين؛ محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ.

302. القاضي عياض أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي؛ إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1419 هـ/ 1998م.

303. القاضي عياض أبو الفضل بن موسى؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط1، دار الحديث، مصر، 1425هـ/ 2004م.

304. القباب الفاسي أبي العباس أحمد بن محمد الجذامي؛ شرح الاعلام بحدود وقواعد الإسلام، ط1، الرابطة المحمدية للعلماء، ومركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية، 1435هـ/ 2014م، ج1/ ص297-324.

305. القحطاني؛ شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط3، دار الثقافة العربية، دمشق، بيروت، لبنان، 1412هـ/ 1992م.

306. القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس؛ الذخيرة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1994م.

307. القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس؛ الفروق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م.

308. القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر؛ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1417هـ/ 1996م.
309. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين؛ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1، دار التراث العربي، القاهرة، مصر.
310. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1384هـ/1964م.
311. القرطبي أحمد بن محمد بن فرح؛ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م.
312. القشيري عبد الكريم بن هوزان؛ لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دون سنة الطبع.
313. القنازعي أبو مطرف عبد الرحمن بن هارون؛ شرح الموطأ، ط1، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، 1432هـ/ 2012.
314. القيرواني ابن أبي زيد؛ الجامع في الآداب والسنن والمغازي والتاريخ، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1421هـ/ 2000.
315. القيرواني عبد الله ابن أبي زيد؛ الذب عن مذهب مالك، تحقيق: محمد العلمي، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، المغرب، 1432هـ/ 2011م.
316. القيرواني يحي بن سلام البصري الافريقي؛ تفسير يحي بن سلام، تحقيق: هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.
317. القيرواني، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد؛ النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، تحقيق: عبد الفتّاح محمد الحلو، محمَّد حجي، محمد عبد العزيز الدباغ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 1999م.
318. الكتاني أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر؛ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط6، دار البشائر الإسلامية، 1421هـ/ 2000م.
319. كحالة الدمشقي عمر بن رضا بن محمد؛ معجم المؤلفين، ط1، مكتبة المثنى، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
320. الكوفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي؛ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

321. اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن منصور؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.
322. اللقاني عبد السلام بن إبراهيم؛ اتحاف المريد بجوهرة التوحيد، ط1، دار المعرفة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1438هـ/ 2016م.
323. المالقي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الأندلسي؛ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط5، دار الآفاق الجديدة – بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م.
324. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني؛ الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي – الإمارات، 1425 هـ / 2004 م.
325. مالك بن أنس؛ الموطأ، رواية أبي مصعب الزهري، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود خليل، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1412هـ/2002م.
326. مبارك بن محمد الميلي؛ رسالة الشرك ومظاهره، ط5، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1421هـ/2000م، ص49.
327. مجاهد أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي؛ تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410هـ/ 1989م.
328. المحسي فخر الدين بن الزبير؛ التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية، ط3، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، السعودية، 1430هـ/ 2009م.
329. محمد أبي حامد الغزالي؛ إحياء علوم الدين، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
330. محمد الحمود النجدي؛ النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى، ط2، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 1417هـ/ 1997.
331. محمد الطاهر بن عاشور؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
332. محمد المختار؛ نور الحق المبين؛ ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
333. محمد أمان بن علي الجامي؛ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الاثبات والنفي، ط2، دار المحسن، الجزائر، ودرار المنهاج، القاهرة، مصر، 1434هـ/ 2012م.
334. محمد بن احمد بن مقدم؛ فقه أشراط الساعة، ط6، الدار العلمية للنشر والتوزيع، 1429هـ/ 2008م.

335. محمد بن حامد بن عبد الوهاب؛ مسائل في العقيدة، ط1، دار مكتبة العلوم والحكم، مصر، 1427هـ/2006م، ص7.
336. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ الدارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1993م.
337. محمد بن رياض الأحمد؛ أصول الاعتقاد، دروس قيمة مختارة لعدد من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
338. محمد بن عبد الوهاب؛ الكبائر، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، ط1، دون سنة الطبع.
339. محمد حبيب الله الجنكي؛ رسالة الجواب المقنع المحرر في الرد على من طغى وتجبر بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر، ط6، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، 1401هـ/ 1981م.
340. محمد صديق حسن خان؛ حصول المأمول من علم الأصول، ط1، مطبعة القسطنطينية، 1226هـ.
341. محمد عبده؛ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط3، دار الحداثة، مصر، 1988م.
342. محمد عليش؛ فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، دون سنة الطبع.
343. محمد يحي المالكي؛ نور الحق الصبيح في شرح بعض أحاديث الصحيح، ط1، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/ 2010م.
344. محمود قاسم، الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر.
345. محي الدين سليمان إمام مذيلي؛ ابن أبي زيد القيرواني، عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، غير مطبوعة، 1422هـ/2001م.
346. المدخلي ربيع بن هادي، عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للبربهاري، ط1، دار المحسن، الجزائر، 1432هـ/ 2012م.
347. المدخلي ربيع بن هادي؛ شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث لإسماعيل الصابوني، ط2، دار الإمام أحمد، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م.
348. المراكشي حماد بن أحمد؛ عقود أهل السنة المنتخب من متن المنبهة (لأبي عمرو الداني)، ط1، خزانة التراث المالكي، 1431هـ/2010م، ص29.

349. المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي؛ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 400هـ/1980م.
350. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري؛ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.
351. المصري أبو يوسف مدحت؛ المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، ط1، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.
352. المعافري أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، الأندلسي المالكي؛ نونية القحطاني، تحقيق، عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع، ط1، دار الذكرى، دون سنة الطبع.
353. المعلمي عبد الرحمان بن يحي اليمني؛ رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، تحقيق: الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، ط1، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1432هـ/ 2011م.
354. المقري أبو الفضل؛ المنتقى من ذم الكلام، ط1، دار الكتب التراث العربي، بيروت لبنان.
355. المقري أحمد المغربي، إضاءة الدجنة، متون العقيدة والتوحيد، ط1، دار مدني، الجزائر، 1385هـ/ 2003م.
356. المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد؛ زهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد العظيم شلبي، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1358 هـ/ 1939 م.
357. المكناسي أحمد بن القاضي، جذوة الإقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس، ط1، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1415هـ/ 1994م.
358. المكي محمد الناصري؛ التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405 هـ/ 1985.
359. الملا علي القاري؛ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2001م.
360. الملالي محمد بن إبراهيم بن عمر؛ شرح أم البراهين، ط1، دار كردادة، الجزائر، 1434هـ/2013م.
361. الملالي محمد بن براهيم، شرح الملالي التلمساني على أم البراهين، تحقيق: محمد بسكر، ط1، دار كردادة للنشر والتوزيع، 1434هـ/ 2013م.

362. مناهج جامعة المدينة العالمية؛ التفسير الموضوعي، ط1، جامعة المدينة العالمية، دون سنة الطبع.
363. ميارة محمد بن أحمد المالكي؛ الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)، تحقيق: عبد الله المنشاوي، ط1، دار الحديث القاهرة، 1429هـ/ 2008م.
364. ناصر العقل؛ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية،
365. الناصري محمد المكي؛ التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
366. النخجواني نعمة الله بن محمود الشيخ علوان؛ الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ط1، دار الركابي للنشر، الغورية، مصر، 1419هـ/ 1999م.
367. نزار اباظة؛ جمال الدين القاسمي أحد أعلام الإصلاح، ط1، دار القلم، دمسق، دار الشامية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م.
368. النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غد، ةط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، 1406هـ/ 1986م.
369. النووي أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف؛ تهذيب الأسماء واللغات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
370. الهروي أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري؛ تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، تحقيق: دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2001م.
371. الهلالي محمد تقي الدين؛ مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل، ط1، دار الطبعة الحديثة، 1425هـ/ 2004م.
372. الهمذاني عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار؛ فضل الاعتزال، ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع.
373. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان؛ كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.
374. الوزاني أبو عيسى سيدي؛ النوازل الصغرى، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1417هـ/ 1996م.
375. الونشريسي أحمد بن يحي؛ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: د، محمد حجي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/ 1981م.

376. ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله؛ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1993م.
377. يوسف بن تغري بردي بن عبد الله؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
378. يوسف فرحات؛ الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

مواقع

379. http://www.al-eman.com
380. http://www.islamweb.net، الكتاب
381. /https://mawdoo3.com
382. https://quranway.com/article/من-أدلة-الربوبية&pid=61&parent=52

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	ج
الفصل الأول (التمهيدي النظري)	18
مقدمة الفصل	18
التعريف بالمصطلحات الأساسية للعنوان	18
المبحث الأول: توضيح المقصود من قواعد العقائد	19
المطلب الأول: تعريف القواعد	19
معنى القواعد لغة	19
اصطلاحا	20
المطلب الثاني: محترزات التعريف	21
المطلب الثالث: تعريف العقائد	23
المبحث الثاني: تعريف العقيدة الإسلامية	24
المطلب الأول: لمحة تاريخية عن نشوء تقعيد القواعد وقواعد العقائد	24
قواعد العقائد كمصطلح مركب	32
مصطلحات مقاربة لمصطلح القواعد	32
الفرق بين القاعدة والضابط والأصل	32
تعريف الضابط لغةً	32
تعريف الضابط اصطلاحا	33
مواطن اختلاف القاعدة عن الضابط	33
الفرق بين القواعد والأصول	35
تعريف الأصل لغة	35
الأصول في الاصطلاح	36

المطلب الرابع: أهمية القواعد والغاية من تقريرها 37
المبحث الثالث: الأئمة المالكية 39
التعريف بالإمام مالك 39
اسمه ونسبه 39
مولده 39
أشهر تلاميذه 39
ثناء علماء الأمة عليه 40
المطلب الثاني: التعريف بالمذهب المالكي 42
المطلب الثالث: أشهر المدارس المالكية 43
المطلب الرابع: المقصود بالمالكية هنا..... 43
الفصل الثاني: قواعد منهج تقرير العقائد عند أئمة المالكية..... 47
المبحث الأول: القاعدة الأولى: [اشتمال القرآن والسنة على أصول الدين فهما الأصل في استنباط القواعد] 48
المطلب الأول: توضيح القاعدة 48
المطلب الثاني: فقه القاعدة 48
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 50
الأدلة على القاعدة من القرآن الكريم 50
الأدلة على القاعدة من السنة النبوية المطهرة 53
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 55
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 56
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 65
المبحث الثاني: القاعدة الثانية: تقريرات الصحابة والسلف الصالح حجة في مسائل الاعتقاد 66

المطلب الأول: تصوير القاعدة 66
المطلب الثاني: فقه القاعدة 67
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 70
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 70
ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية 72
ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 72
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 74
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 84

الفصل الثاني: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب الإلهيات 85
المبحث الأول: وجود الله معلوم بالفطرة وتوحيد الربوبية أكثر تحققا بين الناس من الإقرار بتوحيد الألوهية 88
المطلب الأول: تصور القاعدة 88
المطلب الثاني: فقه القاعدة 88
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 90
الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 90
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الصحيحة 92
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 93
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 94
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 104

المبحث الثاني: القاعدة الثانية: الاقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الاقرار بتوحيد العبادة..... 106
المطلب الأول: تصوير القاعدة 106

المطلب الثاني: فقه القاعدة 106
المقصود من توحيد الربوبية 106
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 107
الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 107
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 108
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 110
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 111
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 122
المبحث الثالث: القاعدة الثالثة. الأمر بتحقيق التوحيد أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو أو واجب على العبيد وأول حق للمعبود –عز وجل– ... 124
المطلب الأول: تصور القاعدة 124
المطلب الثاني: فقه القاعدة 125
التوحيد بمفهوميه وأقسامه 126
في القول التوحيد أول واجب لأنه أول دعوة الرسل 126
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 128
الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 128
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 131
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 133
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات القاعدة عند أئمة المالكية 134
المطلب الخامس: فوائد القاعدة وأثرها 140
المبحث الرابع: القاعدة الرابعة. التوحيد حقٌ مطلقٌ لله –عز وجل–وحده لا شريك له وهو معنى شهادة لا إله إلا الله 141
المطلب الأول: تصور القاعدة 141
المطلب الثاني: فقه القاعدة 141

الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 142
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 147
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 148
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 149
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 156
المبحث الخامس: القاعدة الخامسة: [شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي إفراد الله بالعبادة] 159
المطلب الأول: تصور القاعدة 159
المطلب الثاني: فقه القاعدة 160
أ/ العبادة في اللغة 160
ب/ العبادة في الاصطلاح 161
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 163
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم: 163
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 164
ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 166
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 167
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة والالتزام بها 177
المبحث السادس: القاعدة السادسة. [الشرك أول ما حذر منه الرسل أقوامهم لأنه يبطل التوحيد] 178
المطلب الأول: تصور القاعدة 178
المطلب الثاني: فقه القاعدة 178
1-معنى الشرك لغة 179
2-معنى الشرك شرعاً 179
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 181
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 181

ب/الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 183
ج/الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 187
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 188
المطلب الخامس: فوائد الالتزام بالقاعد وآثار تقريرها 194
المبحث السابع: القاعدة السابعة: [الشرك أكبر معصية لأنه محبط لإيمان ومبطل للتوحيد] 195
المطلب الأول: تصوير القاعدة 195
المطلب الثاني: فقه القاعدة 196
ما هو الشرك الأكبر المقصود منه في القاعدة؟ (الشرك الأكبر) 198
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 199
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 199
ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 201
ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 202
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 204
المطلب السادس: فوائد الالتزام بالقاعدة وأثرها 214
المبحث التاسع: القاعدة التاسعة: [الأسماء والصفات توقيفية فلا تُثبَتُ لله صفةً ولا اسماً ولا يُنفيان عنه إلا بدليل من القرآن أو السنة الصحيحة] 215
المطلب الأول: تصور القاعدة 215
المطلب الثاني: فقه القاعدة 216
إثبات الصفات لله والأسماء 216
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 221
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 221
ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 221
ج/ الاستدلال للقاعد بالحجج العقلية 222
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 223

المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 236
خاتمة فصل الالهيات 236
الفصل الثالث: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب النبوات 238
مقدمة الفصل 239
تعريف النبي والرسول لغةً 240
ثانيا: تعريف النبي والرسول شرعاً 240
المبحث الأول: القاعدة الأولى: تحقيق التوحيد يستلزم الايمان بالنبوات 241
المطلب الأول: تصور القاعدة 241
المطلب الثاني: فقه القاعدة 241
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 244
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 244
ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 246
ج/الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 249
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 249
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة 256
المبحث الثاني: القاعدة الثانية: [النبوة وحي من الله لا اكتساب بشري] 257
المطلب الأول: تصوير القاعدة ومقتضاها 257
المطلب الثاني: فقه القاعدة 257
تعريف الوحي في اللّغة 258
تعريف الوحي في الشرع 258
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 258
الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 260
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 262
الاستدلال للقاعدة بالحجة العقلية 263

المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 264
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها في حفظ العقيدة 270
المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: [الأنبياء البشر خصهم الله بالعصمة] 271
المطلب الأول: تصوير القاعدة 271
المطلب الثاني: فقه القاعدة 272
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 273
الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 273
آيات بشرية الأنبياء 273
آيات عصمة الأنباء 274
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 275
أحاديث بشرية الأنبياء 275
أحاديث عصمة الأنبياء 277
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 277
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 278
المطلب الخامس: فوائد الالتزام بالقاعدة وأثرها في حفظ العقيدة 285
المبحث الثالث: القاعدة الثالثة: [الأنبياء رحمة من الله بعباده في الدنيا وحجة عليهم يوم القيامة] 287
المطلب الأول: تصوير القاعدة وتوضيحها 287
المطلب الثاني: فقه القاعدة 287
في كون النبوة حجة لله على الناس، وأنهم شهود عليهم 289
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 290
أ/ الاستدلال للقاعدة من القرآن الكريم 290
ب/ الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 294
ج/ الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 295

المطلب الرابع: تقريرات بعض أئمة المالكية للقاعدة 296
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 304
خاتمة الفصل ونتائجه 306
الفصل الرابع: قواعد العقائد التي قررها أئمة المالكية في باب الغيبيات 308
مقدمة الفصل 308
المبحث الأول: القاعدة الأولى: [الإيمان بالغيبيات ركن واجب في كمال التوحيد وتحقيق الإيمان بالله] 310
المطلب الأول: تصوير القاعدة 310
المطلب الثاني: فقه القاعدة 310
الغيبيات ودليل الغيب بمعنى السمعيات 312
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 313
الاستدلال للقاعدة من القرآن للقاعدة 313
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 318
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 322
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 323
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 335
المبحث الثاني: القاعدة الثانية: [الغيب سر الله وعلمه اختص بكشفه لمن يشاء من عباده] 338
المطلب الأول: تصور القاعدة 338
المطلب الثاني: فقه القاعدة 339
أقسام الغيب باعتبار ماهية الأمر الغيبي 339
المطلب الثالث: الاستدلال للقاعدة 341
الاستدلال للقاعدة من القرآن للقاعدة 341
الاستدلال للقاعدة من السنة النبوية الشريفة 343

الأحاديث المخبرة على الغيبيات 343
أحاديث مخبرة بالغيبيات تحقق وقوعها 344
أحاديث عن غيوب لم يتحقق وقوعها بعدُ 345
الاستدلال للقاعدة بالحجج العقلية 346
المطلب الرابع: نماذج من تقريرات أئمة المالكية للقاعدة 347
المطلب الخامس: فوائد تقرير القاعدة وأثرها 356
خاتمة الفصل 359
الخاتمة 360
التوصيات 363
الفهارس 365
فهرس الآيات 366
فهرس الأحاديث 375
فهرس الأعلام 378
فهرس المصادر والمراجع 382
فهرس الموضوعات 411

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية